من تراث الأندلس

٢

قضاة قرطبة
و
علماء أفريقية

للمؤرخ الأديب . والمحدث الفقيه

أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني

القيرواني الأندلسي المتوفى سنة ٣٦١ هجرية

عني بنشره ، وصححه ، وراجع أصله

السيد عزت العطار الحسيني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الأصل مأخوذ عن النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بأكسفورد

رقم الإيداع / ١٦٧٠ / ٩٤

الترقيم الدولي

I.S.B.N

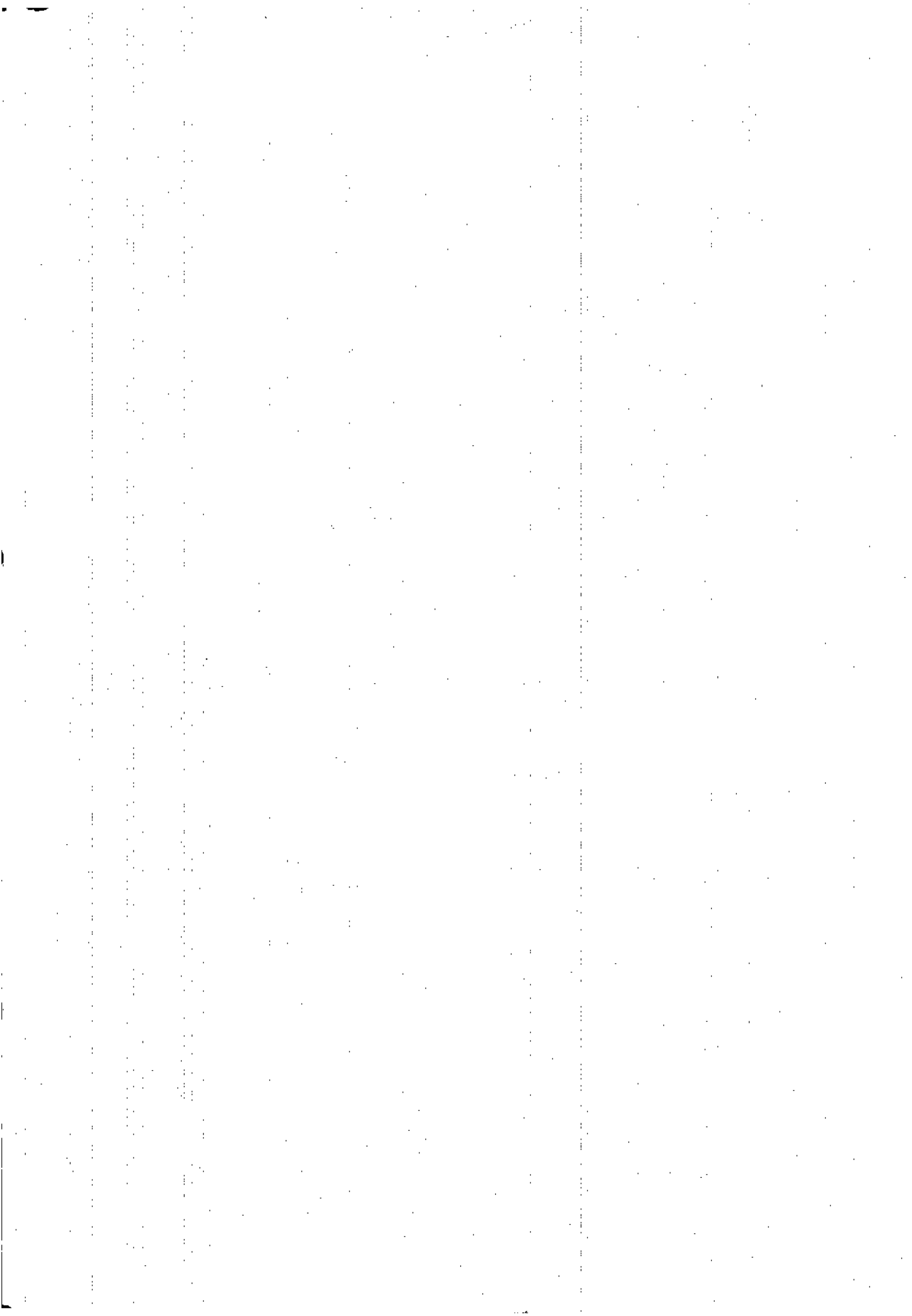
977-505-099-6

١

قضاة قرطبة

[ما جاء فى أصلِ الـكتابِ عن ملـكية النسخة]

« ملَـكه وكتَبَه محمدُ بن محمدِ بن محمد بن عبد الرحمن اللَّواتىُّ »
« الشهيرُ فى طنجة : بابن بَطوطة ؛ عفا الله عنــه ، وتاب »
« عليه . ثم ملَـكه وكتَبه بأرض بُرتقال (أعادها الله) »
« عمرُ بن أحمدَ بن يوسفَ المقْدِسِىُّ . ثم ملـكه بعدَه ابنُه »
« إبراهيمُ بن عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ يوسف الفقيـهُ ، الشهيرُ : »
« بصغرط ؛ غفر الله [له] عامَ خمسةٍ وسبعينَ بعد ثمـانمائةٍ »



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ : يسِّرْ ، ولا تُعسِّرْ ؛ يا كريمُ]

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ ، اللطيفِ الخبيرِ ؛ الملكِ القديرِ : فكلٌّ مافى العالَم من أثَرِ قدرتِه ؛ المقدَّسِ المنزَّهِ عن التغييرِ ؛ مُصَرِّفِ الخلائقِ : بيْنَ رَفعٍ وخَفضٍ ، وبَسطٍ وقَبضٍ ، وإبرامٍ ونَقضٍ ؛ وإماتةٍ وإحياء ، وإيجادٍ وإفناء ؛ وإعزازٍ وإذلالٍ ؛ يُؤْتِي المُلكَ مَن يشاء ، ويَنزِعُ المُلكَ ممَّن يشاء ، ويُعِزُّ مَن يشاء ، ويُذِلُّ مَن يشاء ؛ إنه على كلِّ شيء قديرٌ .

والصلاةُ والسلام على سيدِ العَربِ والعَجمِ ، المبعوثِ إلى جميعِ الطوائفِ والأُممِ ؛ سيدِنا ومولانا : محمدِ بن عبد الله ؛ وعلى آله وأصحابه الأعلامِ الهُداةِ .

* * *

أما بعدُ : فلا يختلفُ اثنانِ فى أنَّ علمَ التراجمِ الذى يَبحثُ عن أحوالِ الفُقهاء والعلماء ، والقُضاةِ والأمراء ، والكُتابِ والشعراء ؛ علمٌ : جَليلُ الفائدةِ ، جَزيلُ العائدةِ ؛ خليقٌ : بأن تَرغبَ فيه الأنفُسُ ، وتُصرفَ إليه الهِممُ .

وقد ألَّف فى ذلك كثيرٌ : من علماء الإسلامِ الأعلامِ ، فى كل عصر وزمان .

وقد عُنيتُ بالبحثِ عن الكتبِ النادرةِ من هذا النوعِ — بعدَ أنْ وفقنى اللهُ سبحانه وتعالى ، لنشرِ الكثير : من الكتبِ العلميةِ المفيدةِ ؛ من آثار السلفِ الصالحِ . — : فوُفِّقتُ لتزويدِ المكتبةِ العربيةِ ، بكتابَىْ : « تراجمِ رجالِ القرنين السادس والسابع ؛ المعروف : بذَيلِ الرَّوضَتَينِ ؛ لأبى شامةَ المَقْدِسى » ، و « جَذْوةِ المُقْتَبِسِ ، فى ذِكْرِ وُلاةِ الأندلُسِ ، وأسماء رُواةِ الحديثِ وأهلِ الفقهِ والأدبِ ،

وذوى النَّباهةِ والشعر ؛ لأبى عبدِ الله : محمدِ بن فتوح بن عبدِ الله الْحُمَيْدِىّ » .

* * *

والآنَ قد اعتزمتُ (بفضلِ اللهِ) نشر كتابَيْنِ آخَرَيْنِ لمحمد بن حارثٍ الْخُشَنِىّ :

(أولُهما) : « قُضاةُ قُرْطُبَةَ » ؛ الذى ألفه ، بطلبٍ من الْحَكَمِ الثانى : الْمُسْتَنْصِرِ بالله . والذى يَختصُّ بمنزلةٍ ممتازةٍ ، بيْنَ الوثائقِ : التى تُخبِرُ عن الحيــاةِ الاجتماعيَّةِ بالأندلُسِ ، فى أيام الإمارَةِ ، ثم الخلافةِ الأُمَويَّةِ .

وقد سَبقَ : أنْ نشَر هذا الكتابَ ، العلامةُ الْمُستَشرِقُ الإسْبانِىُّ : « خولْيان ربيرة » ؛ فى عام ١٩١٤ . معتمداً فى طبعته : على النسخةِ الخطيةِ الوحيــدةِ ، المحفوظةِ بأُكسْفُرْدْ .

بيْد أن الطبعة المذكورة : قد نفدتْ وأصبحت نادرة ، بل مفقودة . وستمتاز طبعتُنا عنها : بملْءِ فراغِ الكلماتِ التى أَشكلتْ على الناشرِ ؛ وبالرجوعِ ببعضِ الأسماءِ إلى مَظَانِّها ، والإشارة ــ فى الهامشِ ــ إلى موقعها .

(وثانيهما) : « علماء إفْرِيقية » ؛ الذى قام بنشرِه ــ فى عام ١٩١٤ ــ العالمُ الفاضلُ ، الشيخ محمد بن أبى شَنَبٍ ؛ مرْفقاً بكتابِ أبى العربِ ؛ تحتَ عُنوانِ :«طبقات علماء إفريقية » .

وقد ورد فى التاجِ الْمُذْهب ، باسمِ : « تاريخ علماءِ إفريقيةَ » ؛ وفى جَذوةِ الْمُقْتَبِس ، باسمِ : « أخبار الفقهاءِ والمحدِّثين بإفريقية » . وقد آثرنا الاختصار فى اسمه : مراعاةً لاسم الكتاب الأول . وذلك أمر : يُتسَاهَلُ فيــه ، ولا يَسْتَوْجِبُ نقداً . خصوصاً : بعدَ أنْ رأيْنا المتقدمين لم يتفقوا على تَسْميته .

* * *

أما المؤلفُ ، فهو : أبو عبد الله محمدُ بن حارثِ بن أسَدٍ الْخُشَنِىُّ .

تفَقَّه بالقَيْرُوانِ علَى : أحمدَ بنِ نصرٍ ، وأحمدَ بنِ زيادٍ ، وأحمدَ بن يوسُفَ ،

وابنِ اللبَّادِ . وسمِـعَ من غيرِ واحـدٍ : من شيوخ إفريقية . وقدِم الأندلُسَ حدَثاً : وسنُّه اثنتا عشرة سنة . فسمِع من ابن أيْمَنَ ، وقاسمِ بن أصْبَغَ ، وأحمدَ بن عُبادةَ ، وأحمدَ بن يحيَى بن لُبَابَةَ ، وأحمـدَ بن زيادٍ ، والحسن بن سعدٍ ؛ وغيرِهم : من القُرْطُبِيِّينَ .

اسْتَوْطَن « قُرْطُبَةَ » ؛ وقد دخَل « سَبْتةَ » قبل العشرين وثلاثمائة : فحبسه أهلُها عندَهم ، وتَفقَّه عليه قومٌ منهم . وقيل : إنه حَقَّق قِبلةَ جامعِهم إذ ذاك ، فوجَد فيها تَغْريباً : فامتَثَلوا رأيَه وشرَّقُوها . ثم دخل الأندَلسَ ، وتَرَدَّدَ فى كُورِ الثُّغُورِ ؛ واسْتَقرَّ أخيراً بقُرطُبةَ .

كان (رحمه الله) : حافظاً للفقه مُتقدِّماً فيه ؛ نَبيهاً ذَكِيًّا ، فقيهاً فَطِناً ؛ مُتقِناً عالماً بالفُتْيَا ؛ حَسنَ القياسِ فى المسائل .

ولِّىَ المواريثَ ببجّانة ، والشُّورَى بقرطبـة ؛ وتَمـكَّن من ولىِّ عهدِها : الأميرِ الحـكَمِ ؛ وألَّفَ له تآليفَ حسنةً .

منها : كتابٌ فى الاتفاقِ والاختلافِ فى مذهبِ مالكٍ ؛ وكتابٌ فى المحاضِرِ ؛ وكتابُ رأيِ مالكٍ : الذى خالفه فيه أصحابُه ؛ وكتابُ الفُتْيَا ؛ وكتابٌ فى تاريخ علماءِ الأندَلُسِ ؛ وتاريخُ قُضاةِ الأندلُسِ ؛ وتاريخ الإفْرِيقيِّينَ ؛ وكتابُ التعريف ؛ وكتابُ المولِدِ والوفاةِ ؛ وكتاب النَّسبِ ؛ وكتاب الرُّواةِ عن مالكٍ ؛ وكتابُ طبقاتِ فقهاءِ المـالـكيةِ ؛ وكتاب مناقب سحْنُون ؛ وكتابُ الاقتباس ؛ وغيرُ ذلك .

كان : عالماً بالأخبار ، وأسماء الرجالِ ؛ وكان حكيماً : يعمَلُ الأدْهانَ ، ويَتصرَّفُ فى الأعمالِ اللطيفةِ ؛ شاعراً بليغاً ، إلا : أنه يَلحَنُ . وآلَتْ به الحالُ – بعدَ موتِ الحـكَمِ ، وتَقصيرِ ابن أبى عامرٍ بصَنائعِ الحـكمِ — إلى الجلوس فى حانُوتٍ : لبيعِ الأدهانِ .

حدَّث عنه : أبو بكرِ بنُ حوبيل ، وغيرُه .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : « رأينَا ابنَ حارثٍ فى مجلسِ أحمدَ بنِ نصرٍ (يَعنِى : وقتَ طلبه) : وهو شُعلةٌ يتوَقَّدُ فى المناظرةِ ». وتوفى سنة ٣٦١ هـ .

وقال الُحميدىُّ فى (جَذْوَةِ الُمقْتَبِسِ) : « محمدُ بن حارثٍ الُخشَنِىُّ : من أهلِ العلمِ والفضلِ ، فقيهٌ محدثٌ . رَوى عن ابن وَضَّاحٍ ، ونحوِه ، جَمع كتابَ : أخبار القُضاةِ بالأندَلُسِ ؛ وكتاباً آخَرَ : فى أخبارِ الفقهاء والمحدِّثينَ ؛ وكتاباً : فى الاتفاقِ والاختلافِ لمالك بن أنسٍ وأصحابه . ذكره أبو عُمَر بنُ عبدِ البَرِّ ، وأبو محمدٍ : علىُّ ابن أحمدَ . وأوْرَد عنه أبو سعيدِ بنُ يونُسَ – فى تاريخهِ – :وفيَاتِ جماعةٍ من أهلِ الأندلُسِ : ممَّن مات قبلَ الثلاثمائة ، و بعدَها بمدةٍ . وقد أفصَح أبو سعيدٍ باسمِه ونسبه، فى موضعين من التاريخ : فى باب السينِ ، وفى باب النونِ . وما أراهُ : لَقيَه ، ولكنه : عاصرَه ، وكان فى زمانِه ، ووقفَ عَلَى كتابِه . وإنما يقولُ فيما يُورِدُه عنه — : من ذلك . — : ذكرَه الُخشَنِىُّ فى كتابِه . كان : حيًّا فى حُدودِ الثلاثينَ وثلاثمائةَ . » .

* * *

هذا ما أكتَفِى بذكرِه : من ترجمةِ مؤلِّفِ هذيْن السِّفْرَيْنِ اللذَيْن هما : وَثيقتان عظيمتاَ الَخطرِ ، جليلتاَ الأثرَ ؛ عن تاريخ الحياة العلمية والاجتماعية : فى قرطبةٍ وإفريقيةَ . راجياً أن لا يُنْكَبَا : بدجَلِ الدجَّالِين ، وحسدِ الحاسدين ؛ دكاترةِ الحىِّ اللاَّتينِى بباريسَ وأعوانهم ؛ وأن لا ينالا — من قلةِ إنصافِهم ، وحقيرِ افترائهم . — ما نَال كتابَ : (جَذْوَةِ الُمقْتَبِسِ) ؛ الذى خَرَجَ من المعركةِ : عالىَ الهامَةِ ، وافِرَ الكرامةِ .

* * *

ولمَّا كان الواجبُ : يُحتِّمُ على الإنسانِ الاعترافَ بالجميلِ ؛ فلا يَسَعُنِى إلا الإشادةَ بذكرِ بعض أسماء مَنْ يتكرَّمُون : بتَشجيعنا على نشرِ الكتُبِ العلميَّةِ المفيدةِ ؛ ويُسْدُون إلى (مَكْتَبِ نَشْرِ الثَّقافةِ الإسلاميَّةِ) — : من المعونة الصادقة . — ما كان أكبر دافع له : على الاستمرارِ فى خدمة العلمِ والأدبِ .

فمنهم: اللُّغوىُّ الأديبُ ، الشيخ : إبراهيم مرونى ؛ ناظرُ مدرسةِ المعلمين العُموميَّة .

والشيخ : عبدُ الغنيِّ عبد الخالق ؛ المدرسُ بكُلِّيَّةِ الشريعةِ الإسلاميَّة .
والمحقِّقُ القديرُ ، السيدُ : عبدُ القويِّ الحلبيُّ .
والشيخ : محمد عيسى منون ؛ المدرس بمعهد القاهرة الأزهرى .
والأستاذ البحاثة : سيد صقر : المدرس بالأزهر .
والدكتور المحقق الكبير : سامى الدهان ؛ عضو المعهد العلمى الفرنسى .
والدكتورُ : محمد صادق ؛ مديرُ الشركةِ التجاريةِ للأدوية .
والأستاذُ الكبيرُ ، السيدُ : أحمد خيرى .
والأستاذُ الفاضل : فؤاد افندى السيد ؛ بقسم المخطوطات بدار الكتُبِ المصريةِ .

كما يجب : أنْ أُنَوِّهَ بفضلِ أصحاب أكبرِ دُورِ النشرِ للعلومِ والمعارف ، فى الشرق الأوسطِ ، وأصْدقِها معاملةً وأمانةً . وهم : الأستاذُ الأديب ، السيدُ : قاسمْ الرجب ببغدادَ ؛ والأستاذ الفاضل : محمد نجيب أمين الخانجى بمصر ؛ والعلامةُ الجليلُ الشيخُ : محمد الثمينى بتونس ؛ والأديبُ الفاضلُ : الهادى بن عبد الغنىِّ بتونس ؛ والعالم الفاضل : الحاج محمد نمنكانى بالمدينة المنورة .

هذا ؛ وفى الختام ، أدعو اللهَ : أن يُوفقَنا إلى ما يحبُّه ويرضاه ؛ إنه سميعٌ مجيبٌ ؟

فى ١٦ ذو الحجة ١٣٧٢ — السيد عزت العطار الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على محمد وآله وسلَّم تسليما

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، عن أبيه ، عن أبي بكر التجيبيّ

قال أبو عبـد الله محمدُ بن حارثٍ الْخُشَنِيُّ رحمه الله : وصل الله بالأمـير الحـكَمِ المستنصِرِ (رحمه الله) وليِّ عهد المسلمين ، أسبابَ السعادةِ ، ومدّ له في مدة العز ، وزاده من نعمة التوفيق : أنه لما حسُن [رأى][1] الأمير أبقاه الله ، واستحكمتْ بصيرتُه (سدده الله) في حفظ العلوم ومطالعةِ الأخبارِ ، وفي معرفة النَّسَبِ وتقييد الآثارِ ؛ وفي الإشـادة لفضائل السلفِ ، والتقليدِ لمناقب الخلَفِ ؛ وفي التذ كير بالمنسيِّ من الأنباء ، والإشارة للسالف من القَصَص و بخاصة : ما كان في مِصره قديماً ، وفي عصره حديثاً ـ : جعـل الله ذلك سبباً قوياً لحياة القلوب ، وعلَّةً ظاهرةً لنباهة النفوس ؛ فتحرك أهل ا[لعلوم[2]] بما حركهم إليه الأمير الموفَّقُ : فاستحفظوا ما أضاعوا : من غُرر الأخبارِ ؛ وقيدوا ما أهملوا : من عيون المعارفِ ، واتصلت بجميعهم بركةُ الأميرِ (أبقاه الله) في ذلك ؛ وكذلك خـيرُ الفضائل : ماسطع نورُه ، وانتشر ذكره ، وكان علة لفضائلَ وسبباً لمفاخرَ .

فالحمدُ لله الذي جعل الأمـير (أيده الله) : إماماً في الخير ، ودليلا في طرائقُ الرشدِ ، وهادياً[3] إلى جميـل المذاهبِ ، وأُسْوةً في الْحُسنى ، ومفتاحاً إلى حميد الأمورِ ، و بابا إلى الفضل . هنأه الله نعمتَه ، وأدام غِبْطتَه ، و [أسبغَ][4] عليه فضلَه ، ووفَّر من المكارم حظَّه .

---

(١) و (٢) بياض : في الأصل .

(٣) في الأصل : ومهادياً (٤) بياض : في الأصل .

فإنه لما أمر الأمير (أبقاه الله) : بتأليف كتاب : (القُضاة) : مقصوراً على مَنْ قضى للخلفاء (رضى الله عنهم) بأرض المغرب ، فى الحاضرة العُظمى : (قُرْطُبَةَ) ، ذاتِ الفخر الأعظم ؛ ولِمَّا لهم بها مِنْ قبلُ — : هززتُ رواةَ الأخبارِ ، فى أخبارهم ، وكاشفتُ أهلَ الحفظِ عن أفعالهم ؛ وسألتُ أهلَ العلمِ عما تقدم : من سيرهم قولاً وفعلاً . فألفَيْتُ من ذلك ، فصولاً : تَرُوقُ المستفهمين ؛ وقصصاً : تُبهِجُ السامعين ؛ وأخباراً : تدُلُّ الناظرينَ المُتعقِّبين : على حَصَافة العقولِ ، وسَعةِ العلومِ ؛ وعلى رَجاحةِ الأحلامِ ، وثقافةِ الأفهام ؛ وعلى صِدْقِ البصائر ، وصحةِ العزائم ؛ وعلى [حُسن[1]] مآلِ الفضلِ ، [واستقرارِ[2]] العدلِ ؛ وعلى استقامة الطريقة ، و[سلامة المعاملة[3]] ؛ وعلى ما لِمَن اسْتَقْضاهم — : من الخلفاء رضى الله عنهم . — : من الأوصاف الرضيَّةِ[4] : فى حُسن الارتيادِ ، وجميل الاختيار ؛ وفى [نُصْحِ[5]] القُضاةِ ؛ بحميد[6] العِظات ؛ وفى إيثار الصدقِ ، وتأييد [الحقِّ[7]] ؛ وذلك جديرٌ بقضاة مثلِ هذا المصر الأكبر : بَيْضةِ [الخلافة[8]] ، ودارِ الإمامة ، وحاضرةِ الجماعةِ ؛ ومعدِنِ الفضائلِ ، ومَسكَنِ الأفاضل ؛ وكَمِينِ العلومِ ، ومَجمعِ العلماء ، وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلَها ، وأكملَ حُسنَها : بالإمام العادلِ ، والمَلِكِ الفاضلِ ؛ أميرِ المؤمنين عبد الرحمن (أطال الله بقاءه) ؛ ثم : بالمصطَفَى لعهده ، المثالِ[9] لمجده جعله الله إماماً فى الخيرات ؛ وعَلَماً فى الصالحات .

* * *

قال محمد : لَمَّا كان القاضى أعظمَ الولاة خطَراً ؛ بعدَ الإمامِ الذى جعله اللهُ :

---

(١) بياض : فى الأصل . (٢) فى الأصل : واستفزاز .
(٣) بياض : فى الأصل . (٤) فى الأصل : وعلى أوصاف .
(٥) بياض : فى الأصل . (٦) فى الأصل : بحمين .
(٧) و (٨) بياض : فى الأصل . (٩) فى الأصل : المثل .

زماماً للدِّين ، وقِوَاماً للدنيا؛ . ـ : لما يتقلَّدُه القاضى : من تنفيذِ القضايا ، وتخليدِ الأحكام : فى الدماء ، والفروجِ ، والأموالِ ، والأعراض ؛ وما يتصلُ بذلك : من ضُروبِ المنافعِ ، ووجوه المضار . وكانت العقبى من الله فى ذلك : فظيعةَ المقامِ، هائلةَ الموْقفِ ، مَخُوفَةَ المَطْلَعِ ، . ـ : اختلفتْ فى ذلك الهِمَمُ من عُقلاء الناسِ وعُلمائهم ، فقَبِل كثيرٌ منهم القضاء : رغبةً فى شَرَفِ العاجِلةِ ؛ ورجاءً لمعونةِ اللهِ عليه ، واتكالاً على سَعةِ عفوه فيه ، ونَفَر آخَرُون منه : رهبةً من مكروه الآجِلةِ ، وحِذاراً من الله : فيما قد يكونُ منهم ، وعلى أيديهم .

قال محمد : وقد سَلَف من رجال الأندَلُسِ ـ : من أهلِ حاضرتِها العظمى . ـ رجالٌ دُعوا إلى القضاء : فلم يُجيبوا؛ ونُدِبُوا إليه : فلم يَنتَدِبُوا ؛ رهبةً [فى ضميم[(1)]] أنفسهم من مُنْتَظَرِ العاقبةِ .

وقد رأيت . أن [أُدوِّنَ[(2)]] ذِكْرَهم ، وأصِفَ[(3)] . مَقاماتِهم بيْنَ يَدَىْ خُلفائهم ، و إشفاقَهم مما دعاهم إليه أمراؤهم ؛ وأنْ أجعلَ لذلك باباً فى صَدْرِ الكتابِ ؛ ثم أصيرَ إلى ذكرِ وُلاةِ القضاء : قاضياً فقاضياً ؛ على ما كانتْ عليه دُوَلُهم ؛ إن شاء الله ؛ وأسئلُ اللهَ : جميلَ المعُونةِ : على صوابِ القولِ ، ومحمودِ الفِعلِ ؛ فإنه الهادى إلى سَواء السبيلِ .

---

(١) و (٢) بياض : فى الأصل .

(٣) فى الأصل : ووصف .

« باب : مَن عُرض عليه القضاءُ : من أهل قرطبة ؛ « فأبَى من قبوله »

قال محمد : استشار الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ (رضى الله عنهما) أصحابَه : فيمن يُوَلِّيهِ القضاءَ بقُرْطُبَة ؛ فأشار عليه ابنُه هِشامٌ (رحمة الله عليه) ، وابن مُغيثٍ الحاجبُ : بالمُصْعب بن عِمْرَانَ[1] ، فقَبِلَ الأميرُ عبدُ الرحمن رأيَهما ، وأمَرَ بالإرسال إلى مُصْعَبٍ ؛ فلمَّا قدِم : أدخلَه عَلَى نفسِه بحضرة ابنِهِ هِشامٍ ، وأحمدَ بن مُغيثٍ ، وجماعةِ أصحابِهِ . فعَرَضَ عليه وِلايةَ القضاء : فأبَى من قَبولها ، وذكَر أعذاراً له فى ذلك . فردَّد عليه الأميرُ عبدُ الرحمن القولَ ، وأظهرله العزيمة ، ولم يُوسِعْه العُذرَ فى ترك القبولِ ؛ فأصَرَّ عَلَى الإبايةِ لها ، وتمادَى على النفورِ منها . فلما يئس الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه الله) منه : أطْرَق ؛ وجعل يَفْتِلُ شاربَه ، وكان : إذا غضب فَتَلَ شاربَه ؛ فالوَيْلُ للمغضوب عليه ، حتى خاف من حضَرَ ، عَلَى مُصْعَبٍ ، من بادِرةٍ تكونُ من الأمير فيه : لهَوْلِ مَقامِه ؛ وجعل بعضُ الحاضرين : ينظرُ إلى هشامِ بن عبد الرحمن ، وإلى أحمدَ بنِ مَغيثٍ : كالقائلين لهما : [لما][2] عرَّضْتُما بالرجل ؟ فرفَعَ الأميرُ رأسَه ، فقال لمصعب : اذهبْ فعلَيك كذا وكذا ؛ وعلى اللذَيْنِ أشارا بك . ولم يكن — : من عقوبته له فى حُمَيَّا الغضبِ أكثر من ذلك . وخرج مُصعبٌ : فلَحِق بمكانه . فلم يَزَلْ به : حتى أفْضَتْ الخلافةُ إلى هشامٍ (رحمه الله) ؛ فأرسل فيه ، وعزَم عليه : فى القضاءِ . وسنذكرُ ذلك : مبيَّناً إن شاء الله .

١

* * *

(١) انظر ترجمته فى «تاريخ قضاة الأندلس ٤٤ — ٤٧» .
(٢) فى الأصل : ماذا .

قال محمدٌ : وذكر أبو مَرْوانَ عبيدُ الله بنُ يحيى ، عن أبيه : أن الأميرَ هِشاماً ،
٢ أراد زِيادَ بن عبد الرحمن[١] للقضاء؛ فخرج هارباً بنفسه فقال هشامُ بن عبد الرحمن ـ عند ذلك ـ : « ليتَ الناسَ كزيادٍ : حتى أُكْفَى حبَّ أهلِ الرغبةِ » ؛ وأمَّنه. فرجع إلى مَسكَنه .

قال محمدٌ : قال لى عثمانُ بن محمد : سمعتُ محمدَ بن غالبٍ ، يقول : لمَّا بعث الوزراء فى زياد بن عبد الرحمن ، وعَرَضوا عليه القضاءَ عن الأمير هشامٍ (رحمه الله) ـ قال لهم : « أما إن أكرَهتمُونى على القضاء : فزوجتى طالقٌ ثلاثاً ؛ لئن أتى [لى[٢]] مُدعٍ فى شيء : مما فى أيديكم ؛ لأُخرِجنَّه عنكم ، ثم لأجعلَنَّكم فيه : مدعين. » . فلما سمِعوا ذلك منه : عمِلوا فى مُعَافاته .

***

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ، قال : لمَّا مات القاضى محمدُ بن بشيرٍ : ذكر الأميرُ الحَكَمُ القَضاءَ ، ومَن يَصلُحُ أن يُوَلِّيَه ؛ فقال : « ما أَرى غيرَ فقيهِ
٣ البلدِ : محمدِ بن عيسى الأعْشَى[٣] ؛ وما يَغُمُّنى منه غيرُ إفراطِ الدُّعابةِ التى فيه . » . وعزَم على ذلك من أمره . فقال له بعضُ الوزراء : لو امتحنتَ أمْرَه قبلَ المُشافهةِ : كان ذلك رأياً حسناً ؛ فأرسَل إليه بعضَ وزرائه : فنزَل عليه ، وذاكَرَه الأمرَ ، وأعلَمه بما عابه به الأميرُ : من إفراط دُعَابتِه . فقال : « أمَّا القضاء : فإنى (والله) لا أقبلُه البَتَّةَ : ولو فُعِل بى وفُعِل ؛ فلا يَحتاجُ الأميرُ (أبقاه الله) : أن يَكْشِفَ إلىَّ وجهَه فى ذلك ؛ وأما الدُّعابةُ : فعَلىُّ بن أبى طالبٍ (رضى الله عنه) لم يَدَعْها للخلافة ؛ أأدعها للقضاء ؟!. » . فلمَّا بلَغ الأميرَ قولُه : عافاه ، ونظر فى غيره.

* * *

(١) انظر « تاريخ قضاة الأندلس ١٧ » .
(٢) فى الأصل : بى .
(٣) انظر « جذوة المقتبس ٦٩ ؛ ١٠٦ » .

٤ قال محمدٌ : « وكان للأمير الحكمِ (رضى الله عنه) قاض بكُورةِ جَيَّانَ فتظلَّمَ أهلُ الكُورةِ منه : فعَهِدَ الأميرُ الحكمُ إلى سعيد بن محمد بن بشيرٍ — قاضى الجماعةِ بقُرطبة — : أنْ ينظرَ عَلَى قاضى جَيَّانَ ؛ فإن ظهر بريئاً : أقرَّه على قضائه ؛ وإن ظهر عليه ما رُفع إلى الأمير فيه : عزَلَه عن الكُورةِ . فنظَرَ قاضى الجماعةِ : فألفاه بريئاً ؛ فقال له : انصرف إلى قضائك . فقال : « امرأتى طالق — وعلىَّ من الأَيْمان كذا وكذا : أبَرُّ وأوْفى من أيمان أبيك التى حَلَف بها . — : لا نَظَرْتُ بين اثنين : حتى ألقَى اللهَ . » . وكان محمدُ بن بشيرٍ : قد عزله الأميرُ ، فحلَفَ أن لا يلى القضاء أبداً ؛ بطلاق زوجتِه . وعِتْقِ رقيقِه ؛ فلما عزَم عليه الأمير — بعد ذلك — فى صرفه أُحْنِثَ فى أيمانه ، وطَلَّقَ الزوجةَ ، وأعتَقَ الرقيقَ ؛ وأخلَفَ له الأميرُ كلَّ ذلك : إذ أعلَمه به .

* * *

٥ قال محمدٌ : وحدثنى عثمانُ بن محمد ، قال : حدثنى أبو مَرْوانَ عبيدُ الله بن يحيى ، عن أبيه يَحيى ، قال : « لما وَلِىَ الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحكمِ (رضى الله عنهما) ألحَّ [عَلَىَّ[1]] فى القضاء — وكان صاحبَ الرسالةِ فى ذلك طَرَفةُ — فقلت له : المكانُ الذى أنا به — لما تريدون — خيرٌ لكم : إنه إذا تَظلَّمَ الناسُ من قاضٍ أجْلَسْتمُونى فنظَرْتُ عليه ؛ وإن كنتُ القاضىَ فتَظَلَّمَ الناسُ منى : مَن تُجلِسُون للنظر عَلَىَّ ؟ : مَن هو أعلم منى ؟ أو مَن هو دُونى فى العلم ؟ ! . فقبِلَ ذلك منى ، وعافانى[2] . » .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : كان أحمدُ بن خالدٍ يحدِّثُ : أنه لما مات يَحيى بنُ يَعْمُرَ : بقِىَ الناسُ بلا قاض ، حتى خَطَر بهم يوماً زِرْيابٌ : راكباً إلى البلاطِ ؛ فسألوه : أنْ يُخبرَ الأميرَ عنهم ، بما هم عليه : من سوء الحال ؛

---

(١) فى الأصل : عليه . (٢) فى الأصل : وعافى نى .

إذ ليس لهم قاضٍ ؛ فلمّا دخل زرْياَبُ عَلَى الأمير : ذكر ذلك له ؛ فقال له الأمير : « يازرياب ؛ والله : ما منعنى من تَوْلِيةِ قاضٍ ، إلاَّ أنى لستُ أجد أحداً أرضاه ، غيرَ رجلٍ . » ؛ قال زرياب : فقلت : أصلح اللهُ الأميرَ ؛ ومَن هو ؟ قال : « يحيى بن يحيى[1] ؛ غير أنه يأبَى علىَّ من ذلك » . فقال له زريابُ : فإذ تَرْضاه للقضاء ، فاسأله : أنْ يَدُلَّك على قاضٍ . فقال له الأمير : « قلتَ قولاً سديداً » فأرسل فى يحيى ، وسأله : أن يُشيرَ بقاضٍ يَرْضاه : إذا لم يقبل هوالقضاء فى نفسه . فأشار : بإبراهيمَ بن العباس ؛ فولاَّه الأميرُ .

قال محمد : قال خالد بن سعد : وأخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ : أنَّ يحيى أبَى : أنْ يَقبلَ القضاءَ ، وأبى أن يُشيرَ بأحدٍ .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : حدثنى مَن أثِقُ به ، عن يحيى بن زكرياء ، عن محمد بن وَضَّاح ، قال : لمَّا عزَم الأميرُ علَى يَحيى : على تَوْلِيةِ القضاء ، فأبى ولج عليه — قال : فأشِرْ علىَّ برجلٍ . قال : « لستُ أفعلُ : لأنى إن فعلتُ : شَرِكْتُه فى جَوْره : إن جار » . فأحفَظَ ذلك الأميرَ عبدَ الرحمن : فأمر صاحبَ رسائِله : أن يكون رقيباً علَى يَحيى ، وغدا به إلى الجامعِ ، ودَفَع إليه الديوانَ ، وقال للخصوم : هذا قاضِيكم . فلَبِث فى ذلك ثلاثاً ، فلما ضاق الأمرُ على يَحيى : أشار بإبراهيمَ بن العباس .

* * *

٦ قال محمدٌ : وكان عثمانُ بن أيوبَ بن أبى الصَّلْتِ[2] : من أهل العلمِ بقُرطُبَة ؛ وكان : : ممَّن بُسِطَتْ له الدنيا ؛ فأبى أنْ يَقبلَها ، وأعرَضَ عنها .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمعتَ ابنَه إسماعيلَ ، يقولُ : عُرِضَتْ على أبى وِلايةُ

---

(١) انظر « تاريخ قضاة الأندلس ١٥ وجذوة المقتبس ٣٥٩ ، ٩٠٨ » .

(٢) انظر : «جذوة المقتبس ٢٨٥ ، ٦٩٦» .

القضاء ، فأبَى أنْ يَقبلَها ، واسْتَعْفَى منها .

* * *

قال محمدٌ : ومِمَّن عُرِض عليه القضاء : من شيوخ قُرطُبَةَ ، فأبَى من قبوله — :

٧ إبراهيمُ بن محمد بن بازٍ[1] ، وكان السببُ في ذلك — فيما أخبرني بعضُ وُلاةِ الأخبارِ — : أن الأميرَ محمدَ بن عبد الرحمن ، (رحمه الله) أدخَل على نفسه هاشمَ ابن عبد العزيز يوماً ، فقال له : ياهاشم ؛ كنتُ أرَى رُؤْيا عجيبةً في رجـل ، لا أدري : من هو ؟ كنتُ أرَى نفسي في المصارة ، حتى لقِيتُ أربعةً : من الرجال ؛ رُكباناً على دوابَّ لهم ؛ لم أرَ في الرجال : أصبَحَ منهم وُجوهاً ، ولا أبْهَى مَنظَراً ؛ فجعلتُ أتعجبُ منهم ؛ وإنهم طلَعوا إلى الحرف : فتبعتُهم ؛ فأخذوا عَلَى جهةِ اليمينِ : حتى انْتَهَوْا إلى مسجدٍ تُقابلُه دارٌ ؛ فقرَعُوا بابَ تلك الدار : فخرج إليهم رجلٌ منها ، فصافحوه ودَعَوْا له ، وناجَوْه ساعةً ؛ ثم زالوا عنه . فقلتُ : مَن هؤلاء ؟ فقيل لي : محمدٌ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، وأبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ؛ أتَوْا لهذا الرجلِ : عائدِينَ في مرضه . ثم قال لهاشم : قد عرَّفتُك بالمسجد والدار : حتى كأني وَقَفْتُ بك إليها ؛ فاذهبْ فاعرِف : مَن صاحبُ تلك الدارِ ؟ .

فقال له هاشمٌ : قد عرفتُها دونَ أنْ أتعرَّفَها ؛ هي : دارُ إبراهيمَ بن محمد بن بازٍ .

فقال له الأمير : عزَمتُ عليك : لتذهبن متعرفاً بحاله .

ففعَل هاشمٌ ؛ ثم أتاه : بتصحيحِ ما قال له مِن قبلُ ؛ وأعلمه : أن الرجـلَ مريضٌ . فكان ذلك سبباً : لأنْ عرَض عليه الأميرُ قضاءَ الجماعة ؛ وأرسَل إليه بذلك هاشمَ بن عبد العزيز : فأبَى من قبولها ؛ فأعاد عليه الأمير هاشماً : إذ لم تَقبلْ القضـاء ، فكنْ أحدَ الداخلين علينا ، الذين نُشاوِرُهم في أمورنا . فقال إبراهيمُ لهاشم : يا أبا خالدٍ ؛ إنْ ألحَّ عَلَيَّ الأميرُ في شيء من هذا : هرَبتُ بنفسي عن هذا البلد ؛ فأعرَضَ الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) عنه وعن خبره .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٢ .

قال لى أحمدُ بن عُبَادةَ الرُّعَيْنِيُّ : كان المنذر بن محمد — إذ كان ولَداً — هو : الذى خاطبه فى القضاء ، فأبَى من قبوله ؛ فكان المنذرُ يقولُ : لو قبِل منى الأميرُ لأكرَهتُه عليه .

* * *

٨ قال محمدٌ : وممّن جاهدَ بالإصرار على الإباية عن القضاء ؛ محمدُ بن عبد السلام الخُشَنِىُّ[1] فإنه أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن (رحمه الله) : أنْ يُبعثَ فى الخُشَنِىِّ ، ويُستَقْضَى على كُورة جَيَّانَ .

فأرسَل فيه الوزراء ، وقالوا : إن الأميرَ يَسْتَقْضِيك على كُورة جَيَّانَ . فأبَى ونفَر من ذلك نفوراً شديداً ؛ فعُولِجَ ولُوطِفَ : فلم يزدد إلا نفوراً وإبايةً ، فكتَبُوا إلى الأمير : يخبره ، وأنه لَجَّ فى أن لا يَقبلَ ، فوقَّع إليهم الأميرُ توقيعاً غليظاً ؛ معناه : إنْ عانَدَنا فقد عرض بنفسه ودمه ؛ فلمّا سمع ذلك الخُشنىُّ : نَزَعَ قَلَنْسُوَةً من رأسه ، ومَدَّ عُنقَه ، وجعل يقولُ : أبَيْتُ ، أبيتُ : كما أبَتْ السماواتُ والأرضُ ؛ إبايةَ إشفاقٍ ، لا : إبايةَ عِصيانٍ ونفاقٍ ، فكتَبُوا إلى الأمير بلفظه ؛ فكتَب إليهم : أنْ سَلِّلُوا أمْرَه ، وأخرِجوه عن أنفسكم ؛ فقال له الوزراء : تنظرُ فى أمرك ليلتَك هذه ، وتَستَخيرُ الله فيما دُعِيتَ إليه . وخرَج عن القوم .

* * *

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : ذكَر لى محمدُ بن فُطَيْسٍ : أن الأميرَ محمداً أمرَ

٩ الوزراء : أنْ يُرسِلوا فى أبَانَ بنِ عيسى بن دينارٍ[2] ، وأنْ يُوَلُّوه قضاء جَيَّانَ .

فلمّا أرسَلُوا فيه ، وعرَضُوا ذلك عليه — : استَعْفَى وأبى ؛ فأمرَ الأميرُ محمدُ بن عبدِ الرحمن : أنْ يُوَكَّلَ عليه الحَرَسُ ، حتى يَبْلُغَ جَيَّانَ ، ويَجْلِسَ بها : مَجلِسَ القضاء والحُكمِ بيْن الناسِ ؛ فوَكَّل عليه الوزراء الحرسَ ، وساروا به

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٣ ، و «جذوة المقتبس ٦٣ ، ١٠٠ »

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٢ — ١٣ ، و «جذوة المقتبس ١٦١ ، ٣١٨ »

واقعدُوه ؛ فحكمَ بيْنَ الناس يوماً واحداً ؛ فلمَّا آن الليلُ : هرَب ؛ فأصبح الناسُ يقولون : هرَبَ القاضي . فرَجَع الخبرُ إلى الأمير (رحمه الله) ، فقال : هذا رجلٌ صالحٌ ؛ ولكنْ : يُطْلَبُ حتى يُعرَفَ مَوضعُه ؛ فطُلِب ؛ فلمَّا عُرِف مكانُه : رضِيَ الأميرُ عنه . فلمَّا قدِم قُرطبةَ : ولاَّه الأميرُ صلاةَ الجماعةِ بقرطبةَ .

قال محمدٌ : قال بعضُ أهلِ العلم : فكان – إذْ وُلِّيَ الصلاةَ — : ظاهرَ الخشوعِ ، كثيرَ البُكاء ؛ إذا سَلَّمَ من صلاةِ الجُمعةِ : لم يَلبَثْ ساعةً في المسجد ؛ اتباعاً للسنة .

* * *

١٠ قال محمدٌ : كان المُنذرُ بن محمدٍ (رحمه الله) : شديدَ الإعظامِ لبَقِيِّ بن مَخْلَدٍ[1] ؛ دَخَل عليه — يوم البُروزِ — في المُصَلَّى : فمنَعه من تقبيل يدِه ، وأجلَسَه على جانبٍ من فِراشه على رُءوس الناس ؛ وكان له : خاصاً وصنيعةً ؛ قبْلَ وِلايةِ المُلكِ ؛ وكان قد قَدَّم إليه بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ البُشْرَى بالخلافة . فلما صارتْ إليه الخلافةُ : وَفَّى له ، وتمادَى عَلَى ما كان له : من الإجلال والإكرام .

فلمَّا عُزِلَ سُليمانُ بن أسودَ عن القضاء ، أمرَ الأميرُ المنذرُ : في بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ؛ فعُرِض عليه القضاء : فأبى من ذلك ؛ فذَهب : إلى استكراهه على ذلك ؛ فقال له : ما هذا جزاءُ محبَّتِي وانقطاعي ، فقال المنذرُ : أمَا إذا أبيْتَ ، فما ترى فيمَن أشار به الوزراء ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : زيادُ بن محمد بن زيادٍ . فقال له : نعم الحَدَثُ . فقال له المنذر : فأشِرْ عليَّ بقاضٍ ترضاه للمسلمين . فقال : أُشِير عليك برجل من آل زيادٍ ، يُعرفُ : بعامرِ بن مُعاويةَ . فقَبِل منه المنذرُ (رحمه الله) ، وأرسَل في عامرٍ ، ووَلاَّه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

* * *

(١) انظر : جذوة المقتبس ١٦٧ ، ٣٣١ ؛ وتاريخ قضاة الأندلس ١٨ .

١١ قال محمد : ومِمَّن عُرِض عليه القضاء ، فأبَى منه — : أبو غالبٍ عبدُ الرءوف ابنُ الفرج (١).

قال لى أبو محمدٍ قاسمُ بن أصْبَغَ : نزل موسى بن حُدَيرٍ ، عَلَى أبي غالبٍ بن كِنانةَ ، فعَرَض عليه القضاءَ ، عن الأمير عبدِ الله بن محمدٍ (رحمه الله) : فأبى من قبوله .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ أهلِ العلمِ : لمَّا قدِم أبو غالبٍ عبدُ الرءوف بن الفرج من الحجِّ — : سَلَكَ طريقَ التقشُّفِ والتَّنَسُّكِ والتَّديُّنِ ؛ وكان الأميرُ عبدُ الله ابن محمد : به مُعْجَباً ؛ وكان : ربَّما اشْتَهَى رؤيتَه من غير أن يُدخِلَه على نفسه ؛ فتعرَّض رؤيتَه يومَ الجُمُعةِ ، من السَّاباطِ ، عندَ رَوَاحِه من الجُمُعة .

فذكَره الأميرُ يوماً ، وقال : لا بُدَّ من أنْ [نَضُمَّه (٢)] إلى الوزارة ، أو إلى القضاء ، وكان عبدُ الله بن محمد بن أبي عَبْدَةَ : أقْرَبَ الوزراء ، من أبي غالب : محبةً ومكانةً ؛ فقال الأميرُ : ينبغي : أن لا يُهجمَ على الرجل ، حتى يُتَعَرَّفَ ما عندَه فى ذلك .

قال سَكَنُ الكاتبُ : فأرسلَنى عبدُ الله بن محمد : إلى أبي غالب ، فعرَضتُ عليه مُرادَ الأمير (قال سكنُ) : فتلقَّانى فى ذلك : بالتضاحك والدُّعَابة ؛ حتى أطمَعَنِي فى نفسه ؛ وجعل يقولُ : أنتم أشَحُّ على دُنياكم ، [وأضَنُّ (٣)] بها : من أنْ تُعطُوا منها لأحد شيئاً ، أو تُشرِكوا فى شيء منها صديقاً . (قال سكنُ) : فلمَّا سِرتُ إلى الاستقصاء عليه ، قال لى : باللهِ لئنْ عاودْتَنى بهذا ، أو بَلَّغْتَنى عن الأمير فيه عزيمةً — : لأخرُجَنَّ من الأندَلس .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٩ .

(٢) فى الأصل نصفه (٣) فى الأصل واظن

« بابُ : أخبارِ قُرْطُبَة وَقُضَاتِها قبْلَ الْخُلَفاءِ . »

* * *

« ذِكْرُ القاضى مَهْدِىِّ بن مُسْلِمٍ [1] »

قال محمدٌ : فمِنْ قُدَمَاءِ قُضَاةِ قُرْطُبَةَ ـ : الذين قَضَوْا بها للأمراء ، العُمَّال ، الوُلاَة ، القُوَّادِ ، قَبْلَ دخولِ الخلفاء (رضى الله عنهم) الأندلُسَ : مَهْدِىُّ ابن مُسْلِمٍ . وهو من أبناء المسالمة : من أهل الدينِ والعلمِ والورعِ ؛ اسْتَقْضاه عليها عُقْبَةُ بن الحجَّاجِ السَّلُولىّ .

١٢

حدثنى أحمدُ بن فَرَجٍ بن منتيلٍ ؛ قال : حدثنى أبو العباس أحمدُ بن عيسى ابن محمدٍ المَقَّرِىُّ ـ بمدينة : تنيس [2] ـ قال : وَلِّىَ الأنْدَلُسَ عُقْبَةُ بن الحجَّاجِ السَّلُولىُّ ؛ فكان : صاحبَ جهادٍ ورِبَاطٍ ؛ وذا نَجْدَةٍ و بأسٍ ورغْبَةٍ فى نِكَايَةِ المشركين ؛ وكان إذا أسَرَ الأسيرَ : لم يقتُلْه حتى يَعْرِضَ عليه الإسلامَ حِيناً ، ويُرَغِّبَهُ فيه ، ويُبَصِّرَه بفضله ، ويُبَيِّنَ له عُيوبَ دينه الذى هو عليه . فيُذْكَرُ : أنه أسلَمَ على يدَيْه بذلك الفعلِ ألفا رجل .

وكان : قد اتَّخَذَ بالأندلُس مَقرًّا ، مدينةً يقالُ لها : أربونة ؛ وكان : قد عَرَفَ مَهْدِىَّ بن مُسلمٍ : بالعلمِ والدينِ والوَرَعِ ؛ فكان : قد اسْتَخْلَفَه على قُرْطبةَ ، وأمَرَه : بالقضاء بَيْنَ أهلِها ؛ وكان قد عرَفَه ـ مع ذلك ـ : بالبلاغة والبيان ؛ فلمَّا أراد تَوْليتَه ، قال له : اكتُبْ عَهْدَكَ عنِّى لنفسِك ، فكتَبَ مَهْدِىٌّ :

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٢ .

(٢) فى جذوة المقتبس : تنس . انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٤

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا ما عَهِدَ به عُقبةُ بن الحجَّاجِ ، إلى مَهْدِيٍّ بن مُسلمٍ : حينَ وَلَّاه القضاء ؛ عَهِدَ إليه : بتقوى الله ، وإيثارِ طاعتِهِ ، واتِّباعِ مَرْضاتِهِ : في سرِّ أمْرِه وعلانيتِه ؛ مُرَاقِباً له ، مُسْتَشْعِراً لِخَشْيةِ الله ؛ مُعتصِماً : بحبلِهِ المَتِينِ ، وعُرْوَتِهِ الوُثْقَى ؛ مُوفِياً بعَهْدِه ؛ مُتوَكِّلاً عليه ، واثقاً بهِ ، مُتَّقِياً منه ؛ فإن اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ . »

«وأمَرَه : أنْ يَتَّخِذَ كتابَ اللهِ ، وسُنَّةَ نبيِّه محمد (صلى الله عليه وسلم) ـ إماماً : يَهْتَدِي بنورِهما ؛ وعَلَماً : يَعْشُو إليهما ؛ وسِرَاجاً : يَسْتَضِيءُ بهما ؛ فإنَّ فيهما : هُدًى من كلِّ ضَلَالَةٍ ، وكَشْفاً لكلِّ جَهَالَةٍ ؛ وتَفْصِيلاً لكلِّ مُشْكِلٍ ، وإبَانَةً لكلِّ شُبْهَةٍ ؛ وبُرهاناً ساطعاً ، ووكيلاً شافياً ، ومناراً عالياً ، وشفاء لما في [القلوب [1]] ، وهدًى ورحمةً للمؤمنين . »

« وأمَرَه : أنْ يَعْلَمَ أنه لم يَخْتَرْه لمصالح العبادِ والبلاد ، وتَوْلِيةِ القضاء ـ الذى رَفع اللهُ قدرَه ، وأعلى ذِكرَه ، وشَرَّف أمْرَه ـ إلاَّ : لفضل القضاء عند اللهِ (جل جلاله) ؛ لما فيه : من حياةِ الدِّين ، وإقامةِ حُقوقِ المسلمينَ ؛ وإجراء الْحُدودِ مَجارِيهَا : على مَن وَجَبَتْ عليه ؛ وإعطاء الْحُقوقِ : مَن وَجَبَتْ له . ولِمَا رجا عنده ـ فيما يُمضيه ، ويَتَقَدَّمُ فيه ، ويَحكُمُ به ـ : من إيثارِ حقِّ اللهِ (عز وجل) ، وطَلبِ الزُّلْفَةِ لدَيْهِ ، والقُرْبةِ إليه ، و : أنْ يُحاسِبَ نفسه ـ في يومه وغده ـ : فيما تَقَلَّد : من الأمانةِ : الثَّقيلِ حِمْلُها ، الباهظِ عِبْؤُها [2] ؛ فإنه مُحاسَبٌ ومُوعَدٌ ومَوْعُودٌ . »

---

(١) في الأصل : الكدوب .

(٢) في الأصل : الباهض عبوها .

« وأمَرَه : أنْ يُوَاسِيَ بَيْنَ الْخُصومِ : بنظَرِه واستفهامِه . ولُطفِه ولَحَظِه واسْتِماعِه ؛ وأنْ يَفهمَ من كلِّ أحدٍ : حُجتَه وما يدلى به ، ويَسْتأَنِى : بكل عيِ اللسان ، ناقصِ البيان . فإن [فى] استقصاء[1] الحجة : ما يكونُ به لحقِّ اللهِ (تعالى) عليه قاضياً ، وللواجب فيه راغباً ؛ فقد يكونُ بعضُ الْخُصومِ : أَلْحَنَ بحُجَّتِه ، وأبلَغَ فى منطقه ؛ وأسْرَعَ فى بلوغِ المَطْلَبِ ، وألْطَفَ حِيلةً فى المَذْهَبِ ؛ وأذكى ذكاءً ، وأحْضَرَ جواباً ؛ من بعض : وإن كان غيرَ الصوابِ مَرْماه ، وخلافَ الحقِّ منهاه ؛ فإن لم يتَعاهَدْ القاضى مِثلَ هذا ، ويَجعلْه من القُرُباتِ إلى اللهِ (عز وجل) : بالتَّحَفُّظِ ، والتَّيقُّظِ ؛ والاسْتِرَابَةِ ، والاحتِرَاسِ من أهلِ : الخِبِّ واللَّدَدِ ، والعِنَادِ ، والتَّلَبُّسِ بشهاداتِ الزُّورِ ، وتَحَيُّفِ الحقوقِ — : أهْلَكَ القوىُّ الضَّعيفَ ، واقْتَطَعَ حقَّه ، وغَلَبَ عليه . وفى تَقَدُّمِ القاضى — : فى النظرِ فى ذلك ، والمراعاةِ له ؛ واحْتِسابِ ثوابِ اللهِ فيه . — : إثباتُ الحقِّ ، [وإزهاقُ] الباطلِ ؛ (إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً : ١٧ — ٨١) ».

« وأمَرَه : أنْ يكونَ وزراؤه وأهلُ مَشُورتِه ، والمُعينُونَ له عَلَى أمْرِ دُنياه وآخرتِه — : أهلَ العلمِ والفقهِ ، والدينِ والأمانةِ : ممَّن قِبلَه ؛ وأنْ يكاتِبَ من كان فى مِثلِ هذه الحالِ المَرْضِيَّةِ : ممن فى غيرِ ناحيتِه ؛ ويُقابِلَ آراءَ بعضِهم ببعضٍ ، ويُجهِدَ نفسَه فى إصابةِ الحقِّ ؛ فإن اللهَ (جل ثناؤه) يقولُ فى كتابهِ الناطقِ على لسانِ نبيِّه الصادقِ ؛ محمدٍ عليه السلامُ : (وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ؛ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ : ٣ — ١٥٩) . وبأنْ يكونَ حُجَّابُه وأعْوانُه ، ومَن يَسْتَظْهِرُ به عَلَى ماهو مابسَبيله — : أهلَ الطَّهارةِ والعَفافِ والطَّلبِ لأنفسِهم ، والبُعدِ من الدَّنَس . فإنَّ أفعالَهم مَنْسُوبةٌ إليه ، ومَنُوطَةٌ لدَيْه ؛ فإذا أصْلَحَ ذلك : لم يَلْحَقْه[3] عَيبٌ ، ولم يَعلَقْ به رَيْنٌ ؛ إنْ شاء اللهُ » .

---

(١) فى الأصل : فان استقضاء . (٢) بياض : فى الأصل

(٣) فى الأصل : لم يلحق .

« وأمَرَه : أنْ يُديمَ الْجلوسَ والقُعودَ ، لِمَن : اسْتَرْعاه اللهُ أمْرَه ، وقَلَّدَه شأنَه، وأسْنَد الحكْمَ له عليه ؛ ويُقِلَّ السآمةَ منهم ، والتَّبرُّمَ بهم ؛ ويَصْرِفَ إليهم قلْبَهُ وذهنه ، وشغْله وفِكْرَه ، وفهمَه ولِسانَه ــ : بما يُوسِعهُم به عدلاً وإنْصافاً وإصلاحاً ؛ فإن فى ذلك : قوَّةً لِمُنَّتهم ، وإحياءً لتأميلهم،وتحقيقاً لجميل ظنونِهم ؛ وثقةً منهم : بورَعِه ونزاهتِه، وطِيبِ طُعْمتِه . فإنَّ فيهم : الضعيفَ عن التَّودُّدِ ، والزَّمِنَ الثَّقيلَ ؛ وعليه فى كل وقتٍ : التَّعهدُ ــ ووهْنًا ــ لأهلِ التَّلدُّدِ والفُجُورِ ؛ والتَّقحُّم فى مُلْتبِسَاتِ الأمورِ ؛ وأنْ يكونَ قُعودُه لهم ، وتَصرُّفه فى النظرِ بينَهم : بنشاطٍ وقِلَّةِ فُتُورٍ ؛ ليكونَ ذلك : أقْوَى له ، وأتقَنَ لما يحكمُهُ ويُبْرِمُه[١] : من سِياستِهم وتَدْبيرِهم ؛ إنْ شاء اللهُ . »

« وأمَرَه : أنْ يسمَعَ من الشهود شهاداتِهم: على حَقِّها وصِدقِها ؛ ويستَقصيهاَ: حتى لا يَبْقَى عليه شىءٌ منها؛ ومن الْمزَكِّينَ : تزْكيتَهم ؛ ويُكثِرَ البحثَ والفَحصَ عن أمورهم أجمعين ، ويسْئلَ عنهم أهل الصلاح والدينِ ، والأمانةِ والثِّقةِ والرِّعةِ : مِمَّن يَعرِفُهم ويُبْطِنُ أحوالَهم ؛ ولا يعْجَلَ بإمْضاء حُكمٍ ؛ حتى يستقصِىَ حُجَجَ الْخصومِ وبيِّناتهم ومزَكِّيهم ؛ ويَضربَ لهم الآجالَ ، ويُوسِعَ فيها عليهم : حتى تتجلَّى له حقائقُ أمورِهم ، وتنْكَشِفَ له أغْطيَتُها ؛ فإذا أتَى عليها : علْماً ؛ وأيقنَها : إيقاناً ؛ لم يؤخِّره الْحكم بعدَ اتِّضاحه وظُهورِه ، وثُبُوته : عندَه مَن يُشاوِرُهُ : مِن فقهائه . »

« وأمَرَه : أنْ يُطالعَ بكتُبِه ــ : فى الحوادثِ التى يَحتاجُ فيها إلى المؤامرات : فيما أشْكَلَ عليه ، واسْتَغْلَقَ له ، واحْتاج إليه فى النوازل . ــ إبراهيمَ بنَ حَرْبٍ القاضَى : ليَردَ عليه منه ، ما يَعملُ به ويَمْتثلَهُ ، ويَقتصرُ عليه ، ويَصيرُ إليه ؛ لتكونَ موَارِدُ أمورِه ومَصادِرُها : مُبْتَدأةً[٢] فواتحُها : بالتَّسديد ؛ مقرُونةً خوَاتِمُها بالتأييدِ ، إنْ شاء الله . »

---

(١) فى الأصل ويبره . (٢) فى الأصل : ومبتدا .

«هذا : عَهْدى إليك ، وأمرى إيَّاك ، و إسْنادى إليك ما أسْنَدْتُ[١] ، وتفويضى إليك ما فوّضْتُ . فإن تعْمَلْ به — : مُؤْثِراً : لرضا الله وطاعته ؛ قائماً : بالحِسْبة ، مُؤدِّياً : حقَّ الأمانة . — : يَكنْ حُجةً بيْنَ يديك ، وظهيراً لك ؛ و إن لم تعْمَلْ به : يكن حجة عليك ؛ وأنا أسألُ اللهَ : أنْ يُعينكَ ويُقوِّيك ، ويُرْشِدَك ، ويُوَفِّقَك ، ويُسَدِّدَك ؛ إنه خيرُ مُوَفِّقٍ ومُعِينٍ . وصلَّى اللهُ على محمدٍ . » .

* * *

قال محمدٌ : قال أحمدُ بن فرجٍ : فقلتُ لأحمدَ بن عيسى : لقد عَظُمَتْ هِمَّتُك : إذ حَفِظْتَ مِثلَ هذا ، وشِبْهَه : من الأخبارِ القديمةِ . فقال : حفِظْتُ هذا زمنَ الصِّبا ، عن جَدٍّ لِي ، عَمَّرَ نحوَ عُمْرِى ؛ وكان : من أحفَظِ الناس لأخبارِ المَغربِ وافْتِتَاحِه ، وأخبارِ بنى أُمَيَّة عندكم ؛ ولقد كان عندى — من كتبه — : أخبارٌ حِسَانٌ غريبةٌ ؛ فذهبَتْ بحريقٍ كان فى مَنزلى . ولقد بلغَنى : أنَّ بعضَ مَن عندكم — : من بنى الأغلب ، أو غيرهم : من الشِّيعةِ . — ادعى هذا العهدَ ، وكتَب به نَصًّا إلى بعض وُلاةِ القضاء . وما هو إلاَّ لمَهْدِيِّ بن مُسلمٍ هذا ، عندى قديماً أحفظه زمَن الصِّبا عن جدى ؛ فهل عندكم له ذِكْرٌ ؟ فقلتُ له : ماسمعتُ به عندنا ، ولا باسم مَهْدِيٍّ هذا : فقال لى : قد سألتُ غيرَك — : من أهــلِ بلدك . — فلم يكنْ يَعرِفُه . فياعَجَبى[٢] كيف درسَ خَبَرُه عندكم ؟ ! لكنى : أظنُّه لم يُعْقِبْ ؛ فاضْمَحَلَّ خَبَرُهُ ؛ بالفِتَنِ التى دارَتْ فى بَلدِكم .

* * *

« ذِكْرُ القاضى عَنْتَرَةَ بنِ فَلاَحٍ[٣] »

(حدثنى) أحمدُ بن فَرجِ بن مِنْتِيلٍ ؛ قال : حدثنى أبو محمدٍ : مَسْلَمةُ بن زُرْعَة

---

(١) فى الأصل : ماأسنده (٢) فى الأصل : عجمى (٣) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٤٢ .

ابنِ رَوْحٍ؛ بالعَرِيش بالشام ؛ وكان : شيخاً كبيراً قــد نَيَّفَ على المائة : فى ما ذكر لى ؛ وأدركَ حَرْمَلَةَ صاحِبَ الشافعىِّ؛ وحدثنى عنه وعن أمثالهِ ؛ وذَكَرَ لى : أنه من موَالِى بنى أُمَيَّة ؛ وكان : ذا علمٍ بأخبارِهم : القديمةِ والحديثةِ ؛ وأخبارِ بلادِ الأندلسِ ؛ مُحِباً لهم ، مُتَشَيِّعاً فيهم ؛ وكنتُ قد نظرتُ يوماً ، فى بعض جوامعِ بَوَادِيهم ، إلى خُطَبٍ مكتوبة بخط غليظٍ : فى رَقٍّ مُلْصَقٍ فى الحائطِ بحذاء المِنبرِ الذى يَخْطُبُ عليه ؛ فكان إذا قَعد للخُطبة : نظَر إليها ؛ فلم يَدْخُلْ عليه سَقَطٌ ولا تَلَعْثُمٌ ؛ فتكلَّمْتُ معه : فى ذلك ؛ وعِبْتُ عليهم ، وقلتُ لهم : أنتم أهلُ المشرقِ: المَنسُوبُ إليهم البلاغةُ والخطبُ على البَدِيهةِ؛ وتَفْتَقِرُون إلى مِثلِ هذا ؟! ما رأيتُ مثلَ هذا ، فى شىء : من نَوَاحى المغرب ؛ وهم أضعفُ الناسِ فى البلاغة كما[1] تقولون ؟ فقال لى :

قد كان أَلْطفُ من هذا عندَكم، وفى بَيْضَةِ بلدِكم ، وموضعِ سُلطانِكم . كان يُخبِرنى أبى ، عن جدى : أنه كان عندكم — بقُرْطُبَة — قاضٍ فى الزمان ، يسمَّى: عَنْتَرَةَ بن فَلَاحٍ ؛ وكان تقياً ورعاً ؛ اُسْتَسْقَى يوما بالناس : فأحسَنَ فى دعائه ، وقيامهِ بالخُطبة ؛ فقام إليه رجلٌ — :من عامَّة الناسِ . — فقال له : أيها القاضى الواعظُ ؛ قد حَسُنَ ظاهرُك ، فحسَّنَ اللهُ باطنَك . فقال له : آمينَ ، لنا أجمعين ؛ فهل أضمرتَ شيئاً يا ابنَ أخى ؟ فقال له : نعمْ ؛ بتفريغِ أهْرَايك : يكْمُلُ اسْتِسْقاؤك . فقال القاضى : اللهم؛ إنى أُشْهِدُك : أنَّ جميعَ ماحَوَاه مِلْكى — : من المأكولِ . — صدقةٌ لوجهك . ثم آلى : أنْلا يَرِيمَ[2] مَقامَه ؛ حتى يَقصِدَ دارَه ، ويُفرِّقَ جميعَ ما ادَّخَرَ . (قال) : فأُغِيثوا من يومهم : غَيثاً عامًّا .

قال لى : وكان هذا القاضى : (عنترةُ) يقول : لَحَظْتُ الناسَ : لم أَصِلْ كلاماً.

---

(١) فى الأصل : عما .

(٢) أى : أن لا يبرح موضعه .

فكان إذا خطب : سَدَلَ على وجهه من ثوبه ؛ فكان يُذْكَرُ عنه : أنَّ معناه غيرُ ذلك ؛ وأنَّ خُطبتَه : كانتْ مَكتوبةً فى صحيفة مُشَبَّكَةً فى الثوبِ المَسْدُولِ على وجهه . فهذا : من نحوِ ما رأيتَ عندنا ؛ وهذه الخُطَبُ لها آلاتٌ واسْتِجْمَاعٌ.

* * *

« ذِكْرُ القاضِي : مُهاجِرِ بنِ نَوْفَلٍ القُرَشِيِّ[1] »

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن فرجِ بنِ مِنْتِيلٍ ؛ قال : حدثنى مَسْلَمةَ بن زُرْعَة ؛ قال :

سمعتُ أبى : يَذكُرُ مراراً عن جَده ـ : وكان قد دَخَلَ الأندلُسَ . ـ يقولُ : لم أرَ مِثْلَ قضاةِ الأندلُسِ : فى العبادةِ والوَرَعِ ؛ (قال) : رأيتُ بها قاضياً ، يُدْعى : مُهاجِرَ بنَ نَوْفَلٍ القُرَشيَّ ؛ كان يَجْتَمعُ عنده الناسُ : للتَّحاكُم ؛ فلا يزالُ ١٤ يُذكِّرُهُم ويُخَوِّفُهم : اللهَ ، وما يَلحَقُ المُبطِلَ : من سَخَطِ اللهِ وعقوبتِه ، ومَوْقفِه بيْن يديْه فى القيامة ؛ ثم يَذكُرُ ما يَلزَمُ القاضيَ : من الحساب ؛ بما يَجبُ عليه : من التَّحَرِّى والاجتهادِ ؛ ثم يَأخُذُ فى النَّوْح على نفسِه والبكاء : مُعْلِناً بذلك ؛ حتى كنتُ أرَى الناسَ ، يَنصرِفُون عنه : باكِينَ خائفين ، قد تعاطَوْا الحقُوقَ بينهم .

ولقد بَلَغنى فى موته أعظمُ العَجَبِ : أنه لما مات (رحمه الله) ـ : وكان لا أهلَ له ولا وَلَدَ . ـ : دُفِن بمَقْبَرَةٍ لهم : بِقِبْلِيِّ مدينتِهم ، وبعُدْوَةِ نهرٍ عظيمٍ لهم لَيْلاً ؛ وأظنُّه عَهِد بذلك . فلمَّا هِيلَ الترابُ عليه : سمعُوا من القَبْرِ كلاماً فاستمعوه ينادِي ويقولُ : أذْكَرْتُكُم ضِيقَ القبرِ ، وسوءَ عاقبةِ القضاءِ . (قال): فكشَفُوا عنه الترابَ ، وظنُّوه حيًّا ؛ فوجَدُوه : مَكشُوفَ الوجهِ ، مَيِّتاً بحالِه : التى قُبِرَ بها .

* * *

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١١ — ١٢.

« ذِكْرُ القاضى يَحيَى بنِ يَزِيدَ التُّجِيبِيِّ[1] »

قال محمدٌ : سمعتُ من أهل العلمِ ، سَماعاً فاشِياً : أنَّ عبدَ الرحمن بنَ مُعاويةَ الإمامَ ، دخَل قُرْطُبَةَ ، وقام بالإمامةِ ؛ والقاضى حينئذٍ : يَحيَى بنُ يَزِيدَ التُّجِيبِيُّ ؛ فأثْبتَه على القضاء ولم يعزلْه . وكان من قبلِ ذلك ، يقالُ له وللقضاةِ قَبْلَه : فلانٌ قاضِى الْجُنْدِ ؛ فلمَّا امتنع الفِهْرِىُّ بِغرْناطَةَ ، واضطَرَّه الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه [الله]) إلى النزولِ ـ : اشتَرَطَ : بحضور القاضى يَحيَى ؛ فحَضَرَ ؛ وكُتِبَ فى كتابِ المُقَاضاةِ : وذلك بِمَحْضَرِ يَحْيَى بنِ يَزِيدَ قاضىِ الجماعةِ .

قال محمدٌ : هكذا بَلَغنى ؛ وقد رأيتُ سِجِلاًّ عقَدَه محمدُ بن بَشِيرٍ ، يقولُ فيه : حَكَم محمدُ بن بَشِيرٍ قاضى الجند بقرطبة . وإنَّ تسميةَ القاضى : بقاضى الجماعةِ[2] ؛ اسمٌ مُحْدَثٌ لم يكنْ فى القديمِ .

قال محمدٌ : ولم يَختلِفْ علىَّ أحدٌ كاتَبْتُهُ ، فى : أنَّ يحيَى بنَ يَزِيدَ التُّجِيبِيَّ إنما اُسْتُقْضِيَ على الأندَلُس بالمَشْرِق ؛ فقدِمَها : قاضياً .

واختلفتْ الرِّوَايةُ : فيمَنْ وَلاَّه الأندلسَ . فرأيتُ فى بعضِ الرِّواياتِ عن ابن وَضَّاحٍ ، قال : اُسْتَقْضَى تحيى بنَ يَزِيدَ ، على الأندَلسِ ، عُمرُ بن عبدالعزيز . قال : وكان يَحيى رجلاً صالحاً ؛ وحُكِيَ عنه : أنه اعتزل الحربَ عندَ دخولِ عبدِ الرحمن بنِ مُعاويةَ ، ولم يَغْمِسْ يدَه فى الدِّماء ؛ فلمَّا قامتْ البَيْعةُ لعبد الرحمن : أجابَ إليها طائعاً .

قال محمدٌ : وقال لى بعضُ رُوَاةِ الأخبار : لمَّا قدِم بَلْجُ بنُ بِشْرٍ الأندَلُسَ ؛ وأحدَثَ فى عبدِ الملك بنِ قَطَنَ الفِهْرِىِّ ما أحدَثَ ؛ وانتَصر أبناءُ عبدِ الملكِ بعبدِ الرحمن بنِ عُقْبَةَ اللَّخْمِىِّ ؛ وتَصرَّفتْ الحالُ : بقَتْلِ بَلْجَ بنِ بِشْرٍ ـ : اتَّصَلَ الْخبرُ بحَنْظَلَةَ بنِ صَفْوَانَ الكَلْبِىِّ (صاحبِ إفرِيقية) فوَجَّه إلى الأندَلُس،

(١) فى تاريخ قضاة الأندلس : يحي بن زيد . انظر : ص ٤٣ من التاريخ المذكور .

(٢) أنظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٢١

أبا الخطّارِ : حُسامَ بنَ ضِرارِ الكلبيَّ ؛ عاملاً عليها ؛ ووَجَّه معه : يَحيى بنَ يزيدَ التُّجيبيَّ ؛ قاضياً ؛ وكان من عرَبِ الشامِ الساكنينَ بإفريقية .

قال محمدٌ : وأخبرنى غيرُ واحدٍ — : من أهلِ العلمِ . — : أنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن (رحمه الله) لمّا دَخَل القصرَ : تَلقَّاهُ بناتُ يوسُفَ بنِ عبد الرحمن الفِهْرِيِّ ، وبَقِيَّةُ عِيالِه . فقال له بعضُهن : أحْسِنْ يا ابنَ عمِّى ؛ فقد ملَكتَ . فأرسَلَ فى يَحيَى بنِ يَزيدَ القاضى ، ودَفَع إليه بَقِيَّةَ عِيالِ الفِهْرِيِّ ؛ وأَمَرَه : بالحفظ لهُنَّ . فلمّا خَرج عبدُ الرحمن (رحمه الله) فى طلَبِ يوسُفَ بنِ عبد الرحمن ، إلى جِهةِ ماردةَ — : خالفَه يوسفُ الفِهْرِيُّ إلى قُرطبةَ ، وظَفِر له بجاريتَيْنِ : كان قد علِقَهما . فأتاهُ القاضى يَحيى بنُ يزيدَ ، فقال له : يا لئيمُ ؛ عبدُ الرحمن : ظفِر ببناتك وكرائمك فتُلُوِّمَ عليهنَّ : حتى نُقِلْنَ إلى دارِك ؛ ولم يَعرِضْ لهن ؛ وأنتَ ظفِرْتَ بجاريتين له : لم يَستَحِقَّا منه حُرمةً ؛ فأخذتَهما .؟!. فتَكلَّمَ الفِهْرِيُّ ، وقال : واللهِ ما رأيتُ لواحدة منهما وجهاً ؛ فاقبِضْهما . وبَرَّ بردِّهما إليه[١] .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعض الحكاياتِ : أنَّ محمدَ بن وَضّاحٍ ، ذَكَرَ : أنَّ ولدَ يَحيَى بنَ يَزيدَ التُّجيبِيِّ ، كان ممَّن سَعَى فى الثَّورةِ — معَ : يَحيَى بنِ يزيدَ ابنِ هشامٍ ، وعبدِ الملك بنِ أبانَ بنِ مُعاويةَ بنِ هشامٍ — على الأميرِ عبدِ الرحمن ، وأنه قُتِلَ[٢] معهما ومع أصحابِهما بمُنْيَةِ الرُّصافةِ .

* * *

(١) فى الأصل : وبرى بهما إليه

(٢) فى الأصل : قبل

« ذِكْرُ القاضي : مُعاويةَ بنِ صالحٍ الحَضْرَمِيِّ[1] »

١٦ قال محمدٌ : أبو عمرٍو معاويةُ بن أبي أحمدَ صالحِ بن عثمانَ — المعروف : بحُدَيْرِ ابن سعيدِ بن سعدِ بن فِهْرٍ . — الحَضْرَمِيُّ ؛ كان من أهل الشام من حمص [بمكان] يعرف : بغناة عبس . — دخَل الأندلُسَ قبلَ دخولِ الإمام : عبدِ الرحمن بن مُعاويةَ (رحمه الله) ؛ فنزَل إشْبيلِيَّةَ .

وكان : من جِلَّةِ أهلِ العلمِ ورُوَاةِ الحديثِ ؛ شارك مالكَ بنَ أنَسٍ ، في بعض رجالِه : يَحيَى بنِ سعيدٍ وغيرِه ؛ وروَى عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، جُملةٌ : من أئمةِ أهلِ العلمِ ؛ منهم : سُفيانُ الثَّوْرِيُّ ، وسُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، واللَّيثُ . وذُكِر : أنَّ مالكَ بن أنَسٍ روَى عنه حديثاً واحداً ؛ وذُكِر : أنه أتاه مالكُ بن أنسٍ يوما إلى دارِه ، فانصرفَ عنه : دُونَ أنْ يَصِلَ إليه .

قال محمدٌ : وذَكَرَ محمدُ بن وَضّاحٍ ، قال : قال لي يَحيَى بن مَعِينٍ : جَمعتم حديثَ مُعاويةَ بنِ صالحٍ ؟ فقلتُ : لا . قال : وما منَعكم من ذلك ؟ قلتُ : قَدِمَ بلَداً لم يكنْ أهلُه يومَئذٍ أهلَ علمٍ . قال : أضَعْتُم (واللهِ) عِلْماً عظيماً .

قال محمدُ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ أَيْمَنَ : لمّا وَجَّه الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ مُعاويةَ بنَ صالحٍ ؛ إلى الشامِ — : حَجَّ في سَفْرَتِه تلك[2] ، وكتَبَ عنه أهلُ العِراقِ كثيراً : من حديثِه .

قال محمد بن عبدِ المَلِكِ بنِ أيْمَنَ : ورأيتُ حديثَ مُعاويةَ بنِ صالحٍ — بالعراق — : أعَزَّ شيءٍ ؛ ولقد قال لي محمدُ بن أحمدَ بنِ أبي خَيْثَمَةَ : لَوَدِدْتُ أنْ أدخُلَ الأندلُسَ : حتى أُفَتِّشَ عن أصولِ كُتُبِ مُعاويةَ بن صالحٍ . قال ابن أيْمَنَ : فلمّا انصرَفْتُ إلى الأندلُسِ : طَلَبْتُ أُمَّهاتِه ، وكُتُبَه ؛ فوجَدْتُها قد ضاعتْ : بسقوطِ هِمَمِ أهلِها .

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ٧٩٦،٣١٨ وتاريخ قضاة الأندلس ٤٣ .
(٢) في الاصل : ذلك

قال محمدُ بن عبد المَلِك بن أيْمَن : ولقـد تَتَبَّعْتُ حديثَه في تاريخ أحمدَ بن أبي خَيْثَمَةَ — : عندَ ذِكْرِ أهلِ الشامِ ، ونَقْـلِه لأخبارِ أهلِ حِمْصٍ . — فلم أجِدْ له فيها إلاّ : حديثَيْن أو ثلاثةً .

قال أحمدُ بن زيادٍ : وحدثني محمدُ بن وَضّاحٍ ، قال : حدثني يَحيَي بنُ يَحيى ، قال : أوّلُ مَن دخَل الأندلُسَ بالحديثِ : مُعاويةُ بن صالِحٍ الحِمْصيُّ .

قال محمدٌ : وذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : كان معاويةُ بن صالِحٍ : راويةً لحديثِ أهل الشامِ ، فطالَ عُمُرُه ؛ وكان مُنفَرِداً به في زمانهم . ومن الدليلِ على رياستِهِوانفرادِه به : أنَّ زيدَ بنَ الْحُبابِ العُكْلِيَّ ـ وهو : من رجالِ أبي بكرِ ابن أبي شَيْبَةَ ، مَشهورٌ في أهلِ الحديث . ـ رَحَل إلى الأندلُسِ من العِراق ، وأخَذ عنه كثيراً : من الحديثِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : حدثنا أبو عبدِ الملِكِ مَروانُ بن عبدِ الملِك الفخارُ ؛ قال : سمِعتُ أبا سعيدٍ الأشَجَّ . يقولُ : أبو الْحُسينِ زَيدُ بنُ الْحُبابِ : مولًى لعُـكْلٍ . وسمِعتُ عَبْدَةَ بنِ عبدِ اللهِ ، يقولُ : سمِعتُ زيدَ الْحبابِ ، يقولُ : دخلتُ الأندلسَ ، وكتبتُ عن مُعاويةَ بنِ صالِحٍ .

قال محمدٌ : قدِم معاويةُ بن صالِحٍ الأندلُسَ : قبْلَ دُخولِ الإمامِ : عبدِ الرحمن ابنِ معاويةَ (رضي الله عنه) ؛ أرضَ الأندلُسِ ؛ فنزَلَ بإشبيليَّةَ ؛ فكان بها : حتى قدِمَ الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ فلمّا تمَّتْ له البَيْعةُ ، واتّسَقَتْ له الأمورُ ـ : أرسلَ معاويةَ بنَ صالِحٍ ، إلى الشام : ليأتيَه بأخته : أمِّ الأصبَغِ ؛ فأبَتْ عن الانتقالِ ، وقالت : كبِرَتْ سِنِّي ، وأشْرَفْتُ عَلَى انقِضاء أجَلي ؛ ولا طَاقَةَ لي عَلَى شَقِّ البِحارِ والقِفَار ؛ وحسبِي : أنْ أعلَمَ ماصار إليه : من نعمةِ اللهِ .

قال محمدٌ : قال لي محمدُ بن عبدِ الملِك بن أيْمنَ : وفي سفْرته تِلْك ، كتَبَ عنه وُجوهُ أهل العلمِ . (قال لي) : ثم لمَّا صار معاويةَ إلى الأمير عبدِ الرحمن :

أدخَلَ إليه تُحفَ أهل الشامِ ـ : وكان فى تِلك التُّحفِ من الرُّمّان المعروفِ اليوم بالأندلس : بالرُّمّانِ السَّفرِى . ـ فجعلَ جُلساء الأمير : من أهل الشام ؛ يَذْكُرُون الشّام ، ويَتأسّفُون عليها ؛ وكان فيهم رجلٌ يسمى : سَفرَ ؛ فأخَذ من ذلك الرُّمّان شيئاً : لَطُف به وغرسَه ، حتى عَلِقَ ونَمى[1] وأثْمرَ فهو اليومَ : الرُّمَّانُ السَّفَرِىُّ ؛ نُسِبَ إليه .

قال محمدٌ : ذَكَر أحمدُ بن خالدٍ ، قال : لمّا وَجّه الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ مُعاويةَ بن صالِح ، إلى الشام ـ : حَجَّ فى سَفْرتِه تلك ؛ فلمّا دخَل المسجدَ الحرَام فى أيّامِ المَوْسِمِ ، [و] نَظر فيه إلى حِلَقِ أهل الحديث : عبدِ الرحمن ابن مَهدىٍّ ، ويحيى بنِ سعيدٍ القَطّانِ ، وغيرهما : من نظرائهما . ـ : قصَد إلى ساريةٍ ، فصلَّى ركعتَين ، ثم : صار إلى مُعارضةِ[2] من كان معه ؛ وذكروا أشياءَ : من الحديثِ ؛ فقال معاويةُ بن صالِح : حدثنى أبوالزّاهِريّةِ : حدُيْرُ ابنُ كُرَيْبٍ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفيْرٍ ، عن أبى الدّرْداء ، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وسمعَ بعضُ أهل تلك الحِلق قوله ، فقالوا :اتّقِ اللهَ ـأيُّها الشيخُ ـ ولا تكذِبْ : فليس على ظهر الأرض أحدٌ ـ : يحدّثُ عن أبى الزّاهِريّةِ ، عن جُبَيْر بنِ نُفيْرٍ ، عن أبى الدّرْداء . ـ غيرُ رجلٍ : لزِمَ الأندلس ، يقالُ له مُعاويةَ ابن صالِح . فقال لهم : أنَا معاويةُ صالِح . فانْفَضّتْ الحِلقُ كلُّها ، واجْتَمعوا إليه ، وكتَبُوا عنه ـ فى ذلك المَوْسِمِ ـ علْماً كثيراً .

قال محمدٌ . لما قدِم معاويةُ بن صالِح من الشامِ ، على الأمير عبدِ الرحمن ـ : ولاّه القضاءَ والصلاةَ ؛ وغَزَا الأميرُ سَرَقسطةَ وغزا معه معاويةَ بن صالِح : فكان يُحيى الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح : لبس قَبَاءه وسلاحه ، ومضَى إلى الصّف . حيثُ القتالُ ؛ فوقف فيه .

---

(١) فى الأصل : ونم .

(٢) فى الأصل : معاوضة .

أخبرنى محمدُ بن عمرَ بنِ عبد العزيز، قال: أخبرنى علىٌّ عن ابن أبى شَيْبَةَ، قال: غزا معاويةُ بن صالح — : وهو قاضِى الجماعةِ. — مع الأمير عبد الرحمن، غَزَاةَ سَرَقُسْطَةَ: إذا كان يحاربُ بها ابنَ الأعرابىِّ؛ فكان إذا هَتَف عَلَى الْجُند إلى الخروج: خرج معاويةُ فى كتيبته[1] من جُند مصرَ؛ فلا يزالُ: واقفاً فى مَركزِه، متوكئاً على قَوْسِه؛ حتى تَنْجَلِىَ الحربُ.

قال أحمدُ بن زيادٍ: حدثنى محمدُ بن وَضَّاحٍ، قال: حدثنى حَرْبٌ — : رجلٌ من أهلِ شبلار. — قال: كنتُ بقُرطُبَةَ، فى مسجدها الجامعِ، فى المقصورة: يومَ جُمُعَةٍ؛ وكان فى الجماعةِ رجلٌ يَتَنفَّلُ ويُعلن بالقُرآنِ؛ إلى أنْ دخَل معاويةَ ابن صالح المقصورةَ — : وهو يومئذ القاضى، وصاحبُ الصلاة. — فسَمِع إعلانَ الرجلِ بالقراءةِ: فمَضَى إليه، فأخَذ قَلَنْسُوَتَه من رأسه، ثم رَمَى بها إلى ناحيةٍ: من نَواحى المقصُورةِ؛ والناس مُجتَمِعون. ثم قال له عند أذنه: إلى حيث انتهت قَلَنْسُوَتُك ثَمَّ، يَنْتَهِى أذاك. ثم انتهى معاويةُ إلى موضِعه. فلمَّا سَلَّم الرجلُ: سُئِلَ عما قال له؛ فأخبَرَ به.

قال لى محمدُ بن عبد الملكِ بنِ أيْمَنَ: كان قد نال معاويةَ خُمولٌ، فى أيامِ الأميرِ عبدِ الرحمن (رحمه الله)؛ فَبَيْنَا الأميرُ جالسٌ فى السَّطْح يوماً: إذ نَظَر إلى معايةَ بنِ صالح، خاطِراً فى القَنْطَرَةِ، فذَكَرَه، وذَكَر خُمولَه وما صار إليه؛ فأرسَل فيه، ووَصَلَه، وأعادَه إلى حُسْن نَظَرِه.

قال محمدٌ: سمعتُ مَن يقولُ: إن سَعيدَ الخيرِ بنَ الأميرِ، شَفَع له إلى أبيه: عبدِ الرحمن؛ حتى رَضِى عَنه، وأعادَه إلى حُسْنِ رأيِه.

قال محمدٌ: وكان معاويةُ بن صالح: قد عقَد صِهْراً معَ زِيادِ بن عبد الرحمن؛

(١) فى الأصل: فى مكتبه.

وذلك : أنه أنكحه ابنةً له تُسَمَّى : حُمَيْدَةَ ؛ ومنها وَلَدُ زيادٍ . فعرض لزيادٍ مع خَتْنه معاويةَ ، عارضٌ : حُفِظَ يومئذٍ ، وتُحُدِّثَ به [بعد[١]] . وذلك : أن زياداً رغب أنْ يَنظُرَ إلى زوجته فى بيتِ أبيها ، قبلَ بنائِه بها — : على ما يَفعله بعضُ الناس . — فتحايلَ[٢] النساء عليه فى ذلك ، وأتَيْنَ به عندَ العشاء الآخِرةِ ؛ فصار فى الأُسْطُوان : فنفرتْ دابّةُ معاويةَ منه ، واشتدَّ قَلَقُها من أجلِه ؛ حتى خَرج معاويةُ إلى الصلاةِ ، فسمع حِسَّ الدَّابةِ : فرابَهُ ذلك ؛ ثم دعا بالمصباح : فوجَدَ زياداً فى مِزْوَدِ الدابة : فى بعضِ زَوَايا الأُسْطُوانِ ؛ فما زاد على أنْ قال : أسْتَوْصَوْا بكم خيراً ؛ ثم خَرج إلى الصلاةِ .

قال أحمدُ بن زيادٍ : أخبرنى عيسى بن بَكرٍ : المُعلِّمُ ؛ قال : أخبرنى بعضُ مَن أثِقُ به [فى][٣] ذلك ، عن عامرِ بن معاويةَ ، وعن غيرِه ؛ قال : خَرج معاويةُ ابن صالحٍ حاجاً ، بعد الحَجَّةِ التى تَقَدَّمَتْ له ، من أرض الأندَلسِ ؛ وخرج معه — حينئذٍ — زيادُ بن عبد الرحمن ؛ فلمَّا قدما المدينةَ : تَوَجَّه زيادُ بن عبد الرحمن ، إلى مالكِ بن أنسٍ ، فدخل عليه — : وقد كان تَقدَّمَ له منه سماعٌ فى غيرِ سَفْرتِه تلك . — وأعلَمَه : بقدومِ معاويةَ بنِ صالحٍ ؛ فسأله : أنْ يَأْتيَه؛ فأتاه ، فدخَلا عليه : فسأله معاوية بن صالحٍ عن نحوِ مِائتَىْ مسئلةٍ ؛ فأجابه مالكٌ عن جميعها . فكَشَفَ زيادُ بن عبد الرحمن مالكاً ، وقال له : يا أبا عبدِ الله؛ كيف رأيْتَ معاويةَ بنَ صالحٍ؟ فقال له مالكٌ : ما سألَنى أحدٌ قطُّ مِثلَ معاويةَ بن صالحٍ . ثم كَشَفَ زيادٌ معاويةَ عن مالك ؛ فقال له معاويةُ : ما سألتُ أحداً مِثلَ مالكٍ .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن حَزْمٍ : قال لى محمدُ بن عمرَ بن لُبابةَ : كان يوسفُ

(١) فى الأصل : وتحدث به وذلك .

(٢) فى الأصل : فتحيل .

(٣) فى الأصل : أثق به ذلك .

الفِهْرِىُّ : قد أعطَى مُعاويةَ ابنَ صالحٍ ، جاريةً ؛ فأوْلَدَها معاويةُ . فلمَّا وَلِىَ عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ : قَوَّم عَلَى معاويةَ بن صالح : فى الجارية ؛ فاسْتُحِقَّتْ عليه . فسئل معاويةُ بن صالح : عن مسئلةِ نفسِه ، وما يَجِبُ عليه : من الحق فيها. فقال : شهدتُ أبا الزَّاهِرِيَّةِ — : واختُصِمَ إليه فى دِعَامَةٍ : فى حائطٍ لرجُلٍ؛ اسْتحَقَّها رجلٌ . — فقضَى للمُسْتَحِقِّ : بقيمةِ الدِّعامةِ ؛ وقال : إنَّ فى نَزْعِهِ ضَرراً على الحائط ؛ وأنا[1] أرَى : أنَّ نَزْعَ هذه عن وَلَدِها ، أشَــدُّ ضَرَراً من ضَررِ نَزْعِ دِعامةٍ من حائطٍ. فقُبِل ذلك منه : فقُوِّمَتْ هكذا . (وأشار ابنُ لُبابةَ : فَجَمَع بابَ كُمِّه على كُوعه) ولم يُكشَفْ لها ذِراعٌ . قال محمدُ بن عمرَ بنِ لُبابةَ : وكان اسمُ الجاريةِ : خَلَّةَ .

قال محمدٌ : قال أحمد بنسعيدٍ : قال لى عبدُ الله بن محمدِ بن أبى الوَلِيدِ الأعرج: وكانت خَلَّةَ هذه المذكورةُ : قبيحةً ؛ وكان لها خادمٌ فائقة الْحُسْنِ ، اسمُها : سُعادُ ؛ فكان الناسُ يقولون : شَتَّانَ ما بيْنَ خَلَّةَ وسُعادَ .

قال محمدٌ : وقد اختلف قولُ مالكِ بن أنسٍ – فى أمِّ الوَلَدِ : تُسْتَحَقُّ . – : . مَرَّةً قال : يُغَرَّمُ السيدُ قِيمتَها وقيمةَ ولَدِها . حتى نَزلَتْ بمالكِ بن أنسٍ فى أمِّ ولدِه ، فأفتَى : أنْ يُغَرَّمَ قيمةَ أمِّ ولدٍ ؛ لا غيرُ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمدُ بن هشامٍ ، عن أحمدَ بن يزيدَ بن عبد الرحمن، عن محمدِ بن وَضَّاحٍ ؛ قال : شَهِدَ الأميرُ هشامُ بن عبد الرحمن (رحمه الله) جِنازةَ معاويةَ بن صالحٍ : فى الرَّبَضِ ، ومشَى فى جِنازته .

قال خالدٌ : قال محمدُ بن هشامٍ : وأخبرنى عيسى الزَّاهدُ ؛ قال : سمِعْتُ يَحيى ابن يَحيَى يقولُ : ماتَ معاويةُ بن صالحٍ ها هُنا ؛ ودُفِن بالرَّبَضِ .

---

(١) فى الأصل : وإذا .
(٢) فى الأصل : ضر .

قال محمدٌ : وكان لمعاويةَ بنِ صالحٍ ، أخٌ يُسَمَّى : محمدَ بن صالحٍ ؛ عَقِبُه بالشام كثيرٌ : لم يَدْخُلْ أحدٌ منهم الأنْدَلُسَ .

قال أحمدُ بن محمد بن أيْمَنَ : رأيتُ رسالةً كَتَبَ بها البَقِيَّةُ : من وَلَدِه بالشام إلى البَقِيَّةِ : من وَلَدِ معاويةَ بالأنْدَلُسِ ؛ نُسْخَتُها :

« بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم ؛ إلى جماعةِ وَلَدِ معاويةَ بن صالحٍ الحَضْرَمِيِّ ، من جماعةِ وَلَدِ محمدِ بن صالحٍ الحَضْرَمِيِّ . »

« تولاَّكُمُ اللهُ : بحِفْظِه ؛ وحاطَكُمْ : بصُنْعِه ؛ ومَدَّ لَكُمْ : في نعمتِه ؛ وزادَكُمْ : من إحسانِه ؛ إنَّ اللهَ (جل ثناؤه ، وتقدَّسَتْ أسماؤه) ؛ جَعَلَ بَيْنَ الناسِ أنْسَاباً : يتعاطَفُون بها ، ويتَوَاصَلُون عليها ؛ أَوْثَقَ عُرَاها ، وأتْقَنَ قُوَاها ؛ وأنتم (وَهَبَ اللهُ لكم العافيةَ) : الشَّعْبُ الأدْنَى ، والنَّسَبُ الأوْلَى ؛ يَجْمَعُكُمْ وإيَّانا الجَدُّ المعروفُ : بحُدَيْرٍ ؛ والقَرَابةُ بالقرابة ــ : وإنْ جرَى القضاء : باغْتِرَابِ بَعْضٍ عن بَعْضٍ ، وشَحْطِ دارٍ عن دار . ــ ماسَّةٌ : لا يُوهِنُ أسبابَها تقادُمُ الانْتِزَاحِ ، ولا يُعَفِّي عَلَى واجبِ حُقوقِها بُعْدُ التَّزاوُرِ . وما عَدِمْنا (أكرمَكم اللهُ) من أنفسِنا : تَطَلُّعاً إليكم ؛ ولا تَرْكَ مَنْ رَزَقَه اللهُ الحجَّ ــ : مِنَّا . ــ المَسْئلةَ عنكم في حُجَّاجِ المَغْرِبِ : طَمعاً في مُوَافاةِ بعضِكم ، وتشَوُّقاً إلى اسْتِفادةِ عِلْمِ خَبَرِكم ؛ فلم يَأْذَنْ اللهُ : أنْ يُوافِيَ سائلَنا : دالاًّ عليكم ، ولا مُخْبِراً عنكم ؛ حتى وَقَعَ بظُنونِنا ما يَقَعُ مِثْلُه بالظُّنونِ ــ على فُرُوطِ اللَّيالي والأيامِ ، ومُرُورِ الشهورِ والأعوامِ ــ : من الانْقِرَاضِ والنُّفُورِ ؛ حتى أهْدَى اللهُ لنا عِلْمَ ما كُنَّا نَتَطَلَّعُ إليه ، منكم ــ : أبْعَدَ ما كُنَّا طَمَعاً فيه ، وأشَدَّ يَأْساً . ــ معَ حاملِ كتابِنا هذا إليكم ؛ وهو : أبو الحارثِ بِشْرُ بن محمدِ بن موسى القُرَشِيُّ ؛ فإنه صار إلى حِمْصٍ ــ : مُنْصَرَفَه من بَغداذَ . ــ نافذاً إليكم ؛ فسأل عنا : بفضلِ ما أَلْزَمَ نفْسَه لكم ــ : إذ كنتم ، على ما ذَكَرَ ، أخْوالَه ؛ وكانَتْ أُمُّه أمَّ عمرٍو بنتَ محمدِ بن معاويةَ بن صالحٍ . ــ وأحَبَّ . من الانصراف إليكم بخبرِنا ؛ فأُخْبِرَ بمكانِنا ،

وأرْشَدَ إلينا ؛ وأتانا منه رجلٌ : ظاهرُ الفَضلِ ، مَوْسُومٌ بالخير ، معه - : من خَبَرِكم ، وعِلْمِ أمْرِكم . - ما امتلأتْ به الصُّدورُ : سُرُوراً وحُبُوراً ؛ وجعلنا لا نَكْشِفُهُ فى مُساءلتِنا إيّاه ، وتقَصِّينا عَلَى ما عندَه ؛ إلاَّ يَكْشِفُ لنا عمَّا يَزِيدُ النعمةَ علينا فيكم من الله : عِظَماً فى تَسْنِيةِ أقدارِكم ، وتَشْريفِ مذاهِبِكم ؛ فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، المَنَّانِ الكريمِ ، الذى مَنَّ علينا : بما تَنَاهى إلينا عنكم ، وتقَرَّر عندَنا : من فَضْلِ حالِكم . ونسألُ اللهَ : إتمامَ ما حَيِيتُم [وأن] يزيدَكم[1] به ؛ من كلِّ خيرٍ ؛ ويزيدنا بمَزِيدِكم ؛ وأنْ يُعوِّضَكم وإيَّانامن الفُرْقةِ التى كتَبَها علينا : فبَاعَدَ بَيْنَنا ، وشَتَّتَ جمعَنَا ؛ وأنْ يَجْمَعَ بَيْنَنا : فى جِنـــانه ، ودارِ رِضْوَانِه ؛ ومَحَلِّ أوْليائه . إنه قَريبٌ مُجيبٌ .

وكتابُنا إليكم (حَجَبَ اللهُ عنكم كلَّ مَكْرُوهٍ) : ونحن من الله : فى نعمة ؛ وكلُّ بلائه عندنا جميلٌ ؛ وحالُنا فى خاصَّةِ قَوْمِنا ، وكافَّةِ عِتْرَتِنا وجُنْدِنا[2] . — : الحالُ التى يحبُّون أنْ نكونَ بها وعليها : فى البَسْطَةِ فيهم ، والتَّقَدُّمِ عليهم ، وقد شاهد بشرُ بن محمد ، من أمْرِنا : ما لَعَلَّه سَيُخْبِرُكم به ؛ فحمداً للهِ ، وشُكْراً على إحسانه ؛ ورَغْبَةً إليه : فى صالحِ المَزِيدِ والسلامُ عليكم ورحمة اللهِ وبركاتُه » .

* * *

« ذِكْرُ ٱلْقَاضِى عُمَرَ بنِ شَرَاحِيلَ »

١٧ قال محمدٌ : أبوحَفْصٍ عُمرُ بن شَرَاحِيلَ المَعَافِرِىُّ ؛ أصلُه من أهلِ باجَةَ ، ونَزَلَ بقُرْطُبَةَ : فى دَرْبِ الفَضلِ ابن كاملٍ ؛ ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ معاوية (رحمه الله) القضاءَ بقُرطبةَ : بعدَ مُعاويةَ بنِ صالِحٍ ؛ ثم عزَلَه وأعاد معاويةَ

---

(١) فى الأصل : به ويزيدكم .
(٢) أى : الأنصار والأعوان .

ابن صالح ؛ فكانا جميعاً يتداولان القضاء : عاماً معاوية ، وعاماً عمرُ ؛ وأقاما بذلك مُدةً من الدهر .

قال : ولقد حدثنى محمدُ بن وَضَّاح ، عمَّن أدركَ أيَّامهما ؛ قال :

كان إذا أغفَلَ الأميرُ (رحمه الله) عزْله عند انقضاء العام — : رَفَع يُذَكِّرُه بأمرِه ؛ وكان كلٌّ واحدٍ منهما : إذاعاقَه شُغْلٌ فى يومٍ من الأيامِ ، لم يَقْبِضْ لذلك اليوم رِزقاً .

وأخبرنى مَن أثِقُ به — : من أهلِ العلمِ . — قال : قال لى أبو مَرْوانَ عُبَيْدُ الله بنُ يَحيَى :

كان الأميرعبدُ الرحمن بن معاوية (رحمه الله) : يُدِيلُ بيْنَ معاويةَ بن صالحٍ، وعُمَر بن شرَاحِيلَ : عاماً هذا ، وعاماً هذا . فوَلَّى عمرَ بن شراحيلَ عاماً من تلك الأعوامِ ؛ فلمَّا انْقضَى العامُ : أقرَّه على القضاء ، ولم يُحَرِّكْه .

فكَتَب معاويةُ إلى الأميرِ عبدِ الرحمن : يُحَرِّكُه فى وِلاَيتِه ، ويُعْلِمُه : أنَّ عامَ صاحبه قد انْقضَى .

فلمَّا قرأ الأميرُ عبد الرحمن كتابَه : أنكَرَه واسْتَفْظَعَه ؛ وأمَرَ بإدْخَال معاوية على نفسِه ؛ فلمَّا دَخَلَ إليه قال : هذا كتابك ؟ قال : نعم : قال : ومِثلُكَ يَطلُبُ وِلايةَ القضاء : وقد علِمْتَ ما جاء فى ذلك — : من الأثَرِ . — فيمَنْ طَلَبها وكل إلى نفسه فيها ؟

فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ؛ ولَّيْتَنِى القضاء فى أوَّلِ مرَّةٍ — : وأنا كارِهٌ . — فتوَلَّيْتُهُ ؛ فلمَّا تَوَلَّى رَأْسُ الشهرِ : رَزَقتنى رِزْقاً واسعاً : تَوَسَّعْتُ به ؛ ثم اسْتَمَرَّ الرِّزقُ كلَّ شهرٍ : حتى عَزَلْتَنى عندَ رأْسِ العامِ ؛ فاسْتَقْبَلْتُ العامَ الثانى الذى كنتُ فيه مَعزُولا ، بفُضُولٍ : من رِزْقِ العامِ الأوَّلِ ؛ فانقَضَتْ تلك الفُضولُ : بانقضاء العام ؛ ثم وَلَّيْتَنِى : فعاد علىَّ الرِّزْقُ . فكانت هذه حالتى :

إلى هذا الوقتِ . وقد انقضتْ فُضُولى الباقيةُ : من رزقِ العامِ الأوّلِ ؛ وانقضى العامُ ؛ فانتظرتُ الولايةَ : التى يكونُ بها الرِّزْقُ ، فأبطأتْ عنِّى . فكتبتُ إلى الأمير : مُذَكِّراً ؛ معَ أنه : إنْ طَلَبْتُ الولايةَ : فقد طلبها مَن ظلّه فى الأرضِ خيْرٌ منِّى : يوسفُ عليه السلام ؛ قال : ([قال] اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ : إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ : ١٢—٥٥) .

فقَبِلَ الأميرُ قولَه منه ؛ وأمَرَ : بعزلِ عُمَرَ بنِ شَرَاحِيلَ ، وبتَوْلِيَةِ مُعاوية .

قال محمدٌ : وقد تكرَّرَتْ الأمانةُ ، وقضاء الكُورِ : فى نَسْلِ عُمَرَ بن شَرَاحِيلَ ؛ وقد وَلِىَ منهم رجلٌ — يُكَنَّى : بأبى سَعيدٍ؛ واسمُه : محمدُ بن عُمَرَ . — قضاءَ جَيَّانَ ، وأسْتِجَة . وكان مُقَدَّماً : عند الخاصَّةِ؛ رفيعَ الدَّرجةِ : عند العامةِ : وعَقِبُه كثيرٌ .

١٨

***

« ذِكْرُ القاضى : عبدِ الرحمنِ بنِ طَرِيفٍ اليَحْصُبِيِّ »

قال محمدٌ : قال أحمدُ بن خالدٍ : كان من شأنِ الخُلفاءِ (رحمهم الله) : السؤالُ عن أخبارِ الناسِ ، والكَشْفُ عن أهلِ العلمِ والخيرِ منهم؛ والتَّعَرُّفُ لأماكنهم : من قُرْطُبَةَ أو غيرِها : من الكُورِ . فكانوا : إذا احتاجوا إلى رجلٍ يَصْلُحُ لخطَّةٍ من خطَطِهِم ، اسْتَجْلَبُوهُ .

واحتاج الأميرُ عبدُ الرحمن بن معاويةَ (رحمه الله) ، إلى تَوْلِيَةِ قاضى جماعةٍ بقُرْطبةَ ؛ وكان : قد بَلَغَه عن رجلٍ — بماردةَ — : صلاحٌ ، وصَلابةٌ ، ووَرَعٌ . فاسْتَجْلَبَه وولّاه : فسار فى القضاء بأفضلِ سيرةٍ .

قال محمدُ بن عبدالملك بنِ أيْمَنَ : وممَّن وَلِىَ القضاءَ لعبدِ الرحمن بنِ معاويةَ (رضى الله عنهما) : عبدُ الرحمن بنُ طَرِيفٍ ؛ من ساكِنى مدينةِ : ماردةَ [1] . وكان رجلاً : صالحاً محمودَ السِّيرةِ .

١٩

(١) انظر الروض المعطار ص ١٧٥ — ١٧٧ .

ولقد قرأ على القاضى: أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ؛ صكاً فيه: ذِكْرُ مالٍ: وَقَفَه عبدُ الرحمن بن طَرِيفٍ، لأُمِّ العباسِ، وأمِّ الأصْبَغِ: أُخْتَيْ الأميرِ عبدالرحمن ابنِ معاويةَ. وكان فى ذلك الكتابِ — عندَ ذِكْرِ التَّوْقيفِ —: إذ كان المُتوَفَّى فلانٌ: مَوْلاَهما؛ ووَجَب لهما ميراثُه: وهما غائبَتانِ فى الشَّام. قال محمدٌ: قال خالدُ بن سعدٍ: سمعتُ محمدَ بن إبراهيمَ بن الحُبَابِ[1]، يقولُ عمَّن حدَّثه:

إن الأميرَ عبدَالرحمن بن معاوية (رحمه الله)، دخَل عليه حَبيبٌ القُرَشِيُّ: فشَكَى إليه القاضىَ[2]: عبد الرحمن بنَ طَرِيفٍ؛ وذَكَرَ: أنه يُرِيدُ: أنْ يُسَجِّلَ عليه فى ضَيْعةٍ: قُيِّمَ فيها عندَه؛ وادَّعَى عليه حَبيبٌ فيها: الغَصْبَ والعِدَاءَ.

فأرسَلَ الأميرُ (رحمه الله): فى القاضى؛ وتَكَلَّمَ معه: فى ذلك؛ وأمَرَهُ: بالتَّثَبُّتِ؛ ونَهَاهُ: عن العجَلَةِ.

فخَرَجَ ابنُ طَرِيفٍ منفَوْرِه، وأرسَلَ: فى الفقهاء والعُدُولِ؛ فنَفَّذَ القَضِيَّةَ: علَى حَبيبٍ، وسَجَّلَ وأشْهَدَ.

فدخَلَ حَبيبٌ علَي الأميرِ فأغْرَاه: بالقاضى؛ ووَصَفَهُ: بالبُغْضَةِ له، والاسْتِخْفافِ به.

فغَضِبَ الأميرُ غَضَباً شديداً؛ وأرسَلَ إلى القاضى: ابنِ طَرِيفٍ وأدْخَلَه على نفسِه. ثم قال له: مَنْ أَقْدَمك: أن تُنَفِذَ الحُكمَ بعدَ أنْ أمَرْتُك: بالتَثَبُّتِ والأناةِ..؟

---

(٢) فى الأصل: الجباب.

(١) فى الأصل: بالقاضى.

فقال له ابنُ طَرِيفٍ : أقْدَمَنى عليه : الذى أَقعدَكَ هذا المَقْعدَ ؛ ولَوْلاَه : ما قَعَدْتَهُ .

فقال له الأميرُ : قولُكَ هذا أعْجَبُ مِن فعلك ؛ ومَن أقعدَنى هذا المَقْعدَ ؟.

فقال : رسولُ رَبِّ العالَمِينَ ؛ فلَوْلاَ قَرَابتُك منه : ما قَعَدْتَ هذا المَقْعدَ . وإنما بُعِثَ بالحقِّ : لِيُقْضَى عَلَى القَرِيبِ والبَعيدِ .

ثم قال له القاضى : أيُّها الأميرُ ؛ ما الذى يَحْمِلُك : عَلَى أنْ تتحامَلَ لبعضِ رَعِيَّتِك ، عَلَى بعضٍ : وأنتَ تَجِد مِن ذلك وَجْهاً : أنْ تُرْضِىَ به مَن تُعْنَى به ، مِن مالِكَ .؟.

فقال له الأميرُ : فلَعَلَّ الذين اسْتَحَقُّوا الضَّيْعةَ : أنْ يَبِيعُوها ؛ فأشْتَرِيَها لحبيبٍ مِن مالِى ؛ وأُرْضِيَهم : فى ثمنِها .

فقال له ابنُ طَرِيفٍ : أنا أُرسِلُ : فى القَوْمِ ؛ وأُخاطِبُهم : فى ذلك ؛ فإن أجابُوا إلى البَيْع ؛ وإلاَّ : فإنَّ حُكْمِى قد نَفَذَ .

فخَرج القاضى : فأرسَلَ فى القوم ، وتكلم معهم فى الضَّيْعةِ ؛ فأجابُوا إلى البَيْع : إنْ أجْزَلَ لهم الثَّمَن .

فكان حَبيبٌ ، يقولُ بعد ذلك : جَزا اللهُ عنِّى ابنَ طَرِيفٍ خيراً : كانتْ بيَدِى ضَيْعةٌ : حَرامٌ ؛ فجعَلَها ابنُ طرِيفٍ : حَلاَلاً .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ أهلِ العلمِ ، يقولُ :

إن حَبيباً كانتْ له معَ ابنِ بَشِيرٍ ، قِصَّةٌ : تُشْبِهُ هذه القِصَّةَ ، فكان حَبيب : يَلْقاه من بَعدُ ، فيقولُ : بأبى أنتَ ؛ أرَدْنا : أنْ نأكُلَ الحرامَ ؛ فأبَيْتَ إلاَّ : أنْ تجعلَه حَلالاً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى المُصْعَبِ بنِ عِمْرانَ الهَمْدَانىّ[1] »

٢٠ قال محمدٌ : هو : المصْعَبُ بن عِمْرانَ بنِ شَفِيٍّ بن كَعبِ بن كعْبَر بن زيدِ بن عمرو ابنِ امرىء القيس بن زيدٍ الهَمْدَانِىُّ ؛ من العرب الشاميِّينَ ؛ ومكتبُه فى جُند حِمْص .

دخَل الأندلسَ قبلَ دخولِ الأميرِ : عبدِ الرحمن بن مُعاوية (رضى الله عنهما) فنزَل بكُورَةِ : جَيَّان ؛ بقرية : بادو ؛ ثم رحَل إلى موضعٍ من عملِ قرُطبةَ : بجوفى المدور الأدْنى إليْها ؛ وكان سُكناه بقريةٍ تعرف : بغليار ؛ فى الجبل من إقليمِ المدورِ .

وكان أبوه عِمرانُ : من جُند هشامِ بن عبدِ الملكِ بالشام ؛ وكان : قد تزَوجَ امرأةً من بنى حاطِبِ بن أبى بَلْتعةَ ؛ وتزَوجَ الأميرُ عبدُ الرحمنِ أختَ تلك المرأةِ ، ووُلِدَ له منها سُليمانُ ابنُه والسيدةُ ابنتُه ؛ وقد لحِقَتْ بقُرطبةَ مع أبيه ، ودُفِنَتْ بمقْبرةِ الربضِ .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعض الأخبار : أنَّ هشامَ بن عبدِ الرحمن (رحمه الله) لمَّا أدركَ ، وخرَج من القصر إلى داره — : انتهَى إليه زُهدُ مُصْعَبِ بنِ عِمرانَ ووَرَعُه ؛ فاسْتَجْلبَه إلى نفسه ، واسْتَخْلَصَه ؛ وجعله وزيرَه وسَميرَه . فلمَّا احتاجَ الأميرُ إلى قاضى جماعةٍ : أشار هشام بالمُصعَبِ ؛ فقَبِلَ ذلك منه الأميرُ ، فدَعا مَصعباً إلى القضاء : فأبَى منها — على ما وصفْتُه فى صَدر الكتابِ : فى بابِ مَن عُرِض عليه القضاء فأبَى مِن قَبُولِه[2] . — وانصَرَف إلى منزله .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُوَاةِ الأخبار : فلما وَلِىَ الخِلافةَ هشامُ بن

---

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ٤٥ — ٤٧ . (٢) انظر : ص ١٣ .

عبدِ الرحمن (رحمهما الله) : أرسَل في مُصْعَبِ بن عِمرانَ إلى ضَيْعتِه ؛ فذُكِرَ : أنه أتاه الرسولُ : وزوجتُه تَنسِجُ في منسجٍ لها ، والمُصعبُ بيْن يدَيْ المنسج : يعملُ لها الوَشَايِعَ ؛ ففتَحَتْ المرأةُ بإصبَعِها في المنسجِ ، ثم قالتْ له : تَرُدُّ القضاءَ أيضاً على هذا الأميرِ ، كما رَدَدْتَه على أبيه ؛ ثم تَرجِعُ إلى وَشايِعِ المنسجِ ؟ .

فلمَّا قدِم المُصعبُ على هشامٍ ، قال له : قــد علِمتُ : أنه إنَّما مَنَعك من قَبُولِ القضاءِ من أبي ، الأخلاقُ التي كانت له ؛ وقد عَرفتَ أخلاقي : فتولَّ القضاءَ . فأبَى عليه ؛ فعزَم عليــه هشامٌ (رحمه الله) عزماً شديداً : حتى وَلِيَ القضاءَ .

وكان : يَخْطُبُ بالناس ، ويُصلِّي بهم : إذا غاب الأميرُ هشامٌ . فاشترَطَ عَلَى الأميرِ هشامٍ — : إذ قَبِلَ منه القضاءَ . — : أنْ يَأْذَنَ له في اطلاعه ضَيعتَه : كلَّ يومِ سبتٍ ويومِ أحدٍ . فرَضِيَ له بذلك . وكان مسكَنُه بقُرطبةَ — : إذ وَلِيَ قضاءها . — برَحَبةِ عبدِ الله بن عبد الرحمن بن معاوية رحمهم الله .

وكان كاتبُه : محمدَ بن بَشيرٍ المُعَافِريَّ . وكان مُصعبٌ في قضائه : من أهــل العدلِ والسِّيرةِ المحمودةِ ، صَليباً في الحق ، مُنَفِّذاً له على الخاصة والعامة . وكان ذلك أيامَ هشام رحمه الله .

ثم تُوفِيَ هشامٌ : فأقرَّه الحَكَمُ بن هشامٍ (رضي الله عنــه) : عَلَى قضاءِ الجماعةِ ، وعلى الصــلاةِ . وكان يَعْرِفُ صلابتَه وتنفيذَه ؛ فكان يُؤَيِّدُه ، ولا يَفتُّ في عَضُدِه ؛ ويُجيزُ . أفعالَه ، ويُنَفِّذُ أحكامَه ؛ وإن وَقَعَتْ منــه بغيرِ المَحْبُوبِ .

قال محمدٌ : ورأيتُ في بعضِ الحِكَايَاتِ : أنَّ العباسَ بن عبد الله المَرْوانِيَّ ، غَصَبَ ضَيْعةً من رجلٍ بجيَّان ؛ وتُوُفِّيَ الرجلُ . وتَرَكَ أطفالاً . فلمَّا بَلَغُوا ، وانتهَى إليهم عَدْلُ مُصعبِ بن عِمرَان ، — : قَدِموا قرطبةَ ، وأنهَوْا إليــه

مَظْلَمَتَهم وأثْبَتُوها عنده ؛ فبعثَ القاضى : فى العباس بن عبدالله ؛ وأعلَمَه ماذكرَه القومُ ؛ وعرَّفَه بالشُّهودِ عليه ؛ وأباحَ له الدفعَ[1] وضَرَب له أجلاً بعدَ أجلٍ . فلمَّا انصَرَمَتْ الآجالُ ، وعجَز عن الدفع[2] — : أعلَمه : أنه يُنَفِّذُ الحكمَ عليه . فدَخَل العباسُ عَلَى الأميرِ الحكَمِ (رحمه الله) وسألَه : أنْ يُوصِىَ إلى القاضى : بالتَّخَلِّى عن النَّظَرِ ؛ وأنْ يكونَ الأميرُ : الناظِرَ بينَه و بيْنَ خَصمِه . فدَعَى الأميرُ بفتى له ، يُسَمَّى : بزنت ؛ وأوْصاه إلى مُصعبِ بن عِمرانَ : بأنْ يتَخَلَّى عن النظرِ . فلمَّا أدَّى الفتى الوصِيَّةَ ، قال له مُصعبٌ : إنَّ القومَ قد أثْبَتُوا حقَّهم ، ولزِمَهم فى ذلك عناءٌ طويلٌ ؛ ونصبٌ شديدٌ : لبُعدِ مكانِهم ؛ وقد ثبَتَتْ دَعْواهم ؛ ولستُ أتَخَلَّي عن النظرِ : حتى أحْكُمَ لهم . فرَجَع الفتَى ، وأدَّى ما قال إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ فجَعَل العباسُ ؛ يُغرِيه ، و يقولُ له : قد أعلمتُ الأميرَ باستخفافِه ، وأنه يَرى : أن الْحُكَم له ، لاللأمير . فصَرَف الأميرُ الْحَكَمُ (رحمه الله) الفتى إليه ، يقولُ له : لابُدَّ أن تَكُفَّ عن النظرِ بيْنَهم ، وأنْ أكونَ انا الناظرَ فى ذلك . فلمَّا عاد الفتى إلى مُصعبٍ بذلك ، من عند الأميرِ —: أمرَه بالقُعودِ ؛ ثم أخَذَ كتاباً ، فعقَد حُكمَه للقوم : بالضَّيعة ؛ ثم نَفَّذه بالإشهادِ فيه . ثم قال للفتى : اذهب ، فأعلِمْه : أنى أنفَذْتُ مالزِمنى إنفاذُه : من الحقِّ ؛ فإن أراد أنْ ينقُضَه : فذلك إليه ، يَتَقَلَّدُ منه ماشاء : فذَهَب الفتى : فحَرَّف كلامَ القاضى ، و نَقَل عنه إلى الأميرِ ، أنه قال : قد حكَمْتُ بحكمِ العَدْلِ ؛ فينْقُضُه الأميرُ إنْ قدَر . فأطْرَق الأمير الْحَكَمُ (رحمه الله) ، وجَعَل العباسُ : يُغْرِيه ، و يُوقِدُ غضبَه ؛ وثابَ إلى الْحَكَم —: من توفيقِ الله وعصمته : التى اُكْتَنَفَ بها خُلفاءه . — ما صار به إلى ما هو : أشْبَهُ بخلافتِه ، وألْيَقُ

---

(١) و(٢) فى الأصل : المدفع .

بإمامته فقال للعباس : ما أشقاه مَن لَطَمَه قَلَمُ القاضى ثم رَجَع إلى ما كان فيه ، ولم يَعرِضْ للقاضى ، ونَفَّذ له حكمَه .

وذَكَرَ بعضُ أهلِ العلم ، قال : اُعْتَلَّ مُصعبٌ فى ضَيعتِه ، فكَشَف عنه الأميرُ الحكم (رحمه الله) : فذُكِرَتْ له عِلَّتُه ؛ فخَرَج مُتَنَزِّهاً إلى جهةِ المدور ، فقَصَدَه إلى دارِه ، ونَزَل عليه فى منزله . فقال له مُصعبٌ : إنَّ الأميرَ (أعزه الله) قد خرج للتَّرَوُّحِ ؛ فإن وَلِيَ أنْ يكونَ صدْرُه علَيَّ : فَلْيفعَلْ . فاسْتَعَدَّ له بطعامٍ يُصيبُه . فركِب الحْكَمُ (رحمه الله) فقضَى من تَرَوُّحِه وَطراً ، ثم انصرف إليه ، فأحضَر طعامَه ؛ ثم نظر الحْكَمُ إلى خادِمٍ لمُصعبٍ تُسَمَّى : علة ؛ فاسْتَسْقاها ماءً ؛ فقال لها مُصعبٌ : كُفِى ياعلةُ ؛ ونادَى بابنةٍ له تُسمى : ككوية ؛ فقال لها : اُسقِى مولاكِ ماءً ؛ فقامت الصَّبِيَّةُ وسَقَتْه ، وتولَّتْ خِدمتَه . فقال له الحْكَم (رحمه الله) : هذا لَقَبٌ أو اسم ؟ فقال له : بل اسمُ جَدتى أمِّ حاطِبِ بن أبى بَلْتعَة ؛ فسماَّها النساء به : على عادتِهِنَّ فى الأسماء . فقال له الأميرُ الحْكَمُ (رضى الله عنه) : إنْ وهبَنِى اللهُ ابنةً : سَمَّيْتُها باسمِها : فوُلِدَتْ له ابنةٌ : فسماَّها بذلك الاسمِ . وهو أولُ من سَمَّى بهذا الاسم : من الخلفاء رضى الله عنهم .

وتُوُفِّىَ مُصعَبٌ من تلك العِلةِ ، وتَرَكَ ولَدَيْنِ . وعَقِبُه باقٍ ؛ ولم تَزَلْ الخلفاء (رضى الله عنهم) على مُحافَظةٍ لهم .

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : أنه تَوَافَى على باب الأميرِ الحْكَمِ (رحمه الله) جُملةٌ من الناس شَتَّى : يَذكُرُون كِفايَتَهم فى الخِدمةِ ؛ ويسئلون الأميرَ : أنْ يُشْتَرَوْا له من مَوَاليهم . فأمر : أنْ يَسئلُوا عن أسماء مَواليهم ؛ فكان فيهم : عبدٌ لولَدِ مُصعَبٍ ؛ فأمَرَ الحكَمُ (رحمه الله) : بزجْرِه ؛ وقال : مَن

يَخدُم وَلَدَ القاضى ؟ لومات لهم هذا العبدُ : لأخلَفْتُ لهم مكانه ؛ فكيف أنْ أنزِعَه منهم ؟ !

قال محمدٌ : ولم يكنْ مُصعَبٌ بالمُتَّسِع : فى علم السُّنَن ، ولا فى روايةِ الأخبارِ .

قال أحمدُ بن زيادٍ : حدثنى محمدُ بن وَضَّاحٍ ؛ قال : حدثنى يَحيى بن يَحيى : أنَّ زِيادَ بنَ عبد الرحمن ، أوَّلُ مَن دخَل الأندلُسَ : بالفقهِ ، والحلالِ والحرام ؛ وهو : أولُ مَن أظْهَرَ سُنَّةَ تَحويلِ الأرْدِيَةِ فى الاسْتِسْقاء ؛ وصاحبُ الصلاةِ والحكوماتِ يومئذٍ : ابنُ شَفِيٍّ ؛ فقال على الجهل منه : هذا قدرُ نشرة . قال يحيى فخَرَجْتُ من هاهنا إلى المشرِقِ ، ولَقِيتُ مالكَ بنَ أنسٍ ، واللَّيثَ بن سعدٍ ، ومَن دونهما : فوجَدْتُ سُنةَ تَحويلِ الرداء ، معروفةً فاشيةً .

قال محمدٌ : وذَكَرَ عبدُ الملك بنُ الحسن ؛ قال : سمِعتُ محمدَ بن بَشيرٍ ، يقول : سمِعتُ مالكَ بن أنسٍ ، يقولُ : تكادُ أحاديثُ ابنِ عِمرانَ تكون سِيَرًا .

قال محمدٌ : فلا أدرى : أىَّ ابنِ عِمرانَ أراد ؟ إن كان مُصعبَ بن عِمرانَ - : لأن ابنَ بشيرٍ كان كاتبهُ . — فلعله : كان يَحكى له أخبارَه ؛ أو أرادَ محمد ابن عِمرانَ الطَّلحىَّ قاضى المدينة ؟ والأقربُ : أنْ يكونَ المرادُ مُصعبَ بن عِمرانَ : لمجالستهِ ابنِ بَشيرٍ له ، وأنه كان : كاتبَه ، وأعرَفَ الناسِ بأخبارِه .

* * *

« ذِكرُ القاضى : محمد بن بَشيرٍ المُعافِرىّ [١] »

٢١ قال محمدٌ : كان محمدُ بن بَشيرِ بن شَراحِيلَ المُعَافِرىُّ ، أصلُه من جُند باجةَ : من عربِ مِصرَ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : طلَب محمدُ بن بشيرٍ القاضى العلمَ ، بقُرطبةَ : عندَ شُيوخ أهلِها ؛ حتى أخَذ منه بحظٍ وافرٍ ؛ ثم كتَب لأحدِ أولادِ عبدِ الملكِ بن عمرَ المَرْوَانىِّ ، لمَظْلَمةٍ نالتْه ؛ على وجْهِ الاعتصامِ به ؛ وتَصرَّف معه تصرُّفاً لطيفاً ؛ ثم انقَبض عنه ، وخرج حاجًّا .

قال محمدٌ : وكتَب محمدُ بن بشيرٍ ، فى حَدَاثية ، للقاضى : مُصعَبِ بن عِمرانَ ؛ ثم خرج حاجًّا : فلَقِىَ مالكَ بن أنسٍ ، وجالَسَه وسمع منَه ؛ وطلب العلمَ أيضاً بمصرَ ؛ ثم انصرف : فلَزِم ضَيْعتَه فى باجةَ .

قال محمدٌ : أخبرَنى مَن أثِقُ به من أهلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا تُوُفِّىَ المُصْعَبُ ابنُ عِمرانَ شاوَرَ الحَكَمُ (رضى الله عنه) العباسَ بن عبد الملكِ المَرْوانىَّ : فيمَن يُوَلِّيهِ قضاء قُرطبةَ ؛ فقال له العباسُ : إنَّ مُصعَبَ بن عِمرانَ — وإن كان حكَم علىَّ ، فأغضبَنى : فنافرْتُه ونابَذْتُه — : فليس ذلك بالذى يُبلغُنِى إلى الطعنِ عليه : فى فضلِه ، وحُسنِ اختيارِه ؛ وقد كان اختيارُه : وقَع علَى محمدِ ابن بشيرٍ ، فاستَكْتَبه : معرفتى أنا بابن بشير : إذ تَوَلَّى الكتابةَ لأخى إبراهيمَ . فقَبِل الأميرُ (رحمه الله) رأىَ العباسِ ، وأمَر : باستقدامِ محمدِ بن بَشيرٍ .

قال محمدٌ : رأيتُ فى بعضِ الكُتُبِ : أنَّ محمدَ بن بَشِيرٍ لمَّا أتَى فيه رسولُ الأمير ، أتَى : وهو لا يعلمُ ما يُرادُ به ؛ فلمَّا صار بسهلةِ المدورِ : مالَ إلى صديق له كان بها : من العُبَّادِ ؛ فنزَل عليه ، وتحدَّث معه فى أمرِ نفسِه ؛ وذكَر : أنه يتَوَقعُ : أنْ يُضمَّ إلى الكتابةِ التى تخَلَّى عنها .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٤٧ ـ ٥٣ .

فقال له صديقُه العابدُ : ما أُراكَ إلا بُعث فيك : للقضاء ؛ لأنَّ القاضىَ تُوُفِّىَ بقُرطبةَ ، وهى الآنَ بلا قاضٍ .

فقال له ابنُ بَشِيرٍ : إذ قلتَ هذه المقالةَ ، وتوَهَّمتَ هذه الحالةَ ؛ فاذاً أستَشِيرُكَ فى ذلك ، وأسألُكَ : أنْ تَنْصَحَ لى ، وتُشِيرَ بالصواب عَلَىَّ .

فقال له العابدُ : أسألُكَ عن أشياءَ ثلاثةٍ ، فأصْدِقْنى فيها ؛ ثم أُشيرُ عليك بعد ذلك .

فقال له محمدُ بن بشيرٍ : ما هىَ ؟

قال له : كيفَ حبُّكَ لأكلِ الطَّيِّبِ ، ولِباسِ اللَّيِّنِ ، ورُكوبِ الفارِهِ ؟ .

فقال له : واللهِ ما أُبالِى ما رَدَدْتُ به جَوْعَتِى ، وسَتَرْتُ به عَوْرَتِى ، وحَملْتُ به رِجْلَتِى .

فقال له العابدُ : هذه واحدةٌ . ثم قال له : كيف [حبُّكَ] للتمتع بالوجوهِ[1] الحِسانِ ، وما يشاكل ذلك : من الشَّهوات ؟

فقال له محمدُ بن بَشِيرٍ : هذه حالةٌ واللهِ : ما أستَشرَفَتْ نفسى قطُّ إليها ، ولا خَطَرَتْ ببالى ، ولا اكْتَرَثْتُ لفقدِها .

فقال له العابدُ : هذه ثانيةٌ . فكيف حبُّكَ لمدحِ الناسِ وثنائهم عليك ؛ وكراهتُك للعزلِ وحبُّكَ للولايةِ ؟.

فقال له : واللهِ ما أُبالِى فى الحقِّ : مَن مدحَنى ، أو من ذمَّنى ؛ وما أُسرُّ بالولايةِ ، ولا أستَوْحِشُ للعزلِ .

فقال له العابدُ : فاقبلْ القضاء ؛ فلا بأسَ عليك .

فقدِم قُرطبةَ : فولاَّه الحكمُ (رحمه الله) قضاءَ الجماعةِ والصلاةَ .

قال محمدٌ : فمِن مُستَفيضِ الأخبارِ — : التى لا يُتواطأُ على مثلها . — : أنَّ محمدَ بن بَشِيرٍ : من عُيونِ قُضاةِ الأندلُسِ ، ومن وُجُوه أهلِ القضاء بها . كان : شديدَ الشَّكِيمةِ ؛ ماضِىَ العزيمةِ ، مُؤْثِراً للصدقِ ، صلِيباً فى الحقِّ ؛

(١) فى الأصل : للتمنع الوجوه .

لا هَوَادةَ عنده لأهلِ الحرم[1] ، ولا مُداهنةَ في أحكامِ السلطانِ ؛ ولا يَعْبأُ على جميعِ أهل الخدمةِ ، ولا على من لاذ[2] بالخليفة : من جميع الطبقاتِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : كان أولُ ما أنفَذه محمدُ بن بَشيرٍ —: من أحكامِه .— التسجيلَ على الأميرِ الحكمِ (رحمه الله) في أرْحاء القنطرةِ : إذ قام عنده فيها بعضُ من قام ، فسمع من البيِّنةِ فيها ، ثم أَعْذَرَ إلى الأميرِ (رحمه الله) ، ثم سَجَّل فيها وأَشْهَدَ ؛ ثم ابتاعها الأميرُ الحكمُ بعد ذلك ابْتياعاً صحيحاً .

فكان الأميرُ الحكمُ بعد ذلك ، يقولُ : رحِم اللهُ محمدَ بن بَشيرٍ : فقد أحسن فيما فعَل بنا ؛ كان في أيدينا شيءٌ مُشتَبَهٌ : فصحَّحه لنا ، وصار حلالاً طيباً : فطاب لنا مِلكُه .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : حكمَ محمدُ بن بَشيرٍ عَلَى ابنِ فطيسٍ ، ولم يُعرِّفْه بالشهود ؛ فرَفَع ابنُ فطيس بذلك ، إلى الحكمَ الأميرِ (رحمه الله) ، فأوصى الأميرُ إلى ابن بشير : أنَّ ابن فطيسٍ ذَكَر : أنك حكمتَ عليه بشهادةِ قومٍ ، ولم تُعرفْه بهم ؛ وأنَّ أهلَ العلم يقولون : إن ذلك له .

فكتب إليه ابنُ بَشيرٍ : ليس ابنُ فطيسٍ : ممَّن يُعَرَّفُ بمن شهد عليه ؛ لأنه إن لم يجدْ سبيلا إلى تجريحهم ، طلَب أذاهم في غيرذلك : حتى يجليَهُم من أموالهم .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني محمدُ بن فطيس ؛ قال : حدثنا يَحيَى بن يوسفَ بن يحيى المُعَافِرِيُّ : أنه سمِع عبد الملك بن حبيبٍ — : وذَكرَ محمد بن بشيرٍ . — فقال : كان من خيار المسلمين ؛ وذَكَرعدلَه . قال عبدُ الملك : وكان يُصلى بنا الجُمُعةَ : وعليه قَلَنْسُوَةُ خَزٍّ .

---

(١) هكذا في الأصل : ولعله يريد آل الأمير .

(٢) في الأصل : لاث .

قال محمدٌ : ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : كان محمدُ بن بشيرٍ يقضى فى سقيفةٍ مُعلَّقةٍ بقِبْلِىِّ مسجدِ أبى عثمانَ ؛ وكانتْ دارُه فى الدَّربِ الذى بقبلىِّ ذلك المسجدِ ؛ وكان إذا قعدَ للقضاء ، جلَسَ وحدَه : لا يَجلسُ معه أحدٌ ؛ وخَريطتُه بيْن يدَيْه : يتولَّى أكثر الكِتابِ بيده . فيتقدمُ الخصومُ على كتْبِه : فيَقفُ الخصمانِ على أقدامِهما ، فيُدْليانِ بحجَّتِهما ، ثم يفصلُ بينَهما وينصرفان . وكان يقعُدُ لسماعِ الْخصومةِ من غُدْوة إلى قبلِ الظهر بساعةٍ ؛ ثم يقعدُ بعد صلاة الظهرِ إلى صلاةِ العصر: لا يكونُ نظرُه غيرَ السماع من البَيِّنات ؛ ولايسمع من بَيِّنةٍ : فى غيرذلك الوقت ؛ وكان لايُخاليه أحدٌ فى مجلسِ نظرِه ، ولا فى دارِه ؛ ولا يَقرأُ كتاباً لأحدٍ : فى سببٍ من أسبابِ الْخصومةِ .

قال محمدُ بن وَضَّاح : ولمَّا وَلِىَ القضاءَ محمدُ بن بشيرٍ ، طَبع طوابعَ[1] عشرةً ؛ فلم تَزَلْ فى خَريطتِه إلى أنْ مات . كان إذا أتاه الرجلُ يسئلُ الطابعَ : كتبه[2] فيمن يحبُّه ؛ فإن كان قريباً بقرطبةَ : أعطاه طابعاً ، وأمَرَ الكاتبَ بزَمِّ اسمه ومسكنه ، وفيمن أخذ الطابعَ ؛ ويقولُ: إياك إنْ كنت ظالمًا : أن تَقدمَ على أحدٍ بطابعى ؛ ويعهدَ إليه بصرفِ الطابع بعينه . وإن كان بعيداً : أجَّل له بقدرِ ذلك . فلم تَزَلْ تلك الطوابعُ : تَتردَّدُ على يديه ، حتى تُوُفِّىَ .

وذكر بعضُ الرُّواةِ ، قال : شهِد رجلٌ : من أكابرِ أهل زمانِه؛ معَ رجلٍ كان رفيقاً للقاضى فى حجِّه ؛ وكان الناس يَعُدُّونه أثيراً عنده ، وأميناً لديْه . فقال للمَشهودِ له : زِدْنى بيِّنةً . وشاع ذلك فى الناسِ ، وعلموا : أن الشاهدَ الأولَ قبِله ؛ وأن صديقه ورفيقه هو المردودُ الشهادةِ . فقال له الخصمُ : يُعرِّفُنى القاضى بمَن قَبِل : من شاهِدَىَّ ؛ وبمن لم يَقبلْ ؛ لأُعَدِّلَه ... ؟

(١) فى الأصل : طابع عشرة .

(٢) فى الأصل : كشفه .

فقال له : الذى ، أقبل لا يمنعك من قبوله عندى : وهو فلان : صاحبى ورفيقى .
قال : فلما كلم بذلك القاضى : أتاه رفيقه ذلك فى مجلس النظر ، على عيون الناس .
فقال : أيها القاضى : قد علمت أنى لا أقدر على محالاتك وسؤالك عما أحب أن أسئلك عنه : إلا فى هذا الملإ : وقد رأيت أن أوقف نفسى بين يديك ، هذا الموقف وأسألك عن السبب الذى أوجب ردك لشهادتى : فقد علمت أنه جمعنى بك : المنشأ والحصار ، وطلب العلم ، وطريق الحج : واطلعت : من باطنى على مثل ما اطلعت : من باطنك : فعرفنى السبب الذى أنكرت على : لأعرفه ، وأعترف بخطئى فيه أمام هذا الجماعة . فقال له ابن بشير : صدقت : قد جمعنى بك ما ذكرت ، وعرفتنى كما وصفت : وما أعترت لك من حربة فى دينك : ولكن صدر ذا عن الحج ، ونزلنا بمصر ، وابتدأنا بالسماع من شيوخنا ، وعملنا على المقام بها : فقلت لى : إن الغربة قد أضرت بى ، وإنى أحببت ابتياع جارية : فحسنت ذلك لك ، واستعرضت الرقيق : فقلت لى : إنى وجدت جارية تساوى على وجهها كذا وكذا ، وبيدها صنعة وينقص بها صاحبها من أجل صنعتها ، كذا وكذا : أكثر مما تساويه بغير صنعة : فقلت لك : لا حاجة بك إلى صناعتها ، وإنما تبتاعها لمتعة : فدعها ، وابتع غيرها : فإنها تقوم لك مقامها : فلا معنى للزيادة فيها . فأظهرت منى القبول ، ومضيت فابتعتها ، وزدت فيها على قدرها : فلما رأيت الشهوة قد عمتك : فى ابتياع تلك الجارية ، وإتلافك المال فى المغالاة فيها ـ خشيت : أن تكون مثل تلك الشهوة ، قادتك إلى هذه الشهادة : بمال تجده ، أو ميل تميله : فاحتطت لدينى ، ولم أحد لى فى سعة : من قبول شهادتك .

قال محمد : وشهد عنده رجل من إخوانه ـ : من أهل الخاصة به ، والسكر عنه ـ لكى فى السمع ، وشهدته . فمنع الرجل من كل منه : فتصدى

له : وهو رائحٌ إلى الجامع ماشياً ؛ فقال له : على خاصّتى بك ، ومحبّتى لك ؛ تَرُدُّ شهادتى عندك ؟ ! . فقال له محمدُ بن بشيرٍ : الورعُ يا أبا اليَسعِ ، الورعُ يا أبا اليَسعِ مرّتين ، لم يَزِدْه على ذلك .

قال محمدُ بن أحمدَ الشيبانيُّ الزاهدُ : سمعت محمدَ بن وَضّاحٍ يقول : أخبرنى مَن كان يَرى محمدَ بن بَشيرٍ القاضىَ : داخلاً على باب المسجدِ الجامعِ ، يومَ جُمُعةٍ : وعليه رداءٌ مُعَصْفرٌ ، وفى رجليْه حذاءٌ بَصرٌ ؛ وعليه جُمّةٌ مفرقة ؛ ثم يقومُ : فيخطُبُ ويَقْضِى : وهو فى هذا الزّىِّ ؛ وإذا رام أحدٌ من دِينِه شيئاً : وجَدَه أبعدَ من الثُّريّا .

قال محمدٌ : ومِمَّا يَحْكيه الناسُ ، ويدُورُ على ألسنتِهم ــ عن أخبارِ محمدِ ابن بشيرٍ ــ : أنه أتاه رجلٌ لايَعرفُه ، فلمّا نظَر إلى زىِّ الحداثةِ ــ :من الجُمّةِ المفرقةِ ، والرِّداءِ المُعصفرِ ، وظُهورِ الكُحلِ والسِّوَاكِ ، وأثرِ الحِنَّاءِ فى يديْه ــ : لم يَتَوَسَّمْ، عليه القضاءَ ، فقال لبعضِ مَن يَجلسُ إليه : دُلُّونى على القاضى . فقيل له : ها هو ذا (وأُشيرَ له إلى القاضى) . فقال لهم : إنى رجلٌ غريبٌ ، وأراكم تَستهزِئون بى : إذْ أسألُكم عن القاضى ، وأنتم تَدُلُّونى على زامِرٍ . فزُجِرَ من كلِّ ناحيةٍ ، وقال له ابنُ بَشيرٍ : تَقدمْ فاذكُرْ حاجتَك . فلمّا أيقَنَ الرجلُ : أنه القاضى ؛ تَذَمَّم واعتذَر ؛ ثم ذكَر حاجتَه : فوجد ــ : من العدلِ والإنصاف ــ فَوقَ ظنِّه .

قال محمدٌ : وكان محمدُ بن عيسى : كثيرَ النادرِ ، كثيرَ التَّطْنيبِ ؛ فكان : إذارأى الرجلَ منأصحابِ محمدِ بنبَشيرٍ ، قال له : متى رأيتَ عشر[1] الدلال ؟ ومتى تمضِى إلى عشر[2] الدلال ؟ . فبلغ ذلك محمدَ بن بشيرٍ : من قوله ؛ واستَفاض عندَه : فأحفَظَه ذلك . فلمّا اجتَمع معَه : عطَف عليه محمدُ بن بشيرٍ ، فقال له : أبا عبدِ الله ؛ إن الشرَّ لا يَعجزُ عنه أحدٌ ؛ وكلُّ مَن رضِىَ به : قدَر عليه

(١) و (٢) هكذا : بالاصل

و إن الخيرَ لا ينالُه إلا : أهلُ الصبرِ ، ومَن يقومُ على نفسِه بالرياضةِ المحمودة : فأقصِرْ عما بلغني عنك : فإنه أجملُ بك .

قال محمدٌ : وهـذا المعنى ـ : الذى أتَى به محمدُ بن بَشِير ـ قد قاله مالكُ بن أنسٍ لبعض الشعراء ؛ حدثنى به بعضُ أهلِ العلمِ بمدينةِ تونس ؛ قال : اختصم رجلان إلى عاملِ المدينةِ ، أحدهما شاعرٌ : فرفعهما إلى مالكِ بن أنسٍ : ليَفْصِل بَيْنهما ؛ فتكلَّما عندَ مالكِ بنِ أنسٍ ، وتناظرا : فحكم مالكٌ على الشاعر لصاحبه؛ فقال الشاعرُ ـ : وقد أحفَظَه فُتيا مالكٍ عليـه . ـ : أتظنُّ الأميرَ : لم يكن يَعرفُ هذا القضاءَ الذى قضيت به علىَّ ؟! إنما صَرَّفنا إليك : لتُصلِحَ بيْننا ؛ فلم تفعل ، أمَا واللهِ : لأُقطِّعنَّ ظهرَك هجاءً . ثم خرَج عنه . فأمَر مالكُ بن أنس : أن يصرفَ إليه ؛ فصُرِف ؛ فقال له : ياهذا ؛ تَدرِى ، بأى شىء وصفتَ نفسكَ؟ : بالسَّفهِ ، والدَّناءةِ ؛ وهما : اللذان لايَعْجِزُ عنهما أحدٌ ؛ ولـكن : عليك بمـا تَنْقطِع الرِّقابُ دُونَه ؛ وهو الـكرمُ والمُرُوءةُ .

حدثنى أحمدُ بن محمد بن عبدالملك بنأيْمَنَ ؛ قال : حدثنىأبى ، عنأبيه ؛ قال : كان فيما يُجاورُنا ، شيخان : من أهلِ العدلِ فى ذلك الزمان ؛ وكانا : صديقين لمحمد بن بشير ، متكررين عليه ؛ يَظنُّ بهما خيراً ، ويَحسِبُ عندهما فَضْلا .

كان أحدهما جَدَّ أحمد بن بَشِير المعروف : بابن الأغبس : فتُوُفِّىَ رجلٌ من تجار قُرطبةَ : عظيمُ النعمةِ ؛ فقام مملوكٌ له عنـد القاضى : محمدِ بن بَشِير : يَذكُرُ : أنَّ مولاه المتوفَّى أعتَقه ، وأنه أنـكحَه ابنتَه ، وأَوْصَى إليـه بماله . فدعاه بالبَيِّنةِ على ما ادعاه ؛ فأتاه بالشيخين : فشهِدا عندَه على ما زعَم المملوكُ ؛ فأنفَذَ شهادتَهما ، وقَضَى للمملوك بما قام . ثم لم يَلبَثْ أحد الشاهدين إلا مُدة يسيرةً ، حتى حضَرَته الوفاةُ ؛ فأوْصى إلى القاضى : أنى أُريدُ أنْ أراك ؛ وكان على القاضى حضورُ جنازةٍ بمَقبَرةِ بلاطِ مُغيثٍ ؛ فلمَّا صدر عنها : دخل عليه ؛

فلما بَصُر به الشاهدُ ـ : وهو فى مرضِه وكَربِه : يُعالِجُ الموتَ . ـ : جَثا على رُكبتيْه ، وجعل يَنجَرُّ إليه ؛ فقال له القاضى : ما شأنُك ؟ ما عرض لك ؟ (وظَنَّ به خَبالا من العِلَّةِ التى به) فقال له الرجلُ . أنا فى النار : إن لم تنقِذْنى منها . قال له محمدُ بن بشير . يُجيرك اللهُ من النار إن شاء الله ؛ فما خَبرك ؟ . فقال له الرجلُ : الشهادةُ التى شهِدتُ بها عندَك لفلانٍ المملوكِ : مملوكِ فلانٍ ؛ لم يكنْ شىءٌ منها ؛ فاتَّقِ اللهَ وافسَخْ الحكْمَ ، وانقض ماانعقدَ منه . فلم يَزِدْ محمدُ ابن بشير ، على : أنْ وضَع يديه فى ركبتيه ؛ ثم قام وجعل يقولُ : مضَى الحكم وأنتَ إلى النار ؛ مضى الحكم وأنت إلى النار . وخرَج عنه .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمد بن عبد الأعلَى ، عمَّن حدثه : أنَّ محمد بن بَشيرٍ وَلِىَ القضاءَ بقُرْطُبةَ مرَّتين ؛ وأنه لمَّا عُزِل المرةَ الأولى : انصرف إلى بلده .

قال خالد بن سعدٍ : سمعت أحمدَ بن بَقِىٍّ القاضىَ . يقولُ : كان بعض إخوانِ محمدِ بن سعيدِ بن بشيرٍ : يُعاتبهُ فى صَلابتهِ ، ويقولُ له : أخشى عليك العَزْلَ . فكان يقولُ : ليتَه مَن قد رأى الشَّقراءَ (يعنى : بغلتَه) تَقطَعُ بِى الطريق إلى باجةَ .

فما مضى إلا يسيرٌ : حتى حدثتْ حادثةٌ أظهرَ فيها ابنُ بشيرٍ صلابةً ؛ فكانت سبباً لعزله كما يتمنى ؛ فلم يَلبثْ إلا يسيراً : حتى أتى فيه رَكَّاضٌ من قِبَلِ الأمير (رحمه الله) فرفعَه إلى قرطبة .

فلمَّا كان ببعض الطريق : عدَل إلى صديقٍ له ـ : من أهل الزُّهد . ـ فاجتمع معه ، وقال له : قد أرسل فىَّ الأميرُ : أنه يُريدُ إعادتى إلى القضاء مرةً ثانيةً ؛ فما ترى ؟ .

فقال له صديقُه الزَّاهدُ : إن كنتَ تعلَمُ : أنك تنفذ الحقَّ على القريب والبعيدِ ،

ولا تأخذُك فى الله لَومةُ لائمٍ ـ : فلستُ أرى لك أنْ تَحرِمَ الناسَ خيرَك . وإن كنتَ تخافُ أن تعدلَ ـ : فتَرْكُ الولايةِ أفضلُ لك .

قال محمد بن سعيد بن بشيرٍ : أمَّا الحقُّ : فلستُ أبالِى عَلَى من أدَرْتُه ـ : إذا ظهرَ لى . ـ : من قريبٍ أو بعيدٍ .

فقال له صديقُه الزَّاهدُ : لست أرى لك : أنْ تَمنَعَ الناسَ خيرَك .

فلمَّا قَدِم : أعاده الأميرُ إلى القضاء ؛ فعَدَلَ فى ذلك .

قال خالدُ بن سعدٍ : وأخبرنى بعضُ أهل العلمِ ؛ قال : لمَّا مُنع محمدُ بن بشيرٍ من بعضِ الخاصَّةِ ، وقَصُرَتْ يده عنه ـ : حلَف : بطلاق زوجتِه ، و بصَدقةِ ما يَملِكُ على المساكينِ ؛ إنْ حكمَ بيْن اثنينِ . فعزله الأميرُ الحكَمُ . فلمَّا أراد ردَّه إليها ثانيةً ، اعتذَر إليه بتلك الأيمانِ : رجاءَ أنْ يُعافيَه ؛ فأخْرَج إليه الأميرُ جاريةً من جواريه ، ومالاً : عِوَضاً عن مالِه ؛ فقَبِلَ القضاء ثانيةً .

أخبرنى مَن أثِقُ به ، عن أحمدَ بنِ زِيادٍ ؛ قال : محمدُ بن وَضَّاحٍ : أخبرنى قاسمُ بن هِلالٍ ؛ قال :

دَخَلْنا عَلَى محمد بن بشيرٍ : نُعَدِّلُ عنده رجلاً ؛ فقال : أَحْلِفُوا باللهِ الذى لا إلهَ إلا هو : أنه عَدْلٌ رِضاً ؛ فقالوا : بيمينٍ أصلَحَك الله ؟! . فقال : والله لا كتبْتُها حتى تحلفوا .

قال قاسمُ بن هلالٍ : وكنتُ أحْدَثَ القومِ سِنًّا ؛ فتَسَلَّلْتُ .

قيل لابن وَضاحٍ : فما صنعوا ؟ قال : لا أدرى .

قال محمدٌ : وكان محمدُ بن بشيرٍ : إذا اختلف عليه العلماء ، وأشكَلَ عليه الأمرُ ـ : كتَب إلى مصرَ : إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وإلى عبدِ الله بن وَهْبٍ .

أخبرنى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال : أخبرنى عُبَيْدُ الله بن يحيى ، عن أبيه ؛ قال :

حَمَّلَنى محمدُ بن بشيرٍ : أنْ أسألَ له ابنَ القاسم عن مسائل ؛ وحَمَّل أيضاً ذلك : محمد بن خالد . فلمَّا قدِمتُ مصرَ : سألتُ عنها ابن القاسم ، فأجابنى : فكتبت عنه جوابَه . وقدِم محمدُ بن خالدٍ من المدينةِ ، فسألهُ عن تلك المسائل بأعيانِهـا ، فأجابه فيها ، وكتب عنه . فاجتَمعتُ معَ محمدِ بن خالدٍ : فامتحنْتُ ما أجابه به ابنَ القاسم فى مسائله ، فأصبْتُها : مخالِفةً لِمـا أجابنى به . فأتيتُ ابنَ القاسم ، فأعلَمتُه بذلك ، وقلتُ له : إن قدمنا البلد بأجوبةٍ مخالفةٍ : أدركتْ كلَّ واحدٍ منا التُّهْمَةُ : فى نَقْله عنك ؛ وأوْقعت القاضى فى شبهةٍ وشكٍّ ؛ فاحتاج أن يكاتبَك ثانيةً . فقال : صدقت .

فأرسَلَ فى محمد بن خالد ، فقال له : أجبتُك : وقلبى مشغولٌ ؛ ولـكنْ : رُدَّ الأجوبةَ إلى ما كتَبَ عنِّى يحيى . ففَعَل ، وأتيْنا بأجوبةٍ متفقة .

وكان محمدُ بن بشير : جيد الفطنة ، حَسنَ الإدراكِ . قال لى بعض أهل العلم : كان رُبَّما قَبِلَ الشاهدَ : عَلَى التَّوَسم ، والفِراسةِ ؛ وربَّما كشَفَ فى السرِّ عن البيِّنة .

قال لى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال لى عُبيدُ الله بن يَحيى :

قال يَحيى بن يَحيى لمحمدِ بن بَشيرٍ القاضى : إن الحالاتِ تَتغيرُ ، فإذا عَدَّل عَدْل عندك الرجلَ ، فحـكَمتَ به ، ثم تَطاولَ أمرُه ، وشهِدَ عندك ثانيةً : فـكلِّفْه التَّعديلَ ، وأَعِدْ فيه الـكَشْفَ . فقبل ذلك ابنُ بَشيرٍ ؛ فلمَّا شعَر الناسُ بذلك : أخذوا منه حِذْرَهم .

قال محمدٌ : وكا يَحيَ بنُ يَحيى : من أشدِّ النـاسِ تعظيماً لمحمدِ بن بَشيرٍ ، وأحسنِهم عليه ثناءً : فى حياتِه ، وبعدَ وفاته .

سُئلَ يَحيىَ بنُ يَحيى عن البِاسِ العمائمِ ، فقال : هى لِباسُ الناسِ فى المَشرِقِ ، وعليه كان : أمْرُهم فى القديمِ .

فقيل له : لو لبِسْتَها : لا تَّبعَكَ الناسُ فى لباسِها ! .

فقال : قد لَبِس ابنُ بَشيرٍ الخزَّ : فلم يَتَّبِعْه الناسُ ؛ وكان ابنُ بَشيرٍ أهلا : أنْ يُقتدَى به ؛ فلَعَلِّي لو لبِستُ العِمامَة : لتَركَني الناسُ ، ولم يَتَّبِعُوني : كما تركوا ابنَ بَشيرٍ .

وكان يَحيي بنُ يَحيي : كثيراً ما يَحكِي عن محمدِ بن بَشيرٍ ، عن مالكِ بن أنسٍ .

ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ، عن يَحيَى بن يحيي ؛ قال :

تَظلَّمَ حَمْدُونُ بن فطيسٍ ، من محمدِ بن بَشيرٍ — : في شيء حَكَم به عليه . — إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) ؛ فقال لي : يا أبا محمدٍ ؛ إني سألتُ الأميرَ : أنْ يُجلِسَ لي الفقهاءَ ؛ وقد سألتُه : أنْ يُجلِسَك معَ مَن يُجلِسُ . فقلتُ[1] له : إني لأعْظَمُ : أن أجلِسَ المجلسَ الذي يُتَظلَّمُ فيه مِن مثلِ محمدِ بن بَشيرٍ ؛ فإن كنتُم لا بُدَّ فاعلين : فعلَيْكم بشيخِنا يَحيي بنِ مُضَرَ القيسيِّ ؛ واعلَمْ : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ : على السَّخَطِ ؛ خيرٌ لك منِّي : على الرِّضا .

قال : فاستَحْيا حَمدونُ — وكان : حليما دَمِثا . — وكفَّ عن جَمْعِ الفقهاءِ .

***

ومِمَّا حكاه محمدُ بن بَشيرٍ ، عن مالكٍ — :

قال عبدُ الملكِ بن الحسن : قال محمدُ بن بَشيرٍ : سمِعتُ مالكاً ، يقول : انظرُوا في هذه الكتُبِ ، ولا تَخلِطُوها بغيرها . قال محمدٌ : أرَاهُ يعني : الموطأَ .

قال عبدُ الملكِ بنُ الحسن : قال محمدُ بن بَشيرٍ : سمِعتُ مالكاً ، يقولُ : تكادُ أخبارُ ابنِ عِمرانَ : أن تكونَ سِيَراً .

قال محمدٌ : فلا أدري : أيَّ ابنِ عِمرانَ أرادَ مالكُ بن أنس ؟ : ابنَ عِمرانَ الطَّلحِيَّ قاضيَ المدينةِ ؟ أو مُصعَبَ بنَ عمرانَ قاضي الجماعةِ بقُرطبة ؟ . وأخلِقْ

---

(١) في الأصل : فقال

به : أنْ يكونَ أراد المُصعبَ : لأن محمدَ بن بَشيرٍ : كان كاتباً للمصعب ؛ وكان عالماً بأخباره ؛ ثم جالَسَ مالــكاً من بعدُ : فلَعلَّه : قصَّ عليه من أخبارِه ؛ فأعجَبَه : فقال فيه ما قال .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عمرَ بنِ عبد العزيز :

ذكَرَ محمدُ بن عمرَ بن لُبابَةَ ، ومحمدُ بن عبد الله بن القوت : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ سأل مالــكاً عن لَبَنِ الأُتُنِ ؛ فلم يَرَ به بأساً . قال محمدٌ :قال لى بعضُ رواةِ الأخبارِ : أكثرَ موسى بنُ سَماعَةَ (صاحبُ الخيلِ) علىَ الأميرِ الحــكَمِ (رضى الله عنه) فى محمد بن بَشيرٍ ، وشَــكاَ إليه : انه يَجُورُ عليه .

فقال له الأميرُ : أنا أمتَحِنُ قولَكَ الساعَةَ ؛ أخرُجْ من فَوْرِك هذا ، واقْصِدْ ابنَ بَشيرٍ : فاستأذِنْ عليه ؛ فإنْ أذِنَ لك : عزَلْتُه ؛ وإن لم يأذَنْ لك — دُونَ خَصْمِك — : فليس بجائرٍ ؛ و إنما مَقْصِدُه الحقُّ .

فخَرَج موسى ابنُ سَماعَةَ ، من عندِ الأميرِ ، إلى دارِ ابنِ بَشيرٍ ؛ ثم أمَرَ الأميرُ (رحمه الله) مَن وَثِقَ به — : من الفتْيان . — أنْ يَقْفُوَ أَثَرَه ، ويَعرِفَ ما يكون منه .

فلم يكنْ إلا رَيْثما بَلَغ ، ثم انصرَفَ ؛ فجعل يَحْــكِى للأميرِ ؛ قال : لمَّا خَرَج الإذنُ إلى موسى ، ثم انصرف ، وأُعلِمَ به القاضى — : خرَج إليه ثانيةً ، فقال له : إن كانتْ لكَ حاجةٌ ، فتقصدُ فيها : إذا جلَس القاضى فى مجلسِ القضاءِ .

فقال الأميرُ (رحمه الله) قد أعلمتُه : أن ابنَ بَشيرٍ صاحبُ حقٍّ ، لا هَوَادَةَ عندَه فيه لأحدٍ .

قال محمدٌ : أخبرنى مَن أثِقُ به : من أهل العلم ؛ قال :

كان محمدُ بن وَضَّاحٍ يَحكِى عن الأميرِ الحــكَم (رحمه الله) حكايتين ؛ إحداهما : فى محمدِ بن بَشيرٍ ؛ والثانيةُ : فى ذكرِ شىء : من الحدثان .

فكان محمدُ بن وضَّاحٍ ، يقول عند فراغ الحكايتَيْن : والله لو لم يكنْ للحكَمِ غيرُ هاتَيْن لرَجَوْتُ له الجنةَ .

وأحكى الحكايتين التى فى ابنِ بَشيرٍ : أنه ذُكِرَ عن بعضِ الخاصَّةِ : أن كَرِيمةً من كَرائم الحكَمِ (رحمه الله) ذكرتْ : أن الحكَمَ قام عنها ليلا ، فساء به ظنُّها : عَلَى ما يَتَوَهَّمُ النساء ، ويَسبِقُ إليهن: من وجْهِ الغيرةِ . قالت[1] : فقَفَوْتُ أثَرَه ، فوجَدْتُه فى بعضِ الأماكنِ : يُصلِّى ويَدْعُو قالت : فلمَّا انصرَفَ أعلمتُه : بما ظَنَنتُ ، وبما فعَلتُ ، وبما رأيتُه عليه : من الصلاةِ والدعاء .

قالت / : فقال لى : كنتُ قد قَلَّدتُ محمدَ بن بشيرٍ القضاءَ بيْنَ المسلمين ، فكانتْ نفسى عليه طَيِّبةً ، وقلبى واثقاً ؛ وكنت مستريحاً من أخبارِ الناس وظُلاَماتِهم ؛ لما علِمتُ : من عدلِه ، وثِقَتِه . حتى أُعلِمتُ فى هذه العَشيَّةِ : أنه فى السِّياقِ ، وأن الموتَ قد حضَرَه . فقَلِقتُ لذلك واغتَمَمْتُ ، وقمتُ فى هذه الساعةِ : أدعو اللهَ وأبتَهِلُ إليه : أنْ يُوَفِّقَ لى رجلاً ، يكونُ عِوضاً منه : تَسْكُنُ إليه نفْسى ؛ فأُوَلِّيه القضاءَ قضاءَ المسلمين بعدَه .

---

(١) فى الأصل : قال .

« ذِكْرُ القاضى : سعيدِ بن محمدِ
ابن بشيرِ المُعافِرِىّ[1] »

٢٢ قال محمدٌ : سعيدُ بن محمد بن بشيرِ بن شَرَاحيلَ المعافِرِىّ ، كان : نَبِيلاً فاضلاً ؛ وكان : مُعِيناً لأبيه على العَدلِ ، ومؤيداً له : فى اتِّباعِه الحقّ ؛ وكانتْ بَصِيرتُه من بصيرةِ أبيه : فى جميلِ المذاهبِ ، واستقامةِ الطرائقِ .

قال محمدٌ : ذكرَ خالدُ بن سعد ؛ قال : أخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ :

أن أهلَ « أَسْتِجَة[2] » رفَعُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) : يسئلونه قاضياً يَقضِى بينهم ؛ فأخرجَ الأميرُ (رحمه الله) كتابَهم ، إلى قاضِى الجماعة : محمدِ بن بشيرٍ ؛ وأمرَه : أنْ يتخيَّرَ مَن يَراه .

قال خالدٌ : فأخبرنى أحمدُ بن بَقِىّ ، قال :

لمَّا قرأ محمدُ بن بشيرٍ كتابَ الأميرِ : أقْرَأه ابنَه سعيداً ، ثم قال له : أنت تعرِفُ جميعَ من يختلِفُ إلينا : من الناس ؛ فما ترى : أنْ نُشيرَ به علَى الأميرِ ؟ فقال له : لستُ أعرِفُ ، ولا أتقلَّدُ أحداً من الناس .

فقال له محمدُ بن بشيرٍ : ماترى فى المؤدِّبِ الزاهدِ الذى يَختَلِفُ إلينا من «شقندة» ؟.

فقال : هو أمْثَلُ مَن يَختلِفُ إليك ؛ غيرَ أنى لستُ أُشيرُ به ، ولا أتقلَّدُه .

فقال له أبوه : فأنَا أتقلَّدُه ، وأُشيرُ به . ثم أخذَ كتاباً ، و بدأ يكتُبُ : بخبرِ المؤدِّبِ ؛ إلى الأمير ؛ إلى أنْ قُرِع عليهما البابُ . فقال له أبوه : أخرُجْ واعرِفْ : من هو ؟

فخرَج ، فوجَد قوماً يَسئلون عن القاضى . فقال لهم ابنُه : هو بحالِ شُغلٍ . فبيْناهُ يتكلمُ معهم : إذ أتَى المؤدِّبُ الزاهدُ ؛ فتعرَّضَ للدُّخولِ على القاضى ؛ فقال له ابنُه : هو مَشغولٌ بكتابٍ يخاطِبُ فيه الأميرَ . فقال : لا بُدَّ من رؤيتِه ،

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٢١ .

(٢) انظر : تاج العروس « استاج » .

لأمرٍ : أخشى قوانه ؛ وذلك : أنه ذَكَرَ لى أنه سأله الأميرُ : أنْ يُشيرَ بقاضٍ لأهلِ « أَسْتِجة » ؛ فأحببتُ : أنْ يُشيرَ بى .

فدَخَل سعيدٌ على أبيه : وهو يكتُبُ ؛ فقال له : ارْفَعْ يدَك عن الكتاب ؛ فإن الرجلَ الذى تخاطِبُ فيه : قد هَدَم نفسه . وأعلَمَه الخبرَ . فأسقطَ محمدُ ابن بشيرٍ الكتابةَ فيه ، وأشار بغيره .

قال محمدٌ : وكان السببُ — : الذى من أجْلِه وُلِّىَ القضاءَ سعيدُ بن محمد . — قِصَّةً دارَتْ عليه : فى وَدِيعةٍ كانت فى يدَيْه .

قال خالدُ بن سعدٍ : حدثنى من أثِقُ به — : من أهل العلم . — عن يَحيَى ابن زكريَّاء — وكان : من أثبتِ أصحابِ محمد بن وَضَّاحٍ . — قال : أخبرنى أصْبغُ بن خليلٍ ؛ قال :

كنت جالساً عندَ يحيَى بنِ يحيى ، حتى أتاه سعيدُ بن محمد بن بشيرٍ ، فجلس : فرآه يحيى مغموماً ؛ فقال له : ما دهاك ؟. فقال له : همٌّ طَرأ علىَّ . قال : وما هو ؟ : فما عليك أذُنٌ ، ولا عينٌ .

فقال : إن ربيع القومس أوْدَعَنى مالاً عظيماً ؛ وهـذا الهاتِفُ يَهتِفُ : مَن كان عنده لربيعٍ مالٌ أو وَدِيعةٌ — فلم يظُهِرْه بعد ثلاثٍ — : سفَكْنا دمه ، وأذهَبْنا مالَه .

فاسْتَهْوَلَ يحيىَ الخبرَ واستعظمه ؛ وأكبَّ طويلاً ، ثم قال له ، وما تُريدُ أنْ تَصْنعَ ؟ أرى واللهِ : أن لا تُخفِرَ أمانتَك ؛ للحديثِ الذى أتى : « أنَّ الأمانةَ تُؤَدَّى : إلى البَرِّ والفاجرِ ؛ والرَّحِمَ تُوصَلُ : بَرَّةً كانتْ أو فاجرةً ؛ والعَهدَ يُوفَى للبرِّ والفاجرِ » .

فنُمِىَ الحديثُ ، وفَشَى : حتى انتهى إلى الأميرِ ، فبعَث فيه بعد ثلاث ؛ فخَرَج إليه الإذنُ من عندِ الأميرِ ، فقال له : ما دعاك إلى سَترِ ما أوْدَعك

ربيع : وقد سمعتَ ما هتف عنا الهاتفُ ، وما أظهرَه : من العصبية في ذلك ..؟

فقال للآذن : تعلمُ الأميرَ (أصلحه الله) عنى : أنى إنما سمعتُ ذلك الحديث الذى أتى ـ ثم نَصّ الحديث . حتى انتهى إلى قوله : « والأمانة تُؤدّى إلى البَرّ والفاجر » . ـ ولا أفجَرَ من ربيعة .

فأنهى الفتى ذلك إلى الأميرِ عنه ؛ فأوصى الأميرُ إلى الوزراء : هذا رجل صالح ؛ فوَلُّوه القضاءَ . فكان ذلك سبباً لولايته القضاءَ .

قال محمدٌ : وكان سعيدُ بن محمد بن بَشير : صاحباً ليحيى بن يحيى ؛ وكان يحيى له : على محافظةٍ وإكرام .

أخبرنى عثمانُ بن محمد : قال : أخبرنى أبو مرْوَانَ عُبيدُ الله : قال : قال يحيى ابن يحيى : الحِلْمُ يَزينُ الرجال : جئتُ عبد الملك بن مُغيثٍ : يومَ أربونة فى الغزوِ ؛ ومعَنا سعيدُ بن محمد بن بشيرٍ : فكان : يُرسِلُ إلينا ويستشيرُنا . (قال يحيى) : وكان ربّما يَخُصّنى بالإرسالِ دون سعيدِ بن محمدٍ : فقلتُ لعبد الملك . لا تَفعلْ : فإنّ صاحبى سيَسُوءه ذلك : فقبل منى ، وبعث يوماً إلىّ بصلةٍ : ثمانية دنانيرَ ، وإلى سعيدِ بن محمدٍ مثلها . فقلتُ له : أما أنا فمستغنٍ عنها : ولكن أجمعنا وابعثْ بها إلى صاحبى : فإنه محتاجٌ .

فلمّا غنِم المسلمون وعظمت فى أيديهم : قسَم ما هنالك برأينا ، وبحضرتنا . فقلت له فى بعض ما دارَ بيْنِى وَبيْنَهُ : أُحبُّ أنْ أُكلّمك بشىء يَرِقُّ وجهى عنك فيه . فقال لى . يا أبا محمد كلُّ ما بلغ بك الحِشْمة . فضَعه عن نفسك (قال عبيدُ الله : فكان يحيى يُعجَبُ بهذا الجواب جداً).

قال : فلمّا قفلنا ، قال لى : يا أبا محمد . وددتُ أنى [illegible] أنت وصاحبك . قلتُ له : لماذا ؟ قال : لأنى أسمعكما [illegible] (قال) فقلت له : [illegible]

— والله — تريدُ هوَانَنا ، لا إكرامَنا . (قال) : فقال لى : يا أبا محمدٍ ؛ لا تَظُنَّ ذلك ؛ فوالله : ما كان رَأىُ مَن قَبْلَكَ : أن يُبَالِغَ فى إكرامِهم ؛ حتى يُفعَلَ ذلك بهم . (قال) : فقلتُ له : لاجزاهم اللهُ خيراً : عن أنفسِهم ، ولاعنك ؛ فقد خانُوا اللهَ ورسولَه . قال يحيى : فاحْتَشَم وكَفَّ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : الفَرَجِ بن كِنانَةَ الكِنانِىِّ[1] »

٢٣ قال محمدٌ : هو : الفَرَجُ بن كِنانَةَ بنِ نِزارِ بن عَتْبانَ[2] بنِ مالكٍ الكِنانىُّ ؛ نسبُه : فى كِنانةَ ؛ ومَكْتبُه : فى جُندِ فلسطِينَ . كان مسكنه : بشذونة ؛ وكان : من أهل العلم والتَّقْييدِ ؛ وكانت له رِحلةٌ إلى المشرق ، وسمع فيها من عبدِ الرحمن ابن القاسم ، ومن غيرِه : من أهل العلم .

ولمَّا قَدِم من رِحلتِه : اسْتَخَصَّه الأميرُ الحكَمُ بن هشامٍ (رحمه الله) ، واسْتَقْضاه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : ولم يَزَلْ القضاء متردداً فى ولده بشَذُونَةَ : فى أيامِ الخلفاء (رحمهم الله)؛ إلى أن ولَّى أميرُ المؤمنين (أعزه الله) رجلاً من ولده ـ يُكَنَّى : بأبى العباس . ـ قضاء شَذُونة ؛ وكان قد عُنِىَ بطلب العلم : عند شيوخ الأندلُسِ ؛ مَع محمدِ بن عبد الملكِ بن أيْمَنَ ، وغيرِه : من نُظَرائه .

قال محمدٌ : ذكر خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : حدثنى بعضُ أهل العلمِ ، عن رجلٍ من

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٣ — ٥٤

(٢) ابن غسان . انظر جذوة المقتبس ص ٣٠٩ ، ٧٦٢ .

أهلِ الزُّهد : من آلِ الفرجِ بن كنانةَ ؛ أنه اتُّهِم[1] بالحركة فى الهَيج ؛ فتُسُوِّرَ عليه : ليُقْتَلَ ؛ فصرخ النساء : فسمع الفرجُ الصُّراخَ ، فقال : ماهذا ؟ فقيل له : جارُك فلانٌ أتاه الأعوانُ ، فهجموا عليه : ليُقتَلَ . فخرج الفرجُ إلى باب الدار ، فاجتمع معَ الأعوانِ ، فقال : إنَّ جارى هذا سَلِيمُ الناحية ، وليس فيه : مماتظُنُّون : شىءٌ . فقال له المُرسَلُ معَ الأعوان — وكان رئيسَهم — : ليس هذا من شأنك ، ولا ممَّا عَصَبَ[2] بك ؛ انظُرْ فى أحباسِك وأحكامِك ، ودع مالا يعنيك . فغضِبَ الفرجُ بن كنانةَ عندَ ذلك : فمشى إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) ، واسْتُؤْذِنَ له عليه ؛ فلما دخَل : سلَّم ، ثم قال : أيُّها الأميرُ (أصلحَك الله) . إنَّ قُرَيْشاً حاربتْ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) ، وناصَبَتْه العَدَواة ؛ ثم : إنه صَفح عنهم ، وأحسَنَ إليهم ؛ وأنت أحقُّ الناس بالاقتداء به : لقَرابتِك منه . ثم حَكَى له القِصَّة ، وما عرضه له . فأمرَ بضرْب الناظر فى ذلك السَّببِ ؛ وعفى عن بَقيَّةِ أهل قُرْطبةَ ، وبَسَط الأمان لجماعتهم ، واستالفهم[3] إلى أوطانهم .

قال محمدٌ : ذَكَر محمدُ بن حَفْصٍ ؛ قال : قرأتُ فى كتابٍ بخطِّ أحمدَ بن فرجٍ — فيه نُبذٌ من أخبار الأندلسِ . — : أن الفرجَ بن كنانة غزا : معقودا له علَى جند شَذُونةَ : من العَرب ؛ معَ عبد الكريم بن عبد الواحد ؛ إلى جِلِّيقيَّةَ ؛ وأن عبدَ الكريم قدمه من استرقةَ إلى جمعٍ للنصرانية ؛ ففَضَّهم وقتل فيهم قتلا ذريعاً.

(قال) وقرأت فى هذا الكتاب أن الأمير الحكَمَ (رضى الله عنه) اسْتَقْدَمَ الفرجَ بن كنانةَ ، من شَذُونةَ ، ووَلَّاه القضاءَ بقرطبةَ ؛ وأنه لمَّا أدالَ عبدالرحمن

(١) فى الأصل : فاتهم .
(٢) أى : أحاط بك ، وقرب منك .
(٣) كذا بالأصل . يعنى استقدمهم .

ابنَه من سَرَقُسْطة[1] ، وولاَّها عبدَ الرحمن بن أبى عَبدَة — : استَخفَّ به عُمارَةُ (رجل من العرب) على موالاة له ؛ فوَلّى سرقسطةَ الفرجَ بن كنانة : إذ هو منهم ؛ فلحِق الفرجُ بالثَّغْر ، وكان فيه مدةً . ثم إن عُمارةَ : استمال قوماً : من البرْبرِ ؛ وأدخلهم المدينةَ ، وثاروا على الفرج بن كنانة : فملكوه ؛ ثم تَداعى العربُ ووُجُوهُ البربرِ ، على عمارةَ ومن معه : فقتلوهم وأجْلوْهم عن المدينةِ ؛ فتَقَبَّضُوا على عُمارةَ وابنِه ، وفرَّوا به إلى الفرج بن كنانةَ ؛ وسأله العربُ ووُجوهُ البرْبرِ : مخاطبةَ الأميرِ الحكم (رحمه الله) : بما كان : من قِيامِهم معه ، ونصرتِهم له . فكتَبَ لهم ، وسكَنَتْ حالُهم .

قال محمدٌ : وقرأتُ فى الدِّيوانِ ، جوابَ الحكَمِ (رضى الله عنه) إلى الفرَج ابن كنانةَ : بما يُصَدقُ هذا الحديثَ ؛ ونُسْخَتُه:

« أمّا بعدُ : فقد بلغَنا كتابُك : تذكُرُ الذى زاوَلْتَ : من صلاحِ ما قِبلَك ؛ وشَغلَك عن الكتابِ إلينا : بأمرِ عُمارةَ : وما كان : من أمْرِه ، وأمْرِ مَن خرَج معَه ؛ ونَقضِ الذى اختَلَف عليك : من أمرِ أهلِ المدينةِ ؛ بدُخولِ مَن داخَلَهم : من البَربَرِ ؛ وما كان : من نَفيرِ مَن نفَرَ إليك : من خِيارِهم ووُجوهِهم ، وأهلِ الدَّعةِ والصلاحِ منهم ؛ نُصْرةً لك ، ومَعرفةً بما فى الطاعةِ : من العافيةِ والسعادةِ ؛ ووُثوبِ مَن وَثَب عليك : من شِرارِهم ، وأهلِ السَّفهِ منهم ؛ وحُسنِ مُراجعتِهم بعدَ الذى كان منهم ؛ ومن تَذَمُّمِهم على مافرَط : من فِعلِهم ، وزَلَّ : من رأيِهم ؛ وقد كان — : من اسْتِجماعِ كلِمةِ خِيارِهم ووُجُوهِهم وصالحِيهم ، على نُصرتِك ؛ ومُدافعةِ مَن وَثَب عليك : من سَوَادِهم . — ما عَفا على ما ركب رِعاعُهم ، ومَن شَذ : من سُفهائِهم ؛ ودَعا ذلك إلى العفو عنهم ، والصفحِ عن زَلَلِهم . وإنا كاتبون إلى عامَّتِهم — معَ رُسُلِك إلينا — : بما سألتَه ؛ ونُعجل[2] ذلك إليهم.

---

(١) انظر : معجم البلدان ٨ / ٤٢٣ . (٢) فى نسخة : ومعجل .

[ولقد][1] أصبتَ رأيك فيما جمعتَ : من كلمةِ الفريقَيْن ؛ وأصْلَحتَ : من أمرِهم . وقد عرَفْنا : حُسنَ رأيك ، وصَوابَ سِياستِك ؛ فيما حَمَّلْناك : من أماناتِهم ، وعَصَبْناك : من أمرِهم ؛ ووقَع لك منا : مَوْقِعَ المعرفةِ والسلامُ . » .

وكتب إليه مُدرَجة ، فيها : « قد كان — : من أمرِ عُمارةَ وابنِه ، واسْتِجماعِ مَن قِبلَك : من العرب ؛ على دَفعِهما إليك —ماعرفتْ : ثقةً بك و بنصيحتك ؛ وما بلُو : من طاعتِك . فاحتفِظْ بهما فى ليلِك ونهارِك ؛ واحذَرْ الضَّيْعَةَ فيهما ، والغفلةَ عنهما ؛ إلى قُدومِ المُغيرةِ ذلك الثغرَ ؛ إن شاء اللهُ . »

« واعلمْ : أنك ضامنٌ لهما : إن فاتا من يَدَيْك ؛ فانظُرْ لنفسِك بالاحتفاظِ بهما : أبْلَغَ التَّحَفُّظِ ؛ إن كانتْ لك بما قِبلَنا حاجةٌ ؛ ولا تَلُومَنَّ إلا نفسكَ : إن ضَيَّعتَ ؛ والسلامُ . » .

وكان الفرجُ بن كِنانةَ : قد بعَثَ بكتابٍ به بعض أهلِ الغَناءِ عنه : من العرب ؛ إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) . فأمر لهم : بالكِساتِ والصِّلاتِ ؛ وبعثَ إلى قومه مِثلَ ذلك .

وقرأتُ جوابَ الحكَم (رضى الله عنه) إلى الفَرج : فى أمرِ مَن وَجَّه : من العربِ ؛ وما كان منه إليهم . وهذه نُسختُه :

« أمّا بعدُ : فقد قرأتُ كتابَك بما ذكَرتَ : من حالِ عامّةِ مَن قِبلَك — : من العرب . — : فى طاعتِهم ومُناصَحَتِهم ؛ وخاصّةً : مَن سمّيتَ : من أهلِ البلاءِ منهم . وقد وقَعَ ذلك لهم : مَوقِعَ جزاءٍ ومَعرفةٍ ؛ وصَرَفْنا إليك رُسُلَك : بجواباتِ كتُبِك وكتُبِهم ؛ وأجزْناهم على وِفادَتِهم : بأوْسَعِ الجائزةِ . والسلامُ . » .

وهذه نسخةُ كتابِ الأميرِ الحكَم (رضى الله عنه) إلى حُبَيْشِ بن نوحٍ ، ومَن قبلَه — : من العَربِ . — :

---

(١) بياض : بالأصل .

« أمَّا بعدُ : فقد بلَغنا كِتابُكم : تذكُرون أن الذى كان : من صُنعِ الله لنا فى ذلك الثغر ؛ بما قمتم فيه وحاولتُم : من صلاحِ ما فسَدمنه، وأخطرتُم : من دمائكم وأنفسكم ؛ فى نُصرةِ عاملِكم وعزِّه ؛ ومُجاهدةِ من نزع عنه ، ودافَع أمرَه . حتى أصلَح اللهُ الأمرَ ، وجمعَ الكلمةَ ، وقوَّم الطاعة . وكلُّ الذى كتبتم : تذكُرونه، وتَمنُّون به ؛ قد وقَع منا : بأفضلِ موقعٍ : فى معرفتِه ، وحُسنِ الجزاء به ، وجميل المكافأةِ عليه . وقد ولَّينا المُغيرةَ بن الحَكَم أمرَ ثغرِكم ؛ وعهِدْنا إليه : أنْ يَعرِف حقَّ بلائكم ، وحُسنَ طاعتِكم وغَنائكم ؛ وأنْ يَتَّسعَ لكم : فيما جعلتُه إليه ؛ بما أنتم أهلُه : فى طاعتِكم وصبْرِكم ، ومناصحتِكم ، وفَضلِ ما قدَّمتُم من ذلك . واللهُ المستعانُ ؛ والسلامُ . » .

قال محمدٌ : ولم أجِدْ عندَ رُواةِ الأخبارِ ، للفَرجِ بن كِنانةَ — بعدَ مقدَمِه من الثَّغْرِ — خبَراً .

وقال عبدُ الملكِ بن أيْمَنَ : عَقِبُ الفَرجِ بن كِنانَة — بشَذُونَة — كثيرٌ ؛ وقد أدركْتُ : من ولَدِه ؛ أبا العباسِ : يَطلُبُ العلمَ معنا عندَ شيوخِ بلدِنا ؛ ثم ولاَّه أميرُ المؤمنين (أعزه الله) قضاءَ شَذُونةَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : قَطَنِ بنِ جزْءٍ التَّميمىِّ . »

٢٤ قال محمدٌ : هو : قَطَنُ بن جزْءِ بن اللجلاج ، بن سَعْد بن سَعيد بن محمَّدَ بن عُطَارِد بن حَاجب بن زُرَارةَ التَّميمىُّ ؛ وكان : من أهلِ جَيَّان[1] ؛ وولاَّه الأميرُ الحَكَمُ بن هشامٍ (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبَةَ .

---

(١) انظر : الروض المعطار ص ٧٠ – ٧٢

ولم أجِدْ له — عندَ رُواةِ الأخبارِ — خبراً : أُقَيِّدُه عنه .

ثم تَلاَه في القضاءِ بِشْرُ بن قَطَنٍ

* * *

« ذِكْرُ القاضي : عُبيْدِالله بنِ موسى الغافِقِيِّ . »

٢٥ قال محمدٌ : هو : عُبَيْدُ اللهِ بنُ موسى بنِ إبراهيمَ بنِ مُسْلِمِ بن عَبْد الله بن مُسلِم ابن عَبْد الله بن خالِد بن يَزيدَ بن عَمَّار بن عُبَيْدٍ الغافِقِيُّ .

كان أصلُه : من عربِ الشامِ ، ثم من جندِ فِلسْطِينَ ؛ سكَن ناحيةَالجَزيرةِ ، وسكَن ولَدُه إشْبِيلية .

و بنو موسى الوزير يَتَوَلَّوْن عُبَيْدَ اللهِ هذا:القاضيَ المَنسُوبَ ؛ ولاَّه الحَكَمُ (رضي الله عنه) قضاءَ الجماعة بقُرطُبَةَ .

ولم تحفَظْ الرُّواةُ له خبراً : يُوضَعُ بهذا الكتاب ؛ عنه .

ثم تَلاَه محمدُ بن تَلِيد بن حامد بن محمدٍ الرُّعَيْنِيَّ .

* * *

« ذِكْرُ القاضي : حامدِ بن محمدٍ الرُّعَيْنِيِّ . »

٢٦ قال محمدٌ : هو : حامدُ بن محمد بن سعيد بن إسماعيلَ بنِ حامد بن عبد اللطيف الرُّعَيْنِيُّ .

كان : من أهل شَذُونةَ ؛ ولاَّه الأميرُ الحَكَمُ (رضي الله عنه) قضاءَ الجماعة بقُرْطُبَةَ .

ولم يحفَظ أهلُ العِلمِ له ، شيئاً : يحكُونه عنه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مَسْرُورِ بنِ محمدِ بنِ بَشِيرٍ المَعَافِرِىُّ . »

٢٧ قال محمدٌ : هو : مَسْرُورُ بن محمد بن سعيد بن بَشِيرِ بن شَرَاحِيلَ المَعَافِرِىُّ ؛ وقد تَقدَّم ـ فى صدْرِ هذا الكتابِ ـ ذِكْرُ أبيه : محمد بن بَشيرٍ[1].

قال محمدٌ : ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكم (رحمهما الله) قضاء الجماعةِ بقُرْطُبَة ؛ وكان من الصالحين الفاضِلين .

حدثنى مَنْ وثقتُ به : من أهلِ العلمِ ؛ قال : حدثنى محمدُ بن أحمدَ بنِ عبد الملك (المعروفُ : بابنِ الزَّرَّادِ) ؛ قال :

كان عندَنا بقُرطُبَة ، قاضٍ يُعرَفُ : بمَسرورٍ ؛ وكان : من الزُّهَّادِ . أسْتأْذَن مَن حضَرَه ـ : من الخُصوم . ـ يوماً : فى أن يقوم لحاجةٍ يَقضِيها : من حوائجِ نفسِهِ . فأذِنُوا له : فقام عنهم ، ثم خرَج عليهم : وفى يده خُبزةُ عَجينٍ ، وهو يسِيرُ بها إلى الفُرنِ ؛ فقال له بعضُ مَن حضَر : أنا أكْفِيكَ (أيُّها القاضى) حَمْلَهَا . فقال له : وإذا عُزِلتُ عن القضاء : أيْنَ أجِدُك ؛ كلَّ يومٍ تَكْفِينى حَمْلها ؟! بل الذى حَمَلَها قبلَ القضاءِ ، هو : يَحْمِلُها اليومَ .

ثم تَلاَه فى القضاء : سعيدُ بن محمد بن بَشيرٍ ؛ مَرَّةً ثانيةً .

* * *

(١) انظر : ص ٤٧

« ذِكْرُ القاضى : يحيَى بنِ مَعْمَرٍ الإلْهانىِّ . »

٢٨ قال محمدٌ : هو : يحيَى بنُ مَعْمَرِ[١] بنِ عِمْرانَ بنِ مُنيرِ بن عُبَيْدِ بن أُنَيْفٍ الأطلوسىُّ الإلْهانىُّ ؛ من العربِ الشّاميِّين؛ وكان: من أهلِ إشْبيلِيةَ ؛ ومنزِلتُه[٢] بها تُسَمَّى « مغرانة» : (حارةٌ : مِن طَرَفِ الحاضِرةِ ؛ عليها مَمَرُّ السَّابِلةِ) . وكان فى وقتِه : فقيه إشبيلِيةَ وفَرَضِيَّها ؛ وكانت له رحلةٌ : لَقِيَ فيها أشْهَبَ ابنَ عبد العزيز ، وسَمِعَ منه ومن غيرِه : من أهلِ العِلمِ . وكان فى مَذهَبِه : ورِعاً زاهداً ، فاضلاً ، مقبلاً على إقامة ضَيْعتِه ، و إصلاحِ شأنِه .

قال لى محمدُ بن عُمَربن عبد العزيز : لَهِجَ الناسُ بإشْبيلِيةَ : أن يَحيى بن مَعْمَرٍ يُستَقْضى بقُرطبَة ؛ (قال لى) : فحكَى رجلٌ : من أهلِ إشبيلِيةَ (يُعرَفُ بمُرَّةَ بنِ دَيْسَمٍ)؛ قال: كنتُ مع يحيي جالساً فى قَريته —فى بعضِ الأبْنِيَةِ—: حتى نَظَرْتُ إلى فارسٍ يَركُضُ : وهو مُعــِدٍ فى السيرِ ، مُستقيمٌ على المَحجَّةِ العُظْمَى . (قال) : فأتْبَعتُه بَصرى ؛ فلمَّا بلَغ إلى الطريقِ : الذى يعطَفُ فيه إلى مَنزِلِ يحيي بن مَعْمَرٍ ؛ وقَفَ : وقوفَ الجاهل بالمكان ، المُستَدِلِّ . (قال) : وظننْتُ : أنه رسول الخليفةِ — من قُرطُبَة — : فى يحيي بن معمر ؛ ليُوَلِّيَه القضاءَ : (قال) : فعطفْتُ على يحيي ، فقلت : أبا زكرياء ؛ لَهِجَ الناس من أمرِك ؛ بشىءٍ ؛ وأُحِبُّ : أن أعرِفَ الحقيقةَ مما تَعتَقِدُه ؛ فقد أزِفَ الأمرُ : تَقبَلُ القضاء ؟ أولاتقبل ؟ قال : أقبَلُ . (قال): فقلتُ له إذا كنتَ قاضىَ الجماعةِ بقرطبة : ما يكونُ حظُّ صَديقِك ومُحِبِّك من ذلك؟. قال: حظٌّ وافِرٌ إن شاء الله .

(قال) : فقلتُ له : هذا رسولٌ مُقْبِلٌ فيك من قرطبة ؛ (قال) : فما انقضَى الكلامُ : حتى وقَفَ بنا الرَّكَّاضُ المُرسَلُ : فى يحيي بنِ مَعْمَرٍ .

(قال) : فلمَّا صار يحيي إلى قضاءِ الجَماعةِ بقُرطُبَة : قصدتُ إليه من إشْبيلِيةَ ،

---

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص : ٤٤ ــ ٢٥ . وجذوة المقتبس ص : ٣٥٦ر٩٠٤

(٢) بالأصل : ومنزله وهو تحريف و إن كان المعنى واحدا .

فنزَلْتُ عليه ؛ فحيَّ وأكْرَمَ وأنزَلَ . فلمَّا صِرْنا إلى العَشَاء ، قدّم : من الإدامِ ؛ شيئاً مختصراً . فقلتُ له : وما هذا ؟ وأين نَعيمُ قُرطُبةَ ، وما فيها : من ضُرُوبِ الخيرات ؛ وأنتَ قاضي الجماعةِ ؟ . ثم قلتُ : أخشَى (واللهِ) : أن أندَمَ على رِحْلَتي إليْكَ . قال : لا ؛ إن شاء الله .

(قال) : فلمَّا أصبَحَ يحيى بن مَعْمرٍ ، وضَعَ يدَه — : وأنا لاأشْعُرُ . — فكَتَب إلى الأميرِ عبدِ الرحمن بن الحَكَم (رضى الله عنهما) : يَحكِى له القِصَّةَ على وَجهِها ؛ وكيفَ كانتْ العِدَةُ من يحيى ؛ وأنَّ مُرَّةَ بن دَيْسَمٍ : قدِم عليه : مُسْتَنْجِزاً ؛ ثم سأله : أنْ يَعقِدَ له على قومه سنةً كاملةً ، وأن يُحَمِّلَهُ ويَكْسُوَه .

قال مُرَّةُ بن دَيْسَمٍ : فما شعَرْتُ — : وأنا قد اُسْتَشْعَرْتُ اليأسَ من خيرِ القاضى : لِما رأيتُ : من زُهدِه ، ومأخَذِه فى نفسِه . — : حتى أتَتْ العُقْدَةُ إلى يحيى ، من عندِ الأميرِ ، معَ صِلةِ مِائتَىْ دينارٍ وبَغْل حُمْلانٍ ، وثيابِ كُسْوةٍ ؛ وكتابٍ معَها من الأميرِ ، يقولُ فيه : قد أنجزْنا عنك : عِدَتَك لمُرَّةَ ابنِ دَيْسَمٍ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن خالدٍ ، وعثمانُ بن عبد الرحمن بن عبدالحميد ابن أبى زيد قالا[1] — وأحدهما يزيد على صاحبه — : أخبرنا محمدُ بن وضاح ؛ قال :

صلَّيتُ صلاةَ الكُسوفِ معَ ابنِ مَعْمَرٍ ، فى الجامعِ بقرطُبةَ : سنةَ ثمانَ عشرةَ ومِائتَيْن ؛ فصلَّى وأحسنَ الصلاةَ — ولم يُقِمْ الصلاةَ — وطوَّل فى

(١) فى الأصل : قال أخبرنا محمد بن وضاح وأحدهما يزيد على صاحبه .

صلاته : بدأ بالصلاة ضحًى ، وقوّم فى القابلة : وقد تجلّت الشمسُ ؛ وكنّا فى زمن الصّيف .

قال أحمدُ بن خالدٍ ، وعثمانُ بن عبد الرحمن : أخبرنا محمدُ بن وضّاح ؛ قال : صلّيتُ الجمعةَ — فى ولاية ابْن مَعْمَرٍ — : أربعَ ركعاتٍ ؛ وابن أبى عيسى حاضرٌ ، وسعيدُ بن حسّان ، وعبدُ الملك بن زونان ، وحارثُ بن أبى سعدٍ ، وعبدُ الملك بن حبيبٍ . وصلّاها أكثرُ الناس — فى صَحْنِ المسجدِ ركعتيْنِ .

قال محمدٌ : وكان يَحيَى بن مَعمَرٍ : إذا أشْكلَ عليه الأمرُ ، واختلفَ عليه الفقهاء : كتبَ إلى مصرَ : إلى أصْبَغِ بن الفَرَج وغيرِه ، وكَشَّفَهم : عن وَجْهِ ما يُريدُ علمَه .

وقد قرأتُ رسائلَ حِسَانًا : ممّا كتب بها أصبَغُ بن الفرج ، إلى يَحيَى بنِ معمرٍ (قاضى الجماعةِ بقرطبة): أجوبةً فى مسائلَ سأله عنها — :من أخبار القضاء . — طويلةً مَديدةً ؛ همَمْتُ : [باستنسَاخِها [1]] واجْتِلابِها [2] ؛ ثم رأيتُ : أن لا أُخْرِجَ الكتابَ عن حَدِّه ، ولا أصرفَه عن وَجْهِه .

قال محمدٌ : ذكَر خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : سَمِعتُ غيرَ واحدٍ — : من مشايخِ أهلِ العلمِ . — يقولُ :

كان بيْنَ يَحيي بنِ مَعمَرٍ ، و بينَ يَحيَ بن يَحيَ — عداوةٌ فسعَى يحيى بنُ يحيى فى عزْلِ يَحيي بن مَعمرٍ القاضى ، عندَ الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) ؛ وأقامَ عليه البيِّناتِ : من أهل العلمِ والعدلِ ؛ فشهدوا عَلَى يَحيى بن مَعمر — عندَ الوزراء — : بأحوالٍ قبيحةٍ نسبت إليه .

(١) بياض : بالأصل .
(٢) أى : ليلحقها بالكتاب .

فرَفَعَ يَحيى بنُ مَعمرٍ إلى الأميرِ : عداوَةَ يَحيى ، وأنه هو ضَمَّ الفقهاءَ والعُدُولَ إلى الشهادةِ : فطاعُوا له بها .

فأخرَجَ الأميرُ عبدُ الرحمن ، عهداً إلى الوزراء ، يأمرُهم : بأنْ يرسِلوا فى وُجوهِ التُّجارِ ، فيسألوهم : عن يَحيى بنِ مَعمرٍ .

فأرسل الوزراء : فى غيرِ واحدٍ ؛ فكان قولُ التجارِ : مِنْ شاكِلَةِ الشهاداتِ المتقدِّمةِ ؛ وذلك : لمطالبةِ مَنْ كان يُطالبُه — : منَ الفقهاءِ . — حينئذٍ . فعزَلَه الأميرُ عبدُ الرحمن : عندَ ذلك .

قال محمدٌ : كان يَحيى بنُ مَعمرٍ — فيما شهرَتْ به أخبارُه ، وحَكَتْه آثارُ فِعلِه — : قايلَ المدارثِ[1] لفقهاءِ قُرطُبة ؛ لا يَلينُ لهم فيما يُريدون ، ولا يصغى إليهم فيما يُحبُّون . فنفَروا بأجمعهم عنه ، وصاروا كلُّهم إلْباً عليه .

وبلَغ من تَحامُلِ يَحيى بنِ مَعْمَرٍ عليهم : أنْ سجَّل بالسَّخطةِ على سبعةَ عشرَ رجلاً منهم ؛ فرمَوْه كلُّهم عن قَوْسٍ واحدةٍ ، وقالوا فيه بأجمعهم قَوْلَ سَوْءٍ .

حدثنى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال : حدثنى أبو مَروانَ عُبيدُ الله بنُ يَحيى ؛ قال :

قال يَحيى بنُ يحيى : لمَّا قام الناسُ على يَحيى بنِ مَعمرٍ قاضى الجماعةِ بقُرْطُبة — أتانى سعيدُ بن حسانٍ ، فقال لى : ما ترى فى الشهادة عليه ؟ . (قال يحيى) : فقلتُ له : لا تفعل ، وانظرْ أنْ تكونَ مشاوُراً فيه ؛ فيكونَ رأيُك فيه أنفذَ — حينئذٍ — مِنْ شهادتك .

(قال) : فغَلَبَتْه شهوتُه فيه إلى أنْ ذهبَ فشهِدَ عليه ؛ ثم أتانى فقال : قَدْ شهدت عليْه .

(١) كذا بالأصل .

(قال يحيى) : فلم ألبَثْ أنْ أتانى كتابُ الأميرِ عبدالرحمن بن الحكم (رحمه الله) ، يقولُ فيه : « قد تَصَفَّحتُ الشهاداتِ عَلَى القاضِي يَحيى بنِ مَعْمَرٍ ، فلم أرَ لك فيها شهادةً ؛ وقد وَجَّهتُ إليكَ الشَّهاداتِ عليه ؛ فتَصَفَّحْها ، واكتُبْ برأيك فيها » .

(قال يَحيى) : فكتبتُ إلى الأميرِ : ما عندى مِن أخبار القاضى علمٌ ؛ لأنه لم يكنْ يُحضِرُنى مَجْلِسَه ، ولا يشاوِرُنى فى أحكامه . وأمَّا الشَّهاداتُ الواقعةُ عليه : فقد تَصَفَّحتُها ؛ ولو وَقَعَ مِثلها على مالكٍ واللَّيثِ : مارَفَعا بعدها رأساً .

(قال يَحيى) : فأمسَى ابنُ مَعمَرٍ : مَعزُولاً عن القضاء .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن عبد الملكِ ؛ قال : أخبرنى عثمانُ بن سعيدٍ : (الرجلُ الصالحُ الفاضلُ) ؛ قال :

لمَّا عُزل يَحيى بنُ مَعمَرٍ ، عن القضاء بقُرطُبةَ — : بَعثَ إليه أحدُ الوزراء — وكان من أخَصِّ إخوانِه به — ابناً لَه : بزَوَامِلَ وأعوانٍ ؛ وقال لابنِه : تَذهبُ إلى القاضى (رحمه الله) ، وتسألُه : أنْ يَحملَ على هــذه الزوامِلِ ثِقْلَتَه ، وما احتاج إليه .

فلمَّا أتاه ابنُ الوزيرِ برسالة أبيه ، وأحضَره الزَّوَامِلَ - قال له القاضى : أُدْخُلْ حتى تَرَى ما عندنا : من الثِّقْلَةِ .

فدخَل : فإذا بيتِ القاضى لَيْس فيه إلاَّ حصيرٌ ، وخابِيَةٌ بدقيق ، وصَفحةٌ ، وقُلَّةٌ للماء ، وقَدحٌ ، وسريرٌ : كان يرقُدُ عليه .

فقال له ابنُ الوزيرِ : وأين الثِّقلةُ ؟ فقال : هذه ثِقْلَتِي أجْمَع . ثمَّ قال لِلْغُلَام : فرِّقْ الدَّقيقَ عَلَى مَن بالباب من الضُّعفاء ؛ وامضِ فى بعض القَومةِ : يُقصُوا هذا الْحصيرَ والأوانِيَ . ثم خرج ، وقال : جَزَى الله الوزيرَ أباكَ خيراً ؛ تقرئُه سلامى ثم تَوجَّه إلى إشْبيلية

قال محمدٌ : ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : فُوجِئَ ابنُ مَعمَرٍ بالصلاة — فى بعضِ الأعيادِ — فأتَى المُصلَّى : وقد أخَذ أشرافُ الناسِ وخَدَمَةُ السلطانِ ، مواضِعَهم بقُربِ سترةِ الإمامِ . فلمَّا نظَرَ يَحيى إلى ذلك : أمَر الخدمةَ بتقديمِ السُّترةِ ؛ فبادرَ سَوَادُ الناسِ حتى قَرُبوا من الإمام ؛ وصار مَن كان متقدِّماً : خلفَهم مُتأخِّراً ؛ ثم قام فَخطَبَهم .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : الأسْوَارِ بنِ عُقْبَةَ النَّصْرِىِّ . »

٢٩ قال محمدٌ : هو : أبو عُقْبَةَ الأسْوَارُ بن عُقبةَ بن حَسَّانِ بن عبد الله النَّصْرِىُّ ؛ كان : من أهل جَيَّان ؛ ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن (رضى الله عنه) ، قضاءَ الجماعةِ بقُرْطُبَةَ ؛ فكان : من أهلِ التَّحَرِّى والخيرِ ، والتَّواضُعِ وحُسن السِّيرةِ . كان : يَحمِلُ خُبزَه إلى الفرنِ بنفسه ، ويتصرَّفُ فى مِهْنةِ أهله .

ولمَّا عزَله الأمير (رحمه الله) : رأى بعد ذلك صَرْفَه إلى القضاء ؛ فأبَى . فكُلِّمَ : فى ذلك ؛ فقال : لى عيوبٌ كثيرةٌ : كِبَرَ ولَدِى ، وضَعُفَ بدَنِى . — وكان له ولدٌ يُسمَّى : حُسيناً . — فقيل لَهُ : أوَ تَجعَلُ كِبَرَ ولَدِك ، عَيباً من عيوبِك؟ ! قال : مِن أشَدِّ العيُوبِ .

قال أحمدُ بن محمد بن أَيْمَنَ : رأيتُ للأسوارِ بنِ عقبةَ ، حُكماً [خاصًّا[1]] به فى حُدودِ مَقبرةِ الرَّبضِ ، ومُنتَهَى أقطارِها . وشهِدتُ أحمدَ بنَ بَقِىٍّ — وهو عَلَى القضاءِ يومئذٍ — : قد ركِبَ إلى الموضعِ معَ الفقهاءِ — وذلك الْحُكمُ معه — : حتى امْتَحَنَ الْحُدودَ ، واحْتَمَل عَلَى ما وجَد فى الحكم .

---

(١) بالأصل : حكماً به .

قال محمدٌ : أخبرنى أصْبَغُ بن عيسى الشَّقَّاقُ؛ قال : سمعتُ أحمدَ بن بَقِيٍّ، يقولُ : دخَل محمدُ بن عيسى الأعْشَى يوماً ، على الأسْوارِ بن عُقبةَ ، فقال له : كيفَ أصْبَحت أبا عُقبةَ ؟ . فأطْرَق أبو عُقبةَ القاضى : عن إجابته ؛ ثم شهِد عندَه الأعْشَى — فى ذلك المقامِ — بشهادة ؛ فقال له القاضى : أنتَ رجلٌ يُكثِرُ الهزْلَ ؛ ولستُ أدرِى : إن كانتْ شَهادتُك هٰذِه : من جِدِّك ، أو هَزْلِك .؟. فوَقَذه بهذا الكلامِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : يَحيى بن معْمرٍ ؛ ثانيةً[1] . »

قال محمدٌ : قال لى محمد بن عُمَر بن عبد العزيز :

٣٠ كان السَّببُ — : الذى من أجْله صُرِفَ يَحيى بن معمَرٍ ، إلى القضاء ثانيةً . — أنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن بن الحكم (رضى الله عنهما) ، خَرَج فى زمان الخَريفِ ، على ما كانت الخلفاء تَلتزِمُهُ من التَّروُّحِ إلى إشْبيلية وساحلِ البحر ؛ فنظَرَ بعضُ خَواصِّ الأمير ، إلى يَحيى بن معمرٍ : وهو فى جنانٍ له : يستقى الماء بخَطَّارةٍ ويسقى بَقْل الجِنانِ ؛ فلمَّا رأى ذلك : دخل ذٰلكَ الرجلُ — : النَّاظرُ إلى يَحيى ابن معمرٍ ، فى تلك الحالِ . — على الأمير ، وأعلَمَه بما رَأى من يَحيى بن معمرٍ . فقال الأمير عندَ ذلك : واللهِ ؛ ما أشُكُّ فى فضْلِ الرجل وورَعه ؛ وإنى لأَظُنُّ الرَّافِعين عليه : متَمَالئين بالباطل . وأمر من ساعتـه تلك : بتَوْجيهه إلى قرطبة قاضياً .

فلمَّا قدِم يحيى بن معمر إلى قرطبةَ قاضياً ، أقسَمَ : أن لا يستفتى يَحيى بن يحيى ، ولا سعيد بن حَسَّانٍ ، ولا زُونانٍ[2] .

---

(١) انظر : ص ٦٩ . (٢) ابن زونان . انظر تاريخ قضاة الأندلس ٦٠ .

فَبَقِيتْ الأحكامُ مُعلَّقةً إلى مَقدَم الأميرِ عبد الرحمن (رحمه الله) من وِجهتِه ؛ و بلَغَ الخبرُ إليه ، فأوْصَى إليه : بإنـكارِ ذلك .

فقال يَحيى : قد أقسمتُ على ذلك ؛ و بإلْبيرةَ رجلٌ ـ : من أهل العلِم والتَّقدُّم ـ يُستَغْنَى به عنهم . يعني عبدَالملِك بنَ حَبيبٍ .

فأُمِر : باسْتِقْدامِه ؛ فـكان : المنفرِدَ بفتْياهُ .

وحَكَى محمدُ بن عبدالملِك بن أَيْمَنَ ، عن عمِّه ـ : وكان خاصًّا بابنِ معمَرٍ . ـ قال: كنتُ عندَ ابنِ معمَرٍ القاضى يوماً ، فى بَيتِه ــ : فى دَوْلَتِه الثَّانيةِ . ــ فاسْتأذَنَ عليه عبدُ الملك : فأذِن له ؛ فلَّما أخَذ مَجلِسَه ، قال . قضيَّةُ فلانٍ أحَبُّ إلىَّ : أنْ يُنفَّذَ الحـكمُ فيها بما أشَرْتُ عليك : فإنه الحقُّ إن شاء الله . ــ : وكان ابنُ مَعمَرٍ يُريدُ : أنْ يحـكُمَ فى ذلك بقولِ ابنِ القاسمِ ؛ وكان عبدُ الملِك يُريدُ : أنْ يُحـكَمَ فيها بقول أشْهَبَ . ــ فقال له يَحيىَ بنُ مَعمَرٍ : لا واللهِ ؛ لا أفعلُ ، ولا أخالِفُ ما وجَدتُ عليه أهلَ البلَدِ ؛ و إنَّما وجَدتُهم : يَحتمِلون عَلَى قولِ ابنِ القاسمِ ؛ وتُرِيدُ أنتَ : أنْ تَصْرِفَنى إلى قولِ أشْهَبَ ثم ضرَبَ له مَثلاً يقولُه العامَّةُ : « سنة عفص ، وسنة بلوط » .

قال : فما زال التَّراجُعُ بيْنَهما : بالـكلام ؛ حتى قام ابنُ حَبيبٍ عنه مُغْضَباً .

قال محمدُ بن أَيْمَنَ : قال لى عمِّى : فَعذلْتُه ، وقلت له : هذا الرجلُ أثْبَتَّهُ عَلَى أعدائك ، كأنى أراه : قَدْ صارَ فى عَدَدِهِم ؛ ثم يَعزِلونك ثانيةً .

فقال لى : بالعزلِ تُخَوِّفُنى ؟ ! واللهِ : ليْتَ بَغلَتِي قـد عُجِرَتْ بى فى سَهْلة المدورِ : مُنْصَرِفاً إلى إشْبيلية .

فـكان يقولُ : فما أنْسَى قوله : قد عُجِرَتْ بى .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن عبد الملِك ؛ قال : أخبرنى عُثمانُ بن سعيدٍ الزاهدُ ؛ قال :

لمّا أحتُضِرَ يحيَ بنُ معمرٍ بإشبيلية ، وأيقنَ بالموتِ — : قال لمولًى له كان قد صحبه — : من أهل الخير . — : حَرجتُ عليك باللهِ العظيم : ألا إذا متُّ فاذهبْ إلى قرطبة ، ثم قِفْ بيحيي بن يحيي وقل له : يقولُ لك يحيي بنُ معمرٍ : (وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ٢٦ — ٢٢٧) .

قال : فلمّا ماتَ يحيَ بنُ معمرٍ ، أتَى مولاه إلى يحيَ ، فبلّغه ذلك . (قال) : فبكى يحيَ حتى أخضَلَّ لحيته ؛ ثم قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ ؛ ما أظُن الرجلَ إلا : خُدِعْنا فيه ووشِيَ بيننا وبينه . ثم ترحّم عليه ، واستغفرَ له .

قال محمدٌ : وهذه الحكايةُ — التي حكاها عثمان بن سعيدٍ — تدُلُّ : عَلَى أن يحيَ بنَ معمرٍ عُزل مرةً ثانيةً ، ولم يَمُتْ قاضياً وله حكايةٌ ثانيةٌ —لم نسندها— تدُلُّ على أن يحيي بن معمرٍ مات قاضياً ؛ سنذكرُها : فى افتتاحِ أخبارِ القاضى إبراهيمَ بنِ العبّاسِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : إبراهيمَ بنِ العبّاسِ القُرَشِيِّ [(١)] . »

٣١ قال محمدٌ : إبراهيمُ بن العبّاس بن عيسى بن الوَليد بن عبدالملك بن مَرْوانَ رحمه الله.

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : لمّا تُوُفِّيَ يحيي بنُ معمرٍ القاضى : بَقِيَ الناسُ بلا قاضٍ نحوَ ستةِ أشهرٍ ؛ فجعَل الناسُ يتصدّوْنَ للوزراء — إذا ركبُوا — : يسئلونهم أنْ يَنهُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) ذلك ؛ ففُعِلَ . ففرَض الأميرُ (رحمه الله) حينئذٍ ، القضاء عَلَى يحيي بنِ يحيي ؛ فأبَى من قبوله .

وقد ذكَرت الرِّواياتِ فى ذلك ، وشَرحتُ خبرَ يحيي شَرحاً حَسناً ، فى صَدر

---

(١) فى تاريخ قضاة الاندلس : القرشى . انظر : ص ١٥

الكتاب : في باب مَنْ عُرِض عليه القضاء — : من علماء قُرْطُبَة . — فأبى من قَبوله[1] .

قال محمدٌ : كان إبراهيمُ بن العبَّاس : محموداً في قضائه ، عادِلاً في حُكمِه ، متواضعاً في أمورِه ؛ غيرَ مُتصنّعٍ ولا مُتهيِّبٍ .

أخبرنى فرجُ بن سَلَمةَ بنِ زُهيْرٍ البلوىُّ ؛ قال : قال محمد بن عُمرَ بنِ لُبابةَ :

كان إبراهيم بن العبَّاس : رُبَّما جلَس يَقضِي في بيتِه ، بينَ الناس : وخادِمه تَنْسِج في ناحِيةِ البيتِ .

أخبرنى مَنْ أثِقُ به — : من أصحابنا . — عن أحمدَ بنِ زِيَادٍ ، عن محمدِ ابن وَضَّاحٍ ؛ قال :

لمَّا أبَى يَحيى بنُ يَحيى من قبول القضاء ، أشار بإبراهيمَ بنِ العبَّاس : أنْ يُستقْضَى ، وأنْ يكونَ كاتبَه زونانُ . فقبلَ منه الأمير رأيَه : في ذلك ؛ ووَلَّى إبراهيمَ ابن العباس القضاءَ .

فشَهِد عنده يوماً يحيى بن يحيى : في الماء الذي كان « بفرن بريل »[2] : الذي قام فيه بنو العباس وابنِ عيسى فلما خرج : تَنَاوَلَه بعضُ الخُصومِ ؛ فانصَرَف يَحيى إلى القاضي ، فقال : إن هذا تَنَاوَلَنِي ؛ فأدِّبْه . فقال : وما أدَبُه ؟ قال : أبعَثْ به إلى السِّجنِ . فبَعَث به القاضي إلى السِّجْنِ . ثم خَرَج يحيى بن يحيى إلى باب الصَّوْمعة ، فرَكِب دابَّتَه ، ومَضَى نحوَ السُّويقةِ وانصَرَف ، فدخَل علَى القاضي ، فقال له : تَأمر بإطلاق الذى حَبَسْتَ : ففي الذى كان منك أدَبُه .

وكانتْ ولايته هذه الأولى سنةَ أربعَ عشرةَ أو خمسَ عشرةَ ومِائتين ؛ ثم

(١) انظر : ص ١٥ . (٢) هكذا : بالأصل .

عزل ووُلّيَ غيرهُ . فلما كانت سنة ثلاثٍ وعشرينَ ، علَى أثرِ سعيدِ بن سليمانَ : ولِّيَ القضاء أيضاً .

قال محمدٌ : قوله : « على أثرِ سعيد بن سليمان » يخيل إلىَّ أنه غلطٌ : لأنَ سعيدَ بن سليمانَ إنّما ولّيَ بعد محمدِ بن زيادٍ ، و بعدَ موتِ يحيي بن يحيى ، وذلك كلُّه بعد سنةِ أربعٍ وثلاثين ومائتين . ولم أرَ في شيء — : من الرِّوايات . — أن سعيدَ بن سليمانَ ولّيَ ولايتيْن حاشَى ما ذكر لى أحمدُ بن عُبادةَ الرُّعَيْنيُّ ؛ فإنه قال لى : عُزل سعيد بن سليمانَ ساعةً من نهارٍ ، ثم أستدْرَكَ الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) رأْيَه ، وأمر : بإثباته .

فلما طُلِب — : ليعلم عن الأمير : بالتمادِى على القضاء . — أُلفِيَ قد أرتحَل إلى إلى بلَدِه فأُعلِمَ بذلك الأمير ، فقال : إن هذا رجلٌ صالحٌ . وأزداد به غِبْطَةً : وأمر : أن يدرك ، و يصرَفَ إلى قضائه . فأُدْرِكَ ، ورُدَّ — كما كان — قاضياً .

قال محمدٌ : فإن كان إبراهيمُ بن العبَّاس ، وُلِّيَ القضاء سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ ومائتين — فيمكنُ أنْ يكونَ بعدَ بعضِ القُضاةِ : غيرَ سعيد بن سليمانَ .

قال محمد بن وَضَّاحٍ : وفي ولاَيةِ إبراهيمَ بن العبَّاس الثانيةِ ، رُفِعَ إلى الأميرِ (رحمهُ الله) : أنَّ القاضِيَ ليس يَقبَل من أهلِ قُرطُبَةَ ، إلاَّ مَن أشار يحيى بقبوله ؛ و إنمايعملون هٰذا الأمر لهذا القُريشى القاضى .

فبعثَ الأمير عبد الرحمن : في عبدِ الملك بن حَبيب ؛ فقال له : قد تَعلمُ يدِى عندكَ ؛ و إنى أُريدُ : أنْ أسألَكَ عن شيءٍ ؛ فاصْدقْني فيه[1] .

فقال : نعم ، لاتسألنى عن شيء إلا صَدَقتكَ .

فقال : إنه رُفع إلينا عن يحيى بن يحيى وعن القاضى : أنهم يعملون علينا في هذا الأمر ؟ .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة قرطبة ص ١٥ .

فقال عبدُ الملك . قد علِم الأميرُ ما بيْنى و بيْنَ يَحيَي بنِ يَحيَي ؛ ولكنى لا أقولُ إلا الحقَّ : ليس يجيءُ من عند يَحيَي بن يَحيَي إلاَّ ما يَجيءُ منى ؛ وكلُّ ما رُفِعَ عليه إليك : فباطِلٌ . وأمَّا القاضى : فلا يَنْبَغِى للأميرِ أنْ يَشْرَكَه فى عدلِه ، مَنْ يَشرَكُه فى نَسَبِه .

فعزَله الأميرُ — حينئذٍ — عن القضاء .

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ العلماء ؛ قال :

قدِم موسى بنُ حُدَيْرٍ من الحج ؛ فعرَض عليه الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه الله) ولاَيَةَ الخِزَانَةِ ؛ فأبَى مِن قَبولِهاَ ، وذهَب إلى الانقِباضِ عن الخِدْمةِ ؛ فعافاه الأميرُ .

فلم يَلبَثْ موسى بنُ حُدَيرٍ إلا يسيراً : حتى اسْتَعْدَتْ عليه امرأةٌ — : من جيرانِه . — عندَ القاضى : إبراهيمَ بنِ العباسِ ؛ وذكَرتْ : أنه ظَلَمها [(١)] فى دارٍ لها تُلاصِقُه .

فأرسَلَ فيه إبراهيمُ بنُ العباسِ ، فأحْضَرَهُ ، فقالَ لهُ : إنَّ هٰذه المرأةَ تقُولُ كَذَا وكَذَا ؛ وتدَّعِى عَليْكَ بِكَذَا وكَذا . فما تقولُ ؟ .

فقَالَ له مُوسَى : أُوَكِّلُ مَنْ يُخاصِمُها .

فقال له : تُقِرُّ أوْ تُنْكِرُ ؛ ثم تُوَكِّلُ بعد ذلك : مَنْ شِئْتَ على الخصومةِ .

فقال له : أُوَكِّلُ مَنْ يُقِرُّ عَنى أو يُنكِرُ .

فأبَى إبراهيمُ : أنْ يَقْبَلَ ذلك منه ، واضطرَّهُ إلى أنْ يجيبَ المرأةَ فى دَعْوَاها : مُقِرًّا أو مُنْكِرًا .

فلمَّا لم يَجِدْ من ذلك بُدًّا ، قَالَ لهُ : جميعُ ما تدَّعِيه حقٌّ ؛ وهى المُصَدَّقَةُ .

---

(١) بالأصل : طلبها .

ثم أنصرَفَ عنه : وقد اعتقَدَ له ضِغْناً عظيما ، وأضْمَرَ له حِقداً شديداً .

ثم وضَعَ يَده ، فكتَبَ إلى الأمير : يسألُهُ ولايَةَ الخِزَانَةِ ؛ ويَذكُرُ : أنه تعَقَّبَ أمْرَها ، فاسْتَسْهَلَهُ : من أجْلِ أنها أمانةٌ يُعطِى الأموالَ كما يأخُذُها .

فأسْعَفَهُ الأميرُ عبد الرحمن (رحمه الله) بذلك ، ووَلَّاهُ الخِزَانَةَ . فكان خازِناً نحوَ الشهرِ .

ثم كتَبَ إلى الأميرِ : يستأذِنُهُ للدخولِ عليه ؛ فأدخَلَه على نفسِه ، ثم قال له : أمْرٌ لا قَرَارَ عليه ، صَحَّ عندى — : أنَّ القاضىَ إبراهيمَ بنَ العباس ، فى مجلسِ قضَائه ، يُخَاطَبُ بأنْ يقَالَ له : يا أبنَ الخلائفِ . فعزَلَه عبدُ الرحمن: بذلك .

قال محمدٌ : وسمعتُ الأميرَ وَلِىَّ عهدِ المسلمين الحكَمَ (أبقاه الله) يقولُ : سمِعْتُ الحاجِبَ : موسى بنَ محمد بنِ حُدَيْر ؛ يقولُ : إنَّ موسى بنَ حُدَيْر دَسَّسَ أمرأةً من موَاليهِ ؛ فوَقفَتْ للقاضِى عَلَى طريقِه ، ثم قالت له : يا أبنَ الخلائفِ . فكان ذلك سبباً لعزْلِ إبراهيمَ .

قال أحمدُ بن محمد بنِ أَيْمَنَ : أخبرنى أبِى : أنَّ عبَّاساً القُرَيْشِىَّ (جَدَّ بَنِى العَبَّاسِ) ، شكَاهُ إلى الأميرِ فى قصةٍ دارت . فقال له : اُذْهَبْ إليه ، فإنْ أَذِنَ لك مُخْلِياً فقد عَزَلْتُه .

فلمَّا تَوَجَّهَ عباسٌ اَستَأْذَنَ عليه ؛ فلم يأذَنْ له ؛ وأوصى إليه : إن كانت لك حاجةٌ : فاقْعُدْ فى المسْجِدِ حتى أخرَجَ إلى العامّةِ ؛ فيَسَعُكَ ما يَسَعُهُمْ .

فاتَّصَلَ ذلك بالأميرِ : فازْدَادَ بذلك — عنده — : رِفْعةً ودَرَجَةً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : يخَامِر بن عُثْمانَ الشَّعْبَانِيّ . »

٣٢ قال محمدٌ : هو يخامِرُ بنُ عُثمانَ بنِ حسَّانَ بنُ يُخامِرِ بنِ عبيدِ بن أقنان ابنِ وَدَاعَةَ بنِ عمرٍو . وَلِىَ القضاءَ سنةَ عشرينَ ومائتَيْن .

وهو : أخو مُعَاذِ بنِ عُثمانَ . ومعاذٌ هذا : والدُ سَعدِ بن مُعاذٍ الفقيه . وكانا : من أهل جيَّان ، من قلعةِ الأشْعَثِ . وكان انتِسَابُهما فى العرب : إلى جِذَام[1] ؛ فيما أحسِبُ . وكانوا — فيماقيل لى — : من جَنَدِ قِنَّسْرِين .

وَلِىَ يخامِرُ القضاءَ ، فعامَلَ الناس بخُلُقٍ صَعْبٍ ، ومَذْهَبٍ وَعْرٍ ، وصَلابةٍ : جاوَزَتْ المِقْدَارَ . فلم تحتَمِلْ العامَّةُ له ذلك : فتَسَلَّطَتْ عليه الألْسُنُ ، وكَثُرَتْ فيه المَقَالَةُ ؛ وانْبَرَى له رجلٌ : من شُعراء قُرْطُبَةَ فى ذلكَ الزمانِ ؛ وهو المعرُوف : بالغزالِ . فكان يهجُوه ، ويَصِفُه : بالبَلَهِ والجهلِ .

ومن بعض ما ذكرهُ فيه ، قولُه فى شِعْرٍ له :

فَسُبْحَانَ : مَنْ أَعْطَاكَ بَطْشًا وَقُوَّةً ؛ وسُبْحانَ : مَنْ وَلَّى القَضَاءَ (يُخَامِرا)

قال محمدٌ : قال لى وَلِىُّ الْعَهْدِ (أبقاه الله) يوماً — : وقد ذَكَرَ القُضَاةَ وأخبارهم . — : حدثنى محمدُ بن أبى عيسى ؛ قال :

طَرَحَ ابنُ الشَّمرِ بيْن سَجِيَّاتِ يُخَامِرِ بنِ عُثمانَ الشَّعْبانىّ ، سَحَاءةً فيها مكتوبٌ : يونُسُ بن مَتى ، والمسيحُ بنُ مَرْيَمَ . فخرجَتْ السَّحَاءةُ إلى يخامِرٍ ، فأمَرَ : أنْ يُدْعَى بهما . فهتَفَ الهاتفُ يُونُسُ بن مَتى ، والمسيحُ بنُ مَرْيَمَ . فصاح ابنُ الشَّمرِ : نُزولُهما من أشراطِ الساعةِ ؛ ثم أخَذ سَحَاءةً ، فكتَبَ فيها :

يُخَامِرُ : ما تَنفَكُّ تَأتِى بفَضْحَةٍ : دعَوْتَ ابْنَ مَتّى ، وَالمسيحَ بْنَ مَرْيَمَا
بمَا قاتَ حِيناً ؛ ثم نَادَاكَ صائحٌ فإنَّهما بَقِىْ عَلَى الأرض ؛ فاعْلَمَا
قَفَاكَ : قفَا ضرب[2] وَوَجْهكَ مظلِمٌ ؛ وعقلُكَ : مَا يَسْوَى مِنَ الْبعْرِ دِرْهَمَا

(١) بالأصل : « جدام » . (٢) بالأصل : قفاك قفا حرباً ، ووجهك مظلماً

فَلاَعِشْتَ مَوْدُوداً؛ ولاعِشْتَ سَالِماً ؛ ولا مِتَّ : مَفْقُوداً[١] ؛ ولا مِتَّ مُسْلِماً

قال محمدٌ : وتألَّبَ الناسُ ، ورفَعُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) : يَشكُون يُخامِرًا القاضىَ . فلمَّا كَثُرَ ذٰلك عَلَى الأميرِ عبدِ الرحمن (رحمه الله) ، أمَرَ الوزراءَ : بسَماعِ الشَّهادةِ ، والنظرِ فى أمْرِ يُخَامِرٍ :

فذُكِرَتْ عنه أشياءُ : مَدَارُها عَلَى قِلَّةِ الْمُدَاراةِ ، وتَرْكِ حُسنِ الْمُعاملةِ .

وكان حِينئذٍ بالمدينةِ ، شيخٌ أعجَمِىُّ اللسانِ يُسمَّى : ينيرَ ؛ وكان مُقدَّمًا عندَ القُضاةِ ، مَقبُولَ الشهادةِ ، مَشهُوراً فى العامَّة : بالخيرِ وحُسْنِ المَذهَبِ . فأرسَل فيه الوزراءُ . وسألوه عن القاضى ؛ فقال بالعجمية : ما أعْرِفُه ، إلاَّ أنِّى سمِعتُ الناسَ ، يقولون : إنه إنسانُ سُوءٍ . وصَغَّرَه باللفظِ العَجَمِىِّ .

فلمَّا رُفِعَ قولُه إلى الأميرِ (رحمه الله) ، عَجِبَ من لَفْظِهِ ، وقال : ما أخْرَجَ مِثلَ هٰذِه الكلمةِ ، من هٰذَا الرجلِ الصالحِ ، إلاَّ الصـــدْقُ . فعزَلَه عن القضاءِ حينئذٍ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أيْمَنَ :

فلمَّا أتَى الفَتَى إلى يُخَامِرٍ : بعَزْلتِه ؛ من عندِ الأميرِ (رحمه الله) — : قال له يُخامِرٌ عَلَى رؤوسِ الناسِ : قلْ للأميرِ (أصلحه الله) : إذ وَلَّيْتَنِى أمَرْتَنِى : أنْ أتحفَّظَ من السِّلْسِلةِ السُّوءِ ؛ واليومَ تَعزِلُنى ببَغْيِها علىَّ ؟!

فلمَّا بَلَّغ الفتَى قولَه إلى الأميرِ ، قال : قبَّحَــه اللهُ ؛ ذَكَرَ أسْرَارَنا على رُؤوسِ الناسِ .

* * *

(١) بالأصل : مفقوا . والظاهر أنه مصحف عما ذكرنا .

« ذِكْرُ القاضى : علىِّ بنِ أبى بَكرٍ الكلابىِّ . »

قال محمدٌ : ولمَّا عَزَل الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحَكَم (رضى الله عنهما) يخامِراً ، عن القضاء — : وَلَّى بعدَه رجلاً : من أهلِ قَبْرَةَ ؛ يُسمَّى : علىُّ بن أبى بَكرٍ ابنِ عُبَيْد بن علىٍّ الكلاَبِىّ ؛ وكان لَقَبُه : يُوَانشَ . ولا أحفَظُ له خبَراً أكثَرَ مِن ذِكْرِه . **٣٣**

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُعَاذِ بنِ عثمانَ الشَّعبانِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : ثم وَلَّى الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكَم (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ ، مُعاذَ بن عثمانَ الشَّعبانىَّ ؛ وكان : من أهلِ جَيَّان ؛ [ومكَثَ] قاضياً : سبعةَ عشرَ شهراً ؛ ثم عزَله مِن بعدُ . **٣٤**

ورأيتُ فى بعضِ الحِكاياتِ : أنه إنَّما عزَله : لأنه حُفِظَتْ عليه — فى تلك المُدَّةِ — سبعونَ قَضيَّةً قَضَى بها فاسْتُكْثِرَتْ منه .

قال محمدٌ : وهى — فيما أَرَى — حكايةٌ مَدْخولةٌ : لأنه لا يُنكَرُ تَنفيذ الأَقْضِيَةِ وكَثْرَتُها : مع حُضورِ الحقِّ ، وانكِشافِ الصِّدقِ .

قال محمدٌ : فَكرْتُ فى مَخرَجِ هذه الحكايةِ : فاسْتَرَبْتُها ؛ وذلك : أن صاحِبَها — الذى حكاها وكَتَب بها إلى وَلِىِّ العهدِ أبقاه الله — هو : فلانُ ابن فلانٍ حكاها عن أبيه ؛ وأُراه صادقاً على أبيه . ولا تَخلو هذه الحكايةُ : من

---

[1] انظر : تاريخ قضاة الأندلس : ص ٥٥ .

أنْ تكونَ صحيحةً على أهلِ هذا الزمانِ الذى كان فيه مُعاذٌ قاضياً؛ أو: تكونَ غيرَ صحيحةٍ.

فإن كانتْ صحيحةً: فإنّما طَمَسَ نورَ هـذه الفضيلةِ، وجَحَدَ حقَّها؛ أهلُ التَّفَقّهِ: من أهلِ ذلكَ الزمانِ؛ ولا سيَّما الذين كانوا يشاورون —: من تَعجيلِ الأحكامِ، وسُرعةِ التَّنفيذِ. —: ممَّا يُقَرِّبُهم من أهلِ الْخُصوماتِ؛ [ويحقق لهم[1]] ما يُحِبُّونَ؛ وكُلَّما طالتْ الخصوماتُ كان أنفعَ لهم. وأهلُ العلمِ بهم: يَعلَمون ما أقولُ.

وإن كانتْ غيرَ صحيحةٍ: فهى من تَشْنِيع فلان لتَثْبِيط[2] القضاةِ عن سُرعة التنفيذ؛ للذى أَرَاغَه وكَنَاه[3]: من المعنى الذى ذكرناه آنِفاً. (فاعتَبِرُوا[4] يا أُولى الأبْصَارِ ٥٩ — ٢).

وكان مُعاذٌ — فيما سمِعتُ —: حَسنَ السِّيرةِ، لَيِّنَ العَريكَةِ؛ خالَقَ الناسَ: بغيرِ خُلُقِ أبيه، وأحْسَنَ التَّخَلُّصَ منهم.

وسمِعتُ مَن يحكى: أنه كانتْ مَعه صِحةٌ وسَلامةُ قلْبٍ؛ فكان لايَظُنُّ بأحدٍ شرًّا. وكان: قد وَلَّى أحْباسَه بقُرطُبةَ، رجلاً: ظَنَّ به خيراً؛ فخالَفَ ظَنَّه فيه. فقال فى ذلك الغزالُ:

يقولُ لىَ القاضى مُعَـــاذٌ، مُشاوِراً ... وَوَلَّى أمْرَءٍ —فيما يُرَى— من ذَوِى الْفَضْلِ:
فَدَيْتُكَ؛ مَاذَا تَحسَبُ المَرْءَ صـانِعاً؟ ... فقلتُ: ومَاذَا يَصْنَعُ الدُّبُّ بالنَّحْلِ؟
يَدُقُّ خَـــلايَاهَا، ويَأْكُلُ شَهْدَها؛ ... ويَتْرُكُ للذِّبّانِ ماكانَ: من فَضْـلِ

قال محمدٌ: كان معاذٌ قاضياً بقُرطُبةَ: سنةَ اثْنَتَيْن وثلاثين ومائتَيْن؛ وفى هذا التاريخِ: كان عَلَى سُوقِ قُرطُبةَ إبراهيمُ بن حسينِ بنِ خالدٍ؛ وفيـه: فَسَخَ

(١) بالأصل: الخصومات ما يحبون. (٢) بالأصل: لتثبت.
(٣) أى: طلبه وأراده. (٤) بالأصل: فاغتروا.

مُعاذَ بن عثمانَ . حُكْمَ إبراهيمَ عن بَنى قُتَيْبَةَ : فى الحْوَانيتِ التى هَدَمها عليهم إبراهيمُ . وكان إبراهيمُ بن حسينِ بن خالدٍ : صاحبَ نَظَرٍ ؛ فخالفَ فُقهاءَ زمانِه : يَحيى ، وعبدَ الملكِ ، وزُونان . فتَظَاهَرُوا عليه ، وأبَانُوا خَطَأه ؛ وجازَ قولُهم عليه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُحمدِ بنِ زِيَادٍ اللَّخَمِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : ثم وَلَّى الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحَكَمِ (رحمه الله) قضاءَ الجماعةِ ، ٣٥ محمدَ بن زيادِ بنِ عبد الرحمن بن زُهَيْر بن ناشِرَةَ بن لُوذانَ بنِ حيس بن حاطِب ابن حارِثةَ بن راشِدَة بن زيد بن حارِثة بن جَديلةَ بن لَخم بن عَدِىٍّ .

قال محمدٌ : ومحمدُ بن زيادٍ ، هو : والدُ القاضى : الحبيبِ بن زيادٍ ؛ فكان : حَسَنَ السِّيرةِ ، مَحْمُودَ الوِلايةِ ؛ وكان : من أهلِ الفَضلِ والخَيرِ ؛ وكان : قد سَمِعَ من مُعاويةَ بنِ صالحٍ الحَضْرَمِىِّ ، سَماعاً كثيراً .

قال محمدٌ : وقال لى محمدُ بن عبد الله بنِ أبى عيسى :

لمَّا اُحْتُضِرَ يَحيَ بنُ يَحيَ : أسْنَدَ وَصِيَّتَه — فى أداءِ دَيْنٍ ، و بَيْعِ مالٍ — إلى محمدِ بن زيادٍ ؛ وكان القاضىَ يومَئذٍ ؛ فكان وصِيَّه فى ذلك الوقتِ .

قال محمدٌ : أخبرَنى بعضُ رُوَاة الأخبارِ ؛ قال :

لمَّا وُضِعَتْ جَنَازَةُ يَحيَ بنِ يَحيَ ، قال عُبَيْدُ الله بنُ يَحيَ — وهو يومئذ : اْبنُ سبعَ عشْرةَ سنةً للقاضى محمد بن زياد : تَقَدَّمْ . فتقدَّمَ محمدُ بن زيادٍ ، وتقدَّمَ إسحاقُ بن يَحيَ للصلاةِ على أبيه : فكَبَّرَ محمدُ بن زيادٍ ، وكَبَّرَ إسحاقُ : حتى بلغُوا إلى السَّلامِ ؛ فسَلَّمَ محمدُ بن زيادٍ ، وسَلَّمَ إسحاقُ بنُ يَحيَ . هكذا

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٥ — ٥٦ . وجذوة المقتبس : ص٥٢ : ر ٥٥ .

كانتْ الصلاةُ عَلَى يَحيىَ بنِ يَحيىَ . فلمَّا أُنْقَضَتْ الصلاةُ : نَظَرَ محمدُ بن زيادٍ ، إلى إسحاقَ بنِ يَحيىَ ، ثم قال له : ومَنْ قَدَّمك عَلَيَّ مهذا ؟ ! فقال له إسحاق : ومَنْ قَدَّمك أنتَ عَلَى أبِي ؟ ! فقال له : حُكمُ الصلاةِ عليه : إليَّ دُونك ؛ ومعَ هذا : فإنَّ أخاكَ قَدَّمَني ؛ وهو : أرشَدُ منك ؛ أمَا واللهِ : لَوْلاَ حِفْظُ هذا الميِّتِ ، لَفَعلْتُ بك وفعلْتُ . قيل : فكان ثَناء محمدِ بن زيادٍ ، عَلَى عُبيدِ الله بنِ يَحيَي — ذلك اليومَ — أوَّلَ سُؤدُدِ عُبيدِ الله ؛ ثم كان له : على إكرامٍ ومَبَرَّةٍ .

قال محمدٌ : حَكَيْتُ هذه القصةَ لمحمدِ بن عبد الله بن أبي عيسى ؛ فلم يَعرِفْها وقال : كان عُبَيدُ الله : من أشَدِّ الناسِ إعْظاماً لأخيه إسحاقَ ؛ وكان : يَأخُذُ بِركابِهِ إذا أراد أنْ يَركَبَ ؛ فما أدري : إن كان فَعَل مثلَ هذا في أبيه ؟ ! .

قال محمدٌ : ذَكَر أحمدُ بن زيادٍ ، عن ابنِ وَضَّاحٍ ؛ قال :

شهِد شاهدٌ عندَ محمدِ بن زيادٍ بشهادةٍ ، فقال غُرابٌ لمحمد بن زيادٍ : ومَنْ شهِدَ عَلَيَّ ؟ لو كان الشاهدُ مثلَ اللَّيثِ بنِ سعدٍ(١) . فقال له محمدُ بن زيادٍ : وما ذِكْرُ الليثِ بن سعدٍ هاهنا ؟ . ! فأمَرَ به — وذلك في المسجدِ ؛ وهو وَالي الشُّرْطَةِ — : فقُنِعَ أسْواطاً . قال : فكان ذلك — : من فِعلِه . — صَواباً .

قال ابنُ وَضَّاحٍ : وابنُ القاسمِ يَرَى : أنْ يُعَزِّرَ السلطانُ الرجلَ في المسجدِ بالسوط . وسُحْنُونُ يأبَى ذلك .

(قال) : ولمَّا وُلِّيَ سُحنُونُ بن سعيدٍ القضاءَ : حَمَل الضربَ على الذي لا يُريدُ غُرمَ ما عليه — : وهو مَلِيٌّ . — بعدَ أنْ حَبَسه . فقيل له : مِن أيْنَ أخذتَ الضربَ وإنما كنَّا نَحبِسُ حتى يَغرَمَ ؟ . قال : من حديثِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) في قوله : « مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ » ؛ فإذا كان ظالماً — كما سَمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم — : أدَّبْتُه على ظُلمِه .

---

(١) أي : لقبلت شهادته ، فالجواب حذف للعلم به .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : وقَعَتْ شهاداتٌ على بعضِ آلِ السلطانِ ، عند القاضى محمدِ بن زيادٍ ؛ فأرسَلَ القاضى إلى المشهود عليه ، رجلَيْن يقولان له : إن فُلاناً وفُلاناً شهِدا عليك بكذا وكذا ؛ فإن كان عندَكَ مَدْفَعٌ : فهاته . ولم يُمكِّنْه من نسخةِ الكتابِ .

فكتَبَ بذلك المشهودُ عليه ، إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ فأوْصَى الأميرُ إلى القاضى : فى ذلك . فقال محمدُ بن زياد : إنى خِفتُ : أنْ يَفرِضَها على الزَّيغ والفُجُورِ ؛ فيَعمَلَ له الْحُجَجَ : حتى تَبطلَ الشهاداتُ ؛ وقد عرفتُه بهذا ظاهراً .

قال محمدٌ : ذكر لى بعضُ أهلِ العلم ؛ قال : كان محمدُ بن زياد يوماً ، يَمشى معَ محمد بن عيسى الأعْشَى : حتى لَقِيَا رجلاً يَتمادَى سُكراً ؛ فأمرَ القاضى محمدُ بن زياد بأخذِه — : ليقيمَ عليه الحدَّ . — فأخَذَه أعوانُه . ثم مشَى قليلاً ، فأتى إلى موضعٍ ضَيِّقٍ : فتقَدَّمَ القاضى ، وتأخَّرَ الأعشَى ؛ ففى تأخرِه عن القاضى : ألتفتَ إلى الذى كان يُمسِكُ السكرانَ ، فقال : يقولُ لك القاضى : أطْلِقْه . فأطْلَقَه . ثم افترقا جميعاً ، ونزل القاضى ، ودعا بالسكران ؛ فقيل له : أمَرَنا عنك أبو عبد الله الفقيهُ : أنْ نطلقه . فقال : وفعل ؟ قال له : نعم . قال : أحسن .

قال محمدٌ : وما أتَى عن القُضاةِ فى هذا المعنى خاصَّةً — : من الإغْضاء عن السَّكارَى ، والتَّغافُلِ لهم ، والرِّقَّةِ عليهم . — : فلا أعرفُ لذلك وَجْهاً : من الوُجُوه — : يَتَّسِعُ لهم فيه القَوْلُ ، ويقومُ لهم به العُذرُ . — إلاَّ وَجْهاً واحداً ؛ وهو : أن حَدَّ السُّكْرِ — مِن بيْنِ الْحُدودِ كلها — لم يَنُصَّه الكتابُ الْمُنْزَلُ ، ولا أتَى فيه حَديثٌ ثابتٌ عن الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) . وإنما ثَبَتَ : أن النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) أُتِىَ برجلٍ قد شَرِبَ ؛ فأمَرَ أصحابَهُ : أن يَضرِبوه عَلَى مَعصيتِهِ ؛ فضُرِبَ بالنِّعَالِ ، وبأطْرَافِ الأرْدِيَةِ . وماتَ النبىُّ (صلى الله عليه وسلم) : ولم يَحُدَّ فى ضَرْبِ السكرانِ ، حَدّاً : يَلْحَقُ بسائرِ الحدودِ . فلما نَظَرَ أبو بكرٍ

(رضى الله عنـه) فى ذلك بعـدَ النبىِّ (صـلى الله عليه وسلم) ، واستشار أصحابَهُ — : قال له علىٌّ بن أبى طالبٍ (رضى الله عنه) : « مَن شَرِب : سَـكِرَ ؛ ومَن سَـكِرَ هَذَى ؛ ومن هَذَى أفْتَرَى ؛ ومَن أُفْتَرَى : وَجَبَ عليه الحدُّ ؛ أَرَى: أن يضرَبَ الشاربُ ثمانين . » . فقَبِلَ ذلكَ منه الصحابةُ فذَكرَ أهلُ الحـديثِ : أن أبا بكرٍ — عندَ موته — قال : « ما شئٌ — فى نفسه منه شئٌ . — غيرُ حدِّ الخمرِ : فإنه شئٌ لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ وإنما هو شئٌ : رأيناه من بعدِه . » .

قال محمدٌ : كان السببُ فى عزْلِة محمدِ بن زيادٍ عن القضاء ، ما كان : من أمْرِ ابن أخى عجبَ ؛ وذلك : أنه شهِدَ عليه بلفظٍ : نطَقَ به مُتَعَبِّثاً فى يومِ غيثٍ ؛ فأمَر الأميرُ عبـد الرحمن (رحمـه الله) بحبسه ؛ فأبْرَمَتْه عجبُ فى إطلاقه — : وكانت مُدِلَّةً عليه ؛ لمكانها من أبيه : — فقال لها : نَكشفُ أهلَ العلم عما يجب عليه فى لفظه ؛ ثم : يكون الفصلُ فى أمرِه .

فأمَرَ الأميرُ (رحمه الله) محمدَ بن السَّليم — وهو يومئذٍ : وَالِى المدينةِ . — أن يُحضرَ القاضىَ محمدَ بن زيادٍ وفقهاءَ البلدِ ؛ فَجَمَعَهُمْ فى مجلس النشمة . فحضر حينئذٍ عبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ ، وأصبغُ بن خليلٍ ، وعبدُ الأعلى بنُ وهبٍ ، وأبو زيد بن إبراهيمَ ، وأبانُ بن عيسى بن دينارٍ . فشاورهم فى أمره ، وأخبرهم بما كان : من لفظه . فتوقف عن الإشـارة بسفك دمه : القاضى محمـد بن زيادٍ ، وأبو زيدٍ ، وعبـدُ الأعلى ، وأبانُ . وأشار بقتله : عبـدُ الملكِ بنُ حبيب ، وأصبغُ بن خليلٍ . فأمرهم محمـدُ بنُ السَّليم : أن ينصُّوا فُتياهم على وجهها ، فى فى صكٍّ ؛ ليرفعها إلى الأمير (رحمه الله) ففعلوا .

فلمَّا تصَفَّحَ الأميرُ قولهم ، أُسْتَحْسَنَ قولَ عبدِالملك وأصْبَغَ ؛ ورَأى ما رَأيَا : من قتله ؛ وأمَرَ حسَّانَ الفتَى : فَخَرج عليهـم ، فقال لِصاحبِ المدينةِ : قد فَهِم

الأميرُ (أكرمه الله) ماأفتَى به القومُ : فى أمْرِ هذا الفاسقِ ؛ وهو يقولُ للقاضى: أذهَبْ فقد عَزَلْناكَ . وأمَّا أنتَ (يعنى : عبدَ الأعلى) : فكان يَحيى بنُ يَحيى : يَشهدُ عليكَ بالزَّندقةِ ؛ ومن كانتْ هذه حالَه فَحَرِىٌّ أن لايُسمعَ فُتياه . وأمَّا أنتَ يا أبانَ بنَ عيسى: فإنَّا أردْنا أنْ نُوَلِّيكَ[1] القضاءَ بجيَّان؛ فزعمتَ : أنك لاتُحسِنُ القضاءَ ؛ فإن كنتَ صادقاً : فما آنَ لكَ أن تَتعلَّمَ الفُتْيا؛ وإن كنتَ كاذباً : فالكاذِبُ لا يكونُ أميناً . وقال للآخر كلاماً : أمْسَكَ عنه صاحبُ الحكايةِ[2] ؛ وأُراه : ذَهب إلى حِفظ بعضِ ولَدِه . ثم قال حَسَّانُ الفَتَى لصاحبِ المدينةِ : والأميرُ (أكرمه الله) يأمرك : أنْ تَخرُجَ الساعةَ معَ هذيْن الشَّيْخيْن: عبدِ الملكِ وأصبغَ . فأمَرَ لهما : بأربعين غلاماً — : من الغِلمان . — يُنفِّذُون نَهْماً فى هذا الفاسقِ ، ما رَأيَا .

فخرَج عبدُ الملكِ وهو يقولُ : سُبَّ ربٌّ عبَدْناه ؛ إن لم نَنتصِرْ له : إنَّا لَعبيدُ سُوءٍ[3]. ثم أُخرِج المحبُوسُ ؛ فوقَفا حتى رُفِع فى خَشبتِه : وهو يقولُ لعبد الملكِ : أبا مَروان ؛ اُتَّقِ اللهَ فى دَمى : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ ، وأن محمداً رسولُ الله . وعبدُ الملكِ يقول : (آلْئن : وَقدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ١٠ — ٩١) ؛ حتى صُلِب : وانْصَرفا[4] .

قال محمدٌ : ولم يُنقَمْ على محمدِ بنِ زِيادٍ ، فى وِلايتِه ، شىءٌ من الأشياءِ ـ فيما ذَكرَ أهلُ العلمِ ـ غيرُ دالَّةٍ كانتْ تَظهَرُ من امرأتِه عليه : على ما يفعلُه الأزواجُ ببُعولَتِهِنَّ . والناسُ إلى تَقَفِّى المَعايِرِ سِراعٌ . فكان ذلكَ مما يُغمَضُ به عليه فى ذلك الوقتِ ، وكانت تلكَ المرأةُ ، تسمَّى كفات .

---

(١) بالأصل : يوليك . (٢) بالأصل : الجناية . (٣) بالأصل : لسوء .
(٤) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ .

قال أحمدُ بن أيْمَنَ : وأخبرَنى أبى : محمدُ بن عبد الملك بنِ أيْمَنَ ؛ قال : لمَّا أفضَتْ الخلافةُ إلى محمدٍ (رحمه الله) : كُلِّمَ فى إعادةِ محمدِ بن زيادٍ ، إلى القضاءِ والصلاةِ — : وكان له صَنيعةٌ قبْلَ وِلايتِه . — فأبَى وقال : تُرَانِى نَسِيتُ ما كان الناسُ يُشنِّعون به فى أمْرِ كفاتَ ؟ ! فصرَفه إلى الصلاةِ وحدَها .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : سمِعتُ محمدَ بن زيادٍ — لمَّا وُلِّىَ الصلاةَ المرةَ الثانيةَ ، فى أيام محمدٍ الأميرِ (رحمه الله) — يقول للقَومةِ — وقد دعاهم — : « إنَّما بلغتنى عنكم [أشياء][1] ؛ فاتَّقُوا اللهَ واسْتَقِيموا ؛ وأعِينونى على الحقِّ ؛ لَئِنْ وجَدْتُ أحداً منكم قد خَلَط : لأجعلَنَّه نَكالاً » ؛ ثم قال : « أنظروا إلىَّ ، واجعلونى بالِكم ؛ فإن رأيْتمونى أخلِط : فأنتم فى سَعَة من التَّخْليطِ ؛ وإن رأيْتُمونى أُرِيدُ الحقَّ : فأعِينُونى ، ولا تَجعلُوا إلى أنفسكم سبيلاً . » .

***

« ذِكْرُ القاضى : سَعيدِ بنِ سُلَيْمَانَ الغافِقىِّ .[2] »

٣٦ قال محمدٌ : [هو] : أبو خالدٍ سَعيدُ بن سُليمانَ بن حَبيبٍ ؛ كان أصْلُه من مَدينةِ : « غافِقٍ » ؛ وَلِّىَ قضاءَ « مَارِدَةَ » وغيرِها : قبْلَ وِلايتِه قضاءَ قُرْطُبَةَ ؛ ثم ولَّاه الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الْحَكَمِ (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : وسليمانُ بنُ سعيدٍ ، غيرُ سليمانَ بن أسودَ : قاضى الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : وكان الفقيهُ أبو عُثمانَ العِراقىُّ : يَحكِى عن أبى عبدِ اللهِ محمدِ بن وَضَّاحٍ — فيما أخبرنى فَرَجُ بن سَلَمَةَ ؛ وذكَرَه أيضاً خالدُ بن سعدٍ — قال : وُلِّىَ القضاءَ أربعةٌ — : فاتَّصَلَ العدلُ بهم فى آفاقِ الأرضِ — : دُحَيْمُ

(١) بياض : بالأصل .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص٥٤ .

ابنُ اليتيمِ : بالشام ؛ والحارثُ بنُ مِسْكين : بمِصرَ ؛ وسُحْنُونُ بنُ سعيدٍ : بالقَيْرُوَانِ ؛ وأبو خالدٍ سعيدُ بنُ سليمانَ : بقُرطُبة .

قال محمدُ بن حارثٍ : فأمّا دُحَيْمُ بن عبد الرحمن بن إبراهيمَ : فكان من أهل دِمَشْقٍ ؛ ووَلّاه قضاء الشّامِ جعفرٌ المُتوكّلُ . وكانتْ وَفاةُ دُحَيمِ بن عبد الرحمن (المَعروفِ : بابن اليتيم) : بالرَّمْلةِ ؛ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومِائتَيْن . ولم أعلَمْ بتاريخ ولايته القضاءَ : مَتَى كان ؟.

وأمّا الحارثُ بن مِسكين : فإنه ولّاه قضاءَ مِصرَ جعفرٌ المُتوكلُ : سنةَ سبعٍ وثلاثينَ ومِائتين ؛ جاءته وِلايةُ القضاء : وهو بالإسكَنْدَرِيّةِ ؛ ثم حُمِلَ إلى مِصرَ : فكان قاضيَها إلى أنْ عُزِلَ يومَ الجمعةِ لسبعِ ليالٍ بَقِينَ من شهر ربيعٍ الآخرِ : سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومائتين .

وأمّا سُحْنُونُ بن سعيد التَّنُوخيُّ : فإنه ولّاه قضاءَ إفْريقية محمدُ بن الأغْلَبِ التَّميميُّ : سنة أربع وثلاثين ومائتين. وتُوُفِّيَ سحنون — : قاضياً غيرَ معزول. — : يومَ الثلاثاء لسبعةِ أيامٍ مَضَتْ من رجبٍ سنة أربعين ومِائتين .

وأمّا سعيدُ بن سليمان : فإنه ولّاه قضاءَ الجماعةِ : بقرطبة ؛ عبدُ الرحمن بن الحكم (رحمهما الله) ؛ فكان قاضيه : حتى مات عبد الرحمن (رحمه الله) . ثم أقرّه عَلَى القضاءِ محمد بن عبد الرحمن (رضى الله عنه) ؛ فقضَى له : نحوَ السنتين ؛ ثم ماتَ بقُرطبة : قاضياً غيرَ مَعْزُولٍ .

قال محمدٌ : ولم أسمَعْ بتاريخِ وِلايتهِ القضاءَ : متى كان ؟ غيرَ أنه كان — بلا شَكٍّ — : بعدَ سنةِ أربعٍ وثلاثينَ ومِائتَيْن .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني بعضُ أصحابِنا — : من أهلِ العِلم . — عن أحمدَ بن عبد الله بن أبي خالد : أنه أدركَ القاضيَ : سعيدَ بن سليمانَ ؛ ورآه : يقضي بين الناس . وأنه لمَّا أراد الأميرُ عبد الرحمن بن الحكم (رحمه الله) : أنْ يُوَلِّيَه القضاءَ بقُرطبة — أرسلَ فيه رسولاً ، فوافقَه : وهو يَقِفُ عَلَى أزواجٍ له

تحرُثُ بفَحْصِ البَلُّوطِ ، فى ضَيْعتِه . فقال له الرسولُ : تَركَبُ إلى قرطبة ؛ فإن الأميرَ ذَهَب إلى تَوْليتك القضاءَ . قال له : دَعْنِى حتى أَبْلُغَ إلى مَنزلى ، وأتجهَّزَ بما أحتاجُ إليه . فأبَى الرسولُ : أنْ يَترُكه ؛ وقال : كُنْ هاهُنا مَعِى ؛ وأرسِلْ إلى منزلك : فى دابّتِك ، وما تحتاجُ إليه : من الزّادِ . ففَعل .

فلمّا قدِم قرطبة : ولّاه الأميرُ (رحمه الله) القضاءَ ؛ فجلس للحُكم فى المسجدِ : وعليه : جُبَّةُ صُوفٍ بَيْضَاء ؛ وفى رأسه : أقْرُوفٌ أبيضُ ، وغِفارةٌ بَيْضَاء : من ذلك الجنسِ .

فلمّا نَظَر الخصومُ إليه : احْتقَرُوه : فجاءوا — فى مَغيبه عن المسجد — : بقُفّةٍ مَمْلوءة من قِشْرِ البَلُّوطِ ؛ فوَضَعوها : تحتَ الحَصيرِ الذى كان يُصَلِّى عليه.

فلمّا أتى القاضى بعد ذلك ، وقام عَلَى الحصيرِ — : أحَسَّ تحتَه شيئاً يتكسَّرُ ؛ فلمّا فَرَغ من الصلاة : أخَذ يَرفَعُ الحصيرَ ، فنظر إلى قِشْرِ البَلوطِ ؛ فقيل له : إنَّ بعضَ الخصوم فعلوا ذلك . وصَحَّ عنده ما قِيل له فيهم .

فلمّا أتَوْه من بعد ذلك ، قال لهم : يامَعشَرَ الخصوم ؛ عَيَّرْتُمونى : بأنى بَلُّوطىٌّ ؟!!! أنَا أشْهدُ عَلَى نفسى : أنى بَلوطِىٌّ ؛ عُودٌ — واللهِ — صَليبٌ : لا تفعلوا فيه . ثم حلَفَ لهم بإثْرِ كلامِه هذا : أن لا يُخاصموا عندَه سنةً ؛ فكاد : أنْ يُورِثَهم الفقرَ .

قال محمدٌ : حدثنى فَرجُ بن سُليمانَ البَلَوىُّ ؛ قال : حدثنا سَعدُونُ بن ناصر ابن قيسٍ — : وكان شيخاً من أهل الحُرْكة . — أنَّ أباه كان وَكيلاً لِسعيدِ بن سُليمانَ ؛ وأنه قدِمَ فى بعضِ الأيام — من فَحصِ البلُّوطِ عَلَى القاضى : سعيدِ ابن سُليمانَ ؛ فألفَى بيْنَ يدَيْه : رجلاً وزوجتَه . (قال ناصِرُ بن قيسٍ) : فلمّا دخَلتُ على القاضى : قام إلىَّ مُسلّماً ؛ ثم جلَسَ : فقال لِمَن حَولَه : هذا مُقيتِى ومُقيتُ عِيالى بحولِ اللهِ . ثم سألَنى : عن رَفْعِه فى ذلك العامِ ؛ فقلتُ له : رَفْعُ

القاضى : سبعةَ[1] أمْدادٍ[2] من شعيرٍ ؛ وثلاثةِ أمدادٍ[2] : من قمحٍ . فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ؛ ثم عادَ إلى التَّكلُّمِ بيْنَ الرجلِ وزوجتِه : اللذَيْنِ ألفَيْتُهما بين يديه. فقال الرجلُ : ياقاضى ؛ تأمرُها : بالنُّهوضِ معِى إلى منزِلى . فلَصِقتْ بالأرضِ المرأةُ وآلت[3] : أن لاتمْشِيَ معَه فى الأرضِ شِبراً ؛ ثم قالتْ للقاضى : باللهِ — الذى لا إله إلاَّ هو — : لَئنْ صَرَفتَنى إليه : لأقتُلَنَّ نفسى ، وتكونُ المسئولَ عن دَمِى .

(قال ناصرٌ) : فلمَّا سمِعَ القاضى كلامَ المرأةِ : عَطَف على رجلٍ إلى جَنبِه (حَسِبتُه كان فقيهاً) ؛ فقال له : ماترى ؛ فقال له : إن كان القاضى (وفَّقه اللهُ) لم يَظهَرْ له أنَّ هذا الرجلَ يُضِرُّ بزوجِه — : فلْيَجْبُرْها على المَسِيرِ معَه : أحَبَّتْ أو كَرِهَتْ ؛ إلاَّ : أن يشاءَ الرجلُ أن يُفارِقَها بفِدْيةٍ أو غيرِها ؛ فإن أبَى إلَّا الفِدْيةَ : فذلك حَلالٌ له ؛ ويَخلَعُها — ولو من قُرْطِها — : إن لم يكن له منه ضُرٌّ إليها .

فقال الزوجُ : واللهِ ؛ ما لَها مالٌ .

قال له : فلو ذَهبَتْ إلى الافتداءِ منك : أكنتَ تُفارِقُها ؟ .

فقال له : كنتُ أسْمَحُ . (قال ناصرٌ) : فعادَ علىَّ القاضى ، فقال : هل جلبتَ : من الطعامِ ؛ فى جَيْئتِك هذه شيئاً ؟ . فقلتُ له : بلَى ؛ جَلَبْتُ مُدًّا[4] : من قمحٍ ؛ ومُدَّيْنِ : من شَعيرٍ . (قال ناصرٌ) : فرأيتُه : يُقلِّبُ أصابِعَه ؛ ثم قال : قُوتُ تِسعةِ أشهرٍ كثيرٌ . ثم قال لزوجِ المرأةِ : خذْ مابَقِىَ : من رَفْعِى ؛ فى ضَيْعتى ؛ وأرِحْها من نفسِك ، وأرِحْ نفسَك منها .

فقال الزوجُ : كنتُ أفعلُ : لو كان الطعامُ بقرطُبةَ .

---

(١) بالأصل : بسبعة . (٢) بالأصل : إمداء . (٣) بالأصل : وقالت .
(٤) بالأصل : مديا .

فقال له القاضي : أحْسَبُك مُغتما . ثم وَضَع يدَيْه في الأرضِ ، وقام ودخل الدارَ ، وأخرَج شُقَّةً بَيْضاء : من صوفٍ ؛ فدَفعها إليه وقال للزوج : هذه شُقَّةٌ عُمِلَتْ في بَيْتي : لِشتْوتي ؛ وأنا (إن شاء الله) غَنيٌّ عنها ؛ فخذْها واشْتَرِنْ بثمنها : في جَلْبِ الطعامِ إلى نفسِك . فأخَذَها ، وبارأ زوجته . وأمَرَني : بدفعِ الطعامِ إليه ؛ فأقْبَضْتُه إيّاه .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرني بعضُ أصحابِنا : من أهلِ العلمِ ؛ عن رجلٍ فاضلٍ — : من خِيارِ المسلمين ؛ أدرَكَ سَعيدَ بن سُليمانَ القاضي . — قال :

قَضى سعيدُ بن سُليمانَ يوماً ، في المسجدِ ، إلى أنْ مَضى صدرُ النهارِ ؛ ثم قام مُنصَرِفاً إلى داره . فلمّا هَمَّ بدُخولِ الدارِ : فإذا بوالدِ نَصرٍ الفتَى مُقبلاً : وأعوانُه بيْن يديْه — وكان أعجميَّ اللسانِ — فصاحَ على البُعدِ (بالعَجَميَّة) : كَلِّموا القاضي يَثْبُتْ ؛ عليَّ أُكَلِّمُه . فقال القاضي : قولوا له (بالعجميةِ) : إنَّ القاضيَ قد أدركَتْه المَلالَةُ والسَّآمَةُ : من طُولِ الجلوسِ للقضاء ؛ فإذا جلَس بالعَشِيِّ في المسجد — : للنظَرِ بيْن الناسِ . — تَعودُ إليه : ليَنظُرَ في حاجتِك ؛ إن شاء الله . ثم دخَل القاضي دارَه ، ولم يَقِفْ عليه .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وكان محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبَابة : يَصِفُ سعيدَ بن سُليمانَ القاضيَ : بالخيرِ والفَضلِ ؛ ويُثْني عليه ، ويَصفُه : بالتَّواضُعِ .

قال محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ : أخبرني محمدُ بن أحمدَ العُتْبيُّ ؛ قال :

صلَّى بنا سعيدُ بن سليمانَ القاضي، صلاةَ الجُمُعةِ ، في المسجدِ الجامعِ بقُرطُبةَ ؛ ثم خرَجنا معــه : فمَشَى ولم يَركَبْ ، ومشَيْنا معه : حتى بلغ الفُرنَ الذي كان يَطبَخُ فيه خُبزُه . فقال للفرّانِ : خُبزَتي مطبوخةٌ ؟ فقال له : نعم . فقال له : هاتِها . فناولَها له : فأخَذها فجعَلها تحتَ عَضُدِه ؛ وأقبلْنا نَمشي : حتى بلَغنا الدارَ ؛ فدخَل وانصرَفْنا عنه .

قال محمدٌ : ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : كان سَعيدُ بن سُليمانَ القاضي :

يَحكُمُ فى المسجدِ الجامعِ ، ويأتِى إليـــه ماشياً ؛ وإنه كان يوماً : من الأيام ؛ مُقبِــلاً ضُحًى ؛ فلمَّا أتَى بابَ اليهودِ : اُلتَقَى بسعيدِ بن حَسَّانٍ الفقيهِ — : وكان سعيدُ بن حسانٍ منقبضاً عنه . — فقال له القاضى : أبا عُثمانَ ؛ مالكَ تَنقبِضُ عنِّى : فلا تأتينى ؟ ! فواللهِ : ما أُريدُ إلا الحقَّ ، ولا أُقصِدُ غيرَه . فقال ســعيدُ ابن حسانٍ : واللهِ ؛ لو أعلَمُ هذا : ما قعَدتُ عنك ، ولَتَحَمَّلْتُ هذه الخَرِيطةَ بيْنَ يدَيْك . ثم عاد سعيدٌ إلى إتيانِه .

قال محمدٌ : ولَبِثَ سعيدُ بنُسُليمانَ قاضياً : إلى أنْ ماتَ الأميرُ عبدُ الرحمن بنِ الحَــكَم (رضى الله عنه) . سنةَ ثمانٍ وثمانين ومائتَيْن .

فحَــكَى محمدُ بن عبدالملكِ بنِ أيْمَنَ ، عمَّن أخبره — : ممَّن شَهِد البَيْعةَ للأميرُ محمدٍ رحمه الله . — : أنه لمَّـا دخَل عليه القاضى : سعيدُ بن سُليمانَ ؛ ودَنَا منه ـ قال له محمدٌ الأميرُ :

أيُّهَا القاضى ؛ أمضِ عَلَى نَظَرِكَ . فتَمَادَى قاضِــياً ، فى أولِ أيامِ الأميرِ محمد (رحمه الله) : نحو عامَيْنِ ؛ ثم ماتَ : غيرَ مَعزُولٍ . ولا أعلَمُ له عَقِباً .

قال محمدٌ : وجَدتُ فى التَّسْمِيةِ[1] المُسْتخرَجةِ من دِيوانِ القُضاةِ : أنه تلاَ سعيدَ ابن سُليمانَ فى القضاء محمدُ بن سعيدٍ . فلا أدرِى : إن كان : محمدَ بن سعيدِ بن سُليمانَ ، أو غيرَه ؟ . ولم أجِدْ له خبراً ؛ ولا سمِعتُ له ـ عندَ مَن أدرَكْتُ : من العلماء . ـ ذِكْراً ؛ حاشَى اُسمَه : فإنه مَوضوعٌ معَ جُملةِ أسماءِ قُضاةِ الجماعةِ : فى التَّسميةِ المُستَخْرَجةِ من الدِّيوانِ .

* * *

(١) بالأصل : تسمية .

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ زيادٍ اللَّخْمِى[1] »

٣٧ قال محمدٌ : أحمـــدُ بن زيادِ بنِ عبد الرحمن : أخو محمدِ بن زيادٍ المتقدِّمِ ذِكْرُه من قبلُ ؛ وقَعَ عليه اُختيارُ الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : فاستقدمه من «شَذُونةَ» ، ووَلاَّه قضاءَ الجماعةِ . فسار : بخيرِ سِيرةٍ وأجملِها ، وكان : رجلاً صالحاً ، صحيحَ المذهبِ ، حَسَنَ السِّيرةِ ، ويُقالُ : إنه كانتْ فيه عَجْرَفَةٌ[2] : معَ حُسنِ حالِه ، واُستقامةِ حالِه .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : كان أحمدُ بن زيادٍ القاضى : شديدَ التَّهَيُّبِ فى قضائه ؛ لا يُخاطَبُ فى شىءٍ — : من أمرِ الخصومِ — إلاَّ فى مجلس نظَرِه ؛ ولا يَأذَنُ لأحدٍ — : يَلقاه فى طريقٍ . — : فى مُواكَبتِه ؛ ولا : أن يَنصرِفَ معَه . ومَن ألَحَّ فيما لا يَنبَغِى : من ذلك ؛ أمَرَ بحبْسِه .

وذُكِرَ : أنه لَقِيَه محمـــدُ بن يوسُفَ [الأعرجُ] عندَ بابِ القَنْطَرَةِ ، يوماً من الأيامِ — : وقد أمَرَ أحمدُ بن زيادٍ ، بحبْسِ رجلٍ : أعترَضَه بكلامٍ لا يَصلُحُ له : أنْ يُكلِّمَه به ، وكان الأعْرَجُ : ضَيِّقَ الخُلُقِ، شَديدَ الحَرَجِ . — فقال له حينئذٍ : هَيْبةُ الجبَّارِين ، ومَذهَبُ المُتكبِّرين ؛ لا يُكلَّمُ على الطريقِ ! . فأمَرَ أحمدُ بن زيادٍ : بحبْسِ الأعرجِ ؛ واتَّصَل الخبرُ بأهلِ الجامعِ : لِقُربِ الموضعِ ؛ وكان فى تلك الساعةِ ، فى الجامعِ ، صاحبُ الشُّرْطَةِ : محمدُ بن عبد الرحمن بنِ إبراهيمَ ؛ فخرج إلى أحمدَ بن زياد مُسرِعاً : فعابَ عليه فِعلَه ؛ وكَسَرَ رأيَه . فانصَرَفَ القاضى عن رأيِه ، وأمَرَ : بتَرْكِ محمدِ بن يوسُفَ .

قال محمدٌ : وكان أحمدُ بن زيادٍ قاضياً : تسعةَ أعوامٍ وأشهُراً ؛ إلى أنْ أحدَثَ بعضُ أولادِه بشَذُونة حَدَثاً ؛ فاتَّصل ذلك بالأميرِ محمـــدٍ (رحمه الله) : فوَجَّه

(١) انظر : جذوة المقتبس ص ١١٦ ، ٢٠٩ . (٢) بالاصل : عجرفية .

لامْتِحانِ ذلك ، ولَداً لمحمدِ بن موسى الوزيرِ ، يُسَمَّى بموسى — وكان : لَقِناً ذكيًّا ؛ من أهلِ النظَرِ والحركَةِ . — فقدم بتَصْحيحِ ذلك الحَدَثِ[1] ؛ فدارَتْ عَلَى القاضى فيه غَضاضَةٌ ، ونالَتْه منه ذِلَّةٌ .

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن محمد بن عُمرَ بن لُبَابَةَ : أنَّ هاشِمَ بن عبد العزيز ، أرادَ القاضىَ أحمدَ بن زيادٍ : عَلَى أنْ يَبيعَ داراً : كانتْ بالمدينةِ للأيْتامِ ؛ من بعضِ أولادِ الأميرِ محمد (رحمه الله) ؛ فأبَى ولَجَّ ، وقال : لا أبيعُها . وكان كاتِبَه يومئذٍ عَمرُو بن عبد الله : فعَمَدَ لنفسِه فى القضاء ، معَ هاشمِ بن عبد العزيز ؛ ثم زَيَّنَ لأحمدَ بنِ زيادٍ : أنْ يكتُبَ إلى الأميرِ : يَسْتَعْفِيه عن القضاء ؛ فأطاعَه أحمدُ ابن زيادٍ ، وكَتَبَ بذلك .

فلمَّا خرَجَ الكتابُ من حُكْمِه : دخَلَ عليه من خاصَّتِه رجلٌ ، فقال له : أنتَ قَصيرٌ ، وكاتبُك قصيرٌ ، وأنا قَصيرٌ ؛ فاحذَرْ : أنْ يَغلِبَك ويَغلِبَنى كاتبُك عمرُو ؛ فما الذى أشار به عليك ؟ . قال : بأنْ أسْتَعْفِيَ ، وأكتُبَ بذلك إلى الأمير وقد فعَلْتُ . قال : أنتَ (واللهِ) مَعزُولٌ .

قال : فحَكَى ذلك الرجلُ ؛ قال : فما بَرِحتُ من بيْنِ يدَيْه : حتى أتَى صاحبُ الرسائلِ ، فقال له : يقولُ لك الأميرُ (أصلحه الله) : تَبرَأْ بالدِّيوانِ إلى قاضِينا: عمرِو بن عبد الله .

وحَكَى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : لما نالَتْ أحمدَ بنَ زيادٍ الكَسْرَةُ ، وأدركَتْه الغَضاضَةُ — فيما أحْدَثَ ولدُه بشَذُونَةَ — : شاوَرَ كاتبَه عمرَو بن عبد الله : فى أمْرِ نفسِه ، وما يُحملُ عليه فى السببِ الذى دار عليه . فقال له عمرُو : أرَى: أن تكتُبَ إلى الأميرِ: تَسْتَعْفِيه ؛ فإنَّ الملوكَ من شأنِهم — إذا اُسْتُعْفُوا — أن يَلِجُّوا؛ فيكونُ إقرارُه لك بعدَ الاسْتِعفاء : ولايةً مُجدَّدةً .

(١) بالاصل : الحديث.

فأَصْغَى أحمدُ بن زيادٍ إلى ذلك ، وكَتَب بِطاقةً وحَبَّرها عن رأيه . وكان عَلَى أخْباسِ أحمـدَ بنِ زِياد (أىْ : ذلك الوقتَ) ؛ رجلٌ : من أكْياسِ الناس ودُهاتهم ؛ يُعرَفُ بزيدٍ الغافِقِىِّ . فدخَل زيدٌ عَلَى أحمدَ بنِ زيادٍ : وعمرُو بن عبد الله خارجٌ عنه ؛ وقد أحْـكَم البِطاقة : فلمّا دخَل عليه زيدٌ ، قال له : أيُّها القاضى ؛ إنَّ هـذا الخارجَ عنك (يعنى : عمْراً) قصيرٌ ؛ وأنا قصيرٌ ؛ وليس فينا خيرٌ . فقال له زيدٌ : وإنه خَدَعك؛ فوَاللهِ : لئنْ رَفعتَ إلى الأميرِ : تَسْتَعْفِيه : لَيَغْتَنِمَنَّها منك[1] : بسببِ مادارَ عليك .

فعصاه القاضى ، وأمضَى البِطاقةَ عَلَى وَجْهها . فعَزَله الأميرُ (رحمه الله) .

فكان محمدُ بن أيْمَنَ : يَحكِى عن زيدٍ ؛ قال : بَيْنما أنا فى السُّوقِ : إذ ضَرَبَ عَلَىَّ شُرْطِىٌّ ؛ فقال : أجِبْ القاضىَ . فقلتُ : أىَّ قاضٍ ؟ . فقال : عمرَو ابن عبد الله .

قال : فأتَيْتُه ؛ فوجَدتُه ؛ فى الجامعِ : قاعداً . (وكان زيدٌ : يَحكِى قِصةً طويلةً عَرَضتْ له مع عمرٍو ؛ فى ذلك) .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى بعضُ أصحابِنا ؛ قال : أخبرنى يَحيَى بن زكرياء ؛ قال :

لما ولِّىَ عمرُو بن عبد الله القضاءَ ، أبَى : أن يَقْبِضَ الدِّيوانَ ، إلاَّ من أحمدَ بنِ زيادٍ . فبَعثَ فيه عمروٌ ، وعَزَم عليه : أنْ يأتِيَه بالدِّيوانِ بنفسه ؛ لا يَكِلُ ذلك إلى أحدٍ سِواهُ . وأتاه به إلى الجامعِ : فدَفَعه إليه . فلمّاقام أحمدُ : أخَذ بعَضُدِه ؛ ثم قال له : ياعَمْرُو ؛ لقد فَتَحت عَلَى القضاء باباً : لايُخْطِئك شَرُّه .

* * *

(١) بالأصل : منها .

« ذِكْرُ القاضي : عَمرِو بنِ عبدِ اللهِ بنِ لَيْثٍ القبعة . »

٣٨ قال محمدٌ : هو مَولى أبيه عبدِ الرحمن بنِ مُعاوية ؛ وهو : عَمرُو بن عبدِ اللهِ أبو عبد الله ؛ كان : مَولًى ؛ وهو أولُ مَنْ وَلِيَ قضاءَ الجماعةِ للخلفاء : من المَوالِي .

فشَقَّ ذلك على العربِ ، [وتأثَّرُوا منه[1]] ، وتَكلَّموا فيه .

فَبلغ ذلك الأميرَ محمداً (رحمه الله) ؛ فقال : وجَدتُ فيه مالم أجِدْ فيهم .

فقال العربُ : أمَّا القَضاء : فإنّا لا نَعتَرِضُ فيه ؛ لأنه : من سُلْطانِه . وأمَّا الصَّلاةُ : فإنَّا لانُصلِّي وراءه .

فوَلَّى الأميرُ (رحمه الله) الصلاة ، النُّمَيْرِيَّ : عبدَ اللهِ بنَ الفَرج ؛ وكان عَمرُو بن عبدِ اللهِ صَنيعةً للأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : من قَبْلِ أنْ يَلِيَ الخلافةَ ؛ وكان : عارفاً بفضلِه وعقلِه وأدبِهِ ؛ فقَدَّمه : على تجرِبةٍ ؛ ووَلَّاه : عن خِبْرَةٍ ؛ وقَلَّده قضاءَ الجماعةِ : سنةَ خمسينَ ومِائتَيْن .

قال محمدٌ : ومِن قبلِ أنْ يَكتُبَ عَمرُو بن عبدِ اللهِ ، لأحمدَ بنِ زيادٍ القاضي — كان : قاضياً على كُورَةِ أسْتِجةَ .

فأخبرني مَن أَثِقُ به ؛ قال : أتاه عيسى بنُ فُطيسٍ : مُتَظَلِّماً من ابنِ عائشةَ القُرشِيِّ . فقال : وشَكَى وأكْثَرَ ؛ فسكَتَ عنه عَمرُو بن عبدِ الله ، ولم يُجِبْه بحرفٍ . واستَمَرَّ ابنُ فُطَيْسٍ في الشكوى . فلمَّا بلغ عمرو إلى دارِ سُكناه : دَخَلَ من الباب ، وحَوَّل وجْهَه إلى ابن فُطيسٍ ، وألْقَى إليه كلامًا فَصْلاً : قليلَ اللفظِ ، كثيرَ المعاني ، عَجيبَ الحِكَمِ ؛ قال له : الغالبُ في القَرْيةِ ، هو : الغالبُ عندي .

فلقِنَها عنه ابنُ فُطَيْسٍ ، فجَمَع عبيدَه ومَن لاذَ[2] به : من سُلطانه ؛ عَلَى

---

(١) بياض : بالأصل (٢) بالأصل : لاث .

خَصمِه : فغَلَبه . ثم اْجتَمَعا عنـدَ القاضى من بعدُ : فأنـكَرَ اْبنُ فُطيسٍ جميعَ ماادَّعَى به عليه خَصمُه ؛ وانصَرَفَ غيرَ محكومٍ عليه . وكُلِّف اْبنُ عائشةَ البَيِّنةَ عَلَى دَعْواه ؛ فغَلَبَ اْبنُ فُطيسٍ فى الظاهرِ ، كما غَلَبَ فى الباطنِ .

قال محمدٌ : وجُملةُ القولِ فى وصْفِ عمرِو بن عبدِ الله : « أنه كان : جميلَ الرَّأيِ ، حَسنَ السَّمتِ ، طَويلَ الصَّمتِ ؛ قَليلَ الحَرَكةِ[1] ؛ إذا نَطَقَ : كأنمـا يَنطِقُ من صَدْعِ صَخْرةٍ ؛ معَ الهَيْبةِ الشَّديدةِ ، والمُرُوءةِ الظَّاهرةِ ؛ لايَنْظُرُ إلاَّ لَمْحًا ، ولا يَنطِقُ إلاَّ تَبَسُّما . حَكَى فى ولايتِه الأولى ، محمـدَ بنَ بَشِيرٍ : فى صِحَّةِ الأمورِ ، وشِدَّةِ النَّقَاوةِ ، وحُسنِ السِّيرةِ ؛ وإيثارِ العَدْلِ . وكان إذا قعَدَ : لايَتقرَّبُ منه خَصمٌ ، ولا يَدْنو منه أحـدٌ . وكذلك : كان إذا رَكِبَ : لايَصْحَبُه[2] صاحبٌ ولايَصيرُ إلىجانبه راكِبٌ ؛ معَ قُوَّةِ السَّكِينةِ ، والصَّلابةِ الشَّديدةِ ؛ والتَّنفيذِ الوشيكِ ، وقِلَّةِ المُدَارةِ لِمَن لَصِقَ بالخليفةِ : من وُجُوهِ خاصَّتِه[3] ، وعُيُونِ رِجاله . » .

أخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ؛ قال : حَكَم عمرُو بن عبـدِ الله ، عَلَى هاشم بن عبـدِ العزيز — فى مَجْشَرٍ كان فى يده ، بجانب جَيَّان — : بعلمِه : بلا بينة ، ولا إعذارٍ ؛ وسَجَّلَ ، وأشهد ، ونَفَّذَ .

وذكر بعض أهل العلم ؛ قال : حدثنى بعض شيوخ مسجد أبى عثمان ؛ قال : اْلتَقَى عمرو بن عبـد الله بهاشم بن عبد العزيز ؛ فلم يَزِدْ القاضى : عَلَى أن سَلَّمَ عَلَى هاشم ؛ فَلَوَى : لم يَثْنِ معه عنانًا ، ولا وَقَف عليه فُوَاقًا .

قال خالدُ بن سعدٍ : كان محمدُ بن مِسْوَرٍ ، يَذكُرُ : أنه تَوَجَّه ذاتَ يومٍ إلى القاضى عمرو بن عبدِ الله — وذلك قبل الظُّهرِ — (قال) : فوجَدتُ الناسَ :

(١) بالأصل : الحركات . (٢) بالأصل : نصحبه .
(٣) بالأصل : خاصة .

ينتظرون خُروجَه إلى المسجد ؛ فخرج : و بيْنَ يدَيه رجلٌ يحمل خريطته بكتبٍ ، وشيخٌ يمشى إلى جَنبه ؛ فإذا همّ رجلٌ أن يدنوَ من القاضى — : ليكلمه فى مَسيرِه إلى المسجدِ . — : دفعَه عنه ؛ وقال : أذهَبْ حتى يَجلسَ القاضى فى مَجالسِ القضاء .

قال محمدٌ : وذكر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : ماتَ أبْنٌ لِعمرِو بن عبد الله : فمَشَتْ قريشٌ فى جنازته : فى حَفْلٍ لم يَشْهدْ أحدٌ أفْخَمَ منه : مَنظَراً ؛ ولا أكثرَ : عدَداً .

قال محمدٌ : وكان عَمرُو بن عبد الله : حليماً وَقُوراً ، ضابطاً لنفسه : عندَ ساعةِ الغضَبِ ، ومُعاينَة المَكْروهِ .

حَكَى أحمدُ بن محمدبن عبدِ الملكِ —فى كتابه— قال : كان عَمرُو بن عبدِ الله ، يُلقَّبُ : بالقبعةِ ؛ وذلك : أنه كان دحْداحاً قصيراً : يكاد يَخفَى إذا قعدَ ؛ وكان : إذا قعَدَ مَقْعدَ القضاء ، أمرَ مَنْ كانتْ له عندَه خُصومةٌ : أنْ يَكتُبَ أسمه فى رُقعةٍ . ثم : يَجمَعُ الرِّقاعَ ، ويَخلِطُها بيْنَ يديهِ ؛ ويَدعُو بأصحابها[1] الأوّلَ فالأوّلَ ؛ على ما يَخرُجُ إلى يده : من الرِّقاعِ .

فأتى رجلٌ إلى مُؤمِنِ بن سعيدٍ الشاعرِ — : وكان كثيراً ما يَلزَمُ المسجد الذى كان يَجلِسُ فيه عَمرو بن عبد الله : لِقرْبِ جِوَارِه منه . — فسأله : أن يُوَقِّعَ له أسمَه فى رُقْعةٍ ؛ فقال له : ما أسمُك ؟ . فقال له : عُقْبةُ . فكتب له مُؤمنُ بن سعيد : « قبعة » . فأخَذَها الرجل : فقذَفها بيْنَ الرِّقاع . فلمّا خرَجَتْ إلى يَدِ القاضى : شعَر له ، وجَعَل يُؤخِّرُها : حتى انقضَتْ الرقاعُ . فقال القاضى — لمّا خَفَّ الناس عنه — : مَن عُقبةُ ؟. فتقدَّم إليه الرجلُ . فقال له : مَن كَتَبَ أسمَك ؟. فوصَفَ له صِفةَ مُؤمنٍ ؛ فقال له : إيّاكَ أنْ تَقعُدَ إليه ثانيةً .

قال لى عُثمانُ بنُ محمدٍ : أخبرنى أبى : قال : شَهِدتُ مَجلسَ عَمرو بن عبدِ الله يوماً : من الأيام ؛ فى المسجد المجاوِرِ لداره —فرأيته جالساً يَحكمُ بيْنَ الناس وعليه

(١) بالأصل : بأصحابه.

ثوبٌ مشرطاب[1] ؛ وهو جالسٌ فى رُكنِ المسجدِ معَ مَن جلَس إليه : من أهل الحَوائجِ والخصوماتِ ؛ وفى الرُّكْنِ الثانى الذى يُقابِله : مُؤمنُ بن سعيدٍ ؛ قد جلس معَ مَن جلس إليه من الأحداث : من رُواةِ الشّعر وطُلاّبِ الأدبِ .

(قال) : فتلاَحَى حَدَثانِ : من جُلاّسِ مُؤمنٍ ؛ فى شىءٍ ؛ فرَفعَ أحدُهما يدَه بخُفٍّ : فضَرَب صاحبه ، فأصابَه ؛ ثم سقط الخفُّ — بعدَ الضَّرْبة — فى مجلس القاضى — وظَنَّ مَن حضَر : أنه ستكونُ منه صَوْلة . — فما زاد : أنْ قال : لقد آذانا هؤلاءِ الأحْداثُ . (قال) : فرأيتُ الأحداثَ يَتسَلَّلُون لِواذاً : فرَقاً من القـاضى ، وحِشْمةً مما أتِىَ من جِهَتِهم .

(قال) : ثم لم أبْرَحْ من المجلس : حتى قام عَمرو بن عبدِ اللهِ : مُتوَجهاً إلى دارِه ، وقام الناسُ معَه . فلمَّا بَلَغ بابَ الدّارِ : وقَفَ وحَوّل وجْهَه ، واُتّـكا على عصاه ؛ ثم قال : مَن كانتْ له حاجة : فليَتـكلَّمْ فيها . فتكلّم الناسُ . ثم قال عَمرٌو : أيْنَ رسولُ الأميرِ أبى إسحاقَ (حفظه الله) ؟ . فدَنَا منه رجلٌ ، فقال : أنا هو . فقال : أبلغْ الأميرَ (أكرمه الله) السلامَ (يعنى : أخا الأميرِ (رحمهما الله) ؛ وقل له : ظَلَمتَ وأسأتَ فيما فعَلْتَ ؛ عَمَدت إلى رجلٍ قد أخذه حُكمى : فآوَيْتَه وسَتَرْتَه ؛ تُريدُ : أنْ تَمنعَ الحقَّ من أنْ يُنفَّذَ عليه ؛ إن لم تُخْرِجْه وتُبْرِزه — : لِيُؤدىَ ما عليه ، ويَصيرَ فيـه إلى الواجبِ . — وإلا أرسلتُ إليك مَن يُسَمِّرُ أبوابَ دارِك . ثم دخل إلى داره .

قال محمدٌ : [سَمِعتُ] بعضَ أهلِ العـلمِ يَحكِى ؛ قال : اُخْتَصم رجُلانِ إلى عَمرو بن عبدِ اللهِ : فأظهرَ أحدُهما وَثيقةً ، ثم صار إلى سَتْرِها . فقال له عَمرٌو : أظهِرْ الوَثيقةَ ؛ فأبَى . فعزَم عليه عَمرٌو واشْتَدَّ ؛ فأخرَجَها الرجلُ — : وهو مُغْضَبٌ . — من كُمّه ؛ فرَمَى بها إلى القاضى : فأصابَ وجْهَه ؛ فاصْفَرَّ وجْهُه

(١) هكذا بالأصل .

عمرٍو : حتى انتقعَ لونُه ؛ وظنَّ الناسُ : أنه سيأمرُ به ؛ فأدركه حِلمُه ، وأعرضَ عن ذلك ؛ ونظر في الوثيقةِ . ثم قال للرجل : أليس هذا أحسنَ ؟!.

وكان سُليمانُ بن عِمْرانَ قاضى القَيْرَوان ، يكتب إلى عمرو بن عبدِ الله : « مِن سُليمان بن عمران قاضى القَيْرَوانِ ، إلى عمرو بن عبـدِ اللهِ » ؛ فكان عمرٌ : يَسوغُه ذلك ، ولا يُنكِرُه عليه ؛ ويَـكتُبُ إليه الجوابَ : بتقديمِ « سُليمانَ بنِ عِمرانَ » وتأخيرِ نفسِه .

فلمَّا وُلِّىَ سليمان بنُ أسْودَ : عامَلَه سليمانُ بن عِمْرانَ تلك المعامَلَةَ ؛ فلم يَتحمَّلْها سُليمان بنُ أسودَ ، فجاوبه : بتقديمِ نفسِه ـ فكان سُليمان بن عِمْرانَ يقولُ : ياعَجَباً ؛ يُعزَلُ مثلُ عمرِو بن عبدِ اللهِ عن القضاء ، ويلِى مثلُ سُليمانَ بنِ أسْودَ : ذلك الجِلْفِ الجافِى .

قال محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ : كان مُؤمنُ بن سَعيدٍ الشاعرُ يوماً ، جالساً عند عمرو بن عبدالله ـ وكان فى مؤمنٍ : من الهزْلِ والنادرِ ؛ ماقد عُرِفَ وحُفِظَ ـ فقال : هذا أبو زيدٍ الحذرى اتخذَ غِلماناً لخدمتِه ؛ فقال الناسُ : كيْتَ وكيْتَ — فعرَّض بالشيخِ — : فاستَغرَب كلُّ من حضر : ضَحِكاً ؛ فلم يَزِدْ عمرٌو على أن وضع يديه على فَمِه ، وأشار إلى التَّبَسُّمِ .

قال خالدُ بن سـعدٍ : أخبرنى وَليدُ بن إبراهيمَ ؛ قال :

أرسلَنى أبى إبراهيمُ بن لبيبٍ — ذاتَ يومٍ — : فى حاجةٍ ؛ إلى عمرو بنِ عبد الله القاضى — وكان صديقاً لأبى — فدخَلْتُ عليه فى المسجدِ : وهو يَقضى بين الناس ؛ إذا أتاه رجلٌ ضعيفٌ : عليـه أطمارٌ ؛ فشَـكا إليه بعضَ عُمَّالِ الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) وكان ذلك العامِلُ : عظيمَ الشأنِ والقَدْرِ ، مرَشَّحًا فى وقتِه : للمدينةِ ؛ ثم صار بإثْرِ ذلك إلى ولايةِ المدينة ـ فقال له : ياقاضى المسلمين ؛ إن فلاناً غَصَبَنِى داراً . فقال له عمرُو بن عبدِ الله القاضى : خُذْ فيه طابعاً . فقال له الرجلُ الضَّعيفُ : مِثْلى يسيرُ إلى مِثلِه بطابَعٍ !! لستُ آمَنُه على نفسى . فقال

له القاضى : خذْ فيه طابعاً ؛ كما آمُرُكَ : فأخذَ الرجلُ طابعَه ، ثم توَجَّه إليه به .

(قال وَليد) فقلتُ فى نفسى : لأقْعُدَنَّ حتى أعلمَ كيف تكونُ صلابتُه فى أمْرِه ؟ . فلم تكنْ إلا ساعةً : إذ رَجع الرجلُ الضعيفُ ؛ فقال له : ياقاضى : إنى عرضتُ عليـــه الطابعَ عن بُعْدٍ ، ثم هربتُ إليك . فقال له عمرو : اجْلِسْ ؛ سيُقْبِلُ .

(قال وَليدُ بنُ إبراهيمَ) : فلم أنْشَبْ : أن أتَى الرجلُ فى رَكْبٍ عظيم — : وبيْن يدَيْه الفرسان والرَّجالةُ . — فثَنى رِجلَه ونزَل ؛ ثم دَخَلَ المسجدَ : فسلَّم على القاضى وعلى جميع جُلسائه ؛ ثم تمَادى كما هو ، وأسنَدَ ظهره إلى حائط المسجد .

فقال له القاضى عَمرُو بن عبدالله : قُمْ هاهُنا ؛ فاجلِس بين يدىَّ معَ خصمِكَ .

فقال له : أصلَحَ اللهُ القاضىَ ؛ إنّماهو مسجدٌ والمَجالِسُ فيه واحدةٌ : لا فضل لبعضها على بعض . فقال له عمرُو : قم هاهُنا لما أمرْتُكَ ؛ واجلس بين يدَىَّ مع خصمِكَ .

فلمَّا رأى عزْمَ القاضى فى ذلك : قام فجَلس بين يدَيه ، وأشارَ القاضى إلى الرَّجلِ الضَّعيفِ : أن يقعُدَ مع صاحبِه بين يدَيْه .

فقال عمرُو للرجلِ الضعيفِ : ما تقولُ ؟ .

فقال : أقولُ : غَصَبَنِى داراً لى .

فقال القاضى للمدَّعَى عليه : ما تقولُ ؟

فقال : أقولُ : إنَّ لى عليه الأدبَ فيما نَسبَ إلىَّ : من الغَصْبِ .

فقال القاضى : لو قال ذلك لِرَجُلٍ صالِحٍ : كان عليه الأدبُ كما ذكرتَ ؟ ! فأمّا من كان مَعروفاً بالغَصْبِ : فلا ؟! . ثم قال لجماعة من الأعوان — : ممن كان بين يديه . — امْضُوا معَه ، وتوَكَّلوا به ؛ فإن رَدَّ إلى الرجل دارَه ؛ وإلاّ : فرُدُّوه إلىَّ ؛ حتى أخاطِبَ الأميرَ (أصلحه الله) : فى أمْرِه ، وأصِفَ له ظلْمَه وتطاوُلَه .

فخرَج مع الأعْوان ، فلم تكن إلاّ ساعةً : حتى انصرَفَ الرجل الضَّعيف والأعْوانُ . فقال الرجُل للقاضى : جزاكَ اللهُ عنى خيراً قد صَرَف إلىَّ دارى . فقال له القاضى : اذْهَب فى عافيةٍ .

قال محمدُ بن وليدٍ : لم يزَلْ عمرُو بن عبدِاللهِ فى ولايَتِهِ الأولى : عظيمَ القدْرِ ، ظاهرَ الفضْلِ ، معرُوفَ العَدْلِ ؛ تُضْرَبُ به الأمْثالُ ، ويُهَدَّدُ به الظَّالِمُ ؛ لا يَعْدِلُ به أحدٌ فى جميلِ مَذاهِبِه ؛ إلى أنْ قيمَ عندَه علَى بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ بتلك الأسْبابِ النَّاجمَةِ ؛ وتَشاهَدَ عليه بَيَاضُ البلدِ ، وشُيوخُ المِصْرِ : عازِمِينَ على سَفْكِ دَمِه ، وقَطْعِ أثَرِه ؛ وشنَّعوا عندَ الأميرِ (رحمه الله) من ذلك شُنَعاً : عَظُمَ اهْتِمامُ الأميرِ بها ؛ فشاوَرَ الأميرُ فى ذلك هاشِماً ، وقال : قد شَهِد شُيوخُ البَلَدِ ووُجُوهُه على هذا الرجل : بما شَهِدُوا به ؛ فإن أردتُ : أنْ أرُدَّ شهاداتِهم ، وأسْقِطَ مَقالاتِهم صَعُب ذلك علىَّ ؛ وإن أوْقَعْتُ بالرجل — : على زُهْدِه وخَيرِه . — : فعلْتُ عظيماً ؛ فما تَرَى ؟ . قال له هاشمٌ : أرَى : أنْ تعزِلَ القاضىَ : الذى قام هذا السَّببُ عندَه ؛ فإنك إذا عزَلْتَهُ : سَكَنَ القومُ ، وانكسر حَدُّهم ، وصعُبَ عليهم استئناف الخَبَرِ عندَ الوالى بعدَه . فعزَلَ الأميرُ محمدٌ عمرو ابنَ عبدِ الله : لهذا السَّببِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : سُليمانَ بنِ أسْوَدَ الغافِقىِّ(١) . »

قال محمدٌ : سليمانُ بن أسْوَدَ بن يَعِيشَ بن جشبيد من مَدينةِ « غافِقٍ » وَلِىَ كُورَةَ ماردةَ : وقتَ ولايَةِ عمِّه سعيد بن سليمان ، قضاء الجماعةِ بقُرطُبةَ ؛ ووَلِىَ خالدُ بن سعيدٍ هذا : قضاء فَحصِ البَلُّوطِ .

قال محمدٌ : وبمدينة ماردةَ ، كان تزَوَّج سليمانُ بن أسودَ ، أختَ سليمان بن سليمان بن هاشمٍ المعافِرِىِّ .

ولَّاه الأميرُ محمدُ بن عبدِ الرحمن (رضى الله عنهما) ، قضاء الجماعةِ بقُرطُبةَ :

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ — ٥٩ .

إذ عزَل عن القضاء عمرَو بن عبدِ الله . وكان السَّببُ الذى قدَّمه عندَ الأمير ، وأحلّه بقلبِه محلَّ الجلالةِ — أمرَين ؛ (أحدُهما) : أنَّ الأميرَ محمداً رحمه الله —: إذ كان بماردةَ فى حياةِ الأميرِ عبدِ الرحمن رضى الله عنه . — تطاوَلَ بعضُ أعوانِه : فانتزَع من رجلٍ ابنتَه — وكان سُليمانُ بن أسودَ حينئذٍ : قاضياً بماردةَ . — فلجَأ الرجلُ المظلومُ إلى سليمانَ القاضى : فاستغاثَه ؛ فكَتب إلى الأميرِ محمدٍ : يُعلِمهُ بالخبرِ ؛ فأبطأ عليه الجوابُ بما أحبَّ منه : من الإنصاف ؛ فركِبَ دابَّتَه ، ووقَف ببابِ القصرِ بماردةَ ، وكتَب إلى الأميرِ (رحمه الله) : « هذه طريقى إلى أبيك : إن لم تُغيِّرْ علَى أعوانك ما صنعوا » . فبلَّغه الأميرُ محمدٌ إلى ما أحبَّ : من الإنصاف .

فلمَّا ولِىَ محمدٌ (رضى الله عنه) ، قيل لسُليمانَ : اُخرقِ الأرضَ ، وادخلْ فيها : فقد علِمتَ ما قدَّمتَ إلى الأميرِ محمدٍ : إذ كان بماردةَ . فلم يَرَ منه مكروهاً ؛ وكان : حَظِيًّا عندَه ، مُقدَّماً لدَيه ؛ وكان أحَدَ الأربعة الدَّاخِلينَ علَى الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : فيما يَحتاجُ : من إشْهادٍ واستِفتاء .

(والثانية [1]) : أنَّه لمَّا عُزِلَ سُليمانُ عن قضاء ماردةَ : وافى بابَ القَصرِ بقُرطُبةَ ، وكتَب إلى الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : « إنَّ بيدَى مالًا : تجَمَّعَ من أرْزاقى ؛ وَجَب علَىَّ صرْفُه إلى بَيتِ المالِ ؛ وهو : ممَّا حاسَبْتُ فيه نفسى : من أيَّامِ الجُمَعِ ، وأوقاتِ الأشْغالِ والأحيانِ ، التى وَجَب علَىَّ فيها النَّظَرُ ، فلم أنظُرْ » .

فخَرج إليه الجوابُ من عندِ الأمير : « هو لك صِلَةٌ مِن عندِنا » .

فأبَى : أنْ يَقبَلَه ؛ حتى يُقْبَضَ منه [2] .

---

(١) كذا بالأصل . والظاهر : (والثانى) . ولعل أنث : مراعاه لأنه قصة .

(٢) يعنى : حتى يتسلم منه ؛ ثم بعد ذلك يصله الأمير بما شاء : فيقبل الصلة حينئذ .

أمّا[1] القِصّةُ الأولى : فمَشهورةٌ مُسْتَفيضَةٌ عندَ العامّةِ والخاصّةِ .

أمّا[1] القِصّةُ الثانيةُ : فأخبرنى بها فَرَجُ بنُ سَلَمَةَ البَلَوِىُّ ، عن محمدِ بنِ لُبَابَةَ .

قال محمدٌ : وبَلَغنى : أنَّ سُليمانَ بنَ أسْوَدَ ، كان له حَظٌّ : من علمِ الأدبِ : وربَّما صَنَع الأبياتَ : من الشِّعرِ ؛ فخاطَبَ بها الخُلفاء ، والخاصَّةَ : من الإخْوانِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى وَليدُ بنُ إبراهيمَ بنِ لَبِيبٍ ؛ قال . أخبرنى سُليمانُ ابنُ سُليمانَ بنِ أسْوَد ؛ قال :

حضرتُ خَتَنِى سُليمانَ بنَ أسْودَ : اذ وُلِّىَ القضاء ، وعُزِلَ عَمرُو بنُ عبدِ اللهِ ؛ وكانا جميعاً فى ذلك الحِينِ : مُجتمِعَيْن فى الجامعِ ؛ فخَرجا جميعاً فى [وقتٍ] واحدٍ : (الوالى والمعزول) ؛ فلمّا أتيا بابَ العطّارِينَ ، وخرَجا من المدينةِ — : أفترَقا ؛ فمالَ الناسُ كلُّهم معَ سُليمانَ بنِ أسْودَ ؛ ومالَ عَمرُو بنُ عبدِ اللهِ وحدَه إلى دارِه : ليس معه أحدٌ . — وكان من قبلِ ذلك «بباغه» : قاضياً . — (قال سليمانُ) : فهمَمْتُ : أنْ أمِيلَ مَع عمرِو بن عبدِ اللهِ — : ممّا أسْتحَيْتُ وعجِبْتُ : من غَدْرِ الناسِ ، وقِلّةِ وفَائهم . — فلم يَمنعْنى من ذلك إلاّ مَخافةُ أنْ يَغدَّدَ عَلَىَّ خَتَنى سُليمانُ بنُ أسْودَ .

قال : وأخبرنى بعضُ أصحابِنا — : من أهلِ العلمِ . — عن يحيى بنِ زكرياءَ : وكان من كِبارِ أصحابِ محمدِ بن وَضاحٍ ؛ قال

حضرَ سليمانُ بن أسْودَ ضيفاً عندَ بعضِ الوُزراء : فى يومِ جُمعةٍ ؛ فسألَه الوَزيرُ : أنْ يَطْعَمَ وحدَه ؛ فاعتذَر إليه : بأنه صائمٌ . فدعا له بغَالِيَةٍ : ليُغلِّفَه بها ؛ فأبَى من ذلك ، وقال : إنَّ هذا يومُ جُمعة ؛ ولا بُدَّ من الاغْتِسالِ فيه ؛ فيَصيرُ هــذا الطيبُ إلى الذَّهابِ والتَّلَفِ . فتوقَّف الوزيرُ عمّا كان أمَرَ به : من ذلك .

---

(١) بالأصل : « وأما » ؛ ولعل زيادة الواو من الناسخ .

فلمَّا خرَجَ سُليمانُ بنُ أسْودَ من عندِه ، قال لبعضِ إخوانِه: كرِهتُ (واللهِ): أنْ أكونَ خَطيبَ المسلمينَ اليومَ ووَاعِظَهم : وعَلَيَّ طِيبٌ فيه مافيه .

قال محمدٌ : أخبرنى غيرُ واحدٍ : من أهل العلم ؛ قال : كان سليمانُ بنُ أسْودَ : فيه ذَكْرَةٌ[1] وصلَابةٌ ، وتحامُلٌ على حاشيةِ السُّلطانِ ؛ وقِلَّةُ مُداراةٍ لِمَن لاذَ[2] بالخليفةِ : من وُجُوهِ رِجالِه ، وأكابِرِ وُزَرائه . .

قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : قال هاشم بن عبد العزيز :

كَتَبَ القاضى سليمانُ بنُ أسْودَ إلى الأميرِ ، كتاباً :

عَرَّضَ فيه : عَلَى السَّيفِ ، وعَزْلِ أُمَيَّةَ بن عيسى من المدينةِ ؛ وحَبْسِ ابنِ أبى أيُّوبَ القُرَشِيِّ فى الحَبْسِ ، وكان المعنى فى ذلك الكتابِ ، أنه قال للأميرِ — فيما خاطَبَه فيه — : «إنَّ ابنَ أبى أيُّوبَ خَرَجَ نهاراً بالسيف : مُشتهراً ؛ فجرح به رجلاً ، وأخافَ آخَرِينَ . وقد كانت لِفَعْلَتِه هذه ، نظائر : كَتَبتُ فيها إلى صاحبِ المدينةِ : فلم يَقْمَعْه عن شَرِّه ، ولا أخَذَ فيه عَلَى يَدِه . ومن قبلِ ذلك : ما كَتَبتُ إليه فى عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ : إذ ظَهرت دعَارَتُه وشَرُّه ؛ فتهاوَنَ بذلك : حتى أحْدثَ ما أحدثَ ؛ واُضْطُرَّ فيه الأميرُ إلى ما اُضْطَرَّ . » .

فذَكَّرَ الأميرَ (رحمه الله) : بقِصَّةِ أخى هاشمٍ — : وفيها : من الغَضَاضَةِ والتَّوْبيخ لهاشم ؛ ما فيها . — وشَهِد بالتَّقصيرِ على أُمَيَّةَ صاحبِ المدينةِ ؛ وحَكَى فعل ابنِ أبى أيُّوبَ القُرَشِيِّ فأمَرَ الأميرُ: بحَبسه :

قال محمدٌ ذَكر لى : أنَّ هاشمَ بنَ عبدِ العزيزِ كايد سليمان بن أسود ، ورام خَديعتَه فى تَرِكةِ قومِس بن أنْتِنْيان ؛ فلم يُنَفِّذْ له عليه : من ذلك ؛ ما أحبَّ ، وذلك أنَّ هاشمَ بن عبد العزيز ، كان مَحَلَّه من الأمير (رحمه الله) محلاً لطيفاً ،

---

(١) ذكرة الرجل والسيف : حدته .

(٢) بالأصل : لاث

فكان النَّاهِضَ بأعباء الخلافةِ ؛ والمتصرِّفَ في وُجوهِ النَّظَرِ ؛ والمستولىَ على أسبابِ التَّدبيرِ لا تُنفَذُ[(١)] العقودُ إلا به ، ولا يحكمُ الأميرُ إلا على يدِه ؛ وكان لا يجدُ معارضاً ، ولا يَعرفُ لِنفسِه مُلاحياً .

فلمَّا نجَم قومسُ بن أنْتِنْيان ، وظَهر فضلُ أدبه : وتَوَلَّى الكِتابةَ ، واضطلَعَ بالأثقالِ ، وخاطَبَ ونَبَّه ، وعارَضَ في الأمورِ ، ودَسَّ بالرَّفعِ ؛ ولم يَرضَ : أنْ يكونَ تابِعاً لغيرِه ، ولا مُسْتَحْذِياً لِسِواه — : أشْتَغَل به قلْبُ هاشمٍ ، ونَفِسَ[(٢)] عليه مَكانتَه ، وردَّ فِكرَه إلى : ضَرِّه ومُطالبَتِه .

فلمَّا أحَسَّ بذلك قومس : اسْتَشْعَر الحذَرَ ، وتَخَلَّقَ بالحزْمِ .

فَبلَغ : من حَذَرِه وعَزْمِه ؛ أنَّ محمدَ بنَ يُوسُفَ بنَ مَطْرُوحٍ ، كانله: صديقاً ، وبه خاصًّا ؛ فطرَقه ليلا : فَخَرج إليه قومس ، فخاطَبَه من وراءِ البابِ . فقال له : افتحْ . فقال : لستُ (بالله) أفعلُ ؛ ولكنْ : قلْ حاجتَك . فقال له محمدُ بن يوسُفَ : إنها من الحوائجِ التي لا تُقالُ من وراءِ البابِ . قال له قومس: فأخِّرْها إلى الصباح .

فانصرَف عنه مَغموماً : إذ أقامه ذلك المُقامَ . فلم يَنَمْ محمدُ بن يوسُفَ باقِيَ ليلتِه . فلمَّا صلَّى الصبحَ : غدَا إليه ، فأعظَمَه قومس وأكرَمَه وبجَّله .

فقال له محمدُ بن يوسفَ : آلآنَ تُكرِمُني[(٣)] : وإذ أتَيْتُك البارحةَ لم ترَني أهلاً : أن تَفتحَ بابَك ؟!.

فقال له : اعذُرْني ؛ فإني رجلٌ مَطلُوبٌ ؛ وأنتَ تَعرِفُ مَن يَطلُبُني ؛ وقد أخذْتُ نفسِي : من الحزْمِ ؛ بما رأيْتَ ؛ ورأيْتُ : أنْ أجعلَ تحفُّظِي منك ، حُجَّةً في التَّحفُّظِ ممَّن هو دُونَك ؛ فلا تَلُمْني . فذكَر له حاجَتَه .

---

(١) بالأصل : ينفذ (٢) بالأصل : ولبس . (٣) بالأصل : يكرمني .

فلمَّا مات قومسُ بن أنتنيان : طالَبَ هاشمٌ ورَثَته وتركته ، وأثارَ الشَّهادات من كلِّ جانبٍ ؛ وأقام مُحتَسِباً : تقدَّمَ إلى القاضى سُليمانَ بنِ أسودَ ؛ فقال له : إن قومس بن أنتنيان ، ماتَ على النَّصرانيَّةِ : فمالُه لِبيتِ المالِ . ورَفعَ هاشمٌ (أيضاً) بذلك إلى الأميرِ ، وقال له : أنتَ أحقُّ بمالِه من ورثَتِه ؛ ولكن : تأمُرُ القاضىَ بالنظر فى ذلك .

فأمر الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) سُليمانَ بن أسودَ : بالنَّظَرِ فيه ؛ فوقَعَتْ عندَ سليمانَ شَهاداتٌ عظيمةٌ كثيرةٌ — من وُجُوهِ الناسِ ، وأعلامِ العُدولِ — : أنَّ قومساً ماتَ على النَّصرانيةِ ؛ ولم يَتَخَلَّفْ عن الشهادة بذلك — : من بَيَاضِ الناسِ وفُقَهائِهم — إلا الأخصُّ الأقلُّ ؛ منهم : محمدُ بن يوسفَ بنِ مَطْروحٍ ؛ فإنه كان إذا قَعدَ فى الجامع ، قال على رُؤوسِ الناسِ : مَن[1] مِثْلُ قومسٍ السَّجَّاد العَبَّادِ حَمامةِ هذا المسجدِ ، يُقالُ فيه : ماتَ على النَّصرانيَّةِ ؟! ثم تَرَجَّعَ[2] ، وتعَجَّبَ الناسُ ممَّن شهد عليه بذلك .

واتَّصَل ذلك كلُّه بالأميرِ محمدٍ (رحمه الله) ، فأوْصَى إلى الوُزراء : أن يَبعَثُوا فى القاضى سُليمانَ بنِ أسودَ ، ويَسـألوه : عما ثَبَتَ عندَه عَلَى قومسِ ابن أنتنيان .

فَحَضر سُليمانُ بن أسودَ ، فقال له الوُزراء : إنَّ الأميرَ (أبقاه الله) ، أمر : بالإرسالِ فيك ، وأنْ يَكشِفَكَ عما قيمَ به عندكَ : من أمر قومسٍ . فأخرجَ سُليمانُ طُوماراً من كُمِّه ، ثم قال : هذا ما شُهِد به عندى فى أمرِه ، ولكن : يُرسَلُ إلى الأميرِ ، فيَتَصفَّحُه ؛ ثم يأمُرُ فيه : بما يراه .

---

(١) بالأصل : من مثل . والزيادة من الناسخ أو الطابع .

(٢) أى : قال إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأراد هاشمٌ : أنْ يعترِضَه ؛ فقال له : يا قاضي ؛ الطُّومارُ كبيرٌ ، والشَّهاداتُ كثيرةٌ ؛ وليس كلُّ الناسِ : يَعرفهم الأميرُ ؛ ولكن : أُقصِدْ إلى أسماء الشُّهودِ الذين قَبِلْتَهُمْ : فاذكُرْ شهاداتِهِم .

ففطن سُليمانُ لِمَذْهبِهِ ؛ فقال له : لستُ أفعَلُ ؛ ولا بُدَّ : أنْ يرى الأميرُ الشَّهاداتِ على وُجُوهِها .

فأرسِلَ بالطُّومارِ — بجميع ما فيه — : فلم يكنْ إلاَّ قليلٌ ، حتى خرَجَ الفَتَى من عندِ الأمير ، فقال للقاضي : يقولُ لك الأميرُ : دَعْنِي من الشَّهاداتِ وطُولِها ؛ وأخبِرْني بما ثبَتَ عندكَ منها .

فقال للفَتَى : قلْ للأمير (أبقاه الله) : لم يثْبُتْ عندى على قومسٍ شيءٌ : من المَكْروهِ ؛ وجميعُ الشَّهاداتِ الواقعةِ فيه ، مَعلُومةٌ : لم يُرَدْ اللهُ بشيءٍ منها .

فقال له هاشمٌ : سبحانَ اللهِ يا قاضي : شَهِد عندكَ ابن قلزمٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ .
فقال : الَّذى صَحَّ عندى قد أعلمْتُ به الأميرَ .

فَخَرَجَ التَّوْقِيعُ إلى القاضي : اُقسِمْ مالَ قومسٍ بيْنَ ورثتِه فقسَمه القاضي : وكان مالاً عظيماً .

قال محمدٌ : ذكَرَ خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : أخبرني محمدُ بن قاسمٍ ؛ قال : أخبرني عمٌّ محمد بن بزيغٍ القَيِّمِ ؛ قال :

حضرتُ عند سُليمانَ بنِ أسودَ : وقد أتاه رجلٌ ، فتَظَلَّمَ عنده من صاحبِ المدينةِ . فأمَرَ سُليمانُ شيخاً بيْن يدَيْه : من أعوانِه — وذلك بالعَشِيِّ — فقال : تَغدو فتكونُ فى طريقِ صاحبِ المدينةِ ، عند موضعِ جُلوسِ الخَزَّان ؛ فإذا أقبلَ للنُّزول : فخُذْ بعِنانِه ، وتأمُرُه عني : أنْ يَرتفِعَ إلىَّ ؛ فإنه تُظُلِّمَ منه عندى ؛ فإن رَجَع طَوعاً ؛ وإلاَّ : فاحمِلْ العصا على دابَّتِه ، حتى تَرُدَّها إلىَّ كَرْهاً .

قال عمُّ ابن بزيغٍ : فَغدوْتُ معَ الشيخِ المأمورِ ، فوقفتُ معه فى طريقِ

صاحبِ المدينةِ ، حتى أتَى — : ومعَه جُملٌ من الناس ، قد ركِبُوا معه . — فأخَذَ الرسولُ بعنانه ، فذهب صاحبُ المدينةِ : أنْ يأمرَ بزَجْرِه ؛ فقال له الرسولُ: ألقاضى أرسانى فيك ، بسَببِ رجلٍ تظلَّم عنده منك ؛ فارْتفعْ إليه : إن شئتَ طَوْعاً ، و إن شئتَ كَرْهاً . فقال صاحبُ المدينةِ : بل طَوْعاً . فانصرفَ حتى أتَى القاضىَ ، ونزلَ عليه ، ونظر إليه فيما بينه وبيْن الرجل المُدَّعِى عليه بالحق . فقضَى بينَهما : بالذى ظَهر له ؛ ثم انصَرفَ عنه .

قال : أخبرنى محمدُ بن عُمَر بن عبدِ العزيز ؛ قال : لمَّا عُزِلَ يوسفُ بن بسيلٍ ، عن شَذُونة : قام عليه بعضُ أهلِها ، فى مالٍ ادَّعاه فى يديْه . فبعث فيه [سليمانُ] بطابعٍ ؛ فلما وَقَف إليه بطابَع القاضى : زجَرَه ، وأمر بضَرْبه . فجَمع سليمانُ الأعوانَ ، ثم بعثهم فى يوسف : فترصَّدُوه ؛ فلمَّا خَرج أتَوْا به عَلَى عُنُقٍ . فلمَّا صار إليه : وقفه موقِفَ الحقِّ : بالإقرار والإنكار ؛ فأبَى من الإجابةِ إلى ذلك . فأمر : بامتهانه ؛ فلمَّا رأى العَزيمةَ من القاضى : تكلَّم .

قال خالدُ بن سعدٍ : وأخبرنى ثِقةٌ : من أصحابِنا ؛ عن رجلٍ فاضلٍ قديمٍ — كان : اسمه أحمد بن خالدٍ ؛ وكان قد أدرَكَ القاضىَ سليمانُ بن أسودَ :

أنَّ رجلاً طالبَ رجلاً عند سليمانَ بن أسودَ — وهو : عبدُ الملكِ بنُ العباس القُرَشِىُّ . — فوَقفه سليمانُ مَوقفَ الإقرار والإنكار : فأبَى مِن ذلك ؛ فعزَم القاضى : على امْتِهانه ؛ فقامَ الناسُ إلى عبدِ الملكِ — من كلِّ جانبٍ — وقالوا : اتَّقِ اللهَ على نفسِك وشَرفك ؛ وصُنْ عرضَك ؛ فإنك إن لم تَفعلْ : نَفَذ فيك ما أمرَ به ؛ فكانتْ : سُبَّةً عليك وعلى عقبِك . فلمَّا رأى ذلك ، قال : اشترَيتُ قال له القاضى : اثبت عندى أنَّك اشْتَريتَ ؟ !

قال محمدٌ : وهـذا قولُ بعضِ أهلِ الفُتيا ، فى العُمَّال المعرُوفينَ : بالغصْب والتَّعدِّى .

قال محمدٌ : أخبرنى مَن أثِقُ به : من أهل العلم ؛ قال : سمعتُ الوزيرَ : أبا مَرْوانَ عبدَ الملك بنَ جَهورٍ ؛ يحكِى ؛ قال :

كان الفقيه ابنُ الملون : يُعنى بأسبابِ الوثائق ؛ وكان : حسنَ الفطنة فيها ، ولطيفَ الحيلَةِ فى أبوابِها ؛ وشنَّع عليه [أنْ] بابُ الفُجور والتَّدليسِ : فيما يعقِدُ منها .

فطلَبه سُليمانُ بن أسودَ : فخافَهُ ابنُ ملونٍ ، على نفسه : فتوَارى عنه ، وقَصَد الوَزيرَ محمد بن جهْوَرٍ : فكَنَفه وآوَاهُ .

(قال) : ثم أرسَل الوزيرُ محمدُ بنُ جهْورٍ أخاه ، إلى القاضى : يسئلُه فيه ، ويَذكُرُ له ما انْعقد بينه و بينَ ابنِ الملونِ : من الأزْمةِ[1] الموجبة للطَّلب إلى القاضى .

فكان جوابُ القاضى ، أنْ قال : « لا بُدَّ من تَنفيذ الحقّ عليه : فيما بَلَغنى عنه ؛ وقد بلغَنى : أنَّه — فى دارِ الوزير — مُختَفٍ منِّى ؛ ولم يَصِحَّ ذلك عندى؛ فمتَى صَحَّ : أرسلتَ من يَدخُلُ دارَه ، ويُخرجُه[2] منها .

(قال) : فشُغِل بنَفسه ؛ وكان : لايطمْئنُّ أنْ يَدَعه فى دارِه ، حتى يُنقلَ عنها إلى بعض مواضِعه الخارجةِ عن الدَّارِ .

قال محمدٌ : قال لى ابن عُمر بن عبدِ العزيز : أخبرنى شيخٌ من أهلِ إشْبيليَّةَ — يسمَّى هاشِمَ ابنَ رُزَيْنٍ . — قال : كنتُ يوماً فى مَرْكَبِ محمد بن موسى الوَزير — وهو يومئذٍ : أعظَمُ وزراء الأميرِ محمدٍ ، وأقْرَبُهم مَحلاًّ منه . — فلمَّا حاذَى الجامعَ : خَرَج إليه ابنُ عمِّه (زَوجُ ابنتِه) فقال له : القاضى جالسٌ فى المسجد ؛ وهذا طابَعُه ؛ وهو يأمُرُك : بالنُّزول إليه . فقال : سمعاً وطاعةً ؛ وثنَى رجلَه ونزل . فلمَّا تَوَسَّط بابَ المسجدِ : بدَرَ إليه من حَضَر — : من القَومَة . —

---

(١) فى الأصل : أذمة . وهو تصحيف .　　(٢) فى الأصل : بالنون .

فقال لهم : تفقّدوا لى أحد الخصوم ؛ واستقبل القبلة : فركع ركعتين ؛ فلمّا سلّم : وجد القومة قد أحضروه برجلٍ من الخصوم . فقال : أنا أُشهدكم : أنّى قد وكّلته على مناظرةِ ابن عمى . فلجّ ابن عمّه : فى تقديمه إلى القاضى، وأن يُوقفه موقفَ الإقرارِ والإنكارِ . فوبّخه الناسُ ، وقالوا : قد أنصفك ؛ إذ وكّل من يناظرك. فانكسر ؛ وخرج الوزيرُ : فركب .

قال محمدٌ : ذكر خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : كان محمدُ بن عُمر بن لُبابةَ : يُحدّثُ ؛ قال :

كنتُ جالساً عندَ القاضى : سُليمانَ بنِ أسودَ ؛ فجاءه رجلٌ : يُخاصِمُ خَتَنَه زَوجَ ابنتِه ؛ وكانت الابنةُ : فى ولايةِ الأبِ ؛ وكان الزّوجُ : ساكِناً معها فى دارِها ؛ فطلب الأبُ من الزّوجِ : أن يُرحِّلَ الابنةَ من دارها ، وأن يُكريَها لها : فتنتفعُ بكرائها .

فقال سُليمانُ بن أسودَ للزوجِ : ألَكَ دارٌ ؟ فقال : لا . وصدّقه أبو الجاريةِ .

فقال القاضى لأبى الجاريةِ : ولا كرامةَ لك : أن تُخرجَ ابنتَك من دارها ، إلى دار خَرْجٍ مع زوجِها ؛ فتمشىَ بفراشها إلى عنقِها، من دارٍ إلى دارٍ:فتهتِكَ سِترَها ؛ ليس هذا : من حُسْنِ النّظر لها .

فكان ابنُ لُبابةَ : يُعجِبُه ذلك : من قضاء سليمان . (قال) : وكان محمدُ بن عُمر بن لُبابةَ ، يقول : حضرْتُ سُليمانَ بن أسودَ ، يَقضى بها . على الاستحسانِ لها من قضاء سُليمانَ .

ومن ذلك : أنّ أحمدَ بن أبى خالدٍ ، أخبرنى : أنّه سَمِع محمد بن عُمر بن لبابةَ ، يقولُ : حضرت [سُليمانَ] : وقد خاصم إليه رجلٌ ، فى فُرنٍ بناه صاحبُه : فأضرَّ الدُّخانُ به وبالجيرانِ . — وهذه المسألةُ يقول ابنُ قاسمٍ [فيها] :

إنَّ ذلك من الضَّرَر : الذى يَجِبُ قَطْعُه ، ولا يُباحُ اتِّخاذُه . — فقضى سليمان ابن أسودَ ، بغير ذلك : أنْ يَجعل أنبوباً فى أعلى الفُرنِ ؛ فيَخرجُ الدُّخانُ من أعلاه . فلا يَضُرُّ ذلك بمَن جاوَرَه .

فكان محمدُ بن عُمر : يُفتِي بهذا ، ويَحملُ الناسَ عليه ؛ فيما أخبرَنى أحمدُ ابن خالدٍ

قال محمدٌ : أحسَبُ سليمانَ بن أسودَ : رأى تلك الصَّنعة ، أو بَلغَته عن أفرانِ المَشرقِ — : فإنها مَصنُوعةٌ عَلَى تلك الشَّاكِلةِ : التى ذَكَر . — : فاستَحسَنَ ذلك ، فأمَرَ : بامتِثالِه بالأندلُسِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وأخبرنى بعضُ مشايخنا — : من أهلِ العِلمِ . — : أن القاضىَ سُليمانَ بنِ أسودَ ، أرسَلَ فى عبدِ الله بن خالدٍ : ليُشهِدَه فى كُتُبِ الأمير (رحمه الله) ؛ فأبَى ابنُ خالدٍ : أنْ يَقومَ إلى القاضى .

فكَتَب سُليمانُ بن أسودَ ، إلى الأميرِ (رحمه الله) : يُكثِرُ عَلَى عبدِ الله بن خالدٍ ، ويَصِفُ تثاقُلَه [1] . وكَتَب عبدُ الله بنُ خالدٍ ، إلى الأميرِ محمدٍ : فى سَبَبِ القاضى سُليمانَ .

فوَقَّع الأميرُ فى بِطاقةِ سُليمانَ بنِ أسودَ : « نحن : أحَقُّ مَن عَظَّمَ العِلْمَ وأهْله ؛ فإذا أردتَ : أنْ يَشْهَدَ فى كُتُبِنا ؛ فاجلِسْ إلى الفقيهِ : عبدِ الله بن خالدٍ » .

قال محمدٌ : وذَكَر لى غيرُ واحدٍ — : من أهلِ العلمِ . — : أنَّ سُليمانَ بن أسودَ كانتْ فيه دُعابةٌ . تَليقُ به ، وتَحسُنُ منه .

وحَكَوْا عنه فى ذلك ، حِكايةً : حُفِظتْ عنه فى مجلسِ حُكْمِه ؛ وذلك : أنه كان فى وقتِهِ رجلٌ : من العُدولِ ؛ يُعرَفُ : بابن عَمَّارٍ ؛ كان : يَختلِفُ إلى

---

(١) بالأصل : تناقله . وهو تصحيف .

مجلس القاضى ويلتزمه ، ولا يقومُ عنه إلاَّ بقيامه . وكانت لابن عمّارٍ ، بغلة هزيلة : تلوكُ لجامها طولَ النّهارِ على باب المسجدِ ؛ قد أضناها الجهْدُ ، وغيّرها الجوعُ . فتقدّمتْ امرأةٌ إلى القاضى ، فقالت له بالعجميّةِ : يا قاضى ؛ أنظرْ لشقيّتك هذه . فقال لها بالعجميّةِ : لستِ أنتِ شقيّتى ؛ إنّما شقيّتى : بغلةُ ابن عمّارٍ التى تلوكُ لجامها على بابِ المسجدِ طول النهارِ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبد الملكِ بن أيمنَ : كان بعض فقهاء البلدِ — وهو : فُلانُ بن فُلانٍ (وذكر رجلاً عظيمَ القدْرِ) — : قد أخذ من رجلٍ هديةً على حُسنِ المعُونةِ : جُبّةً خضراء . فشعر لذلك خصمُ المهدِى : فأعلمَ سُليمان بالقصّة ؛ وجعَل الشيخُ الفقيهُ — بصِحّةِ المذهبِ ، وسلامةِ الضّميرِ — يلبَسُها فى المحافلِ . فقال سُليمان لخصمِ الرجلِ صاحبِ الجُبّةِ : إذا رأيتَ الشيخَ — : وعليه الجُبّةُ ، وأفتى عليك فقلْ : يا قاضى ؛ ليس الشيخُ يُكلمك ؛ إنّما تُكلّمُكَ الجُبّةُ التى عليه . فإنك إذا فعلتَ ذلك خرجْتُ عليك ، وأمرْتُ بسِجنك : فلا يُلهيَنّك ذلك عن قولِك . ففعَل الخصمُ ما أمرَه به القاضى : فاستحيَى الشيخُ ، وانقلب خَجِلاً .

قال لى أحمدُ بن عُبادةَ الرّعَيْنيُّ : أخبرنى مَن سمعَ سُليمان بن أسودَ القاضىَ : وهو يقولُ لمُؤَذِّنِى الجامعِ : إذا حَضر وقتُ الصلاةِ : فلا تُؤخّرُوها عن وقتها ؛ وإن أحسَستُم أنى قد نزلْتُ عندَ بابِ الصّوْمَعَةِ : فلا تنتظرُونى ، وأقيموا الصّلاةَ ، وصلُّوا .

قال محمدٌ : ثم عزَل الأميرُ محمدُ بن عبد الرحمن ، قاضيَه : سليمان بن أسودَ ، عن القضاء ؛ وأعادَ عَمرو بن عبد الله .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادةَ : قال لى أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سليمان : أوّلُ مَن شاوَرَنى — : من القُضاةِ . — سليمانُ بن أسودَ .

قال محمدٌ : واختُلِف عليَّ في عزْلةِ سليمانَ بنِ أسودَ الأولى : كيفَ دارتْ ؟ ولأيِّ شيءٍ كانتْ ؟ .

فأمَّا خالدُ بن سعدٍ ، فذكر : أنَّ عبدَ الله بن يونسَ ، أخبره : أنَّ الأميرَ (رحمه الله) أمَرَ بعضَ الوُزراءِ : بالإرسالِ في القاضي سُليمانَ بنِ أسودَ ، وأنْ يتكلَّمَ معَه في دارٍ كانتْ ليتيمٍ : كان في نَظَرِ القُضاةِ ؛ أحَبَّها الأميرُ لبعضِ ولَدِه . فأرسلَ الوزيرُ من نَظَرَ إلى الدَّارِ وقوَّمَها ؛ ثم بَعَثَ في سليمان بن أسود ، وأعلَمَه بما أحبَّ الأميرُ : من شِراءِ تلك الدَّارِ بما قوَّمَها المُقوِّمُون .

فقال له سليمان : لستُ أبيعُ نقْضَها بهذا الثَّمن ؛ فكيف الدَّارُ جميعاً ؟ ! . وسأل القاضي لليتيمِ أضعافَ تلك القيمةِ .

فأنهى ذلك الوزيرُ إلى الأمير ؛ فأمر الأميرُ (رحمه الله) : بالكفِّ عن شراء تلك الدَّار .

وكان ذلك الوزيرُ : يَشْنَأُ سُليمان ، ويَلُوم عليه عندَ الأميرِ من قبلُ ؛ فلا يَضُرُّه بكبيرِ شيءٍ . فلمَّا امْتَنَع من بَيعِ الدَّار : أمكنَتْه الفُرْصةُ ؛ فجعل يَذكُرُ للأمير بُغْضَتَه ؛ ويُذَكِّرُه : بما كان يَصِفُه له عنه . فلم يَزَلْ بذلك : حتى ثَقُل على نفس الأمير : فأمرَ بعزْلهِ .

وحكى أحمدُ بن عبد الملك ؛ قال : لم يَزَلْ سُليمانُ قاضياً في الدَّولةِ الأُولى ، إلى أنْ خَرَجَ الأميرُ غازياً سنةَ ستينَ ؛ فخرج القُرَشيُّ عُمرُ بن عِيصٍ : مُشَيِّعاً له وشاكِياً سُليمان بن أسودَ ، في كلِّ مَحِلَّةٍ حتى انْتهى قلعة رَباحٍ .

فكتَبَ الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) إلى أُمَيَّةَ بن عيسى (صاحبِ المدينة يومئذٍ) . يأمُرُه : بعزْلِ سُليمانَ عن القضاءِ ، وأن يبعثَ إليه أربعةً : من عدولِ قُرطُبةَ : يَقبِضون الديوانَ منه ؛ ثم يجعلَه في بيتِ الوُزراءِ . ففعَلَ ذلك أُميَّةُ بن عيسى :

فلمَّا قَدِم الأميرُ (رحمه الله) : صَرَفَ عَمْرَو بن عبدِ الله إلى القضاء .

* * *

« ذِكْرُ القاضي : عَمرِو بن عبدِ اللهِ المرّةَ الثانيةَ ؛ »

« وكان ذلك : في سنةِ سِتّين ومائتَيْن . »

قال : محمدٌ : ذَكَر أبو عبدِ الله محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ — فيما حَكى ابْنه عنه — : أنه لمّا عُزِل سليمانُ بن أسود ، خاض الناسُ : فيمَن يَلي بعدَه .

(قال) : فأخبرني مَن سمع عَمروَ بن عبدِ الله ، يقولُ في تلك الفَتْرةِ — وهو قاعدٌ على بابِ دارِه — : القضاء ، القضاء (قال) ؛ لمن شاء اللهُ [أنْ] يَليه ؛ واللهِ : لا أفلِحُ فيه .

(قال) : ثم ولاّه الأميرُ محمدٌ (رضى الله عنه) القضاء .

فأخبرني بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : لمّا وُلّيَ عَمرُو بن عبدِ الله المرة الثانية : اُستَخْرِجَ إلى سُليمانَ بن أسود ، وتعقَّبَ عليه بعض أقْضِيَتِه ، ونظر عليه نَظراً : وقفَهُ به موقِفَ الضِّيقِ فنصح عمراً — في ذلك — بعضُ إخوانِه ؛ ونَهاه عن الاستفسادِ مع سليمان فأبى وتمادَى عليه . ثم اُنْقضَتْ تلك الأمور . وخُلِّص سُليمان من مَضايِقِه مع عَمرِو بنِ عبدِ اللهِ .

وأخبرني مَن أثقُ به : من أهلِ العلمِ ؛ قال : لمّا وُلّي عمرٌو المرّةَ الثانيةَ : تَنَكَّرَتْ أحوالُه ، وتغيَّرَتْ سيرَته . وكان السَّببُ في ذلك ؛ أنه كَبرَ بَنُوه ، وغَلَب عليه وَلَدُه المُكَنّى : بأبي عمرو . فمَشَتْ إليه التُّحَفُ ، ودَخلَتْ عليه الهَدايا .

حكى لي بعضُ رُواةِ الأخبار ؛ قال : جَلَس أبو عمرٍو (وَلَدُ القاضي عمرو بنِ عبدِ اللهِ) يوماً ، في مَجلِس أبيه — ومَجلِسُه : في حَفْلٍ من الناسِ . — فقال لبعضِ أهلِ السُّوقِ — : ممَّن كان في المَجلِس . — : أحْبَبْتُ أن أشْتَرِيَ لِزْمةً مُحبَّبةً حَسنةً لفرسٍ : اُكْتَسَبْتُه ؛ فانظرْ لي فيها . (قال) : فما أمسى الليْلُ من

ذلك النهارِ ، إلاَّ : وفى بَيتهِ سبعَ عشْرةَ لزمةً : هـدايا كلُّها . وكُثُرَتْ القالَةُ فى ولدهِ أبى عمرٍو ، ونُسِبَ إليـه تَدْلِيسٌ فى الديوانِ : فى مالٍ مُسْتَوْدَعٍ ؛ سنذكُرُه مُفَسَّراً إن شاء الله : على ماذكَرَه الواصِفُ له .

وقال فى ذلك الوقتِ ، مؤْمنُ بن سَعيدٍ الشاعرُ :

لَعَمْرِى : لقدْ أَنْدَى ـ بِعَمْرٍو ـ أبو عَمْرٍو ؛
ومِثْـــلُ أبى عمرٍو : بِوَالِدِهِ يُزْرِى
وقَدْ كان عَمـرٌو : يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ ؛
فأضْحَى أبو عمرٍو : كُسُوفًا عَلَى البَدْرِ
ومَا عُرِفَتْ ـ مِنْ عَمْرٍو ٱلنَّدْبِ ـ سَوْأَةٌ
سِوَاها ؛ وهَلْ تَنْجُو العِتَاقُ من العَـثْرِ ؟!

قال محمدٌ : واخْتَلَف الناسُ : فى السَّببِ الذى عزَلَ عَمرَو المرَّةَ الثانيةَ .

فقيل لى : إنَّ هذه الثلاثةَ الأبياتَ (التى قالها مُؤمنٌ) : لمَّا سَمِعها الأميرُ (رحمه الله) ، قال : قد أكثر الناسُ : فى عَمرٍو ، وفى ولَدِه . فعزَله حينئذٍ

وقيل : إنَّ هاشِماً كان يَسْتَثْقِله بِسَببِ ما تَقدَّم له : من التَّحامُلِ على بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ ، فسعى فى عَزْلِه .

وذكر أحمدُ بن عبـدِ الملك : أن عمراً كان قاضياً فى المرَّة الثانية — فى سنةِ ستينَ — إلى أن غزَا وَلِيدُ بن هاشمٍ — فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ — إلى أرض الحربِ : الغَزَاةَ التى تُعْرَفُ : بغَزَاةِ البَرْبَرِ . فغَزَا القاضى عَمروٌ تلك الغَزَاةَ ؛ فلمَّا قدِم لم يُؤْمَرْ بالنَّظرِ ؛ وكان الرَّسمُ حينئذٍ — إذا غَزَا القاضى ، ثم قدِم — : لم يَنظُرْ ؛ حتى يُنْهَد إليه : بالنَّظرِ .

فأقامَ الناسُ يومئـذٍ نحواً من ستةِ أشهرٍ : لا قاضىَ لهم ؛ ثم أعاد الأمـيرُ

(رحمه الله) : سُليمانَ بن أسود ؛ إلى القضاء ثانيةً . وذلك : فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائتيْنِ .

***

« ذِكْرُ القاضى : سُليمانَ بنِ أسْوَدَ المرَّةَ الثانيةَ ؛ »

« وكانتْ ولايتُه هذه : فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائتيْنِ »

قال محمدٌ : ثم وُلِّىَ سُليمانُ بن أسودَ المرَّةَ الثانيةَ ؛ فتعقَّبَ على عمرِو بن عبد اللهِ ، وكافأه : بمثلِ ما فعل به عمرٌو من قبلُ ؛ وتصفَّحَ الدِّيوانَ : فأصابَ فيه ذِكْرَ مالٍ عظيمٍ : نحوِ عشرةِ آلافِ دينارٍ . — وكان ثُلثاً : أوْصَى بتفريقِه رجلٌ من التُّجَّارِ ، يُعرَفُ : بابنِ القصيبىِّ . وكان موقوفاً على يدَىْ بعض العُدولِ . — فأرسل سليمان فى الرجل العدل : (الموقوف على يدَيْه المالُ) ؛ فقال له : أحْضِرْنى المالَ . فقال له الرجلُ العدلُ : كانَ المالُ عَلَى يدىَّ وقتاً طويلاً ، ثم قبضه منِّى القاضى عمرُو بن عبدِ اللهِ — : إذا كان قاضياً : — وأبرأنى منه .

فقال له سُليمانُ : أقِمْ البَيِّنةَ عَلَى ماتقولُ . فأتاه بصَحيفةٍ : فيها بَراءةٌ من عمرو بن عبدِ الله — : إذ كان قاضياً . — للرجلِ من المال ؛ وأقامَ عليه ستةَ عشرَ شاهداً : من الناسِ . فكوشف[1] عمرُو بن عبدِ اللهِ عن ذلك : فأنكرَ القبضَ ، وكذَّب الشُّهودَ ؛ وزعَم : أنها حِيلةٌ اُحْتِيلَتْ فيه ، ودائرةٌ أُديرَتْ عليه .

ووَقَف سُليمانُ عَلَى الحُكمِ عليه : بالمالِ ؛ فاستَعاذَ عمرٌو بالأميرِ محمدٍ (رحمه الله) ، ورَفَع إليه فى ذلك : مُتنصِّلا ممَّا[2] قُذِفَ به .

فحَكَى لى بعضُ أهلِ العِلمِ ؛ قال : أخبرنى رجلٌ : كان خاصاً بعمرِو بن عبدِ اللهِ ؛ قال : إنِّى لقاعدٌ معَ عمرٍو : حينَ أتاه — مِن لَدُن الأميرِ محمدٍ —

(١) بالأصل : فشكف (٢) بالأصل : بما

فتًى : من أصحاب الرَّسائل؛ فسألَه : أنْ يَدْخُلَ معَه فى بَيته ؛ فأقامَ مَعهساعةً ، ثم خَرَجَ الفتى عن عمرٍو . فلمّا خَرَجَ : أَسْتأْذَنتُ عَلَى عمرٍو ؛ فأذِنَ لى . فدَخلتُ عليه ، فوَجَدْتُه : واجِماً مُطرِقاً . فقلتُ له : ما الذى أتاكَ به الفتى ؟ . (قال) : فسَكتَ عنِّى ساعةً ، ثم أنْشأ يقولُ :

نُضحِى عَلَى وَجَلٍ، نُمْسِى عَلَى وَجَلٍ؛ كُلِ ٱلتّرابَ ، ولاَ تَعْمَلْ لهم عَمَلاَ

ثم قال : أتانى الفتَى : بمُصحَفٍ فى كُمِّه ؛ وأمَرَنى أنْ أحلِفَ : أنِّى بَرِيٌ من المالِ : فحَلَفْتُ .

(قال) : فأبرأه الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) من أمْرِه ؛ وأمَرَ : أن يُغَرَّمَ وَرَثةُ القصيبِىِّ ثُلثاً ثانياً ، ممّا فى أيديهم : من المالِ . فغرِموه : بعدَ أنْ كانوا أنفَقُوه . فقيل لى : إنّه كان سَببَ فقرِهم .

قال محمدٌ : وذَكَرَ أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الملكِ : أنه كان فى الدِّيوان مالٌ عظيمٌ : مُوقَفٌ عند بعضِ العُدُولِ ؛ فماتَ ذلك العَدولُ ؛ فعامَلَ أولادُه أبا عمرٍو — ولَدِ عمرِو بن عبدِ اللهِ — : عَلَى أنْ يَقسِمُوا ذلك المالَ ؛ ويأخُذَ أبو عمرٍو أكثرَه : عَلَى أنْ يَقتَلِعه من الديوانِ . — وكان الدِّيوانُ يومئذٍ : لا شُهودَ عليه ؛ وإنما كان ذِكْرُه : فى دَفتَرٍ مُطلَقٍ . — فاقتَسَمُوا المالَ ، وغَفَل أبو عمرٍو عن قَلْعِه : حتى عُزِلَ عَمرٌو ؛ فوَجَدَهُ سليمانَ فى الديوانِ : مذكوراً .

فدارَتْ بيْنَ القاضِيَيْنِ — : سليمانَ وعَمرٍو . — أحْوالٌ شَنيعةٌ ؛ ثم آلَ[١] الحالُ فى ذلك : إلى أنْ شاوَرَ الأميرُ (رحمه الله) الفُقهاء ، فأشارُوا : بتَحْليفِ عَمرٍو ؛ غيرَ بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ : فإنه قال : إن اتَّصَلَ ببَنِي العبَّاسِ : أنَّا نُحَلِّفُ

---

(١) بالأصل : « اله » والظاهر : أنه مصحف عنه .

قُضَاتنا ؛ كان ذلك : من أعظمِ ما نُعابُ به عندَهم . فاستَحْسَنَ الأميرُ قولَ بَقِيِّ ابن مَخْلدٍ ، وأوْصَى إلى عَمرٍو : أنْ يَكتُبَ إليه بيَمينِه في السِّرِّ ؛ ففعَلَ .

قال : وكان ممَّا يَحتجُّ به عَمرٌو عَلَى سليمانَ — عندَ اجْتِماعِهما بمَحْضَرِ الوزراء — أن يقولَ : لو دَلَّسْتُ في هذا المالِ : لَمَا أبقيتُ ذِكْرَه في الديوانِ .

فكان سليمانُ يقولُ : بخِذْلانِ اللهِ تَرَكْتَه .

وكان عَمرٌو — فيما يقولُ أهلُ العلمِ والمَعرفةِ في [هذا] الزمان — : مُبرًّا من ذلك مُنزَّهاً ؛ سيَّما : أنه لم يَزَلْ الغَمُّ : يَسْرِي في قَلبِه ، ويَعمَلُ في نفسِه ؛ حتى أخَذَه ذُهولٌ أخْرَجَه عن حَدِّه ؛ حتى أنَّه : لقد كان يَخرُجُ إلى الزُّقَاقِ حاسِراً ؛ بعدَ تلك المرُوءةِ الكاملةِ ، والنَّزاهةِ العظيمةِ .

قال خالدُ بن سعدٍ : حدَّثني أبو العبَّاس : وَليدُ بن إبراهيمَ بنِ لَبيبٍ ؛ قال :

أتيتُ عمرو بن عبدِ الله : وقد عُزِلَ عن القضاءِ ؛ وكان الذي سَعَى في عزلِه : هاشِمَ بن عبد العزيز ؛ من أجْلِ بَقِيِّ بن مَخْلدٍ : إذْ كانت الشهاداتُ عَلَى بَقِيٍّ عنده ؛ وكانت له شهوةٌ في إنفاذِ ما شُهِدَ به على بقيٍّ . فلمَّا عُزِلَ وَلَّد عليه هاشمٌ أشياءَ : غَمَّتْه ؛ فخُولِطَ في عقلِه : من أجْلِ ذلك :

قال وَليدٌ : قال لي عَمْرُو بن عبد الله — قبلَ اسْتِحْكام ذلك الذُّهولِ فيه — : يا بُنَيَّ ؛ ما يُتَمَنَّى منه المَوتُ : أشَدُّ من الموتِ ؛ ولوَدِدْتُ : أنِّي قَدِمْتُ .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ أسلَمَ بن عبدِ العزيز : وقد نَزلَ من القصْرِ بالعَشِيِّ فأتاه بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ : فخَرج عليه هاشِمٌ وعنَّفَه ، وقال له : مَهْ ؛ واللهِ : ما كانت بَيْنِي وبيْنَ عَمرٍو ، حالةٌ : مُوجِبةٌ لعداوةٍ ؛ ولا سَعيتُ في عَزلِه عندَ الأميرِ ، إلاَّ : من سَبَبِك ، ولِمَا أراه : أن يَفعلَ بك ؛ فعلْتُ ذلك : للهِ عز وجل ؛ فأتَيتَ أنتَ اليومَ : فأفتَيتَ في أمرِه بفُتْيا : هَدمتَ علينا ما كنَّا بَنينا في أمرِه ؛ وخالفتَ جميعَ أصحابِك : من الفقهاءِ .

قال أسلمُ : وكان هاشمٌ : قد أرسلَ فى الفقهاءِ -- قبلَ ذلك — واستفتاهم فى مسئلته ؛ فأوْجَبوا فيها : اليمينَ عَلى عَمرِو بن عبدِ اللهِ ؛ فى مقْطَعِ الحقِّ ؛ من أجْلِ مالِ يتيمٍ : كان قد أَوْدعَه عندَ بعضِ مَن أَوْدَعَه ؛ وقال : لستُ أحفَظُ : عندَ مَن أودعتُه ؟ . فأفتى أهلُ العلمِ : أن يُحلَّفَ فى ذلك .

ولم يُرسِل أخى : هاشمٌ ؛ فى بَقىِّ بن مَخْلَدٍ : من أجْلِ ثقتِه به؛ وظَنَّ : أنَّه لايُخالِف أصحابَه فى الفَتْوَى ؛ لاسيَّما : أنَّ الحاجةَ كانتْ لِبَقِىٍّ ؛ إذاكان عَمرُو بن عبدِ اللهِ : عدُوَّه .

فاجْتَمع الفُقهاءُ فى بيْتِ الوُزراء : فأفتوْا باليمين ؛ وأتى بَقِىُّ بن مخلدٍ فى آخِرِهم ، فقال : لا يمينَ عليه ؛ لأنَّ القُضاة أمْرُهم : على السَّلامةِ ؛ حتَّى يثبُتَ عليهم غيرُ ذلك ؛ والأميرُ — : إذا قدَّمَه . — : إنَّماقدمه وهوعندَه من أهلِ العدلِ .

فلما رُفِعتْ الآراءُ إلى الأميرِ محمدٍ أمَرَ : أن يُؤخَذَ فى أمْرِ عَمرٍو : بفُتيا بقِىِّ بن مَخْلَدٍ :

فلما عَدَّدَ أخى على بَقىٍّ فِعْلَه ذلك ، بحضْرَتى — قال له : أصلَحكَ اللهُ ؛ كنتَ تَرْضَى لِشيخٍ مِثلى :أن يُفتِىَ على عدُوِّه بغيرِ ما يعتقدُه : من الحق .؟ ! واللهِ : ما أفْتَيْتُه فى أمْرِه ، إلاَّ بما اعتَقَدتُ : أنه الحقُّ ؛ فلا تَلُمْنى .

(قال أسْلَمُ) : ومكَثَ أخى هاشمٌ — بعدَ ذلك — :عاتباً على بَقِىِّ بن مخلَدٍ نحوَ الشهرينِ ؛ثم أسقطَ مُعاتبته فى ذلك .

قال محمدٌ : ثم استقضى سليمان بن أسود : على القضاء ؛ بعد عمرِو بن عبد الله ؛ فى المرَّةِ الثانية — : حتى أخذَتْ منه السِّنُّ ، وظَهر فيه الهرَمُ [1] .

فرُفِعَتْ بِطاقةٌ إلى الأميرِ محمدٍ رحمه الله — على لسانِ عمرِو بن عبدِ الله —

---

(١) فى الأصل : الهدم . وهو تصحيف .

يقالُ فيها : إنَّ سليمانَ بن أسودَ : كبرَت سنُّه ، وضعفَ بدنُه ؛ **ولا طاقةَ له على القضاء .**

فأمَرَ الأميرُ (رحمه الله) الوزراء : أنْ يبعثُوا فى سليمان وعمرٍو ؛ ويُسْئَلَ عمرٌو عن البطاقة : إن كان هو [1] رافِعُها ؛ ويُسْئَلُ سليمان : عمَّا يَجِدُ فى بدنه : من القُوَّةِ على القضاء .

فأحضَرَ الوزراءُ إلى أنفسهم الرجلين : فجلسا ؛ وكان عَمرُو بن عبدِ الله : وَقُوراً ساكِناً مُتَثَاقِلاً [2] ؛ وكان سليمانُ فى ضِدِّ هذه الصفةِ : كانت به هَشَاشَةٌ وحرَكةٌ ، وخِفَّةُ بَدَنٍ . فأخْرَجَ الوزراء البطاقة ؛ ثم قُرِئَتْ على عَمرٍو ، وقيل له : أنتَ رافعها إلى الأمير ؟ . فقال : أعوذُ بالله ؛ لا — والله — : ما كتبْتُها .

فقال له سُليمانُ : إنْ كنتَ لم تَكْتُبْها — أبا عبدِ اللهِ — : فقد أمْلَلْتَها .

فقال : لا واللهِ ؛ ولا أملَلْتُها ، ولا علِمْتُ بها .

فقال له سُليمان : إن كنتَ صادقاً فى نَفسِك ، فصاحِبُ البطاقةِ : وَلَدُكَ أبو عَمرٍو . واسْتَطَال عليه سُليمان : فى اللَّفظِ ؛ فأطْرَقَ عَمرُو بن عبد الله ، واستَعْمَلَ الحِلْمَ ، والأخْذَ بالفَضْلِ .

فقال له سُليمان : وتَتغافَلُ أيضاً ، وتَتَحَلَّمُ ؛ كأنَّا لا نَعرِفُك ؟ ! .

فقال عَمرٌو : حسبُنا اللهُ ، حسبُنا الله . ثم وَضَع يدَيهِ جميعاً فى الأرضِ : ليَقُومَ ؛ فوَثَبَ سليمانُ إلى عَمرٍو — : بخِفَّةِ بدَنِه وهَشَاشَتِه . — فمدَّ يده إليه ، ثم قال له : هاتِ يدَكَ — أبا عبد الله —: لنُقيمَك .

فنظر إليه عَمرٌو ، ثم رَجَع واستَوَى جالساً ، وقال : اللهُ المُستَعانُ ، اللهُ المُستعان ، اللهُ المُستَعانُ . ثم افترَقا .

---

(١) فى الأصل : هذا ، ولعله مصحف عنه . (٢) بالأصل : متثاقل . وهو تحريف .

قال محمدٌ : قال لى أبو عبد الله محمدُ بن عبد الملك بن أيمنَ :

مرضَ سُليمان بن أسودَ مَرْضةً : أشْفَى فيها عَلَى الموتِ ؛ وكان حينئذٍ : صاحب الصَّلاةِ ؛ وكان إبراهيمُ بن قلزَمٍ : مُتَرَشِّحاً للصلاةِ . وكانتْ له ناحِيَةٌ من هاشمٍ : فأتاه يومَ خَميسٍ ، فقال له : قد تعلَمُ ما فيه سُليمانُ ، وغداً الجُمُعةُ . فكَتَب هاشمٌ إلى سُليمان بن أسودَ ، يَسألُه : إن كان به نَهْضَةٌ للصَّلاةِ بالناس ؛ وإلاَّ فيُعلِمُ بذلك : لينظر فيمن يقومُ بالخُطبةِ والصلاةِ .

فكَتَب سُليمانُ إلى هاشمٍ : أنا مُتَخفِّفٌ ، وبى أكثرُ من نهضةٍ .

فلمَّا كان من الغَدِ : تحاملَ ، وأتى يَتَهادى بَيْنَ اثنَيْنِ ؛ حتى خَطب بكلماتٍ مختَصرةٍ .

قال محمدٌ : وسمعتُ بعضَ رُواةِ الأخبارِ : يَحكى عن سليمان وابن قلزمٍ — فى الصلاةِ — حكايةً مُستَطْرَفةً ؛ قال :

كان سليمانُ بن أسود : يعلمُ شِدَّةَ شَهْوةِ ابنِ قلزمٍ : فى الصَّلاةِ وتَرَشُّحِه لها ؛ فلم يَشْعر سليمان يوماً من أيام الجمعة : فى ضُحَى النهارِ ؛ حتَّى استأذَنَ عليه ابنُ قلزمٍ : للدخول عليه . فحضَرَتْ سليمان فيه طيِّبةٌ ؛ فقال لغلامِه اخرُجْ إليه — وأنتَ تبكى — وقل له : مَوْلاى فى الموتِ ؛ ثم أدْخِلْهُ علىَّ من بعدُ . ثم اضْطَجَعَ سليمان ، وسجَّى على نفسِه ، وجَعَل يَسوق النَّفس : كما يفعلُ من احتُضِرَ .

فدخل ابنُ قلزمٍ : فتوجَّعَ واستَعبَرَ ؛ ثم خرج من فورِه ذلك إلى هاشمٍ ، وقال : سليمان يُحَشرِجُ الموتَ ، وما أظنُّه يبلُغُ وقت الجمعة : حتى يموتَ ؛ فتداركْ بالكتاب إلى الأميرِ (أبقاه الله) : فإن المَقامَ — فى ضيقِ الوقت — صعبٌ .

فقال هاشمٌ : أنتَ رأيتَه بهذه الحالِ ؟

فقال : نعمْ ، هذا خُروجى من عندِه إليك .

فقال هاشمٌ : ما بعد هذا شيء ؛ ثم وضع يده ، فكَتَب إلى الأمير ، يُخبِرُه : أنَّ ابنَ قلزمٍ أتاه وحَكَى له : أنه دَخل على القاضى سليمان : وهو يُحَشْرِجُ ؛ وقد ضاق الوقتُ ؛ فلْيَنظُرْ الأميرُ (أبقاه الله) فى ذلك .

ففَكَّرَ الأميرُ (رحمه الله) . ساعةً — وكان : من الكمالِ ؛ بحيثُ ما عَرَفَتْ الخاصَّةُ والعامَّةُ . — فوقف : على أن ابنَ قلزمٍ كان يشتهى الصَّلاةَ ؛ ولم يسمع لِسليمان — قبل تلك الساعةِ — : بعلَّةٍ ولامرضٍ . فأدْرك بنظَرِه : مالم يُدركْ هاشمٌ ؛ وعلم : أنَّ بالخبر[1] دَخَلاً . فقال لفتًى — من وُجوهِ فِتيانِه — : أذهبِ الساعةَ ، وادخل على القاضى ، وانظرْ حالته وما هو عليه ؛ فإن وجدتَه : يتَكلَّمُ ويُبينُ عن نفسه فسله[2] : إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم؟.

فأتى الفتى ، فدخل على سليمان ، فوجده : جالساً جلوس الصِّحةِ . فسلّل[3] له الأمر وأعلمَه ببعض الخبر .

فقام سليمان من مقعده ذلك [فى] حضرةِ الفتَى ، وجَلَس على كُرسىٍّ ، وأمَرَ : أن يُؤتَى بالماء فتوضَّأ[4] ولبِسَ ثيابَه ، وخَرَج مع الفتَى : راجلاً إلى الجامع .

ورَجَع الفتى إلى الأميرِ فأعلَمَه بالقِصَّة عَلَى وَجْهِها . فقال له الأميرُ (رحمه الله) : لقد طيَّبَ سُليمانُ فى ابن قلزمٍ ، ولَعِبَ به كيفَ شاء . ثم ضَحِك على ذلك : ضَحِكاً عظيماً .

قال محمدٌ : وكان سليمان : قوِيًّا جَلْداً ، حديدَ النفْسِ : مع كَبْرَةِ السِّنِّ . وكان يَرُوحُ إلى الجامع راجلاً من دارِه .

قال محمدُ بن عبد الملك بن أيْمَنَ : أخبرنى بَكرُ بن حَمَّادٍ القَسَّامُ — وكان : جاراً لسليمانَ . —

---

(١) بالأصل : «الخبر» . (٢) بالأصل: فسئله ؛ وهو مصحف عنه أو عن: «فاسأله» .

(٣) كذا بالأصل . ولعل المراد منه : أوصل .

(٤) بالأصل : يتوضأ . وهو مصحف عنه . وإلا كان بالكلام نقص .

قال : خَطَرْتُ عليه آخرَ جُمُعةٍ عاشَها ؛ فحَرَّكْتُه للرَّواحِ : فخَرَج معى إلى الجامع : ماشياً ؛ ثم أنصرفنا . وذلك : فى دولةِ الأميرِ عبدِ الله (رحمه الله) ؛ والقاضى حينئذٍ : النَّضْرُ بن سَلَمَةَ .

قال محمدٌ : وأقامَ سليمانُ فى قضائه الثانى ، عشرة أعوامٍ : من سنةِ ثلاث وستينَ إلى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ .

وتُوُفِّىَ فى ذلك العام : الأميرُ محمدٌ (رضوانُ الله عليه ورحمتُه) . وكان الناسُ : يذكُرون موت الأمير : من غير أن يَصِحَّ ذلك عنه عندهم ؛ حتى خطب سليمانُ ابن أسودَ ؛ فلما بلغ ذكْرَ الدُّعاء له : خَنَقَتْه العَبْرَةُ ، فنعَاهُ بذلك إلى الناس : فأيقنُوا بموتِه .

ثم وُلِّى المُنذِرُ الأميرُ (رحمه الله) : فأقرَّ سليمانَ بن أسودَ ، علَى القضاء .

قال لى أبو محمد قاسمُ بن أَصْبَغَ البَيانِىُّ : أقامَ سليمانُ بن أَسْودَ قاضياً — فى خلافةِ المنذر — : نحو أربعين يوماً ؛ ثم عزله المنذرُ ، وولى أبا مُعاوِيَةَ .

قال محمدٌ : وما أحسَبُ : أنَّه كانت لعزْلةِ سليمانَ المرَّةَ الثانية ، عن القضاء — علَّةٌ : غيرُ كِبَرِ السِّنِّ ، وظهور الهَرَمِ[1] .

قال بعض أهل العلم : كان سُليمانُ بن أسْودَ : صَنِيعةً للأَمير عبد الله (رحمه الله) قبْلَ ولايتِه ؛ فكان سليمانُ : يَسْتَبْطِىء قيام دولته : طَمَعاً فى العَوْدة . فلما وُلِّىَ وأغفَلَه : جَعَل سليمان يُنْشِدُ فى بعض مداخِلِه عليه ـ مع جُملة الفقهاء : للإشْهادِ ـ :

لَمَّا بَلَغْنا الَّتى[2] كُنَّا نُؤَمِّلُها : صِرْنَا شُهوداً [عَلَيْهَا] مِثْلَ غُيَّابِ

قال محمد : أخبرنى بعضُ أهل العلم ، قال :

(١) بالأصل : الهدم . وهو تصحيف ظاهر .

(٢) بالأصل : الذى . وهو تصحيف . والزيادة : الآتية متعينة .

دَخَل ناسٌ علَى سليمانَ بنِ أسْودَ : فى الشهرِ ألذى مات فيه ؛ فسألوه : عن عُمُرِه ؛ فسَكَتَ عنهم ساعةً ، ثم دعا خادماً له : فأتَتْه ؛ فأمَرَها : أن تأْتِيَه بزنفليجةٍ : كانتْ عنـده ؛ فأتَتْه بها : فاسْتَخرَجَ منها صحيفةً ؛ فرماها إلى القومِ ، وقال : اقرءوا ؛ فقرأ القومُ الصَّحيفة : فإذا فيها كتابٌ من عندالأمير هشامِ بنعبدالرحمن، إلى قاضيه — على جِهة الجـــوفِ : فَحص البَلُّوطِ ، وما يَليـه : من تلك الجهاتِ . — : أسْودَ بن سليمانَ ؛ يأمُرُ فيه : بقبْضِ الصَّدقاتِ : عند وُجُوبِها ، وتَفْرِيقِها : على وُجُوهِها . (على مافَسَّرَه فى ذلك الـكتاب)؛ وفى آخر الـكتابِ، مَـكتُوبٌ بخَطِّ القاضى أسْودَ بن سُليمانَ : « وُلد سليمان بن أسْوَد (أمتع الله به) : يومَ كذا ، من شهرِ كذا» . فعَدَّ القومُ — من وَقْتِ المَولِد : ألذى وُلد فيه ؛ إلى وَقْتِهم : ألذى كانوا فيـه . — : تسعة وتسعين عاماً ، وعشْرَةَ أشهرٍ . فقال لهم سُليمانُ : إنْ عِشْتُ شهريْن : أتْمَمْتُ مائةَ عامٍ . فماتَ فى ذلك الشهرِ : قبْلَ أن يُتِمَّ المائةَ عام .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : عامرِ بن مُعاوِية اللَّخْمِىِّ . »

قال محمدٌ : لما وُلِّىَ المنذرُ (رحمه الله) الخِلافةَ : رأى الاسْتِبدالَ بسُليمانَ ؛ فاسْتَشارَ الوزراءَ ، فأشاروا : بزِيادِ بن زِيادٍ .

فعرَضَ المُنذرُ القضاء على بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ : فلم يَقبَلْهُ .

فاسْتَشارَه : فى زِيادِ بن محمد بن زِيادٍ ؛ فقال له : نعمَ الحَدَثُ ! .

فسألَه : أن يُشيرَ عليـه ؛ فأشارَ عليه : بأبى مُعاوِيةَ[1] اللَّخمِىِّ — وهو :

٤٠ عامرُ بن مُعاوِيةَ بنعبدالمسلم بن زِياد بن عبدالرحمن بن زُهير بن ناشِرَةَ بن لوذان

---

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ١٩ .

اللَّخمِيُّ . — فقَبِلَ المُنذرُ (رحمه الله) منه ؛ ووَلاَّه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبَة . فقال :

قال[محمدٌ](١) : حدَّثنا خالدُ بن سَعدٍ ؛ قال: سمِعتُ عبدَالله بن يونُسَ ، يقول:

كان الحبيبُ بن زيادٍ : خاصَّةً لِبَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ؛ وكان :رَجَا فى أيام الأمير المُنذرِ (رحمه الله) : أنْ يُشيرَ به لقضاء قُرْطُبةَ . فلمَّا شاوَرَه الأميرُ ، وأشارَ عليه : بأبى مُعاويةَ — : أتَى الحُبيبُ بن زيادٍ إلى بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ، فعاتَبَه فى ذلك ؛ فقال له بَقِيُّ بن مخلَدٍ : لا تَلُمْنِى فيما فعَلْتُ ؛ فإنى إنَّما أشَرْتُ : بمن هو عندى أفضَلُ منك . فسكَتَ عنه الحبيب بن زيادٍ .

قال محمدٌ : قال لى أبو عبد الله محمدُ بن عبد الملك بن أيْمَنَ :

كان أبو معاويةَ اللَّخمِيُّ من بنى زيادٍ ؛ وكان مسكَنُه برِيَّةَ ؛ وكانت له رحْلةٌ فى أيامِ عبد الرحمن بن الحكَم (رحمهما الله) : سمِع فيها من سُحنون : بالقَيْرُوانِ ؛ ومن أصْبَغَ : بمصرَ ؛ ومن غيرهما . وكان : من أهلِ الرِّوايةِ ؛ لابأس به ؛ وقد سمِعتُ منه ، وكتَبْتُ عنه .

قال محمدٌ : وعنه كانت تُرْوى — فى ذلك الزَّمان — آدابُ القُضاةِ : من تأليفِ أصْبَغ . وذكر بعض أهل العلم : أن روايتَه اُخْتَلَطَتْ عليه ؛ فترِك .

قال محمدٌ : وقال لى ابنُ أَيْمَنَ :

قدِمَ أبو معاويةَ قُرطُبةَ : فى آخر أيامِ الأمير المُنذرِ ، حتى ماتَ المُنذرِ ؛ رحمه الله .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أبو عمر صاحبُه ؛ قال : أخبرنى أبو يحيى بن

---

(١) بالأصل : فقال . ولعل التصحيف والنقص من الناسخ أو الطابع .

خميسٍ : أنه لمَّا وُلِّيَ عامر بن معاوية القضـــاء ، وقَعَد فى الجامعِ — : رأى سُليانَ بن أسْودَ : أتاه بالدِّيوانِ ؛ فلمَّا سَـــلَّم قال : الحمدُ للهِ الذى جَعَل عَلَى إثْرِى مثلَك .

فلمَّا خَرَج من عنـدِه سُليانُ بن أسْودَ تَلقَّاه رجلٌ من قُريشٍ — : ممَّن كان يُخاصِمُ عندَه قبْلَ أنْ يُعزَلَ . — فلَبَّبَه بِردائه ، وقال : الحمدُ لله الذى جَـلاَ الظُّلمةَ ، وأخَذَ الجَوْرَ ؛ أجِبْنِى إلى القاضى . فانْصرَف معه إلى عامر بن مُعاويةَ ، فقال له سُليانُ : إنى مَعـزُولٌ ، وأنتَ والٍ ؛ وما فَعلْتَ فىَّ اليومَ : ستُكافأُ غداً بمثلِه . فَخَرَج عامرُ بن معاويةَ : عَلَى القُرشىِّ ، ودَفَعه عنه .

قال أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الملكِ : حَكَمَ أبو معاويةَ لأيْذُونِ الفتى : بالفَدَّانِ المعروفِ : بفدان أجل[1] — بعَدْوةِ الوادِى — بعدَ خُصومةٍ طويلةٍ : دارتْ فيه عندَ سُليانَ بنِ أسْودَ ؛ كان مُتوَلِّيها محمد بن غالب بن الصَّفَّارِ ؛ فأبَى سُليانُ: من الْحُكمِ فيها ؛ فقال يوماً لابن الصَّفَّارِ : إن هذا الرجل قد ألحَّ عَلَىَّ : فى أنْ أحكُمَ له ؛ ولا أجِدُ سبباً إلى هذا : إذ لم يَتَّضِحْ لى ما أحكُمُ به ؛ واللهِ : لا يأتينى منه أمرٌ أكرَهُه إلاَّ أخَّرْتُ به .

فضَمَّ ابنُ الصَّفارِ الفتى : إلى الإمساكِ ؛ حتى عُزِلَ سُليانُ ، ووُلِّىَ أبو مُعاويةَ . فقام عندَه ، وكان يَلْزَمُ مجلِسَه ؛ فإذا رآه أبو مُعاويةَ ، قال له : مَن أنتَ يرحمُك اللهُ ؟ . فيقولُ له : أنا محمدُ بن غالبٍ المعروفُ . يسئلُه كلَّ يومٍ : بسَلامةِ قلبٍ كانتْ فى أبى معاويةَ . فلم يَزَلْ محمدُ بن غالبٍ : مُتَرَدِّداً عليه فى تلك الخصومةِ ؛ حتى قَضَى له : بالفَدَّان ؛ وأشهَدَ له عَلَى القَضِيَّةِ . ثم صارَ الفَدَّانُ بعـد ذلك إلى محمدِ بن غالبٍ .

---

١) كذا بالأصل .

ولم يَزَلْ أبو معاويةَ : قاضياً ، وصاحبَ الصلاةِ ؛ حتى ماتَ المُنذِرُ رحمه الله .

قال محمدُ بن عبدِ الملك بنِ أيْمَنَ : سمعتُ القاضيَ أبا مُعـاويةَ : يَخطُبُ عَلَى الناسِ في الاسْتِسْقاء : بخُطبةِ إرْميا التي قام بها في بني إسرائيلَ ؛ وكانتْ فيـه رِقّةٌ : تَسْتَميلُ القلوبَ ، وتُبكي العُيونَ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وكان أحمدُ بن خالدٍ ، ومحمدُ بن مِسْوَرٍ : يَصِفان أبا مُعاويةَ : بالخيرِ والفَضلِ ؛ غيرَ أنَّ أحمد بن خالدٍ كان يَذكُرُ عنه طُرفةً ؛ ذَكَرَ : أنه أتاه يسألُه : أنْ يُسمِعَه سَماع أصْبغَ بن الفَرَجِ ، وأنْ يَجعلَ له فيه دَوْلَةً . فلمَّا أتَى إلى السَّماعِ : أخْرَجَ إليه الشيخُ كُتُبَ أصولِ العلمِ : من تأليفِ أصبغَ . فظَنَّ : أن الأصولَ والسَّماعَ شيءٌ واحدٌ .

* * *

« ذِكْرُ القاضي : النَّضْرِ بن سَلَمَةَ الكلاَبيِّ . »

٤١ قال محمدٌ : النَّضْرُ بن سَلَمَةَ[1] بن وَليد بن أبي بكرٍ محمدِ بن عليٍّ بن عُبَيْدٍ الكلاَبيُّ ؛ كان أصلُه : من « قبرة » ؛ ووُلِّيَ قضاءَ « كُورَةِ شَذُونةَ » : والأميرُ عبدُ الله بن محمدٍ (رحمهما الله) بها ؛ فأدخَلَه ، وقَرُبتْ منه خاصَّتُه .

وكان النَّضرُ : من أهلِ الذَّكاء ، والنُّبل ، واليَقظةِ .

ولمَّا وَلِيَ عبدُ اللهِ بنُ محمـدٍ (رحمهما الله) الخلافةَ : وَلَّى النَّضْرَ بن سَلَمَةَ : قَضاءَ الجماعةِ والصَّلاةَ معاً ؛ فأحْسَنَ السِّياسةَ ، وخالَقَ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ ؛ وخَطَب : فأبْلَغَ في الخطَابةِ .

وأمَرَه الأميرُ (رحمه الله) : بالتِزَامِ خطبةٍ اسْتَحْسَنَها منه — وهي مَشْهورةٌ

(١) انظر : جذوة المقتبس ص ٣٣٦ و ٨٤٥ .

فى النـاسِ — : فالْتزمَهَا طولَ ولاَيتِهِ الأُولى — وكانت ولايتُه : نحواً من عشْرةِ أعوامٍ . — : حتّى حُفِظَتْ عنه ، وصارتْ مُسَطَّرةً لوُلاَةِ القضَاءِ : يَحْتَذُون عليها فى أوّلِ مقاماتِهِم ، ومُبْتَدَإِ ولايتهم .

وكانتْ له خُطبَةٌ أُخرَى — فى الأعيـادِ — : حَسَنةٌ مُهذَّبةٌ ، مُشْتَمِلةٌ على السُّنّةِ .

قال محمدٌ : وذَكرَ أحمدُ بن محـمدٍ ؛ قال : كان النَّضْرُ بن سَلَمةَ : يَتَصرّف لِلأميرِ (رحمه الله) — فى كلِّ الأسباب — : تَصرُّفاً كاملاً .

أخبرنى مَن أثِقُ به : أنَّ الأميرَ (رحمه الله) كان فى السَّاباطِ — يوم جُمُعةٍ — مُنتَظِراً للصلاة : (صلاة العصرِ) ؛ فوَرَدَه كتابٌ مؤثِّرٌ[1] : حرَّكَ منـه ساكناً ؛ فالْتَمسَ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الزَّجَّالىَّ : ليَكتُبَ الجوابَ ؛ فأُلْفِىَ : غائباً . فهَمَّ : بالإرسالِ فيه ؛ فقال له النَّضْرُ — وكان بحضْرتِه — : ما الأمْرُ الذى حرَّكَ — من الأميرِ أصلحَه اللهُ — ما أرى ؟ . فأخبرَه الخبرَ ، ورَمَى إليه الـكتابَ . فعرَضَ عليه نفْسَه : فى المُجاوَبةِ : فأذِنَ له الأميرُ (رحمه الله) : فجَاوَبَ وأحْسَنَ ، وكَتبَ : فأبْلغَ . فأعجبَ الأميرُ (رحمه الله) : بيقْظتِه ؛ وشَـكَرَ له فَضْلَ مِنَّتِه .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ : عالماً بعِلَلِ الوَثائقِ ، ومُدْرِكاً لَموضعِ[2] الزَّلَلِ منها ، والإغلالِ[3] فيها ؛ يُوقِفُ الفُقهاءَ عَلَى ذلك : فيُقِرُّون له : بالإصابة ؛ ويعترِفون له : بفَضْلِ الإدراكِ .

---

(١) بالأصل : كلمة مترددة بين : « موثم » و « موشم » ؛ ولعل أصلها ما ذكرنا .

(٢) بالأصل : «بموضع » ؛ ولعله مصحف .

(٣) أى : الخيانة . انظر : المختار .

والنَّضْرُ بن سَلَمةَ : أوَّلُ مَن شاوَرَ فى الأحكامِ ، محمد بن عبد الملك بن أيْمَنَ .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادة الرُّعَيْنِيُّ .

كان النَّضْرُ بن سَلَمةَ : حَسَنَ المذهبِ ، ظاهِرَ الحِلْمِ . حضَرْتُه يوماً — فى مجلسِ قضائه — : دخَل عليه رجلٌ ، فوقَف بيْنَ يدَيْه ؛ ثم قال له : يا قاضى ؛ ظلَمْتَنى وتحاملْتَ علَىَّ ؛ حَسْبُك اللهُ .

(قال) : فسَكَتَ عنه : حتى فرَغ من كلامِه ؛ ثم قال له النَّضْرُ : أمَا لَوْلاَ أنَّ سَبَّك لم يُجَاوِزْنا إلى غيرِنا : لأحْسَنْتُ[1] الجوابَ . وأعطاه رَحْلاً : من الصَّدَقةِ ؛ فأرضاه .

فشَكَرَ له الرجلُ : فأخَذَ بِركابِه ، وأعاد القولَ بمَدْحِه .

فقال النَّضْرُ : (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا : رَضُوا ؛ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا : إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)[2] .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ محمدَ بن مِسْوَرٍ ، يقولُ : سمِعتُ القاضىَ يقولُ — وهو : النَّضْرُ بن سَلَمةَ . — وقيل له : إنَّ محمدَ بن أسْباطٍ يَقَعُ فيك ويتناولك ؛ ويجب[3] لك : أن تَهدِمَه . فقال النضر : لا واللهِ ؛ لا أتعرَّضُ لذلك ، ولا أهدِمَ مَن بَناه اللهُ :

قال محمدٌ أخبرنى بعض الشيوخ ؛ قال : كان عندَنا بقُرطُبَةَ رجل يُعرَفُ : بابْنِ رَحْمُون ؛ وكان : كثيرَ النادِرِ والتطنيب ؛ فندَرَ فى مجلسِ النَّضرِ — علَى خَصْمٍ كان يُخاصِمُ عنده — : بنادِرٍ : أضْحَكَ منه الحاضرِينَ ؛ فما زادَ النَّضرُ : علَى أن ضَحِكَ ؛ ولم تَكنْ له عليه صَوْلَةٌ .

(١) عبارة الأصل : لاحسنت حسن الجواب وأعطى ؛ الخ . وفيها زيادة وتحريف .

(٢) اقتباس من سورة : التوبة « ٥٨ » .

(٣) بالأصل : « وقال يجب » ؛ ولعل الزيادة الموهمة : من الناسخ .

وذلك : أنَّ خَصمَ ابنِ رَحْمون قال للنَّضْرِ : إنَّ خصمى هذا إذا خرَج مِن بيْنِ يدَيْك : لا يُقْلِعُ عن شَتْمِى ، وذِكْرِ أمِّى .

فقال خَصمُه : ما أُحِبُّ أن أُعطِيك شيئاً ، ولا آخُذَ منك شيئاً .

فقال ابنُ رَحْمون للقاضى : يا قاضى ؛ اقبَلُوا منِّى على ما أفعَلُ به ، وكذا وكذا من أُمِّه فى المَنَادِى ؛ فلا يرضَى : أن يَفدِيَه بأربعينَ دِرهماً .

فضَحِك وضَحِك مَن حَضَر ؛ واحتَمَلَها له النَّضْرُ .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ بن سَلَمَة : مُتصرِّفاً فى علمِ الأدبِ ؛ وكان — فيما بَلَغنى — : رُبَّما قال من الشِّعرِ شيئاً : يخاطبُ به الأميرَ ، ومَن كاتَبَه : من طبقةِ الخاصَّةِ :

وسمعتُ بعضَ رُواة الأخبار : يَحكى ، قال :

ماتَ وَزِيرٌ — : من بنى شُهَيْدٍ . — وتَرَكَ ابناً ؛ فَأتاه رجلٌ بشِعرٍ ، وأتَى به النَّضرَ : فعرضه عليه . فسمع شِعراً : سَخِيفاً بَعيدَ المعانى ؛ فقال له : إنَّ ابنَ المُتوفَّى نَبيلٌ كَيِّسٌ ؛ فاذهَبْ بهذا الشِّعرِ إليه : فلعلَّه أن يَفطِنَ : أنك أردتَ أنْ ترْثِىَ أباه ؛ فيشكُرَ الك بذلك .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ قاضياً : إلى أن أمَرَه الأميرُ (رحمه الله) : بالنَّظرِ فى المالِ المُوقفِ بالجامعِ ؛ فنظَر فى ذلك ، وجَمَع أهلَ العِلمِ : فاستَشارَهم ؛ فاختَلَفُوا عليه . فأبَى النَّضْرُ : أن يحكُمَ : بصَرْفِهِ إلى بيْتِ المالِ ؛ إلاَّ : باجْتِماعِ أهلِ العِلمِ .

فكان فِعلُه ذلك : سَبَباً لكثرة القولِ فيه عندَ الأميرِ ؛ فحُرِّفَ معناه وصُرِفَ القولُ فى ذلك : إلى أسْوإِ الوُجوهِ . فعزَلَه الأميرُ (رحمه الله) حينئذٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : موسى بن محمدِ بن زيادٍ الجُذَامِىِّ . »

قال محمدٌ : ولمَّا عزَل الأميرُ (رحمه الله) نَصْراً ، عن القضاء — : أستقْضى بعده : موسى بنَ محمدِ بن زيادِ بن يزيد بن زيادِ بن كَثيرِ بن يزيدَ بنِ حبيبٍ الجُذَامِىِّ . وهو : من العربِ الشاميِّينَ ، من جندِ فِلسْطِينَ ؛ وكان أصـلُه بالأندلَسِ : من « كُورَةِ شَذُونَةَ » ؛ ولاَّه الأميرُ (رحمه الله) الشرْطة والرَّدَّ ؛ ونَقَله إلى الشُّرْطة العليا ثم : وُلِّىَ القضاء ؛ فصلى بالنـاس جُمُعَةً ، واستعفَى فى الثانية [1] .

٤٢

قال خالد بن سعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ : يذكُرُ موسى بنَ محمدٍ ؛ فـكان : لا يستوفيه ، ولا يحسن الثناء عليه .

غيرَ أنه كان : يصفُه بالحِلم ؛ ذكر : أنه شهِدَه : وقد أرسلَ فى رجل ؛ فلمـا أتاه : وَكَّل به الأعوانَ ، وأمَرَ أن لا يفارقوه ؛ حتى يَحضُرَ بوثيقةٍ : كانت عنده . فتوكَّل به الأعوان ، ومَضَوْا معه ؛ ثم عادُوا بالرجلِ — : والوُثيقةُ معه . — فرَمَى بالوَثيقةِ : فضَرَب صدرَ القاضى : موسَى بن محمـدٍ . — : وكانتْ الوثيقة كبيرةً — : فأوْجَعه بها . (قال أبنُ لُبَابَة) : فلم أشكَّ : أنه سيُؤَدِّبه عَلَى ذلك ؛ فمازادَ : عَلَىأن قرأ الوثيقةَ ، وصرَفها إلى الرجل ؛ وقال له : خُذْ وثيقتَك ياجافى لم يَزِدْه على ذلك . وهذه قِصَّةٌ محفوظةٌ لموسى . يحكيها الفقهاء عنه .

قال محمدٌ : ولمَّا صارَ موسى بنُ محمدٍ إلى القضاء : حَكَم فى المالِ المُوقفِ : بمـا بَلَغه إليه أختِيارُه مما أُخْتلف فيه أهـلُ العلم — من قبلِ ذلك — على النصرِ ابن سَلَمَةَ :

قال محمدٌ : وسمعتُ من يحكى — : من العلماء . — : أنَّ موسى بنَ زياد كان :

---

(١) انظر : تاريخ قضاه الأندلس ص ٢١ .

حسنَ السَّمْتِ ، أديباً ، ظاهِرَ المُروْةِ ، بادِىَ الوَقارِ ؛ إلا أنَّه كان : جاهلاً عَيِيّاً .

حُكِيَ : أنه ذَكَرَ يوماً : محمدَ بن غالب بن الصَّفَّارِ ؛ فقال[1] : « صام رمضانَ كلَّه إلى يومِ العرَفةِ[2] » . فأخطأ خطأيْنِ بشِعَيْنِ : تَوَهَّمَ : أنَّ فى رمضانَ يومَ عَرفةَ ؛ كما فى ذى الحجة ؛ وأدخَلَ الألفَ واللامَ : فى عرَفة :

وسمعت من يحكى [عنه] : أسمَ « مُرَّةَ » : بالألفِ ؛ واسمَ « أسماءَ » : بالهاء .

قال محمدٌ : وتصرفَ موسى بنُ زيادٍ للأمير (رحمه الله) : فى خُطَطٍ جَمَّةٍ ؛ منها : الكتابةُ ، والوزارةُ ، وغيرُ ذلك . واستأذن للحَجِّ ؛ ثم انصرفَ .

وتُوُفِّيَ الأميرُ (رحمه الله) : وموسى بنُ زياد خاملٌ ؛ وذلك : أنَّه نظر فيما لايعنيه ، وتكلم فيما لم يُسْتَشَرْ فيه : من مُهِمَّاتِ الأمور ، وعظيماتِ الأشياء : مِمَّا تنبنِى به الخِلافةُ ، وتقومُ به الإمارةُ . وأبطَنَ : من ذلك ؛ شيئاً ؛ فأعْقَبَه الله فى ذلك : بشَرِّ عُقْبَى ، ووَلَّاه : من ذلك ؛ ما تَوَلَّى .

***

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بنِ سَلَمةَ »

قال محمدٌ : ولَمَّا عزَلَ الأميرُ (رحمه الله) مُوسى بنَ زيادٍ ، عن القضاء — :

٤١* استَقْضَى بعدَه محمدَ بن سلَمةَ الكِلابيَّ ؛ وهو : أخو النَّضْرِ بنِ سَلَمةَ ؛ وكان : رجلاً صالحاً : فى مَذهبِه ؛ فاضلاً : فى دِينِه ؛ شَديدَ السَّلامةِ : فى طَبْعِه ؛ مع الزَّهادةِ والتَّنَسُّكِ : لم تُحْدِثْ له وِلايةُ القضاء : تغيُّرًا فى مَلْبَسٍ ؛ ولا اكْتسابَ المالَ ، ولا بلغَتْ به الفائدةُ : إلى اشْتراء دارٍ . وإنما كان : يَسكُنُ بكِراء ، فى داخِلِ المدينةِ : بقُرْبِ الجامع .

ولم تكنْ له — : من الحركةِ فى الفَهْمِ ؛ ولا : من اليَقظةِ فى الأمورِ — . ما كان لأخيه النَّضْرِ : فى ذلك .

---

(١) أى : موسى بن محمد . وفى الأصل : « فقام » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل بعد ذلك زيادة : « ثم يوم » ؛ والظاهر : أنها من الناسخ أو الطابع .

وكان — مع ذلك — : شديدَ السَّكينةِ ، ظاهرَ الصَّلابةِ ، راغباً في إقامةِ السُّنَّةِ ؛ مُنتزِحًا عن الناسِ ، مُلتزِمًا للباديةِ . فكان : رُبما دارَ على الناس منه ، بعضُ الجفوةِ والتَّحامُلِ : في المُخاطَبةِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمَرَ بن لُبابةَ : يُثني عليه ، ويَصِفُه : بالخيرِ والفضلِ .

وقال خالدُ بن سَعْدٍ : وأخبرنى محمدُ بن هاشمٍ الزَّاهدُ ؛ قال :

أخبرتْني امرأةٌ صالحةٌ — : من أهل الاسْتِتارِ . — : أنها أتَتْه إلى دارِه ، فى بعض الأيامِ — وذلك: قبلَ الظُّهرِ . — فقرَعتْ عليه البابَ : فَخَرَج إليها — وكانت لا تَعْرِفهُ قبلَ ذلك — : وعلى يدهِ أثَرُ العجينِ ، كما كان يَعْجِنُ ؛ فقالتْ له : أُريدُ أنْ تُكلِّمَ القاضيَ ؛ فإن لى إليه حاجةً .

فقال لها : تَقدَّمى إلى المسجدِ الجامعِ ؛ فإنه يوافِيكِ فيه السَّاعةَ .

(قالتْ) فأتيتُ الجامعَ فركَعتُ ؛ ثم جلسْتُ : أنتظِرُ القاضيَ ؛ فلم ألْبثْ : أنْ أتى ذلك الرجلُ — الذى خرَج إليَّ : و بيديْه أثَرُ العجينِ . — فجعَل يركعُ ؛ فسألتُ عنه : فقيل لى : هو القاضى. فلمَّا سَلمَ : تعَرَّضْتُ إليه ، فكَلَّمْتُه فى حاجتى: فقضَاها لى .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى عبدُ اللهِ بنُ قاسمٍ ؛ قال : أخبرنى أبى ؛ قال :

وقَفْتُ بمحمدِ بن سَلَمةَ القاضى ؛ فسألنى : أن أشتريَ له كِساءً بركانٍ(١) .

(قال عبدُ اللهِ) : فأمرَنى أبى : أنْ أهبِطَ إلى البزَّازينَ : فى طلَبهِ ؛ فهبَطْتُ : فاشتريْتُ له كِساءً : بأربعةٍ وعشرين ديناراً ونصفِ دينارٍ ؛ ثم : أتيتُ به أبى ؛ فسارَ به إليه : فاسْتحسَنَه ، وقال : بكمْ هذا الكساءُ ؟ فقال له : يَقعُ عليك :

---

(١) كذا بالأصل .

بعشرةِ دنانيرَ . فسَبَقَ إلى القاضى : أنه ثمنُه ؛ فأخرجَ إليه عشرةَ دنانيرَ .

فلما كان بعدَ ذلك : لم يَنْشَبْ أنْ أتاه أبو يحيى صاحبُ الأحْباسِ [1] فقال له : إن القاضىَ يُقرِئُك السلامَ ، ويَسألُك : أن تقبضَ الكِساء ، وتَرُدَّ العشرة الدنانيرَ ؛ فإنه : قد أحْتاجَ إلى نفقتها ، والكِساء : قد أُستَغنَى عنه .

فقال له أبى : يَرُدُّ الكساء ، وأنا أعطيه الدراهمَ : ينتفِعُ بها إلى وقتٍ يَتيسَّرُ له [دفعُها] .

فأبَى صاحبُ الأحْباسِ : من ذلك .

(قال) فأنكَرْتُ ذلك ، وقلتُ : ما الذى أوْجَبَ هذا ؟ .

فقال [2] : قد علِمَ ثمنَه : فلم يَقْبَله ، وقال : إنما ظننتُ أن ثمنَه عشرةُ دنانيرَ كما أعطيتُ ؛ فإذ [كان] ثمنُه أكثر من ذلك : فلا حاجةَ لى أن أتحامَلَ على الرجلِ : فى ماله .

قال عبدُ اللهِ : وكانتْ بين أبى وبينَ محمدِ بن سَلَمةَ : محبَّةٌ ومُداخَلةٌ ؛ وكان: يَختلفُ النساءُ بعضُهن إلى بعضٍ .

فأتَتْنا أبنتُه فى بعض الأيام زائرة — : وهو على القضاء — فأمرَ أبى النساءَ أن يكسُونها مِقنعاً عِراقِيّاً ، فكَسَوْنها ذلك .

فلما أنصرَفَتْ من عندِنا : رأى القاضى المِقْنَعَ عليها ؛ فأنكرَه ، وقال لها : مِن أيْنَ لك هذا ؟ . فوَصفَتْ له الخبرَ على وجْهِه ؛ فقال لها : يا بُنَيَّةُ ؛ ليس هذا المِقْنَعُ : من كِسْوَتِك مع أنه يَحتاجُ هذا المِقْنَعُ : إلى ثَوْبٍ من جِنسِه ، ورِداء من جنسه . ثمَّ : أمرَها برَدِّ المِقْنَعِ ؛ ولم يَقبَله .

قال محمدُ بن عُمرَ بن لُبابَةَ : أتيْتُ القاضىَ محمد بن سَلَمةَ ، فلم أرَ فى دَوَاتِه

---

(١) بالأصل : أحباس . وهو تحريف .

(٢) أى صاحب الأحباس . وعبارة الأصل : فقد علم الخ . وهى محرفة .

إلاَّ أقلاما مكسُورةً ؛ فأخذْتُ مع نفسي أقلاماً حِسَاناً — كانتْ عنـــدى — وبَرَيْتُها ، وأتيْتهُ بهـا ؛ فأبى قبُولِها ؛ وقال : لو كنتُ مُتقَبِّلاً لهدِيَّةٍ : لقَبِلْتُ هديَّتَك . وردَّها عليه .

قال : وأخبرنى سُليمانُ بن محمدِ بن أبى رَبيعٍ ؛ قال :

كنتُ أخاصِمُ عندَ القاضى : محمد بن سَلمةَ ؛ فسُعِىَ علىَّ عنده ، وأُغْرِىَ بى . فـكنتُ : إذا أتيْتُ مَجلسَه : خَرَج علىَّ أمامَ الناسِ .

فشكَوْتُ ذلك إلى محمـدِ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، وأردْتُ أنْ أسْتَعينَ به عليـه — وكان : أكْبرَ الناسِ عنـده ، وأقْرَبَهُمْ منه . — فقال لى ابْنُ لُبَابَةَ : لستُ أرى : أنْ تَسْتَعِينَ عليـه بى ولا بغَيرى ؛ غيرَ أنّى أدُلُّك على حالةٍ أرجو : أنْ تَنْتَفِعَ بها عنـده ، وأنْ يَرْجعَ إلى ما تُرِيدُ : من الحقِّ . تَحيَّلْ وقْتَ خَلْوَةٍ ؛ فإذا صاحَ عليك : فلا تَهَبْ منه صِيَاحَه ؛ وقُلْ له عند ذلك : يا قاضىَ المسلمين ؛ اَللهُ أوْلَى بك .

(قال لى ابْنُ الرَّبيعِ): ففَعَلْتُ ما دَلَّنى عليه ابْنُ لُبَابَةَ ، وقلتُ له ما قال لى ؛ فانْـكَسَرَ عندَ ذلك ، ورَجَع عمَّا كَرِهْتُ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، يقولُ :

أتيتُ — أنا والحبيبُ بنُ زِيادٍ — إلى محمد بن سلمةَ : لِتَعْدِيلِ ابْنِشَرَاحِيلَ (المعروفِ : بالعجيزة) ؛ فعَدَّلْناه عنده : فقام الحبيبُ بن زِيادٍ ، وبَقِيتُ أناعنده . فقال لى القاضى : أبا عبدِ اللهِ ؛ ما تقولُ فى القاضى : يُعَدَّلُ عنده الرجلُ — : وهو يَعرِفُه بغيرِ العدالةِ . — بأىِّ شىء يأخُذ ؟ : أبِعلْمِهِ ؟ أوْ بتعديلِ المُعَدِّلين له ؟.

(قال ابْنُ لُبَابَةَ) : فقلت له : إذا عَلِمَه القاضى بالْجرْحةِ ، فذلك : أوْلى أنْ يأخذَ به ، من قولِ المُعَدِّلينَ .

فقال لى محمد بن سلَمَةَ : فإنَّ هذا الذى عدَّلْتُم ، هو عندى : غيرُ عدْلٍ .

(قال) : فقلتُ له : أنتَ أحقُّ بعِلمك ؛ ونحنُ قد عدَّلْناه : بمَبْلَغِ علْمِنا ؛ ومن عرَف الباطنَ ، فهو : أَحَقُّ ممَّن عرَف الظاهرَ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : فذكَرْتُ الحكايةَ لمحمدِ بن عبدِ الملك بن أَيْمَنَ ؛ فذكَرَ : أنَّ محمدَ بن سَلَمةَ ، لم يكنْ يَعرِفُ ابنَ شراحيلَ : بجُرْحةٍ ؛ غيرَ أنَّ بعضَ جيرانِنا كانتْ له خاصَّةٌ من القاضي ؛ فآذاهُ عندَه : بشيءٍ كان بيْنَه و بيْنَه .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادةَ : كنتُ يوماً ماشياً معَ محمد بن سلمةَ — : وهو على القضاء . — فلقِينا إنساناً : على رأسه غِرَارَةٌ : فيها شيءٌ مستورٌ ؛ و بيدِه كَبَرٌ[1] فأمرَ القاضي : بكسرِ الكَبَرِ ؛ وعلِمَ ولم يَشُكَّ — : أن الغِرَارَةَ مملوءةٌ أكْباراً . فقال : أَنزِلوا الغِرَارَةَ ، وانظروا ما فيها .

(فقال أحمدُ بن عُبَادةَ) فقلتُ له : ما عليك : أنْ تُفَتِّشَ أمتِعَةَ النـاس وخَبَاياهُم ؛ إنما عليك : أن تُغيِّرَ ما ظَهَرَ : من المُنكر .

(قال) : فأمسك عمَّا أمَرَ : من تفتيشِ الغِرَارةِ ؛ ثم سِرْنا : فلقِينا محمدَ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ؛ فسأله عن ذلك . فقال ابنُ لُبَابَةَ مثلَ ما قلتُ له .

(قال) : فعَطَف علىَّ ، فقال لى ، لقـد انتفَعْنا بصُحْبَتِك — اليومَ — يا رُعَيْنِيُّ .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : حكى رجلٌ — كان : يخدُمُ محمدَ بن سَلمةَ ، ويَمْشِي معَه . قال :

قال : بيْنَا القاضي يوماً — فى بعضِ الأزِقَّةِ — : ونَظَر إلى سكْرانَ ؛ فقال لى : خُذْه ؛ حتى أُقِيمَ عليه الحَدَّ .

فقال له السَّكرانُ : تعالَ[2] أنتَ بنفسِك — يا قاضى — : فخُذْنى ؛ واللهِ :

---

(١) فى المختار : (الكَبَر) — بفتحتين — : الأصف ، فارسى معرب.

(٢) بالأصل: « تعلى » ، وهو تصحيف .

لئن أخذتُك[1] لأضربنَّك ضرباً وَجيعاً .

(قال) : فصَدَّ محمدُ بن سَلَمَةَ طريقَ السَّكران، وأخذ بغيره ؛ ثم قال لى القاضى: سمعتَ ما قال ؛ والله ما أظنه إلا كان يفعل ؛ الحمد لله : الذى نجَّانا منه .

وكان محمد بن سلمة — فى أول ولايته القضاء — : متحرفاً عن محمدِ بن غالبٍ فتقابلا فى الطريق يوماً ؛ فسعى محمد بن غالب] :[2] إلى الرجوع مع محمد بن سلَمة ، والمشى معه . فلم يقبل ذلك منه محمد بن سلمة ، وأمره بالإنصراف : استثقالاً له .

فانصرف عنه محمدُ بن غالبٍ ؛ ففى انصرافه لَقِىَ فتًى : من أصحاب الرسائل ؛ طالِباً لأثرِ القاضى : يسأل عنه ؛ وبيدِه كتاب من عند الأمير رحمه اللهُ .

فعلم ابن الصَّفَّارِ : متى ورده الكتاب : لم يقم للجواب : فانصرف ابن الصَّفار فى إثْرِ الفَتَى : حتى دخل المسجد الذى فيه القاضى ؛ فوَجَد الكتاب بيده : والفتى يحركه فى المجاوَبة ؛ وقد بقى القاضى حائراً .

فلما نظر ابن سلمة إلى ابن الصفار ، قال له : ما صرفك ؟ .

فقال له : أصلحَك الله ؛ لقيت هذا ، فعلمتُ : أن قصده إليك ؛ فقفوت أثره لنكفيك المجاوبة ، وأصونك عن الشخوص فيها .

فأمكنه القاضى : من الجواب ؛ فأجاب عنه وأحسن . فشكر القاضى ما كان منه ، وعاد : بحسن الرأى عليه .

ولم يزَلْ محمدُ بن غالبٍ — بعدَ ذلك — : مُتَبَحْبِحاً فى دولته ، مالكاً لأمْرِه ؛ حتى تُوُفِّىَ سنةَ إحدَى وتسعينَ ، ووُلِّىَ بإثْرِه الحبيبُ .

قال محمدُ : وكان الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنهما) : من الأئمةَ المَهْدِيِّينَ ، والخلفاء الفاضلين فى العبادةِ ؛ والمتقدِّمين فى الزَّهادةِ وكان فى أيَّامه

(١) كذا بالأصل . يعنى : إن تعرضت لى وأمسكتك .

(٢) هذه الزيادة اضطررنا إلى إثباتها : لأن الكلام ناقص كما هو ظاهر .

رجلٌ من أهلِ الزُّهدِ والعبادة والفضلِ ؛ يُعْرَفُ : بالصَّيَّاد .

فسأل الأمـــيرُ (رحمه الله) يوماً ، النَّضْرَ بن سلَمَةَ ؛ فقال له : مَتَى عَهْدُكَ بالصَّيادِ ؟

فقال له : لاعَهْدَ لي به .

قال : آهِ ؛ مِثلُكَ لا يكونُ له عهدٌ بالصياد ؟! فقمَعَه بذلك .

ثم : أَدْخَلَ عَلَى نفسه محمدَ بن سلَمَة ؛ فقال له : مَتَى عَهدُكَ بالصَّيَّاد ؟ .

فقال له : السَّاعة رأيتُه في الجامعِ ؛ فمِلتُ إليـه ، وسلَّمتُ عليـه ؛ وسألْتُه عن حالِه .

فقال له : الأَميرُ (رحمه الله) : مثلكَ قَرُبَ عَهده بِمثلِ الصَّيَّادِ ، وعَرَفَ حقَّه.

وكان الأمير (رحمه الله) بمحمد بن سلمة ، معجباً لدينه وفضله وصحَّته ، وسلامة صَدْرِه .

قال محمدٌ : فكان محمدُ بن سَلمةَ قاضياً ما شاء اللهُ : من الأيامِ ؛ ثم عزَلَه الأميرُ رحمه الله .

وكان السَّبب في عزله إيَّاه : أنَّ النَّضرَ بن سَلَمَةَ : أَحَبَّ الرُّجوعَ إلى القضاء ؛ وطَمِعَ في ذلك : لو عُزِل أخوه محمدٌ . فزَيَّنَ لأخيه مُكاتبةَ الأميرِ (رحمه الله) : بالاسْتِعْفاء عن القضاء ؛ فقَبِلَ منه محمدٌ ، وكَتَب : يَسْتَعْفي . فأجابَه الأميرُ (رحمه الله) : إلى ما سألَ ؛ وعافَاهُ من القضاء كما رَغِبَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : النَّضْرِ بن سلمةَ ؛ المرّةَ الثّانيةَ . »

قال محمدٌ : ولمّا أسعفَ الأميرُ (رحمه الله) : عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنهما) قاضيَه : محمدَ بن سلمةَ ؛ بما سأل : من المُعافاةِ ؛ وعزَلَه عن القضاء — : أعادَ النَّضْرَ بن سلمة إلى خُطّةِ[1] القضاء ؛ وأقرَّ محمد بنَ سلمة : على الصلاةِ والخُطبةِ .

فكان النَّضْرُ : القاضىَ ؛ وكان محمدُ بن سلمةَ : صاحبَ الصَّلاةِ .

قال محمدٌ : سمعتُ غيرَ واحدٍ : من أهلِ العلمِ ؛ يقولُ :

كان النَّضْرُ فى المرّةِ الأولى : أحمدَ منه ؛ فى المرّةِ الثانيةِ . ولم يَبلُغْ : فى القضاء الثانى ، مَبْلغَه : فى الأوّلِ .

قال محمدٌ : وتصرّفتْ الحالُ بالنَّضرِ : إلى أنْ رأى الأميرُ (رضى الله عنه) : أنْ يَستَوْزِرَه ؛ فعزَلَه عن القضاء ، وولّاه الوزارة . وجَمعَ الخُطّتَيْنِ — : خُطةَ القضاء ، وخُطّة الصّلاةِ — لمحمدِ بن سلمةَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بن سلمةَ ؛ المرّةَ الثانيةَ »

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن عُبادة الرُّعَيْنيُّ ؛ قال :

لمّا وُلِّى محمد بن سلمةَ خُطّةَ القضاء ، بكى كراهيةً لما قُلِّدَ منها . وكان : رجلاً صالحاً فاضلاً ، صحيحَ المذهَبِ .

قال محمدٌ : وقد قدّمتُ — : من أخباره وذِكْرِ فضائله : فى دَوْلته الأُولى . — مالا يصلحُ تكريرُه : فى هذا الموضعِ .

(١) الخطة : الأمر . راجع المختار .

قال محمدٌ : أخبرنى فَرَجُ بنُ سَلَمَةَ البَلوىُّ ، عن محمدِ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ — وذَكَرَ أيضاً خالدُ بن سَعدٍ ، عن ابنِ لُبَابَةَ — قال :

أَرسَلَ فىَّ القاضى : محمدُ بن سَلَمَةَ ؛ فسألنىَ : أنْ أَعقِدَ له كتابَ وَصيَّتِه .

(قال ابن لبابة) : فعقَدْتُها : على أنه أوصَى بثُلثِه . ثم ذَهَبَ يُوَزِّعُ الثُّلُثَ على مايُوصِى به ؛ فوَزَّعَ منه مِثلَ عشرةِ دنانيرَ ؛ ثم انقطع توزيعه .

قال ابنُ لُبَابَةَ : فقلتُ له : ثم ماذا ؟ .

قال : هذا ثُلُثِى : فيما أحسَبُ .

(قال) : فجعَلْتُ : أُجِيلُ بصرِ [ى] فى دارِه ؛ فشَعر لى ، فقال : واللهِ : مالى غيرها شىءٌ (يعنى : فى رَقَبةِ الدّارِ) ؛ وإنَّها لإ بنِى : عافِيةَ .

(قال محمد بن عمر بن لبابة) : فلَمَّا تُوُفِّىَ : حضَرْتُ تَحصيل تَرِكَتِه ؛ فَبلَغَ : نحو ثلاثين أو خمسٍ وثلاثينَ ديناراً .

قال محمدٌ : وتُوُفِّىَ محمدُ بن سَلَمَةَ : فى أيَّامِ الأميرِ عبدِ اللهِ بن محمدٍ (رضى الله عنهما) : قاضياً غيرَ مَعزُولٍ .

قال محمدٌ : أخبرنى بعضُ أهل العلم ؛ قال :

لَمَّا اشتد بمحمد بن سَلَمَةَ مَرَضُه ، ولم يستطِعْ الخُروجَ : إلى الخُطبةِ بالناسِ يومَ الجُمُعةِ — : سأله ولَدُه : أن يكتبَ إلى الأميرِ ، ويسئله : أن يَسْتَخلِفَه على الصّلاةِ .

فقال : واللهِ : ما أفعَلُ ؛ ولا أختارُ لِصلاةِ المسلمينَ ، وأشِيرُ : بتقديمه ؛ على الأميرِ — إلاَّ من يَسْتَحِقُّها ، ومن هو أهلٌ لها .

وكتب إلى الأميرِ ، يشير عليه : بمحمد ابن عمر بن لُبَابة . فقَبِلَ الأميرُ (رحمه الله) رأيه ؛ وأمَرَ ابنَ لُبَابَة : بالصلاة .

قال محمدُ : ذَكَرَ لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ؛ قال :

لمَّا مات محمدُ بن سَلَمَةَ : نَظَر الأميرُ عبدُ الله : فى قاضٍ ؛ وعَزَم : على أبى الغَمْرِ بن فهدٍ ؛ وأمَرَ : بالإرسالِ فيه . فكان غائباً : فى ضَيْعتِه بقَبْرَةَ ؛ وافترَقَ الوُزراءُ ؛ وعَرَف جذْمِيرُ العجمىُّ .

فلمَّا خرج من القصرِ جذْميرُ : أتى أحمدَ بن محمدٍ فأعلَمَه بما كان ، وقال : عَجَباً منهم : أن يكونَ مثلك — من بيت القضاةِ — : يُطْرَحُ عنك ! ثم قال له : سأُدخِلُ[1] عنك البيِّنةَ ؛ فإن كان لك فى البَيْتِ مَن يذكُرُ ويُشِيرُ بك ـ : فَمِلْ .

فانصرَفَ الحبيبُ : فاجْتَمَعَ مع عبدالله بن الزَّجَّالىِّ ، وتكلم معه : فى ذلك . ثم تَكلَّمَ مع محمد بن أُمَيَّةَ ليلته تلك أيضا .

ثم أصبَحَ جذْميرُ : فدَخَل على عبد الله ، فقال له : « إنى هَمَمْتُ بالرُّجوعِ إليك : عَشِيَّةَ أمس ؛ غيرَ أنى كرهت تحريكك . خَرَجتُ : فوجدتُ جملةً — من المساكين — : يبكون أنفُسَهم ، ويقولون : عَزَمَ الأميرُ : أن يُوَلِّىَ ابنَ فهدٍ ؛ فإنْ ولاَّه : أكلَ أموالَنا : برَغبتِه وحرْصِه ؛ وأَنْهَكَ أحباسَنا . » .

فقال الأمير : والله : إن فيه لَرَغْبةً . ثم أدخَلَ الوُزراءَ ، فأعلمهم : أنَّ رأْيَه حالَ عن ابنِ فهدٍ . فاشارَ ابنُ الزَّجَّالىِّ : بالحَبيبِ وذَكَر : أنَّ ابنَ أُمَيَّةَ أوْصى إليه ببنَاتِه . وأَرْسَلَ : فى كتاب وَصيَّتِه ؛ فنظر إليها الأميرُ ، فأمَرَ بتَوْليته القضاء ؛ فوُلِّىَ .

* * *

(١) عبارة الأصل هكذا : «ساخل» ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا ، أو عن : «سأحمل» .

« ذِكْرُ القاضى : الحبيب أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ اللخمىِّ ؛
المَرَّةَ الأُولَى » .

قال محمدٌ : ولمَّا تُوُفِّىَ القاضى : محمد بن سَلَمَةَ ؛ أمَرَ الأميرُ (رحمه الله) محمد بن أُمَيَّةَ — صاحبَ المدينة يومئذٍ — : أن يقبض الدِّيوانَ ؛ وأن يجعَله : بمكان الحِفظِ والصِّيانةِ ؛ حتى يولى القضاءَ مَن يرضى ؛ فيصيرُ إلى نَظَرِه .

ففَعَل ذلك ؛ وبقِىَ الناسُ : لا قاضىَ لهم بُرهةً من الزَّمان .

وكان الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنه) — فى ذلك الوقتِ — : يستشير ويَسْتَخِيرُ ، ويتكرَّرُ بالنظرِ ، ويقلِّبُ الرَّأى : فيمَنْ يقلدُّه القضاء ؛ بعد محمد ابن سَلَمَةَ .

فجَمَع الوُزراء يوماً من الأيام ، وجعلَ يُشَاوِرُهم فى قاضٍ .

فقامَ إليه محمدُ بن أُمَيَّةَ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ؛ إنَّ الرجلَ لا يَعْهَدُ بوَصِيَّتِه ، ولا يأتمِنُ على ولَده ومالِه ، غيرَ أوثَقِ الناسِ ؛ وهــذه : وصيَّتى ؛ فانظرْ : إلى مَن أسْنَدْتُها .

فقال الأميرُ : صدقتَ . ثم نَظَر إلى كتابه ، فوجَدَه : قد أسندَها إلى الحبيبِ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ . فقَبِلَ منه الأميرَ (رحمه الله) : رأيَه ؛ ووَلّى القضاء الحبيبَ بن محمدِ بنِ زيادِ بن عبد الرحمن بنِ زُهَيْرِ اللَّخْمِىَّ . وذلك : فى سنةِ إحدَى وتسعينَ ومائتَيْن .

٤٤

قال محمــدٌ : قال لى غيرُ ما رجلٍ — من عقلاء الناسِ وعلمائهم — :

كان القاضى أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ — المعروفُ : بالحبيبِ — : أكملَ الناسِ أدباً ، وأكثرَهم بالصَّدِيقِ بِرّاً ، وأكرمَهم عنايةً ، وأقْضاهم لحاجةٍ : فى ماله وحُرْمَتِــه . وكان : حَسَنَ المُداراة ، لطيفاً : فى الأمورِ ؛ طَلُوباً : إذا طَلَبَ ؛ صَبُوراً على المُقارَعةِ والمُواصَلةِ .

قال محمدٌ : وذَكر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

لم يزَلْ أحمدُ بن محمدِ بنِ زيادٍ — فى حَدَاثةِ سِنّهِ — : أثيراً عندَ الخلفاء (رحمهم الله) ؛ شاوَرَه الأميرُ محمدٌ — معَ الفُقهاء — : (فى بعضِ الأقضِيَةِ ؛ واُستَسْقَى بالناسِ فى أيامِ الأميرِ المُنذِرِ (رحمه الله) ، بَدِيلًا[1] للقاضى أبى مُعاوِيةَ — من غيرِ وِلايةٍ — : فسُقِىَ ونزَلَ الغَيْثُ .

قال محمدٌ : وكان الحبيبُ : من أوفَرِ الناس وأمْلِئَائِهم[2] ؛ وكان بصيراً بالتَّجْرِ ، عارفاً بوُجوهِه .

قال لى بعضُ الشيوخِ : إنما كانت المِنّةُ على الحبيبِ ـ فى مالِه ـ : للقاضى سُليمانَ بنِ أسْوَدَ ؛ فإنه كان : يُعْنَى بالحبيبِ عِنايةً شديدةً ؛ وكان الحبيب فى مُبْتَدَإ أمرِه : لا مالَ له . فدَعاه سليمانُ : فوَعَظَه ووَصّاه : بالنظرِ لنفسه ، والاكتِسَابِ لهـا ؛ وعرَّفَه : بحُرْمةِ المالِ ، وجَسيمِ مَنفَعتِه ؛ ودَلَّه : على بابِ التَّجْرِ ، وحَضَّه عليه .

فقال له الحبيبُ : إنَّ التَّجْرَ لا يكونُ إلا بالمالِ ؛ وأنا : لا مالَ لى .

فسكَتَ عنه سليمانُ أياماً ؛ ثم دَعَاه : فأَوْدَعَه خمسةَ آلافِ دينارٍ ؛ وقال له : حَرِّكْها ، واُتَّجِرْ بها لِنفسِك . فكانت : نِصابَ مالِه ، ومِفتاحَ كَسْبِه .

قال محمدٌ : ولمَّا وُلِّىَ القضاءَ الحبيبُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ ـ وذلك : فى سنةِ إحدَى وتسعينَ ومِائتَيْنِ ـ : لم يَقْبَلْ الرَّأْىَ ممَّن أشارَ به عليه ، حتَّى يُقَيِّدَه على نفسِه بخطِّ يدِه . ـ فكان : أوَّلَ قاضٍ : ضمَّ أهلَ الفقهِ ، المُشيرينَ عليه فى أقْضِيَتِه ، إلى ضَبْطِ فُتْيَاهُم ، وزِمامِ رأيِهم : بخطِّ أيْدِيهم . ـ ولم يَكِلْ ذلك : إلى خطِّ كاتبِه ، ولا : إلى خطِّ نفسِه . ثم تَكَلَّفَ ـ بعدَ ذلك ـ تأليفَ تلك الأقْضِيَة ، وجمْعَ تلك الأحكام . فجَمَّلَ منها أجزاء : فيها بَلاغٌ لمن نَظَرَ

---

(١) بالأصل مديلا . ولعلها مصحف عن نحو ما أثبتنا . (٢) جمع : مليء ؛ وهو : الثقة .

فيها ، ومنفعةٌ لمن اقتبسَ منها ؛ وهى : لا بأسَ بعلمها ، ولا تقصيرَ فى صُوَانِها[1] .

وكان : قد قعدَ عنه ــ فى قضائه هذا الأوّلِ الشيخانِ : محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبابَةَ ، وأيّوبُ بن سليمانَ . وكانا فى وقتِهما : شَيْخَىْ البلدِ ، وعظيمَيْه . علماً وفقهاً ؛ مع السِّنِّ والإجلالِ : من صَنعةِ العلم ، ومعانى الفقه ؛ مع كثرةِ الدُّرْبةِ ، وطُولِ المِراسةِ ، وقَديمِ المُعاناةِ ، والرُّسُوخِ الكاملِ . فى مَذهبِ الرَّأْى وطُرُقِ الفُتْيا .

فلمّا نظرَ الحبيبُ إلى تَثاقُلِهما وقُعودِهما عن إتْيانِه ــ : اُستَغْنَى بمحمدِ بن وَليدٍ الفقيهِ ، وبمحمدِ بن عبد الملك بن أيْمَنَ ؛ عن الشيخين : بُرهةً من الزَّمانِ ، وحِيناً من الدَّهرِ .

ثم سَعَى فى إصلاحِ ذلك وتألُّفِه ، عمرُ بن يَحيى بنِ لُبابةَ ــ وكان قد فَسَد فى ذلك الحينِ ، مابيْنَ الشيخينِ أيضا : محمد بن عُمرَ بنِ لُبابةَ ، وأيُّوبَ بن سليمانَ . ــ فجَمع عمرُ بينَهما : عند أسْلَمَ بنِ عبدِ العزيز ؛ وجُعِل شَرْطُهما فى الإصلاحِ : الاجتماعَ على إزالةِ محمدِ بن أيْمَنَ ، عن مَكانتِه عند الحبيبِ بن زيادٍ .

فدارتْ فى ذلك بينهم أحوالٌ طويلةُ الوَصفِ : على ما يكونُ بيْنَ الضِّدَّيْنِ ــ ولا ضِدَّ أكبرُ من المُزاحمةِ والمُنافَسةِ : فى الدَّرجة ؛ ولا سِيَّما إن جرَيا إلى غايةٍ واحدةٍ : بأهواءٍ مختلفةٍ ــ واختَلفتْ حُظُوظُهما فى القِسْمِ ؛ فكان أحدُهما : يتطاولُ بحظِّه : من الحُرْمةِ والوجاهةِ ؛ وصاحبُه يَتطاولُ : بالعلمِ والنَّباهة . وجحَدَ كلُّ واحدٍ منهما حقَّ صاحبه ، ولم يُقِرَّ له بما يَنْتَحِلُ ؛ ودافَعه فيما يقولُ .

قال محمدٌ : أخبرَنى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال :

تقدَّمَ رجلٌ كهلٌ إلى الحبيبِ بن زيادٍ : فشَهِدَ عنده بشهادةٍ ؛ فقال له القاضى : مُذْ كَمْ عرَفتَ هذا الأمرَ ؟ .

(١) كذا بالأصل . ولعل المراد : حفظها . ان لم يكن مصحفا عما يدل على التحرير والكتابة .

فأجابَه الشاهدُ بجوابٍ — : أخرَجَ فيه الكلامَ على وجْهِ المُبالغةِ ، والرَّمْيِ إلى الغايةِ . ـ فقال له : مُذْ مائةِ سنةٍ .

فقال له القاضى : ابنُ كَمْ أنتَ ؟

فقال له : ابنُ ستِّين .

فقال له : فكيفَ عرَفتَ هذا الأمرَ مُذْ مائةِ سنةٍ ؟ ! أتُرَاكَ : عرَفتَه قبْلَ أنْ تُولَدَ بأربعينَ عاماً ؟ ! .

فقال له الشاهدُ : إنَّما قلتُ ذلك على المَثَلِ .

فقال له الحبيبُ : إنَّ الشّهاداتِ لا تُؤَدَّى بالمَثَلِ . ثم دَعَا للشاهدِ بالسَّوطِ : فقَنَّعَه به مرات ؛ ثم قال : لو أنَّ إبراهيمَ بن حسينِ بن عاصم تَحَفَّظَ مِن مِثْلِ هذا ـ : ما صَلَبَ إنساناً بغيرِ حقٍّ .

قال محمدٌ : وكانت قِصَّةُ المَصلُوبِ ـ الذى صَلَبَه إبراهيمُ بن حسينٍ ـ : أنَّ الأميرَ محمدا (رحمه الله) حدثَتْ فى أيَّامِه مَجاعةٌ شديدةٌ : فكَثُرَ فيها التَّطاوُل من الفَسَدةِ ؛ لفَضلِ ما كانوا فيه : من ضُرِّ السَّنَةِ . وكثُرَ الشَّكوَى بذلك : إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ وكَثُرَ عليه ـ من الحكاَّمِ ـ اسْتِطْلاعُ رأْيِه : فى الصَّلْبِ والقَطْعِ وما أشْبَهَ . فوَلَّى السُّوقَ ـ حِينئذٍ . ـ إبراهيمَ بن حسينِ بن عاصمٍ وأمَرَه بالاجتهادِ ؛ وعهِدَ إليه : بالتَّحَفُّظِ ؛ وأذِنَ له : بالتَّنفيذ فى القَطعِ والصَّلبِ بلا مُؤامرةٍ منه ، ولا اسْتِئْذانٍ .

فكان إبراهيمُ : يجلسُ فى مجلسِ نَظَرِه فى السوق ؛ فإذا أُوتِيَ بالفاسدِ المُفدِح ، قال له : اُكتُبْ وصيَّتَه[1] ؛ ودعا له بشيوخٍ : فأشهدَهم على مايُوصِى به ؛ ثم صَلَبه ونَحرَه . فكان بين يديه — : من المُصَلَّبِينَ . — عددٌ عظيمٌ .

---

(١) أى : طلب منه ذلك ، ولعله مصحف عن « وصيتك » .

فأتاه قومٌ بفتًى : من جيرانِهم ؛ فشَكَوْا منه إليه تَطاوُلا ؛ على ما كون : من أشرارِ الأحداثِ . وهُمْ لايَشُكُّون : أنه سيَزْجُرُه الزَّجرَ القوىَّ ؛ وإن أفْرَطَ فى عقابِه : بالسجن .

فقال لشيخ منهم : مايَستَحِقُّ عندَكَ ؟.

فقال — علَى وَجهِ المَثَلِ والمُبالَغةِ فى الوَصفِ — : ما أستَحقَّ هؤلاء . وأشارَ إلَى المُصَلَّبِينَ .

فقال له إبراهيمُ بن حسينٍ ولأصحابِه : انصرفوا . ثم قال للفتى : اكتب وصِيَّتك .

فقال له : اتقِ اللهَ فىَّ ؛ فإنه لم يَبلغ ذَنْبى ، أن أستَحِقَّ القتلَ والصَّلبَ .

فقال له : بذلك شَهِدَ عليك الشُّهودُ . فقتَلَه وصَلَبه .

فلمَّا بَلَغ الشُّهودَ ذلك ، أتَوْه فقالوا له : لم يُشهَدْ عندَكَ على الفتَى بذَنبٍ : يجبُ فيه القتلُ . فقال: أوَلَمْ يَقلْ قائلُكم : إنه يَسْتَحِقُّ مااسْتَحقَّ[1] هؤلاء .

فقالوا له : [هذا] عَلَى المَثَلِ .

قال : فإثمُ ذلك فى رِقابِكم : إذْ لم تُحْسِنُوا الإبانةَ من أنفسِكم .

قال محمدٌ : بَلَغَنى : أنَّ الخُبَيبَ جَلَس إلى مائدتِه رجلٌ من السُّوقِ : كان له صنيعةً ؛ وكان السُّوقىُّ : قد أخرَجَ فى كُمِّه — من بيتِه — خُبزاً : يتَغدَّاه فى حانُوتِه : فى داخلِ النَّهارِ . فَخَطر بالقاضى الخُبَيب : فى صدْرِ النهارِ ؛ فأمَرَه : بالمُقامِ ؛ حتى حَضَرتْ المائدةُ ؛ فتَقرَّب الرجلُ ، وأظهرَ مُزَاحًا سَمِجاً : فأخرجَ خُبزَه من كُمِّه ؛ ثم قال : أمَّا أنا : فقد أتَيتُ بخُبزى معَ نفسى ؛ فمنه آكُلُ . — وكان الخُبَيبُ : شَريفَ الهِمَّةِ ، شَديدَ اليَقظة . — فقال له وَيْلَكَ ؛ إنَّ

---

(١) بالأصل : « يستحق » . وهو مصحف عنه .

إنَّ هذا الكلام و إن كان مُزَاحاً ، — . فإن عارَه يَبْقَى . ثم قال لغلامه : خذ يَده ، وأَقِمْه[(١)] عن المائدة ، وأَخْرِجْه ؛ فليْس مثل هذا يُسْتَخَصُّ .

قال لى عثمانُ بن محمدٍ : كان بيْنَ الحْبيبِ بن زيادٍ — قبْلَ أنْ يَلِيَ القضاء — و بيْنَ جعفرِ بن يحيَى بنِ مُزَيْنٍ ، سَببٌ : من شَحْناء وضِغنٍ ؛ وكان جُعفرٌ : ممَّن يُصلِّى فى المَقْصورةِ .

فلما وُلِّىَ الحْبيبُ القضاء ، أَمَرَ بعض القَوَمَةِ يوم الْجُمُعَةِ — إذا أتَى جَعفرُ بن يَحيى بن مزينٍ ، ليدخُـلَ من بابِ المَقْصُورة — : فلْيَسْبِقْ البابَ ، ويُغلِقْه فى وجْهه ولا يُدخِلْه[(٢)] .

ففَعَل ذلك به : فَالَ جعفرٌ إلى جانبِ البابِ : من خارجٍ ؛ وصَـلَّى ؛ ثم انصَرَف إلى بيته . فيُقال : إنه ظَهـر به يرَقانٌ ؛ فماتَ إلى الثالثِ ، وهذا فيما ذكرناه[(٣)] : من مُطالبَةِ الحبيبِ لِمَن شَذَّ عنه .

قال محمدٌ : ذَكَرَ بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

إنَّ محمـدَ بن إبراهيمَ — المعروفَ : بابنِ الجْبَّابِ . — امتَدَّ إليه رجلٌ من جيرانه — : وهو حَدَثُ السِّنِّ يومئذٍ — فنالَ منـه : بسَببِ النفسِ الذى كان تتعادى به الجيرانُ .

فتقدَّم محمـــدُ بن إبراهيمَ إلى الحْبيبِ بنِ زيادٍ — فى دَولتِه الأُولى — : مُشْتَكياً بالرجل .

فأمَرَ الحبيبُ : بحَبسِه ؛ فشَفَع فى إطلاقه : محمدُ بن عُمر بنِ لُبابَةَ ، وأبو صالح أيُّوبُ بن سُليمانَ ؛ وقالا له تَحبسُ رجلاً ، بدَعْوى خَصمه ؟!

---

(١) بالأصل : « وأقم » ؛ وهو تحريف .

(٢) بالأصل : « يدخل » ؛ والظاهر أنه محرف عنه .

(٣) عبارة الأصل « ذكر نانه » وهى مضطر به .

فأبَى الحبيبُ : من إطْلاقه ؛ وقال : كان أَبِي وعمِّي : لا يَلتمِسانِ ـ عَلَى مَن شَـكاَ به أهـلُ العلمِ ، ومَن يُوسَمُ بخير ـ : ظَهيراً . ولم يُطْلِقْ الرجلَ إلا لِمَنْ حبَسه له .

قال محمدٌ : إن كانتْ هذه الحكايةُ صحيحةً ، عن الحبيبِ ـ : فهي من فلَتاتِ الرَّأْيِ ، وعَثراتِ الجهلِ . وما حَـكَى مِن ذلك ـ عن أبيه وعمِّه ـ : فقد لا يَصحُّ ذلك ؛ ولو صحَّ . لم تَقُمْ له به حُجةٌ عَلَى مَذهبِ الحـــقِّ الذى لا يَمْـتَرِى فيه بَشرٌ .

وآيةُ الصِّدقِ فى ذلك : أنَّ أفْضَلَ الناسِ : دِيناً وعِلماً ، وأدَباً ومرُوْءَةً — لو ادَّعَى عَلَى أحدٍ فَلْساً : لم يُعطَ بدَعْوَاه ، ذلك الفَلْسُ . فما هو أعظَمُ من ذلك — : من الحَبسِ والعِقابِ . — أحَقُّ أن لا يُنفَّذَ لأحدٍ بدعواه .

غـــيرَ أنَّ مَنْ اجْتهدَ فى الإصابَةِ : فثَوابُه مَرْجُوٌّ ؛ ووِزْرُ الخطإ — الذى لا يملكه — عنه مرفوع والله المُطَّلِـعُ [على] خَفِيِّ الضَّمائِرِ ؛ والعالِمُ بسرائِرِ النِّيَّات . وليس الخطأُ بعَيبٍ : عَلَى الرَّاسِخِ فى العِلمِ ؛ ولا الزَّللُ : منكوراً على أهلِ الفهمِ . قال الله تبارك وتعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ : إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ؛ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ؛ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ؛ وَكُلاًّ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ٢١ — ٧٨) ؛ فشهد الله (عز وجل) لنَبِيِّه سُليمانَ (عليه السلامُ) : بالإصابة ؛ ولم يَذْمُمْ داودَ : بالخطإ ؛ ثم : أثْنَى عليهما معاً فقال تعالى : (وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وعِلْماً) .

قال محمدٌ : ولم يَزلْ أحمدُ بن محمـدِ بن زِيادٍ ، قاضياً فى دَولتِه الأُولى : من سَنةِ إحدَى وتسعينَ ومِائتَيْنِ ، إلى : أنْ تُوُفِّيَ الأميرُ ؛ عبدُ الله بن محمدٍ (رحمه الله) ؛ فلمَّا وُلِّيَ أميرُ المؤمنين (أطالَ اللهُ بقاءه) الخلافةَ — : أقرَّ أحمدَ ابن محمدِ بن زِيادٍ ، على القضاءِ : مُدَّةً يَسيرةً ؛ ثم عَزَلَه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أَسْلَمَ بنِ عبدِ العزيزِ[1] . »

٤٥ قال محمدٌ ؛ هو أبو الجَعْدِ أَسْلَمُ بنُ عبدِ العزيزِ بن هاشم بن خالدِ بن عبدِ اللهِ ابن حُسينِ بن جَعْدِ بن أسْلَمَ بنِ أبانَ بنِ عَمْرٍو ؛ مَوْلى عثمانَ بن عفَّانَ ، رضى الله عنه . ووَلاَؤهم : لعثمانَ بنِ عفانَ ، رضى الله عنه .

كان : عظيمَ القدرِ ، شريفَ البيْتِ ؛ كريمَ الأُبُوَّةِ ، مَعروفَ النَّصيحةِ ؛ ظاهرَ الإخلاصِ للخلفاءِ ؛ (رضى الله عنهم) : معَ الجلالةِ : فى العلمِ ؛ والإدراكِ : فى الرِّوايةِ ؛ والرِّحْلةِ : فى الطَّلَبِ والصِّحَّةِ : فى الديانةِ .

سمِعَ بالأندلسِ من عُلمائها ؛ ثم رَحَل ، فَلَقِيَ بمصرَ ؛ محمدَ بن عبدِ اللهِ ابن عبدِ الحَكَمِ ، وإسماعيلَ بنِ يَحيَى المُزَنِيَّ ، ويُونُسَ بن عبدِ الأعلى ؛ وسُليمانَ بنِ عِمرانَ : بالقَيْروانِ ؛ وذلك : فى سنةِ ستِّينَ ومائتَيْنِ .

قال خالدُ بن سعدٍ سمِعتُ أَسْلَمَ بن عبدِ العزيزِ ، يقولُ :

دخلْتُ حمَّامَ الأَصْطيلِ يوماً ؛ فلمَّا خرجتُ : لقيتُ محمدَ بن عبدِ اللهِ ابن عبدِ الحَكَمِ : راكباً على حمارٍ ؛ فسلَّمَ عَلَيَّ — وكان : قد عرَفنى بسماعى منه .— فقال لى : مِن أينَ أَقبلْتَ ؟ فقلتُ : من الحمَّامِ .

فقال : وأىَّ الحمامِ ؟ . قلت : حمامَ الأصطيلِ .

فقال : مِثلُكَ يدخُلُ حمامَ الأصطيلِ ؟ ! .

فقلت له : وما شأنه ؟ .

فقال لى : هو مغصوبٌ لا يَحِلُّ دخولُه . فقلت له : ومَن غَصَبه ؟ .

فقال : كان لبنى أُمَيَّةَ . فقلت له : مهما حَرُمَ عَلَى أحدٍ : فإنه لى حلالٌ .

فقال لى : وكيفَ ذلك ؟ .

---

(١) انظر جذوة المقتبس ص ١٦٣ ر ٣٢٢

فقلتُ له : الُحمامُ لهم ؛ وأنا مَولَى القومِ . (قال) . فَضَحِك أبنُ عبدِ الحكَمِ .
(قال أسلَمُ) : فكنتُ إذا أتيتُ مجلسَهَ بعدَ ذلك — وقد كَثُرَ الناسَ فيه — قال : تَخَلَّفْ إلى ها هُنَا ؛ فيُدْنِيني ويُكرِمُني ؛ ويقولُ : مِن طَريقُ ذلك الطريق . يعني أبنُ عبدِ الحكَم : أنَّ وَلاءَه أيضاً : لبني أُمَيَّةَ ، رضى ألله عنهم .

قال محمدٌ : ولما قَضى أسلمُ بالمشرق حَجَّه وسماعَه ، أنصَرَفَ : فنالَ الوَجاهةَ العظيمةَ ، والمنزلةَ الشَّريفةَ .

وكان أميرَ المؤمنين (أطال الله بقاءه) : عارفاً بمَذاهِبه الحسَنةِ ، ومُرُوءَته الكاملةِ ، وأوْصافه المحمودَةِ . فلمَّا عزَلَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ ، عن القضاء — : وَلَّى أسْلَمَ بن عبدِ العزيز ، قضاءَ الجماعةِ بقُرْطُبَةَ ، سنةَ ثلاثِ مائةٍ ، يومَ الأربعاء لسبعٍ بَقينَ من جُمادَى الآخِرَةِ . فذَكَّرَ بالسَّالمِينَ : من عُيُونِ القُضَاةِ ؛ إيثارَ الحقِّ و إمضاءَه .

وكان صارماً صَليباً : لا هَوادَةَ عندَه لِظالمٍ ، ولا مُدَاهَنَةَ معَ مُبطِلٍ .

قال محمدٌ : أخبرني مَنْ أثقُ به : من أهلِ العلمِ ؛ قال : كان بقُرْطُبَةَ رجلٌ أعجميٌّ : ممَّنْ أُسْتُنزِلَ من الحصُون المخالفةِ ؛ وكانتْ له أمرأةٌ : حُرَّةٌ مُسْلمةٌ ؛ فاسْتجارتْ بالقاضي : أسلمَ بن عبد العزيز ؛ فأجارَها ، وبدأ : بالنَّظرِ في أمرِها .
وكان في ذلك الوقت الحاجبُ بدرُ بن أحمدَ : يَحُلّ من أميرِ المؤمنين (رحمه الله) محلاًّ لطيفاً ؛ فلم يَنْشَبْ القاضيَ أسلمُ : أن[1] أتاه يَعْلَى عن الحاجبِ بدرٍ ؛ فقال له : الحاجبُ يقرأُ عليك السلامَ ، ويقولُ لك : إن هؤلاء العجمَ إنما أسْتَنزَلْناهم بالعهدِ ؛ ولا يَحِلُّ الخَفْرُ بهم ؛ وأنتَ أعلمُ بما يَجِبُ : من الوفاء

---

(١) عبارة الأصل : وأتاه .

بالعُهودِ ؛ فدَعْ بيْنَ فلانٍ العجمىّ ، و بيْنَ الأَمَةِ التى فى يدَيْه

فقال أسلَمُ لِيَعْلَى : الحاجبُ أرسلك بهذا ؟ . قال : نعم .

قال : فأخبِرْه عنّى : الأَيْمانُ كلُّها لازِمــةٌ لى ؛ لا نَظَرتُ بينَ اثنيْنِ حتى أُنفِّذَ على العَجمىِّ ما يَجبُ عليه : من الحقِّ ؛ فى هــذه الحُرَّةِ المُسلمةِ التى فى يدَيْه .

فذَهب عنه يَعْلَى ، ثم رجعَ إليه ، فقال : الحاجبُ يقرأ عليك السلامَ،ويقولُ: إنِّى لا أعترِضُك : فى الحقّ ؛ ولا أستَحِلُّ سُوآل ذلك منك ؛ وإنَّمــا أسألك التَثَبُّت فيما يَجبُ : من حقِّ هؤلاء المعاهَــدِينَ ؛ فقد علِمتَ مايَجبُ : من رِعاياتِهم ؛ وأنتَ أعلَمُ بالواجب

قال محمدٌ : وكان القاضى أسلَمُ بن عبدِ العزيزِ : شديدَ المُبايَنةِ فى الحقِّ ، قليل المُداراةِ فيه ؛ وكان : رُبَّما أَخْرَج ذلك : بلفظٍ نادرٍ ، ومعنًى طيِّبٍ ؛ يُعْجَبُ بمعناه : من جهةِ الرَّأْى ، ويُسْتَنْدَرُ لفظُه : من جهةِ النادرِ والفُكاهه .

أخبرنى مخبرٌ : من أهلِ العلمِ : قال :

دخَلَ أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سُليمانَ ، وسعدُ بن مُعاذٍ — على القاضى : أسلَمَ : فلمَّا أخذا مجلِسَهما : نظَرَ إليهما أسلَمَ ، ثم قال : (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ[1]) ؛ فأبْهَتَهُمَا : بنادِرِ لفظه ، و بصِدْقِ معناه .

قال : ودَخَل عليه محمدُ بن وَليدٍ الفقيهُ يوماً : فكلمه فى شىء ؛ فقال له أسلَمُ : (سَمِعْنا وعَصَيْنَا ٢ — ٩٣) .

فقال له ابنُ وَليدٍ : ونحنُ قلنا واحْتَسَبْنا .

قال : ودَخَل عليه رجلٌ — : ممَّن كانتْ له خُصومةٌ . — فقال له : قد أتيتُكَ برجلٍ يشهدُ لى — : من إشْبيلِيَّةَ . — يَدْخُلُ ؟

---

(١) اقتباس من سورة يونس (٨٠) والشعراء (٤٣) .

فأظهرَ التعجُّبَ من ذلك : وكأنه اتَّهمَهُ .

فلمَّا صارَ الشَّاهدُ بينَ يدَيْه ، قال له القاضى : مُحتَسِبٌ أنتَ ؟ أو مُكتَسِبٌ ؟ .

فصادَفَ عندَ الرجل : أنفَةً ؛ فقال له : ما عليك يا قاضى : أنْ تسألنى عن مثلِ هذا ؛ إنما عَلَىَّ أن أقولَ ؛ وعليك : أن تسمعَ ؛ ثم أنتَ بالخيار : إنْ شئتَ : فاقبَلْ ؛ وإنْ شئتَ : فلا تقبَلْ .

(قال) : فأخْجَلَ أسلمَ : كلامُه وصحَّةُ معناه ؛ ثم قال : قل .

فقَصَّ الرجلُ : شهادته ؛ ثم وَضعَ يدَيه فى الأرض ، وقامَ عنه .

ومن المُسْتَفيضِ عنه ، قولُه لرجلٍ — : من أهل لَبْلَةَ . — : وقد أتاه وسلَّمَ عليه ، ثم جلَسَ ؛ ثم قال تعرفنى يا قاضى ؟ قال له : لا ؛ قال : أنا قاضى لَبلةٌ . فقال أسلمُ : ما تُنكَرُ للهِ قُدْرَةٌ .

وبلَغَنى : أنه بَلغَه عن بعضِ الفُقهاء : أنه يُقْبِلُ إليه : ليشهَدَ عندَه شهادةً : قد أهدَى إليه صاحبُها بِساطاً . فلمَّا دَخلَ عليه ، ونزَعَ أخْفافه ، وهمَّ أنْ يَمشِىَ عَلَى البِسَاطِ — قال : تَحفَّظْ من البِسَاطِ . فلم يَجْسُرْ : أن يَشْهَدَ بما أتى : ليشْهد فيه .

قال محمدٌ : وسمعتُ مَن يَحكى : أنه جاء رجلٌ من النَّصارَى مُسْتَقْتِلاً لنفسه ؛ فوَبَّخَهُ أسْلمُ ، وقال : وَيْلَكَ ؛ مَنْ أغرَاكَ بنفسِكَ : أنْ تقتُلَها بلا ذَنْبٍ ؟ .

فبَلَغَ من سُخفِ النَّصرانىِّ وجهلِهِ — إلى أنْ أُنْتَحَلَ له فضيلةً : لم يُقرَّ[1] بمثلها ، [إلاَّ] لعيسى بنِ مريمَ ، صلى الله على محمدٍ وعليه . فقال للقاضى : وتَتَوَهَّمُ : أنكَ إذا قتلْتنى : أنِّى أنا المقتولُ ؟ .

---

(١) بالأصل : لم يقرا بمثلها لعيسى ، وهو تحريف .

فقال له القاضى : ومن المقتولُ ؟ .

فقال له : شَبَهِى يُلقى على جسدٍ من الأجسادِ : فتقتله ؛ وأما أنا : فأُرْفَعُ من تلك الساعةِ إلى السماء .

فقال له أسلمُ : إن[1] الذى تدّعيه — : من ذلك . — غائبٌ عنا ؛ والذى يُخبرُكَ به — : من تكذيبك . — غائبٌ عنك ؛ ولكن : ثمّ وجهٌ يظهرُ صِدْقُهُ لنا ولك .

فقال له النّصرانىُّ : وما هو ؟ .

فالْتفتَ أسلمُ القاضى ، إلى الأعــوانِ ؛ ثم قال : هاتُوا السَّوْطَ . ثم أمرَ : بتجْريدِ النّصرانىِّ ؛ فجُرِّدَ . ثم أمرَ : بضرْبه ؛ فلمّا أخذَتْهُ السِّياطُ : جعلَ يَقْلَقُ ويصيحُ .

فقال له أسلمُ : فى ظَهْرِ مَنْ : تقعُ هذه السِّياطُ ؟ .

فقال : فى ظَهْرِى .

قال له أسلمُ : وكذلك السَّيفُ — والله — : فى عُنُقِك يقعُ[2] : فلا تَتَوَهَّمْ غيرَ ذلك .

قال محمدٌ : فكان أسلمُ قاضياً : محمودَ السيرَةِ ، مشكورَ الحالِ ؛ من سنةِ ثلاثِ مائةٍ ، إلى آخر سنةِ تسعٍ وثلاثِ مائةٍ .

وكان صاحبُ الصلاةِ — فى تلك المدّة — : محمدَ بن عمرَ بن لُبَابَةَ .

وكان أميرُ المؤمنين كثيراً ما يَتَخَلَّفُ أسلمَ بن عبدالعزيز ، فى سَطح القصر[3] — : إذا خرَجَ فى مغازيه . ثم ألحّ أسلمُ على أميرالمؤمنين (أطال الله بقاءه) : فى الاسْتِعْفاء من القضاء ؛ فعافاه منه .

---

(١) بالأصل : « إنى » ؛ وهو خطأ وتصحيف .

(٢) بالأصل : « تقع » ؛ وهو تصحيف . (٣) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبدِ البَرِّ :

كنتُ بيْنَ يَدىْ أسلمَ جالساً : حتى أتاه الفتى من عندِ أميرِ المؤمنين (أعزَّه الله) : بعزْلَتِه عن القضاء ؛ (قال) : فوَجَمَ ثم أطرق ساعة ؛ ثم قال : الحمد لله الذى عافَانى منها ؛ فطالمَا سألْته ذلك .

قال محمدُ بن عبـدِ الله : فأَكَّدتْ بَصِـيرته فى ذلك ؛ وذكَّرتُه : بكثرةِ تَمَنِّيهِ للعافيةِ منها .

قال لى بعضُ رُواةِ الأخبار : وكان فى ذلك الوقتِ : مُرَشحاً للقضاء ؛ رجلٌ : كان فى أبوَيْه عُجْمةٌ . فلمَّا عُزِل أسلَمُ ، ووُلِّىَ الحبيبُ — : جعَل أسلَمُ يقولُ : « الحمدُ للهِ الذى جعَلنى ممَّن يقولُ : لا إله إلا اللهُ » ؛ يُعَرِّضُ بالرجلِ المُرَشَّحِ : الذى كان آباؤه عُجْماً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ ؛ »

« المرَّةَ الثَّانيةَ . »

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ :

وكان السَّببُ فى إعادةِ الحبيب إلى القضاء : أنه لمَّا وُلِّىَ أسـلَمُ القضاءَ : أذَلَّ الحبيبَ : فى نفسِه وفى صَنائعه ؛ واسْتَقْصَى عليهم وركِبَ إلى الحبيبِ بنفْسِه ، وهَدَم عليه حائطَ مُنْيَتِه ، وأخْرَج منها إلى الطريق : صَفَّينِ من شجرٍ ؛ بمـا ثَبَت عندَه .

فجعَل نفسُه الحبيبَ : [يَسعَى] فى الطلب؛ فأولُ مابدأ : باسْتِصلاحِ أمِّ ولَدِ بدرٍ ؛ فلما أصلَحَ جانبهَا : أصلَحَتْ له جانِبَ بدرٍ ؛ فاختَلَف إليه الحبيب مرَّاتٍ ؛ ثم قال له يوماً : نَسِيتَنى ياأبا الغُصْنِ ؟! فـكرِّ : فى أوْليائك ، وفى أعدائك ؛ ثم : أيْنَ

تَجْعَلُنى ؟ وأَيْنَ تَجعلُ أسلَمَ ؟

فَلَهِيَ عنه بَدْرٌ ، وقال : لستُ ــ بالله ــ أُغْفِلُ أمْرَكَ .

ثم : تأهَّبَ أميرُ المؤمنين لغَزْوَةٍ من الغَزَوَاتِ ؛ فخَرَج الحبيبُ : مُشَيِّعًا لِبدرٍ فقال له : إنَّ الأميرَ لا يَعرِفُك بالمُخالَطة : حَقَّ المعرفَةِ ؛ ولكنْ : كاتِبْه فى هـذه الغَزَاةِ ، ووَالِ بالكُتُبِ ؛ ثم : إذا كان القَفْلُ : فاخرُجْ أَبْدَرَ[1] الناسِ إلى التَّلَقِّى بنا .

ففَعَل : فكاتَبَ وألَحَّ بالكُتُبِ ؛ وجُووِبَ ؛ ثم خَرَج عنـدَ القَفلِ : فتَلَقَّى الأميرَ : على مَسيرةِ يومٍ ؛ فأمَرَه الأميرُ : فتَقَرَّبَ ووَاكَبَ ؛ وأخْلى له بَدْرٌ موضِعَ المُوَاكَبةِ . وكان الحبيبُ : كثيرَ الخَبَرِ ؛ فاسْتَوْلَى بالحديثِ على الأمير : نَسَقًا واحداً ؛ إلى « مُنْيَةِ نَصْرٍ » ؛ فاسْتَحْيِي منـه أميرُ المؤمنين ، وتَكَلَّمَ فى أمره معَ بَدْرٍ ؛ ثم ولاَّهُ ــ ذلك الوقتَ ــ : القضاء ؛ وأظْهَرَ إسعافَ أسلَمَ بما كان يسألُ : من الاستِعفاء .

قال محمدٌ : ولمَّا عافَى أميرُ المؤمنين (أعزَّه الله) أسلَمَ بن عبدِ العزيز ، وعَزَلَه عن القضاء ــ : أعادَ أحمدَ بنَ محمدِ بن زيادٍ إلى قضاء الجماعةِ ؛ و إلى الصَّلاةِ .

فلمَّـا وُلِّىَ : تَعَنَّتَ أُمناءَ أسلَمَ بنَ عبـدِ العزيزِ ، وامْتَحَنَهم : فى الوَدَائعِ ؛ واُضْطَرَّهم إلى إحضار ما بأيديهم : من الأموالِ .

قال لى أحمدُ بن عُبَادَةَ : فلقد سِرْتُ إلى الحبيبِ ــ : وهو جالِسٌ فى المَسجدِ الجامعِ : يَمتَحِنُ الناسَ ، ويَكْشِفُهم عن الأموالِ . ــ فجَلَسْتُ ساعةً ، ثم قُمتُ عنه فى حينَ : لا يَقومُ عنه قائمٌ إلاَّ بإذنِه ، و بعدَ فصلٍ من أمرِه . فَنظَرَ إلىَّ الحبيبُ نَظْرةً ؛ فأخبرَنى مَن كان إلى جنبه ؛ قال : اُلتفتَ إلىَّ ــ إذ قمتُ ــ فقال : ما أرى على الرجلِ فى الدِّيوانِ شـيئاً (يَعنى : مالاً) ؛ قال : فقلتُ : ما أرى ذلك .

---

(١) عبارة الأصل : (وابدر) ؛ وهى محرفة .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : ولم أشعُرْ بعدَ أيامٍ : حتى أتى رسولُ ألقاضى الحبيبِ ، يأمرُنى : بالإقبالِ إليــه ؛ فأقبلْتُ ، فقال لى : وجَدتُ لك اسماً فى الدِّيوانِ : بقبضِ مالٍ ليتيمٍ ؛ ولم أجِدْ لك منه براءةً .

(قال) : فقلتُ : أليتيمُ حىٌّ رشيدٌ ؛ وقد أطلقْتُه من الولايةِ ، وبرئْتُ له : بجميعِ ما كان له عندى ؛ فإن أتاكَ : يَدَّعِى شيئاً — : مما كان عندى . — فهو المُصدَّق بلا بيِّنَةٍ ولا يمينٍ .

فقال : ولا كلُّ هـذا ؛ إنَّما كرِهْتُ : أن يكونَ ذِكرُكَ فى الدِّيوانِ بقبضِ مالٍ : بغيرِ ذِكْرِ البراءةِ منه . ثم خرجْتُ عنه .

قال محمدٌ : ولم يزَلْ الحبيبُ : قاضياً ــ فى المرَّةِ الثانيةِ ــ وصاحبَ صــلاةٍ ؛ حتى توُفِّىَ : غيرَ معزُولٍ ؛ فى سنةِ أثنتَىْ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ ألقاضى : أسلَمَ بنِ عبدِ العزيزِ . »
« ألمرَّة الثَّانيــةَ »

قال محمدٌ : ولمَّا توُفِىَ ألقاضى أحمدُ بن محمدِ بن زِيادٍ — : أعادَ أميرُ المؤمنين (أطال الله بقاءه) أسـلَمَ بن عبدِ العزيزِ : إلى القضاء ؛ ووَلَّى أحمدَ بن بَقِىِّ بن مَخلَدٍ : الصَّلاةَ .

فكان أسلَمُ بن عبـدِ العزيزِ ، صَنيعَ الحبيبِ : فى الاستِقْصاءِ على الأُمَناءِ ؛ فوقَفَ أسلَمُ بن عبدِ العزيزِ ، أُمَناءَ الحبيبِ : موقِفَ ألامتحانِ والاستِقْصاءِ .

قال محمدٌ : وكان أسلمُ فى قضائه الثانى : قد أدرَكَه الوهَنُ ، وأخذَتْ منــه السِّنُّ فانكَسَرَ بعضَ الانكِسارِ . غيرَ أنه : باقِى الفِطْنةِ ، مُجتَمِــعُ الفَهــمِ ؛ يُقرَأُ عليه العِلْمُ ، وتُعْرَضُ عليه الـكتبُ : من فُنونِ الحديثِ ، وأبوابِ الفقهِ فلا يَزولُ عنه — : من الصَّوابِ . — شىءٌ ؛ ولا يَشِذُّ[1] عنه ــ : من المعانى . ــ

(١) بالأصل : يشد . بالمهملة . وهو تصحيف .

ما يَشِذُّ [١] على مِثلِه : من أهـلِ الـكَـبْرَةِ والسِّنِّ .

كان كذلك : حتى كُفَّ بصرُه ، وضَعُفَ بدَنُه ، وعَجَز عن التَّصَرُّفِ .

فعَزَله أميرُ المؤمنين (أعزه الله) عن القضاء : سنةَ أربعَ عشْرَةَ وثلاثِ مِائةٍ .

ثم كانتْ وفاةُ أسلمَ بعدَ ذلك ، إلى سنين : سنةَ سبعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى: أحمدَ بنِ بَقِىٍّ بنِ مَخْلَدِ بن يَزِيدَ [٢] . »

٤٦ قال محمدٌ : ولمَّا عَزَل أميرُ المؤمنين (أعزه الله) أسلمَ بنَ عبـدِ العزيز ، عن القضاء ـ : وَلَّى أحمدَ بن بَقِىٍّ بن مَخْلدٍ : قضاء الجماعةِ ؛ وأقرَّه على الصَّلاةِ : ألتى كان عليها . وذلك : فى سنةِ أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

فكانتْ مذاهِبُه : محمودةً ؛ وسِيرتُه : حسَنةً ؛ وهَدْيُه : جميلاً . وكانله ـ: من الوَقَارِ والإخْبَاتِ . ـ ما بذَّ [٣] به أهلَ زمانِه ، وفاتَ فيه أهلَ عصرِه .

قال محمدٌ . جالسْتُ أحمـدَ بن بَقِىٍّ زماناً ؛ فرأيتُه . عاقلاً حَصِيفاً ، داهِياً أديباً ؛ وكانتْ له . أخلاقٌ كريمةٌ وآدابٌ لَطيفةٌ ؛ وكان يُحْسِنُ ما يُحاوِلُه : قولاً وفعلاً ؛ وكان مُجيداً : فى لَفظِه ؛ مُبِيناً : فى كلامه ؛ بَليغَ اللِّسان : فى خُطبته؛ طَوِيلَ ألقلمِ . فى كُتُبه ؛ وكان : أنِيسَ المجلِسِ ، كثيرَ الحِكاياتِ .

قال محمدٌ : وسمعتُ وَلِىَّ عهْدِ المسلمين (أبقاه الله) : وقد ذَكَرأحمدَ بن بَقِىٍّ ؛ فوَصَف : من صدقِه وتواضُعِه ؛ فقال ـ فيما ذَكَرـ : قال لى الحاجبُ موسى بنُ محمدِ بن حُدَيْرٍ : سألتُ أحمـدَ بن بَقِىٍّ : عن نَسَبه ووَلائه ؛ فقـال : وَلاؤُنا لامرأةٍ من أهلِ جَيَّانْ .

---

(١) بالأصل : نشد ، بالمهملة . وهو تصحيف .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣ — ٦٤ وجذوة المقتبس ص ١١٠ ر ١٩٧

(٣) بالأصل : بد . بالمهملة . وهو تصحيف .

(قال محمدٌ) : ثم جعَلَ وَلِيُّ العَهْدِ (أبقاه الله) : يَعْجَبُ من صدقِه و إنْصافه ؛ وقال : لو شاء : لادَّعَى أشرَفَ الأنسابِ ؛ ثم لا يَجِدُ فى ذلك مُكَذِّباً .

قال محمدٌ : ومِمَّا يحكيهِ الناسُ — عن موسى بن محمدٍ الحاجبِ — أنه قال : عافانا اللهُ من أحمدَ بنِ بَقِيٍّ ؛ إنه مالَ إلى الآخرةِ وطَرِيقِها ؛ ولو مالَ إلى الدُّنيا : لَشَغَلَنَا بأنفسِنا .

قال محمدٌ : ولم يزَلْ أحمدُ بن بَقِيٍّ - مذ كان فى حَداثةِ سِنِّه - : مُعظَّماً مَوْسوماً : بالخيرِ ؛ مَعروفاً : بالفضل ؛ ظاهِرَ السؤدُدِ . شاوَرَه الأميرُ عبدُ اللهِ ابنُ محمدٍ : وهو ابنُ خمسٍ وعشرينَ سنةً .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ أهل العلمِ يَحكِي ؛ قال :

أرسَلَ الأميرُ الوُزراءَ : فى أبى مَرْوَانَ : عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بن يحيَى ؛ وفى أبى عبدِ اللهِ : أحمدَ بنِ بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ . فشاوَرَهما : فى بعضِ الأمْرِ ؛ ثم انْصَرَفا .

فلمَّا خَرَجا : جعَلَ بِشْرُ بن سَلَمَةَ — : يُحدِّثُ أصحابَه ، ويُعْجِبُهم من تَغيُّرِ الأحوالِ ، وتقلُّبِ الأمورِ . — فقال لهم : أتانى عُبَيدُ الله بنُ يحيَى — : وأنا قاضٍ : فى حياةِ بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ . — فقال : لستُ (والله) أرْضَى : أنْ تَسْتَشِيرَنى معَ بَقِيِّ بن مَخلدٍ : فى مَجلسٍ واحدٍ ؛ فتَجعلَنى له نظيراً ؛ ولكنْ : إذا أردتَ شيئاً من ذلك ، فأرسِلْ فيه : فى وقتٍ ؛ وأرسِلْ فىَّ فى وقتٍ آخرَ ؛ ولا تجمَعْنَا[1] جميعاً .

(قال) : فلم يَمُتْ : حتى أرسلَ الأميرُ : فى ولَدِ بَقِيِّ بن مَخلدٍ ، وفى عُبَيْدِ الله ؛ فشاوَرَهما : فى مجلسٍ واحدٍ

قال محمدٌ : وكانتْ أخلاقُ أحمدَ بنِ بَقِيٍّ : من أخلاقِ أبيه (بقِيِّ بن مَخْلَدٍ)

---

(١) بالأصل : « تجمعنى » ؛ وهو تحريف .

فى المداراة والإغضاء ، وحُسْنِ الإقبالِ : على عدُوِّه ؛ وجميـــلِ الصَّفحِ : عن ظالمِه .

قال لى عبدُ الرحمن بن أحمدَ بن بَقِيّ : كنتُ بحضرةِ أبى : حتى أتى مَن يَحكِى عن رجلٍ : أنه رَفَع فيه بطاقةً ، إلى أميرِ المؤمنين (أعزه الله) ؛ فجَعَل : يَدعُو لذلك الرَّافعِ بالتوبة ويتحَنَّنُ[1] عليه : من المأثم .

قال خالدُ بن سعدٍ : أتيتُ أحمدَ بن بَقِيٍّ : نهارَ جنازةِ ولَدِ الحبيبِ بن زيادٍ؛ فقال لى : هل لك رأىٌ : فى السَّيْرِ إلى دارِ المُتوَفَّى ؟ . قلتُ : نعمْ . فصحِبْتُه ؛ وخَرَج : وهو ماشٍ ـ من المسجدِ ـ إلى دارِ الميِّتِ ؛ فلمَّا أتينْا بعضَ الطَّريقِ ، قال : لقد آذانى هـذا الميِّتُ ، وقد صبَرْتُ عليه — إذ كان فى الدُّنيا — : فلم أُكافئْه ؛ وهو اليومَ : أحْوجُ إلى أنْ أصبِرَ عليه ؛ أُشهِدُك : أنه فى حِلٍّ مِن كلِّ ما فَعَل بى .

قال محمدٌ : وكان أحمدُ بن بَقِىٍّ : رءوف القلب ، رَفيقَ العقوبة . وله ـ فى مثلِ هـذا المعنى خاصَّةً ـ أخبارٌ مُعجِبَةٌ مُسْتَجْمَلةٌ ؛ بخُرُوجِها عمَّا عُرِفَ : من أخلاقِ الناسِ وأخبارِهم .

قال لى أحمدُ بن محمدِ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ ، وفرجُ بنُ سَلمَةَ البَلَوِىُّ :

حضَرْنا أحمد بن بقىٍّ ، فى مجلسِ نَظَرِه ـ : وقد أتَتْه امرأةٌ : تُخاصمُ زوجَها . ـ فاسْتطالَتْ عليه : بلسانِها ؛ وآذَتْه : بصَلَفِها . فنظَرَ إليها ، فقال لها : أَقْصِرى ؛ وإلاَّ : عاقبْتُكِ .

فانكسرت المرأةُ شيئاً ، ثم عاوَدَت الصَّلَفَ ؛ فقال لها القاضى : أَقْصِرى ؛ وإلاَّ عاقبْتُكِ .

فانكسَرَتْ شيئاً ، ثم عاوَدَت الصَّلَفَ ؛ فعَطَف عليها أحمد بن بَقِىٍّ ، فجعل

---

(١) أى : يترحم . وفى الأصل : « ويتحين . . المأثم » ؛ وهو تصحيف

يقول لها : أنتِ ظالمةٌ ، أنت ظالمةٌ (ثلاثا) ؛ ثم قال لها : الم أُخَوِّفْكِ من قَبْلِ هذا ؟ ! .

(قال) : فهذه كانتْ عقوبته للمرأة ـ : على صَلَفِها . ـ أنْ قال لها : أنتِ ظالمةٌ (ثلاثًا) .

قال لى فرجُ بن سَلَمَةَ : وكنت قد حضَرتُ مجلس أسْلَمَ : وقد أتته امرأةٌ : تَسئلُ الفرْضَ على زوجها ؛ فقال أسلَمُ لأبى عبدِ الله محمدِ بن قاسمٍ : أفرِضْ لها . ففرَضَ : فأبَتْ المرأةُ من القبول ، واسْتَقَلَّتْ الفرْضَ ؛ وقالت : ما ثَمَّ أحدٌ : يَتَكلَّمُ لله .

فدَعا أسلَمُ ـ لمَّا سمِعَ صَلَفَها ـ : بالصَّوْتِ ؛ ثم أمَرَ بها : فقُنِّعَ رأسُها أسْواطًا : فما زادَتْ المرأةُ : أن جعلتْ كُمَّها على رأسِها ؛ حتى فرَغ الضرْبُ .

فلمَّا فرَغ : قالت[1] للقاضى : أحسنتَ يا قاضى ؛ هكذا يَفعَلُ القُضاة ! : بالله الذى لا إله إلا هو : لا قبلْتُ هذا الفرض الذى فُرِضَ لى .

(قال) فرجُ بن سلَمَةَ : فلما شهدتُ فعلَ أحمدَ بن بَقىٍّ ، بالمرأةِ ـ : شكرْتُه على رِفقهِ ورأفته ؛ وحكَيْتُ له ما فعلَ أسلَمُ بن عبدالعزيز فقال : اللهُ المستعانُ ؛ وأسأل اللهَ التوفيقَ . وسمِعتُ النـاسَ ـ على الاستِفاضةِ ـ يقولون : لم يُقنِّعْ أحمد بن بَقىٍّ ـ فى طُولِ أيامِه ـ أحداً : بسَوْطٍ ؛ حاشى رجلٍ واحدٍ يُسمَّي : مُنخَّلاً[2] ؛ فإنه كان شرَّ مخلوقٍ ؛ فضَربه أسْواطاً : فلم يبقَ أحدٌ إلاَّ شكَرَ لأحمد ابنِ بَقىٍّ ، فِعْلَه فيه .

حدثنى أَصْبَغُ بن عيسى الشَّقَّاقُ ؛ قال : كنتُ مُقبِلاً يوماً مع القاضى أحمدَ ابن بَقىٍّ : حتى عَنَّ لنا سكرانُ : يمشى بين أيدينا ؛ فجعَل أحمد بن بقىٍّ : يُمسِكُ

---

(١) بالأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .
(٢) بالأصل : « منخل » ؛ وهو تحريف .

من عِنانِ دابَّتِه ، ويترفَّقُ فى سَيْرِه ؛ يرجو : أن يَغِيبَ عنه السَّكْرانُ أو يُحسّ به فيذهَبَ مسرعاً .

فكان كلّما تَرفَّقَ القاضى : وقَفَ السَّكران ؛ حتى لم يكن للقاضى بُدٌّ : من أن يقرُبَ منه ، وينظرَ إليه .

(قال أصبغُ) : وكنتُ أعرِفُ : كراهيةَ القاضى : أن ينتَشِبَ فى مِثْل هذا ؛ ورِقَّةَ قلْبه : أن يقرعَ أحدٌ بسوطٍ . فقلت فى نفسى : لَيْتَ شِعْرِى : كيف تصنعُ فى مثل هذا يا ابنَ بقيٍّ ؟ . فلما قرُبْنا من السكران[1] : عَطَفَ على القاضى ، فقال : مِسكينٌ هذا السَّائرُ ؛ أراه مخبولَ العقل (قال) : فقلت له بليةٌ عظيمةٌ . فجعل : يستغفرُ اللهُ ، ويسأله : أن يأجُرَ المُصابَ فى عقله .

(قال أصبَغُ) : وكنت عندَه يوماً ـ أنا وكاتِبُه ابن حِصْنٍ ـ : حتى أتاه رجل محتَسِبُ ، برجلٍ : به رائحة الشراب ؛ ودعاه[2] المُحتَسِبُ . فقال القاضى لكاتبه ابن حِصْنٍ : اُسْتَنْكِهْهُ . فاسْتنكَهَهُ ، فقال له : نعمْ ؛ عليه رائحةُ الشَّرابِ

(قال) : فظهر بوجهِه الكَرَاهِيَةُ لذلك ؛ ثم قال لى : اُسْتَنْكِهْهُ أنت ففعَلْتُ ، فقلت له : أجِدُ رائحةً ؛ ولا أدرى : إنْ كانت رائحةَ مُسْكِرٍ ، أم لا ؟

(قال) : فتهَلَّلَ وجْهُه ؛ ثم قال : يُطْلَقُ ؛ فلم يَثبُتْ عليه شئ .

قال محمدٌ : وقد قدَّمتُ عُذرَ مَنْ أغْضى عن حَدِّ السَّكران ـ : من القُضاة . ـ فى باب : ذِكرِ محمد بن زيادٍ القاضى[3] ؛ فأغْنَى عن ذِكْرِه : فى هذا الموضِع

قال محمدٌ : أخبرنى بعض إخوانى ؛ قال : كنت حاضراً عندَ أحمدَ بن بَقِى فأمَرَ : بحبْسِ رجلٍ ؛ ثم قال لمن بيْنَ يدَيْه (سِرًّا) : اُطْلُبوا إلىَّ : فى إطْلاقه

---

(١) بالأصل : زيادة كلمة : « نعما » ؛ ولعلها مصحفة أو زائدة .

(٢) أى : تركه . وبالأصل : « ودعا » ؛ والنقص من الناسخ أو الطابع

(٣) صفحة : ٨٩

فجعل القومُ : يطلُبون إليه ؛ فأسْعَفَهم ؛ وقال المأمورِ بحبسِه : لولا طَلِبَةُ مَن حَضَر إلىّ : لحبَسْتُك .

قال لى عبدُ الرحمن بن أحمد بن بَقِىّ :

وكان : إذا طرَقه ضيفٌ ليلاً ، لم يَذبحْ له شيئاً : من الطّيْرِ ؛ وقال : اللّيلُ أمانٌ لها . ويَقتصِرُ : على العسل ، والسمن ، والبيضِ ، وما شاكل ذلك ؛ فيُقرّبه إلى الضّيْفِ .

قال محمدٌ : وكان : حَسَنَ الانتقادِ والفِطنةِ : فى الوثائق ؛ كان : لا يُوَقِّعُ شهادتَه فى وثيقة : حتى يَقرأ جميعَها من أوّلها إلى آخرِها ؛ وكان يصبرُ على ذلك : وإن كان قائماً على قدمَيْه .

قال لى أحمدُ بن عُبادة الرعيْنى : كتَبْتُ لنفسى وَثيقةً على رجل : بمالٍ ؛ وذكرتُ فى الوَثيقة سبباً : اضطُررْتُ فيها إلى ذِكرِه ؛ وكانتْ الوثيقةُ ـ : بذكرِ ذلك السَّببِ . ـ واهِنةً . وأرسلتُ شريكاً لى : ليُوَقِّعَ فيها الشهاداتِ على الرجل .

(قال) : فأتَى بالوثيقة إلى أحمد بن بَقِىّ : ليَشهدَ فيها . فلمّا قرأها ، ووَقف على وهَنِها ـ : كرِهَ أن يُوقِّعَ شهادتَه : على ذلك الوهَن ؛ وكرِهَ أن لا يُوَقِّعَ شهادته : فيَسخط الصديقُ بانقباضه عنه ؛ وكرِهَ أن ينبه المشهودَ عليه : بوَهنِها .

(قال) : فرَفَع رأسه إلى الرجلِ ، فقال له : أتشهِدُنى : أنّ لفلانٍ عندكَ كذا وكذا مثقالاً ؛ إلى أجل كذا وكذا ؟ ! . قال له : نعم ؛ فعقدَ شهادتَه : على هذا اللفظِ بعَيْنِه ، لا غيرِ .

قال محمدٌ : قال لى بعض رواةِ الأخبار :

كان محمد بن إبراهيم بن الجَبّابِ : صاحبَ الوثائق ؛ فأمَر أحمد بن بقىّ : بالتعقّبِ عليه ؛ فكان يُتعَقّبُ .

فجعل ابن الجَبّاب يوماً ، يقول : مِن أيْنَ يتعاطى ابنُ بقىّ : أنه أعلمُ بالوثائق منى ؟ .

فبلغ لفظه ابن بقى ؛ فسكت عنه : حتى كتب وثائق، ثم أتى بها أحمد بن بقى للعرض ؛ فاستفرغ ابن بقى فيها جهده : حتى أخذ عليه مواضع : أبانها له ؛ ثم قال له : أبدلها . فأبدلها ؛ ثم أتى بها : فانتقد عليه أيضاً فيها .

فأرسل إليه ابن الحباب : أنا أقر لك : أنك أعلم بها منى ؛ وأشهد بذلك لك ؛ فدعنى من كثرة هذا الكشف والبحث ؛ وإلا : حلفت أن لا أكتب وثيقة .

فتركه ابن بقى – بعد ذلك – وسامحه .

قال لى أحمد بن عبادة : وكنت عند ابن بقى يوماً : وعنده رجل : غير نبيه الاسم ، ولا مشهور العدالة — ولم يكن عنده غيرنا — وجعل رجل : (دخل عليه) ؛ يقول له : أشهد لى : أبا عمر وأبا فلان — : الرجل الثانى الذى كان معى جالساً . — وجعل ابن بقى : يلوذ له عن الإجابة ؛ وألح عليه الرجل إلحاحاً شديداً .

(قال أحمد بن عبادة) : فقلت فى نفسى : أتراه يجعلنى نظيراً لهذا الجالس : فيشهدنا جميعاً على شىء يحكم به ؟! .

(قال) : فرفع رأسه إلى الطالب ، فقال له : إنى أعرف انقباض أبى عمر عن هذه الشهادات ؛ ولكن أدخل إلى فلانا : أشهده مع أبى فلان وأمر : بإدخال رجل : من شاكلة الرجل الجالس .

قال محمد : وكان شأن أحمد بن بقى — فيما يتخاصم عنده فيه — : أن ينفذ الظاهر البين : من الأمور ؛ ويستعمل الأناة والتؤدة : فيما التبس عليه وكان عنده فيما شك — [أن يتوقف عن الحكم ، وينتظر] : حتى تظهر الحقيقة ؛ أو : يصير المتخاصمان إلى التصالح والتراضى .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقى :

أتى رجل إلى القاضى ، فقال له إن بعض رجال أمير المؤمنين (أعزه الله) ذكرك فى مجلسه : بلين الجانب ، والتطويل فى الأحكام فقال : أعوذ بالله من

لينٍ : يؤدِّى إلى ضُعف ؛ ومن شِدَّةٍ : تبلُغُ إلى عُنُفٍ : ثم جَعَل يذكُرُ فسادَ الزَّمانِ ، واحْتِيال[1] الفُجَّارِ ؛ وما يحدُثُ : من الأمورِ المشتبهةِ : أى لاتتبيَّنُ له حقيقتها ، ولا يُكشَفُ له وَجْهُها . ثم قال : قد أُشْتُبِهَ على عمرَ بن الخطَّاب (رضى الله عنه) خُصومةُ قَومٍ : طالَ نظرُه فيها ؛ فكَره : أن يَحكمَ مع الاشتباه ؛ فأمرهم : بابتداء الخصومة من أوَّلها :

قال محمدٌ : وذَكر لى بعضُ أهل العلمِ ؛ قال :

أُختَصَم إلى أحمد بن بَقِىّ رجلان ؛ فنظر إلى أحدِهما : يُحْسِنُ مايقولُ ؛ ونظر إلى الآخر لايدرى مايقول ؛ وأراه : تَوَسَّمَ فيه مُلازمةَ الحقِّ ؛ فقال له : ياهذا : لو قَدَّمتَ مَن يتكلمُ عنك ؛ وأرى صاحبَك يَدْرى مايتكلَّمُ .

فقال له : (أعزكَ اللهُ) ؛ إنَّما هو الحقُّ : أقولُه كائناً .

فقال : ما أكثرَ مَن قتَلَه قولُ الحقِّ .

قال : (وأتاهُ) رجلٌ يوماً ، فقال له : ياسيِّدى ؛ الحاجِبُ موسى بنُ محمدٍ : يقرأُ عليك السلامَ ، ويقول لك : قد عرَفتَ مَحبَّتى لك ، وشملى[2] بجميع أسبابك ؛ وقد دارَ عندكَ على يَحيَى بنِ إسحاقَ ، ماقد علمتَ : من المُخاصَمةِ ؛ وقد شهِدَتْ عندك البيِّنةُ العُدُولُ : وتَأَنَّيتَ عن الحُكمِ عليه ، وعن إنفاذِه : بما شهِدَتْ به البَيِّنةُ .

فقال للرجلِ : تُبلِغُ الحاجبَ عنى السلامَ ؛ وتقول له : إنَّ مَحبَّتَنا إنما كانتْ : للهِ ولِوَجْهِه ، ويَحيَى بنُ إسحاق وغيرُه : فى الحقِّ سواءٌ ؛ وقد دَخَل عَلَىَّ أرْتيابٌ ؛ ولاواللهِ : ما أحكُمُ على يحيى بن إسحاقَ ، بشىءٍ : حتَّى يَتَّضِحَ عندى أمْرُه بنُورٍ : كاتِّضاحِ الشَّمسِ فى الدُّنْيا ؛ فإنَّه لايُجيرُنى أحدٌ من يحيى

---

(١) بالأصل : « واختيال » . وما أثبتنا هو المناسب .

(٢) بالأصل : «وشحى » ؛ ولعله مصحف عن نحو ما ذكرنا

ابن إسحاق : إنْ جافانىَ الْخصومةَ بيْنَ يدَىْ اللهِ .

(قال الرجُل المرسولُ) : فحَكَيْتُ كلامَ القاضى للحاجبِ : وهو ساكِتٌ لا يقولُ شيئاً ؛ وأبو عمرَ (أخوه الوزيرُ) يُبدى ويُعيدُ فى ذلك. ثم تحَوّلَ إليه الحاجبُ ، فقال له : ألقاضى (واللهِ): رجــلٌ صالحٌ ؛ لانَزالُ بخيرٍ : ما كان هو وشِبهُه بيْن أظْهُرِنا ؛ ولم نزَلْ بيحْيى بن إسحاقَ : إن لم[1] نَكنْ نأمَنُ هذا ، ونطمَئِنُّ إليه ؛ واللهِ . ما زادَه عندى إلا محبّةً وأعتقاداً .

قال محمدٌ : وكان أميرُ المؤمنين (أعزّه اللهُ) : واثقاً به ، ومُجِلاًّ له ، وعارفاً بحقّه . ولم يُعزَلْ عن القضاء : حتّى تُوُفّىَ سنــةَ أربعٍ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ ؛ وهو : أبنُ ربعٍ وستينَ سنةً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبى طالبٍ الأصْبَحِىّ[2] . »

قال محمدٌ : ولمّا تُوُفّىَ أحمدُ بن بَقِىّ أسْتَقْضَى بعدَه أميرُ المؤمنين (أعزّه اللهُ) :

٤٧ أحمدَ بنَ عبــدِ اللهِ بن أبى طالبٍ : غُصنِ بن طالبِ بن زيادِ بن عبدِ الحميدِ بن الصَّبّاح بن يَزيدَ بنِ زيادِ الأصْبَحىّ ؛ وأدخلَه عَلَى نفسِه ، وعَهِدَ إليه : بما يَعْهَدُ بمثْلِه أئمةُ العدْلِ ، ووُلاةُ الحقِّ : من إعْظامِ الْخطبةِ وصِيانتِها ، وإيثارِ الحقِّ وإمْضائه ؛ وتَنْفيذِ الأمورِ إذا أسْتَبانَتْ ؛ والأناةِ فيها : إذا أشْتَبهتْ ؛ ووَقْفِه ؛ عَلَى حُدُودِ القضاءِ وسِياسةِ الأحكامِ ؛ وما يَجبُ للقاضى وعليه — فى كلّ حالٍ — : قولاً وفعلاً .

---

(١) بالأصل : « ألم » ؛ وهو محرف فتأمل .

(٢) فى تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣ « الأصبح » .

وولّى أميرُ المؤمنين (أعزّه اللهُ) — عندَ ذلك — الصّلاةَ : محمدَ بنَ أيْمَن .

وكان أحمدُ بن عبـدِ اللهِ : قاضِيَ الجماعةِ ؛ ومحمدُ بن عبدِ الملِك بن أيْمَنَ . صاحِبَ الصّلاةِ .

قال محمدٌ . وكان أحمدُ بن عبدِ اللهِ : شَريفَ ٱلبَيْتِ ، نَبيهَ الاسمِ ؛ صَمُوتاً ، وَقوراً ، مَهيباً ؛ قد تَأدَّبَ فى القضاء ، وجَرّبَ الأمورَ ، ومِنْ قبْـلِ ذلك — : فى مُبتدإ أمرِه . — كان : قد وَلّاه أمـيرُ المؤمنين : السُّوقَ ، والنَّظرَ فى أموالِ بعضِ كَرائِمه ؛ وقلّدَه أسْبابَ الأماناتِ : فى بعضِ الـكُورِ ؛ ووَلّاه : قضاء كُورَةِ إلْبيرةَ . فكان بهـا : حتى نَقلَه أميرُ المؤمنين (أعزّه اللهُ) : إلى قضاء الجماعةِ بقُرطُبةَ ؛ فكان قاضياً : سَنتَيْنِ وشُهوراً ؛ ثم تُوُفِّيَ : فى ذى الحِجّةِ : سنة سِتٍّ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ ٱلقاضى : محمدِ بن عبدِ ٱللهِ بن أبى عيسَى[1] . »

قال محمدٌ : ولما تُوُفِّيَ أحمدُ بن عبـد الله بن أبى طالب : أمرَ أميرُ المؤمنين

٤٨ (أطالَ اللهُ بقاه) : باسْتِقْدامِ محمدِ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى : كَثيرِ بن وسْلاسٍ المَصْمُودِيِّ ؛ وكان قاضياً عَلَى كُورَةِ إلْبيرةَ قبلَها ؛ وأتى محمدُ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى ؛ بابَ أميرِ المؤمنين (أعزّه اللهُ) وأدخَلَه : عَلَى نفْسِه ، وشافَهه بالخِطَاب ، وأعلَمَه : باخْتِيارِه إيّاهُ ؛ ووَلّاه : قَضاء الجماعةِ ؛ وعَهِدَ إليه ، ووَعَظَه ووَصّاه .

قال محمدٌ : قال لى أبو عُمَر أحمدُ بنُ عُبادَةَ الرُّعَيْنِيُّ :

«وَصَف لى ٱلقاضى : محمدُ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى ؛ وما خاطَبَه به أميرُ المؤمنين

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٩ — ٦٢

(أعزّه اللهُ) ــ إذْ ولاّهُ القضاءَ ــ : من عهْدِه إليه ، ووَعْظه له ، ووَصيّته إيّاه ؛ وما حَدَّ له فى ذلك : من الحُدُود ؛ ورَسَمَ له : من الرُّسُومِ ؛ وما فَقَّهَهُ فيه : من أسْباب القضاء ؛ ووَقَّفَهُ عليه : من وُجُوه الأحْكامِ . »

(قال أحمدُ) : فقلتُ : لو أنَّ أباكَ كان حيًّا ، واجْتَهدَ فى عِظَتِك ــ : ما بَلَغَ : من النُّصْحِ لك ؛ هذا المَبْلَغَ » .

قال محمدٌ : وأقرَّ أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) محمدَ بن عبدِ الملكِ بن أيْمَنَ : عَلَى الصَّلاةِ ؛ زماناً . فكان محمدُ بن أبى عيسى : القاضىَ ؛ وابنُ أيْمَنَ : صاحِبَ الصَّلاةِ ؛ حتّى ضَعُفَ بَدَنُ ابنِ أيْمَنَ ، وذَهَبَ قُوَاه ؛ فاسْتَعْفَى من الصلاةِ : فعُوفِىَ ؛ وجَمَعَ أميرُ المؤمنين (أبقاه الله) الخُطَّتَيْنِ جميعاً ــ : القضاءَ ، والصَّلاةَ ــ لمحمدِ بن أبى عيسى .

قال محمدٌ : ومِن قَبْلِ ذلك، لم يَزَلْ محمدُ بن عبدِ الله بنِ أبى عيسى — فى حَدَاثَةِ السِّنِّ وباكُورَةِ العُمْرِ — : معروفَ الحقِّ ، ظاهِرَ السُّؤْدُدِ ، طالباً للعلْمِ . سمِعَ : أحمدَ بنَ خالدٍ الجَبَّابَ ؛ وسمِعَ منه ومن غيره ومن شيوخ قرطبة ؛ ثم رَحَلَ حاجًّا : سنَةَ اثْنَتَىْ عشْرَةَ وثلاثِ مِائةٍ ؛ فلَقِىَ شيوخَ القَيْرُوَان : البَجَلِىَّ محمدَ بن علىٍّ ، وأحمدَ بنِ أحمدَ بن زيادٍ ، ومحمدَ بنَ محمدٍ اللَّبَّادَ ، وإسحاقَ بنَ نُعمانَ . وسَمِعَ أيضاً : — بمصرَ — مِن غير ما رجلٍ : من شيوخِنا ؛ ولَقِىَ بمكةَ : أبا بكْرٍ [بنَ] المُنذِرِ ، والعقيلىَّ وغيرَه . وانصرَفَ إلى الأندلسِ : سنة أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ .

وكان أحمدُ بنُ بَقِىٍّ (قاضى الجماعةِ) يُشاوِرُ محمدَ بنَ عبد اللهِ بنِ أبى عيسى ، معَ سائرِ الفقهاء . وقلَّدَهُ أميرُ المؤمنين (أطال الله بقاءه) : غيرَ ما أمانةٍ ؛ فقام بما حُمِّلَ ، واكْتَفَى بما اسْتُكْفِىَ ؛ ثم ولاّه : قضاءَ كُورةِ جَيَّانَ ، وكُورةِ إلْبِيرةَ ، وكُورةِ طلَيْطُلَةَ ؛ وامْتَحَنَه : فى كلِّ وَجْهٍ ؛ وعَجَمَه : فى كلِّ معنًى ؛ وكَفِىَ بمحْنةِ أميرِ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) واخْتِبارِه : فألْفاه خالصاً ، ووَجَدَه ناصحاً .

فلمَّا شهِدَتْ له عندَه التَّجْرِبةُ ، بدَرَجةِ الاستحقاقِ — : قَلَّدَهُ قضاءَ الجماعةِ : (عَلَى حَسَبِ ما نَصَصْتُ مُتَقدِّمًا) ؛ فتَوَلَّاها بسياسةٍ محمودةٍ : من تنفيذِ الحُقوقِ وإقامةِ الحدودِ ، والكَشْفِ عن البَيِّناتِ : فى السِّرِّ ؛ والصَّدْعِ بالحقِّ : فى الجهْرِ ؛ لم يَتَسَأَّمْهُ مُخادِعٌ ، ولم يَعْمَلْ فيه كيدُ مُخاتِلٍ ؛ ولا خافَ أهلَ الحُرَمِ ، ولاداهَنَ أهلَ الذِّمَّةِ[1] ، ولا أغْضَى عن وُجُوهِ أهلِ الخدمةِ — : فى عِظَامِ الأمورِ ، وكبائرِ الأشياءِ ؛ فَضْلًا : عن أصاغرِ الأسبابِ ، ومُحقَّرِ الحوادثِ .

قال لى أحمدُ بن عُبادةَ . كنتُ معَ محمد بن عبدِ الله بن أبى عيسى ، يوماً . فى « مَقْبَرةِ الرَّبضِ » ؛ حتى نظر إلى شىءٍ : من آلةِ اللَّهْوِ : مع بعض الوُصَفاءِ ؛ — فأمرَ . بكَسْره . فقيل له : إنه لفلانٍ وسُمِّىَ له رجلٌ عظيمٌ — : فلم يَلْتفتْ إلى ذلك ، ولا أنْبَاهُ[2] عما أراد . من كَسْره .

قال محمدٌ : وللقاضى : محمدِ بن عبدِ الله بن أبى عيسى — : فى باب الصَّلَابةِ ، وإيثارِ الحقِّ ؛ وإقامةِ الحُدود عَلَى وُجُوه النَّاسِ : من أهلِ الحُرَمِ . — أخبارٌ كثيرةٌ ، مَشْهورةٌ : فى العامَّة ؛ مَعْروفةٌ . فى الخاصَّةِ .

قال محمدٌ : جالَسْتُ محمدَ بن عبدِ اللهِ بنِ أبى عيسى ، غيرَ ما مَرَّةٍ ؛ فرأيْتُه : محمود التَّصَرُّفِ ، جَميلَ المَذاهبِ ، كَريمَ الأخلاقِ . ثم وُلِّىَ — بعدَ ذلك — قضاءَ الجماعةِ : فما رأيْتُ أحداً — : من عُقَلاءِ إخْوانه . — يَلُومُه : فى حَوَالةٍ ؛ ولا يَعذُلُه فى تَغَيُّرٍ ؛ بل يَصِفُونَه — : مِن ضِدِّ ذلك . — بما[3] هو أوْلَى : بأهل المُرُوءةِ ؛ وأشْبَهُ : بصفة أهلِ الكمالِ .

قال محمدٌ : ولمحمدِ بنِ أبى عيسى — بعدَ هذا كلِّه — نَصيبٌ وافرٌ : من

---

(١) أى : أهل العقد . وعبارة الأصل هكذا : « الا دمة والإغضاء عن » الخ . وهى مصحفة قطعا .

(٢) أى : دفعه عنه . وبالأصل : « نباه » ؛ وهو تحريف .

(٣) بالأصل : « مما » ؛ والظاهر أنه محرف .

الأدبِ ؛ وحَظٌ كامِلٌ : من البلاغة . [فكان] : مُخاطِباً بلسانِه ، ومُكاتِباً بقلمِه . وحُقَّ لِخِيرَةِ أميرِ المؤمنين ، وقاضى ، بيْضَتِه ، وحاكِمِ مصرِه ـ : أنْ يكونَ : مَوصُوفاً بأكْرَمِ الصِّفاتِ ، ومَوسُوماً بأفْضَلِ الآلاتِ .

قال محمدٌ : ثم خرَجَ[1] محمدُ بن أبى عيسى : فى صَدْرِ سَنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وثلاث مائةٍ ؛ فلمَّا جاوَزَ طُلَيْطُلَةَ ، ونزل بقرية تُسَمَّى « نحارس ـ من عَملِ طُلَيْطُلَة : قريباً منها . ـ : أدركه أجله ؛ فتُوُفِّى فيها : يومَ السَّبتِ لانسِلاخِ صفر سنةَ تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة ؛ وهو : ابنُ أربعٍ وخمسين سـنةً . وكانَ مَوْلدُه ـ فيما كان يَذكُرُ ـ : فى ذى الحِجَّةِ لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلَتْ منه : من سنةِ أربعٍ وثمانين ومائتينِ . ودُفِنَ : بطليطلةَ ؛ رحمه اللهُ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُنْذِرِ بن سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ البَلُّوطِىِّ . »

٤٩ قال محمدٌ : وُلِّىَ مُنذِرُ بنُ سعيدٍ ـ : يومَ الجمعة لخمسٍ خلَوْنَ من شهرِ ربيعِ الآخر سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة قضاء الجماعة ، والصلاةَ . فكان : صَلِيباً صارماً ، غيرَ هَيُوبٍ ولا جَبانٍ ؛ فقَضَى باقى أيَّامِ أميرِ المؤمنين : عبد الرحمن رضى الله عنه .

فلمَّا ماتَ أميرُ المؤمنين الإمامُ الفاضلُ (رحمه الله) ووُلِّىَ الإمامُ الحكَمُ بنَ عبدِ الرحمنِ . (أبقاه اللهُ) ـ : أقَرَّ مُنذِرَ بن سعيدٍ : على خُطَّتِه ، فلم يَزَلْ : قاضياً ، وصاحبَ صلاةٍ .

---

(١) هذا هو الظاهر المناسب . وبالأصل : « أخرج » ؛ ولعله محرف .

(٢) أنظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٦ ـ ٧٥ . وجدوة المقتبس ص ٣٢٦ ر ٨١١

وكانتْ صَـلاتُهُ : فى «جامعِ الزَّهراءِ» ؛ طُولَ ما قَضَى : من أوَّلِ ولايتهِ القضاء ، إلى آخرِها .

ثم تُوُفِّىَ : ليلةَ الخميس لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيتَا لذى القعْدَة ، آخِرَ سنةِ خمسٍ وخمسينَ وثلاثِ مِائةٍ . وهو : ابنُ أربعٍ وثمانينَ سنة .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بن إسحاق بن السَّلِيم . »

٥٠ قال محمدٌ : ثم وُلِّىَ محمد بن إسحاقَ بن السَّلِيم : يومَ السبتِ لخمسَ عشْرَة ليلةً مَضَتْ من المحرَّم : سنة ستٍّ وخمسين وثلاثِ مائةٍ :

فكان عنده — : من الفَضْلِ : فى عِلْمِهِ وفَهْمِهِ ؛ وحُسْنِ النَّظَرِ : فى الأمورِ ؛ وجميلِ الخُلُقِ : فى المعاشَرة .—ما [هو مأثورٌ ومعروفٌ] عن القضاة المتقدمين .

وبَقِىَ محمد بنُ يحيى : على خُطَّةِ الصَّلاةِ ، [بقر] طبة : إلى أن مَرِضَ ؛ فاستَعْفَىَ : فعوفِىَ ؛ ووُلِّىَ الصَّلاةَ بقرطبةَ القاضى محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ السَّلِيم ؛ وذلك : يومَ الفِطْرِ من سنة ثمانٍ وخمسينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

تَمَّ السِّفْرُ : بحَمْدِ اللهِ ، وحُسنِ عوْنه ؛ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ : نبيِّه وعبدِه ؛ وعلى آله وصحبه وسلَّمَ . وكان الفراغُ منه : فى صَبيحةِ بلْ فى الثُّلُثِ الأخيرِ من ليلة الخميس السادسِ والعشرينَ ، لشهرِ ربيعِ الأول: من سنةِ خمسٍ وتسعين وستِّمائةٍ .

* * *

كتبَه بيده العبدُ الفقيرُ إلى رحمة ربِّه ؛ المُسْتَغْفِرُ له من جميعِ ذَنْبه : عبدُالله بن محمدِ ابن عليٍّ اللَّوَّاتيٍّ . تَغمَّدهُ اللهُ بعَفوه ، وغَفَر له ولآبائه ولجميعِ المسلمينَ أجمعينَ .
فرحِمَ اللهُ مَن دعَا لكاتبه ، وكاسِبه ، وقارئه ، ومُستَمِعه —: بالتَّوْبةِ والمغفرةِ لهم ولجميعِ المسلمينَ أجمعينَ .

٢

علماء إفريقية

لمحمدِ بن الحارثِ بنِ أسدٍ الخُشَنيّ

* * *

الجزء الأوّل

[بتجزئة الأصل]

«مَلَكه وكَتَبه : أحْمَدُ بن مُحمَّد بن عَبْدِ الله»
«المقرئُ الطَّلَمَنْكى : أبو عُمَر المتوَفَّى فى»
« ذى الحِجَّةِ من عام ٤٢٨ أو ٤٢٩ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللهُ على سيدِنا ومولانا محمدٍ وآلهِ وصحبِه ؛ وسلَّم تسليماً

محمدُ بن سَحْنُونٍ

١ قال محمدُ بنُ حارثٍ : ومن رجال القَيْروانِ ؛ أبو عبد الله محمدُ بن سَحْنُونٍ .

سمِــعَ : من أبيهِ سَحنونٍ ، ومن موسى بن معاويةَ الصُّمادِحِيِّ ؛ وحجَّ فلقِيَ أبا المُصعَبِ : بالمدينةِ ؛ ولقِيَ سلَمةَ بنَ شَبيبٍ ، وغيرَه : من العلماءِ .

وكان — في مذهبِ مالكٍ — : من الحُفَّاظِ المتقدِّمينَ ؛ — وفى غيرِ ذلك : من المذاهبِ — : من النَّاظِرينَ المتصرِّفين .

وكان كثيرَ الوَضعِ للـكُتُبِ ، غزيرَ التأليفِ . يُحـكى : أنه لمَّا تصفَّحَ محمدُ ابنُ عبــدِ الله بن عبد الحَـكَمِ ، كتابَه ، وكتابَ ابنِ عَبْدُوسٍ — : قال فى كتابِ ابنِ عَبْدوسٍ : هذا كتابُ رجلٍ : أتَى بعلْمِ مالكٍ : علَى وجهِهِ ؛ أو كما قال . وقال فى كتابِ ابن سَحنونٍ : هذا كتابُ رجلٍ : سَبَحَ فى العلمِ سَبْحاً .

وكان : كريماً في نفسِه ، سَمْحاً بما فى يدِه ، جوَاداً بمالِه وجاهِه . كان : يَصِلُ مَن قَصدَهُ بالعشَراتِ : من الدَّنانيرِ ؛ وكان : يكتبُ لمن يُعنَى به ، إلى الـكُورِ : فيُعطَى الأموالَ الجسيمةَ . وهذا عنه مُستَفيضٌ عند أهل القَيْرَوَانِ .

وكان : وَجيهاً : فى العامَّةِ ؛ مُقدَّماً : عندَ الملوكِ ؛ حسنَ العِنايةِ ، نهَّاضاً بالأثقال ، واسعَ الحيلةِ ، جيِّدَ النَّظَرِ : عند الحوادثِ والملمَّاتِ .

وهو كان : السَّببَ المقيمَ ، المنتشِلَ لسليمانَ بن عِمرانَ القاضى ؛ ولعبدِ الله بن أحمدَ ابن طالبٍ القاضى .

وذلك : أنهُ كان : قد عُنِيَ بسليمانَ بنِ عمرانَ ، عنــدَ أبيهِ سَحنونٍ ؛ حتى

أستكتبَهُ سحنونُ : إذْ وَلِّيَ القضاءَ . ثم عُنِيَ به : حتى أخرجَه قاضياً إلى باجَةَ ؛ ثم مات سحنونُ : فولّى سُليمانُ بن عِمرانَ القضاءَ بعدَهُ ؛ فساءتْ الحالُ : بيْنَ أبنِ سُحنونِ و بيْنَ سليمانَ ؛ حتى بلَغتْ : إلى أن أرسَلَ فيه سليمانُ ؛ فأتاهُ فى خلْقٍ . ممّن أتّبَعهُ ؛ فدخَلَ عليه : فأغلَظَ له سليمانُ .

قال لى لقمانُ بنُ يوسفَ : فحُفِظَ من كلامِ سليمانَ ، قولُه : « ما أحْوَجَك إلى مَن يُمْضِغُكَ قُطنَ قَلَنْسُوَتِك هذه » ؛ ثم لم يَجسُرْ عليه بمكرُوهٍ ، وانصرَفَ .

وكان سليمانُ يقولُ للرجلِ — إذا علِمَ أنه أتاهُ من عندِ [أبنِ] سحنونِ — : مِن أيْنَ أتيْتَ ؟ : مِن عندِ كُبْكُوَيْهِ حِمارةِ الرّعناء ؟! .

قال لى أبو القاسمِ — المعروفُ: بالطَّرْزِيِّ؛ صاحبُ المَظَالِمِ — مرّةً، بالقيْرَوانِ: كنتُ عندَ أبنِ سحنونٍ يوماً :حتى دخلَ عليه رجلٌ — كان يُعْرَفُ : بأحمدَ بن الصّغيرِ . — فقال له يا أبا عبدِ اللهِ ؛ الرسولُ يُبلِّغ ، ولا يُلامُ ؛ أبنُ العيّادِ يقرأُ عليكَ السلامَ ، ويقولُ لكَ : أنْبَتَّ أقواماً : لو أنَّ السماءَ مَطَرَتْ عليهم أربعينَ خَريفاً ، ما نَبَتُوا .

فقال أبنُ سُحنونٍ : هكذا يَلقَى مَن فعلَ شيئاً : لِغيرِ اللهِ .

فقال له قائلٌ : يا أبا عبدِ اللهِ؛ ومِثْلُك : يَفعَلُ شيئاً لغيرِ اللهِ ؟ ! .

فقال : إنما عصَمَ اللهُ — من الزّللِ ، والخطإِ — : الملائكةَ .

ثم تفاقَمَ الأمرُ بينَهُ و بين سليمانَ القاضى ، حتى تَوارَى أبنُ سحنونٍ : خوفاً على نفسِهِ .

قال لى لقمانُ بنُ يوسفَ : فكتَبَ أبنُ سحنونٍ — فى تَوَارِيهِ — إلى الأميرِ محمد بن الأغلبِ ، بيْتَ عُثمانَ رضى اللهُ عنه :

فإنْ كُنْتُ مَأْكُولاً : فكُنْ أنْتَ آكِلى ؛

و إلا : تَدَارَكْنِي : ولمَّا أُمزَّقِ

(قال) : فقال ابنُ الأغلبِ : ومَن يُمزِّقه ؟! مَزَّقَ اللهُ جِلْدَهُ . ثم رفَعَ يدَ سُليمانَ بن عِمران عنه ، وأمَّنه منه .

(قال) : فرَدَّ سُليمانُ غَضَبه : إلى أصحاب ابن سُحنونٍ ؛ فأخَذ فُراتَ بن محمد : فضرَبه بالسِّياطِ .

وقال لي غيرُ لُقمانَ : لمَّا طالَ تَوَارِي ابنِ سحنونٍ ، رأى : أنْ يَلجأ بنفسه إلى الأميرِ ؛ فركِبَ مُتنكِّراً إلى القصرِ ، ولَقِيَهُ مُؤدبٌ — : كان يؤدِّبُ أولادَ ابنِ الأغلبِ — فسأله ابنُ سحنونٍ : أن يَدْخُلَ على الأميرِ : يَستأذِنُه له : في الْخُروجِ عن القيْرَوان .

فدَخَل المؤدِّبُ ؛ فبلَّغَ ذلك إلى الأميرِ .

فقال الأميرُ للمؤدِّبِ : ماتَرَى فيما سألَ؟ .

فقال : أرَى : أن تُسعِفَهُ بذلِك ؛ وتأذَنَ له في الْخُروجِ .

فقال لهُ : أنَّى لكَ العقلُ : وأنتَ باللَّيلِ : معَ النساء ؛ وبالنهارِ : معَ الأطفالِ؟! وإذا أذِنتُ لابنِ سحنونٍ في الْخُروجِ : معَ مَنْ أبقَى ؟ : معكَ ومعَ صِنْفِك ؟! اُخرُجْ ، فأخْبِرْه : أنِّي قد أمَّنْتُه ، ورفَعْتُ يَدَ سُليمانَ عنه .

فانصرَف ابنُ سَحنونٍ : فشَقَّ السِّماطَ الأعظمَ ، حتى نزلَ في الجامع وصلَّى .

فبلَغ إلى سُليمانَ : أنه شَقَّ السِّماطَ ؛ فعلِمَ : أنه أُمِّنَ : ورُفِعَتْ يدُه عنه .

فأعرَضَ عن خَبَرِه ؛ وظهر ابنُ سحنونٍ من بعدِ ذلك ، وقامتْ رِياستُه ، وتوفَّرتْ حُرْمَتُه ؛ وشَجِيَ به سُليمانُ ، وجماعةُ العراقيِّينَ .

فأخبرني بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال : بيْنما محمدُ بنُ سحنونٍ يوماً : يَمشي معَ جماعةٍ من أصحابِه ؛ لَقيَه صاحبُ الصلاةِ في ذلك الوقت — المعروفُ : بابن أبي الحواجبِ — فأوْمأَ إلى أُذُنِ ابنِ سحنونٍ : فأمْكَنَه ابنُ سحنونٍ من نفسِه ؛ فقال له سِرًّا : يازاني ، يا ابنَ الزَّانيةِ .

فأجابَه ٱبن سحنونٍ جَهراً : تُقضَى حاجتُك إن شاء الله . (أَوْهَمَ مَن حَضَرَ : أنه سألَه حاجَةً) .

وسار ٱبنُ أبي الخَواجبِ — : مُبْتَهِجاً بما أتى : من ذلك . — إلى سُليمان بن عِمرانَ ؛ فأخبرَه بما كان : من قولِه ؛ وبما كان : من جواب ٱبن سحنون .

فقال له سُليمانُ بنُ عمرانَ : إنْ كان الأمرُ : عَلَى ما وَصَفْتَ ؛ فتَحَفَّظْ .

وركبَ ٱبنُ سحنونٍ — من يومه — : إلى الحَضْرَمِيّ ؛ فسألَه : أنْ يُزَيِّنَ للأمير تَوْلِيَةَ ٱبنِ طالبٍ : عَلَى الصلاةِ .

فدَخَل الحَضْرَمِيُّ إلى الأميرِ ٱبنِ الأغلبِ : فزَيَّن له ذلك ؛ فأجابَ إليه ، وأمرَه : أنْ يَخرُجَ ، فيَصْرِفَ حُكمَ الصلاةِ والخُطبةِ : إلى ٱبنِ طالبٍ .

فخَرَجَ الحَضْرمِيُّ بذلك : إلى ٱبنِ سحنونٍ ؛ فسألَه ٱبنُ سحنونٍ : كَتْمَ ، ذلك إلى ساعةِ الخُطبةِ من يوم الجمعةِ .

وأرسلَ ٱبنُ سحنونٍ : في ٱبن طالبٍ ؛ وأعلَمَه بذلك ، وقال له : تَتَهَيَّأ ؛ فإذا رأيتَ ٱبنَ أبي الحواجبِ ، قد خَرَجَ من المقصورةِ — : فقمْ أنتَ بيْنَ يدَيْه ، وٱرْقَ المِنْبَرَ ، وٱخْطُبْ . فكان كذلك.

فلمَّا خرَجَ ٱبن أبي الحواجِب : وثَبَ ٱبنُ طالبٍ : على المِنْبَرِ ؛ فبُهِتَ ٱبنُ أبي الحواجب ، وسليمانُ بنُ عِمرانَ : حيثُ كان [موجوداً] وجماعةُ العِراقِيِّين ؛ وٱنْدَفَعَ ٱبنُ طالبٍ ، فقال : « ٱلحمدُ للهِ : ٱلذى شُكِرَ على ما بهِ أنْعَمَ : والحمدُ للهِ : ٱلذى عَذَّبَ على ما لَوْ شاءَ منه عَصَمَ ؛ والحمدُ للهِ : ٱلذى عَلَى عرْشِه ٱسْتَوَى وعَلَى مُلكِه ٱحتَوَى ؛ وهو في الآخرةِ يُرَى » ؛ ثم ٱسْتَمَرَّ في خُطبتِه ، وتَمَّتْ ٱلصلاةُ .

وانصرَفَ سليمانُ إلى منزله ، وجَمَع شيوخَ القَيْروانِ ، وأمرَهم : أن يسيرُوا إلى الأميرِ ، فيَزْكُوا[1] عندَه ابنَ أبي الحواجب ؛ ويسألوه : رَدَّه على الصلاةِ .

---

(١) الأصل : « فيزكون ... ويسألونه » .

وبلغ ذلك ابنَ سحنونٍ : فأرسلَ إلى الحضْرَميِّ ، فأعلمه بالخبرِ .

فلمَّا أطلَّ القومُ إلى القصرِ ، أرسل إليهم الحضْرميُّ : أما تستحُونَ : أنْ تسألوا الأميرَ : أنْ يحُطَّ ابنَ عمِّه ، ومَن أرادَ التَّنْويهَ به ؟ وأنْ يُشْرِفَ صاحبكم ؟ ! ! انصرفُوا : فإنَّا لم نسألْكم عن تزْكيةٍ ، ولا عن جُرْحةٍ .

فانصرَفَ القومُ ؛ فكانت تلك أولَ نَكْبَةٍ لِسُليمانَ .

ثم لم تزَلْ أمورُ ابنِ طالبٍ : تنْمِي وتزيدُ ، حتى عُزِلَ سُليمانُ ، ووُلِّيَ ابنُ طالبٍ القضاءَ .

وتُوفِّيَ ابنُ سحنونٍ : سنةَ خمسٍ وخمسينَ ومائتَيْنِ . وكان مَوْلِدُه : عَلَى رأسِ المائتَيْنِ .

* * *

مُحمدُ بن إبْراهيمَ بنِ عَبْدُوسٍ

إسْحَاقُ بن إبراهيمَ بنِ عَبْدُوسٍ

٢ كان محمدٌ منهما : حافظاً لمذاهبِ مالكِ بنِ أنسٍ ، والرُّواةِ : من أصحابه ؛ إماماً مُتقدِّماً ، غزيرَ الاسْتِنْباطِ ، جيِّدَ القريحةِ . وله كتابٌ سمَّاهُ : المجموعةَ ؛ ألَّفه في الفقهِ : عَلَى مذهبِ مالكٍ وأصحابه . وكان : ناسكاً ، عابداً ، مُتواضعاً .

قال لى أحمدُ بنُ زيادٍ يوماً : ما أظنُّه كان في التَّابعين مثلُ محمدِ بن عَبْدُوسٍ .

وقال لى أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ نصرٍ : كنتُ إذا رحَلْتُ إلى محمدِ بنِ عبْدُوسٍ أجِدُهُ : قد جلَسَ : مُحْتَبِياً ، مُتواضعاً ، زائلاً عن صدْرِ مجلسِه . فالجاهلُ ـ : يُعاينُه ـ لا يَعْرِفُ أنه صاحبُ المجلسِ .

* * *

٣ وكان إسحاقُ أخوهُ : صاحبَ شارَةٍ ، ومَرْكَبٍ ، ومَلْبَسٍ . كان إسحاقُ إذا راحَ إلى الجامع يومَ الجمعةِ : يَرُوحُ راكباً ، ومحمدٌ تحتَ ركابهِ راجلاً.

ويُقالُ : [إنَّ] أبنَ عَبْدُوسٍ ـ بعدَ حَجِّه ـ لم يُسمَعْ مُتكلِّماً فى مسألةٍ ـ من مسائلِ الحجِّ ـ : لئلاَّ يَنْفَتِحَ عليه فى الرأى ، بابٌ : يظهرُ له به نَقصٌ فى حجِّه .

وكان سِنُّ محمد بنِ عَبْدُوسٍ ، دُونَ سِنِّ أبنِ سحنونٍ : بسنةٍ واحدةٍ ؛ وتُوُفِّىَ بعدَ أبنِ سحنونٍ بثلاثةِ أعوامٍ .

ويقولُ بعضُ النـاسِ : إنَّه كان مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ ؛ وإنهُ دَعا على أبى الغَرانيق، فعُرِفَتْ فيه أستجابةُ دَعْوَتِه .

* * *

عَبْدُ اللهِ بن سَهل القِبْرِيانى

٤ وعبد الله بنُ سهلٍ القِبْرِيانى ؛ سمعَ منسَحنونٍ وغيرِه : من رجالِ القَيروان . وكان : عالماً بمذاهبِ مالكٍ ؛ حسَنَ الحِفظِ (فيما قيل لى) .

ووُلِّىَ قضاءَ صِقِلِّيَةَ ، وخرجَ إليها .

وكانَ : من ذَوِى ٱلأموالِ ٱلعَرِيضةِ ، والجاهِ ٱلبسيطِ .

* * *

٥ وأبنـهُ سهلُ بنُ عبـدِ اللهِ بنِ سهلٍ القِبْرِيانى ؛ سمِـعَ من سحنونٍ ، وكان : معدوداً فى أصحابه .

وكان فيما كانَ فيه أبوه من قبلُ : من كثرةِ ٱلمالِ وأنبساطِ ٱلجاهِ .

* * *

يَحْيَ بن عُمرَ الأنْدَلُسى

٦ ويَحيى بنُ عمرَ الأندلسيُّ : سمعَ من سَحنونٍ ؛ ثم رَحَلَ إلى المَشرقِ : فسمعَ حديثاً كثيراً ؛ ثم انصرفَ : فسكَنَ القَيْروانَ حتى ماتَ .

وكان : مُتقدِّماً فى الحفظِ ؛ إلاَّ أنَّه كان : قليلَ الانْبِساطِ ، نَزْرَ المادَّةِ ؛ لايَبْلغُ مَبْلَغَ محمدِ بنِ عبدوسٍ : فى الفقهِ .

قال لى أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ : كنتُ أسأله عن الشىء ـ : من المسائلِ ـ فيجيبُنى ؛ ثم أسأله — بعدَ ذلك بزمانٍ — عن تلك الأشياء بأعيانِها : فلا يَختلِفُ قوله ؛ ولا يَتناقضُ جوابُه . (قالَ لى) : وكان غيرُه : يَختلِفُ على جوابِه ، ولا يَتّفِقُ قوله .

قال ابنُ حارثٍ : وهذا الوصفُ منه ، يدُلُّ : على رُكودِ النَّظرِ ، وقِلَّةِ الإجالةِ للفكْرِ ؛ وعلى الاقتصارِ : على المَقالِ المحفُوظِ . وكان ـ فيما قالَ لى غيرُ واحدٍ ـ : لا يَتصرَّفُ فيما يَتصرَّفُ فيه الحذاقُ (أهلُ النظرِ والعلومِ) : من معرفةِ معانى القولِ ؛ وإعرابِ ما يَنطِقُ به : من الألفاظ .

أخبرنى أحمدُ بن موسى التَّمَّارُ ؛ قال : قرأتُ عليه صحيفةً — ألَّفها سعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدَّادِ — : فما فَهِمَ منها شيئاً . (قال): فجعلْتُ أُقرِّبُ له معانِيَها ، وأُبيِّنُ له ما فيها ؛ فقال : ياأبا عُثمانَ (يقولُ ما قالتْ الملائكةُ) : (لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَاعَلَّمْتَنَا: ٢ — ٣٢).

وكانتْ له أوضاعٌ كثيرةٌ : فى أصولِ السُّنَنِ عَلَى معانى الآثارِ ، وماأتى فيها : من الأخبارِ . ككتابِ الصِّراطِ ، وكتابِ الميزانِ ، وكتابِ النظرِ إلى الله تباركَ وتعالى يوم القيامةِ ؛ وله كتابٌ : رَدَّ فيه على الشافعىِّ .

وكان جَليلاً فى قلوبِ أهلِ البلدِ ؛ عظيماً : فى أعْيُنِهمْ ؛ وَجيهاً : عندَ مُلوكهم . وكان شَجىً : فى نفوسِ العِراقيِّين ؛ وقَذًى فى أعيُنِهم .

حكى لى بعضُ الشُّيوخ ؛ قال : كنتُ جالساً (أو قال : أخبرنى مَن كان جالساً) معَ أبى العباس بن عبدُونٍ ، حتى خَطرَ يَحيى بنُ عُمرَ راكباً : وعلى رأسهِ ٱلْقَلَنْسُوةُ . (قال) : فرأيتُ وجْهَ ٱبنِ عَبْدُونٍ ، يَتلَوَّنُ : شوقاً به . ولمَّا صار ٱبنُ عَبْدُونٍ إلى القضاء : أخافَه وأرادَه ؛ حتى تَوَارَى يَحيى بنُ عُمرَ : فرَقاً منه .

قال لى محمدُ بنُ ٱلليثِ : قال لى محمدُ بنُ عُمرَ (أخو يحيى بنِ عمرَ) : كنتُ جالساً بتونُسَ : إذ كان أخى مُتوَارياً عن ٱبنِ عَبدونٍ ؛ وكان القاضى بتونسَ : عبدَ الله بنَ هارونَ الكوفىَّ . (قال) : فما شَعَرْتُ : أنْ أتانى رسولُه ؛ فساءَ ظَنِّى ، وخَشِيتُ[(١)] نفسى .

(قال) فأتيْتُه : فدخلتُ عليه ؛ فتَبَيَّنَ فىَّ الذُّعْرَ ، فقرَّبَنى ، وبَسَطَنى ؛ فسكَنْتُ . (قال) : ثم ناوَلنى كتابَ ٱبنِ عَبْدونٍ ؛ فإذا فيه : « قد صحَّ عندى : أنَّ يَحيىَ بنَ عُمرَ مُتوارٍ بتُونسَ ؛ فاطلُبْه . فإذا ظَفِرْتَ به : فأوْثِقْهُ ، وابعَثْ به إلىَّ معَ مَنْ تَثِقُ بِه .

(قال لى محمدٌ) : فاربَدَّ وجهى لذلكَ .

(قال) : فقال : لا يَسُؤْ بى ظَنُّكَ ؛ فلم أبعَثْ فيك : لمكْرُوهٍ ؛ ولكنْ : لأُعجِبَكَ من ٱبنِ عَبدونٍ ، أن يُرِيد منِّى : أنْ آتِيَ إلى إمامٍ — : من أئمةِ المسلمينَ . — فأرسِلَ به إليه : ليَمْتَهِنَه . ثم قالَ لى : إنْ كان أخوكَ بهذا البلدِ فهو منِّى : آمِنٌ .

(قال لى محمدُ بنُ اللَّيثِ) : فكانَتْ هذه المكرمَةُ لعبدِ اللهِ بنِ هارونَ الكوفىِّ — فى يَحيى بنِ عُمَرَ — : معروفةً مشكُورةً .

---

(١) بالأصل : « وخبثت » هو ولعله تصحيف .

قال ابنُ حارثٍ : وأراني قد أودعْتُ كتابَ التعريفِ : من ذكرِ يحيي ؛ ما لم يحضُرْني في هذا الكتابِ .

* * *

أبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ

٧ وأبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ ؛ سمِعَ من سَحنونَ بن سعيدٍ ؛ وحَجَّ فلقيَ : ابنَ عبدِ الحكَمِ ، ويونسَ بنَ عبدِ الأعلى .

وَوُلِّيَ القضاءَ لابنِ الأغلبِ مرَّتين : قضاءَ القيْروان .

وكان : لَقِناً ، فَطِناً ، جيِّدَ النَّظرِ ، مُطَّلِعاً إلى المُناظرة ، ومَشْغوفاً بها . كان : يَجمَعُ في مجلسه بيْنَ المُختلِفينَ ؛ ويُغْرِي بيْنَهما : في المناظَرةِ ؛ ويَصِلُ أهلَها : بالصِّلاتِ الجَزْلةِ .

وكانت فيه خاصَّةٌ غريبةٌ في الرجالِ ؛ حكاها عنهُ محمدُ بنُ محبوبٍ ؛ قال :

كان ابنُ طالبٍ : إذا تكلَّم : أبانَ وأجادَ ؛ فاسْتَحْلَى السامعُ لفْظَه ، واسْتَحسنَ كلامَه ، حتى يَتمنَّى : أن لا يسكُتَ . (قال) : فإذا سكَتَ وأخذَ القلمَ : لم يبلُغْ بقلمِه : حيثُ يبلُغُ بلسانِه . وكان : إذا وافقَ[1] على الحكمِ بين الخصمَين ؛ كتب للمطلوبِ القصةَ ، وقال له : طُفْ بها على كلِّ من عندَه علمٌ ؛ وجِئْني بالأجوبةِ : في ذلك .

وكان : مجبولاً على كرَمِ النفسِ ، وسماحةِ الكفِّ .

أخبرني : عباسُ بنُ عيسى ، عن محمدِ بن محبوبٍ ؛ قال :

كُنَّا عندهُ يوماً ، فخاطَبَهُ بعضُ أهلِ مجلسه بخطابٍ خَشِنٍ جافٍّ : لا يُخاطَبُ بمثله أهلُ العلمِ ، ولا القُضاةُ .

---

(١) بالأصل : « وفق » ؛ ولعله تصحيف . فتأمل .

(قال) : فنظرَ بعضُنا إلى بعضٍ ، وتمادَى ابنُ طالبٍ فى مُكالَمته . كأنّه لم يَسْمعْ مكرُوهاً : من لفظٍ .

(قال) : ثم قامَ ذلك الرجلُ المخاطِبُ له .

(قال) : فعَطَف علينا ابنُ طالبٍ ، فقال : رأيتُكم نَظَرَ بعضُكم إلى بعضٍ : عندَ جَفْوتِه علىَّ ؛ ولكنْ : نظَرْتُ فى ذلك ؛ فقامتُ فى نفسى : رجلٌ : قَصدَنى ، وَوَطِئَ بِسَاطى ؛ يُؤدِّى [1] الذى يَجبُ : من حقِّى ؛ هَفَا علىَّ فى منطقه — : أَصُولُ عليه بِسُلْطانى ؟ ! : هذا من اللُّؤْم .

قال لى أبو محمدِ بنُ سعيدِ بنِ الحدّادِ ؛ قال : قال لى جعفرٌ الأعمى :

وصَلَ إلىَّ من مالِ ابنِ طالبٍ — بآيةٍ من كتابِ اللهِ . — نحوُ السبعين : مِثقالاً : كنتُ : إذا نظرْتُ إليه : قد جَلَس فى مجلسِ قضائه — : قمتُ بحذوِه ، ثم قلت : (بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ؛ إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ : لاَ نُرِيد مِنْكُم جزَاءً ولا شُكوراً : ٧٦ — ٩) .

(قال) : فيأمرُلى : بالمِثقالِ ، والمِثقالين ، وما أمكنَه .

قال لى حُسينُ بنُ أحمدَ بنِ مُغيثٍ : قالَ لى أبى أحمدُ بنُ متعبٍ :

أتيْتُه يوماً : أسألهُ لرجل مَعروفاً ؛ (قال) : فناولَنى طرَفَ كُمِّ قميصِه ؛ ثم أدخلَ يدَهُ : ليَنْزِعَها .

فقلتُ [2] : سبحانَ اللهِ ! معاذَ اللهِ : أنْ أبلغَكَ هذَا المبلغَ .

فقالَ لى : لا يَسبِقْ إليكَ أنَّ هذا عن ضَجَرٍ ؛ غيرَ أنى : لستُ — واللهِ —

(١) بالأصل : « يوذى » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالاصل : « فقال » ؛ وهو تحريف .

أملكُ هذا الوقتَ : ديناراً ، ولا درهماً ؛ ولا بُدَّ : أنْ تأخُذَها للرجلِ . (قال) : فعزَمَ ، وبرَى إلىَّ بثوبه .

(قال) : وكثيراً ما كانَ يَصِلُ بالفُضولِ الباقيةِ — : من شُقَقِ ثيابِه . — ويقولُ للّذى يُعطِيها لَهُ : لا تَحْتَقِرْها — : إذْ تراها[١] خرقاء . — وإيَّاكَ : أن تُغبَنَ فى بَيعِها ؛ وامضِ بها إلى فلانٍ البَزَّازِ ؛ فعلَى يدهِ اشْتَرِيتْ هذه الثِّيابُ .

وحكى لى بعضُ الشيوخ ؛ قال : أخبرنى مَن أثقُ به ؛ قال :

أتيتُ ابْنَ طالبٍ : فشكَوْتُ إليه الإقْلالَ ، وعَرَّضتُ بالسؤال .

(قال) : فاعتَذَرَ : اعتِذارَ مَن قدْ عَزَمَ على رَدِّى ؛ ثم قامَ : فدَخلَ ؛ ثم خَرَجَ فجَعَلَ فى يدِى شيئاً ؛ ثم [قال] : اعقِلْها[٢] عليك .

(قال) : فأحسَسْتُ فى يدِى شيئاً : لم أشُكَّ أنها دراهمُ . (قال) : فلمَّا خرجتُ : فتحتُ يدِى ؛ فإذا : بعشرةِ مَثاقيلَ .

وله أخبارٌ كثيرةٌ : من هذا الضَّرْبِ .

* * *

مُعتبُ بنُ أبى الأزْهر

٨ ومُعْتِبُ بنُ أبى الأزهرِ ؛ كان : صاحباً لسَحنونٍ ، ومعدوداً فى رجالهِ .

ذكَرَ لى حسنُ بنُ أحمدَ بنِ معتبِ بن أبى الأزهَرِ ، عن أبيهِ ، عن جدهِ معتبٍ ؛ قال :

قال لى سُحنونٌ يوماً : إنى أحِبُّ أن أسِرَّ اليك سِرًّا ؛ فإيَّاكَ : أن تُفشِيَه .

---

(١) بالاصل : « يراها » ؛ ولعله مصحف .

(٢) يعنى : تصدق بها على نفسك . انظر المختار : بتأمل .

(قال) : فقلتُ له : يا أبا سعيدٍ ؛ إنْ [كانتْ] مَنزِلَتى عندكَ منزلةَ مَن يُخافُ منه ـ : فلا تُفْشِ إلىَّ سِرَّكَ .

(قال) فقال لى : ليس الأمرُ : كما تَظُنُّ ؛ ولـكنْ : لِـكلِّ إنسانٍ صديقٌ : يكون موضعَ ثقتِهِ وراحتِه ؛ ولذلكَ ٱلصَّديقِ صديقٌ ؛ ومِنْ مثل هذَا : تَخرُج[1] الأسرارُ .

* * *

أحمدُ بنُ مُعتبٍ بنِ أبى الأزْهر

٩ وأبنه أحمدُ بنُ مُعتبٍ ؛ كان : نبيلاً ، فاضلاً ، صحيحَ ٱليقينِ . وهو : ٱلذى مات : من ذِكْرِ ٱللهِ .

أخبرَنى أبو بكرٍ محمدُ بن محمدِ بنِ ٱللَّبَّـادِ ؛ قال : حضَرْتُه فى مجلسِ السَّبتَ ـ : وقد سمع شيئاً من أولئك القرّاء . ـ فصاحَ صيحةً ، ثم خَرَّ ، وانبعثَ الزَّبَدُ من فِيه؛ واحتُمِل فى نَعْشٍ إلى دارِه ؛ فما سُمِعَتْ منه كلمةٌ : حتى ماتَ رحمه الله .

قال ابن حارثٍ : ولم أُوقِفْ أبا بكرٍ بن اللَّباد : عنِ ٱلذى سَمِـعَ ؛ وقد سمِعت فى ذلك ٱختلافاً من الناسِ :

فقائلٌ يقول : إنه سمع : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ : ١٠٢ — ١) ؛ وقائلٌ يقول : إنه سمع بيتَ شعرٍ : فيه ذِكْرُ النارِ ؛ فـكان من أمرِه ما كان .

وكان : لَطيفَ المـكانةِ من إبراهيمَ بنِ أحمد ؛ كان يكتبُ إليه إبراهيمُ : يا أخى : فى الإسلامِ ؛ وشقيقى : فى المحبَّة .

وكان : قد لاحَى أبنَ عبدونٍ — : وهو على القضاء . — ووَثِقَ بمكانِه من

---

(٢) فى الأصل : « ومن مثل هذا لا تخرج » ؛ والزيادة من الناسخ أو الطابع .

إبراهيمَ؛ فَخَذَلَهُ ومَكَّنَ منه أبنَ عبدونٍ؛ فضَرَبَ رِجْلَيْه — فى الفَلَقةِ — بالدِّرَّةِ: حتى أدْمَاهُما.

فكان أحمدُ بنُ مُعتِبٍ — من بعدِ ذلك — يقولُ: إنى لأرجو أنْ تكونَ هذه النَّازِلَةُ، خِيَرَةً من اللهِ لى: إذ سَلَبَ بها مَحبَّةَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ، من قلبى.

قال لى بعض الشيوخ: فلمّا خُتِمَ لأحمدَ بما خُتِمَ له به: تَطلَّعَ إبراهيمُ بن أحمدَ — فى بعض الليالى — فنَظَرَ إلى ما عَلَى قبره — : من بَيَاتِ الناسِ، وكَثْرةِ السُّرُجِ. — فهالَهُ ذلك، حتى قال لابنِ عَبدونٍ: هذا الرجلُ: الذى كنت تُهوِّنُ أمرَه عندى؛ أُنظرْ عاقبةَ أمْرِه.

* * *

أحمدُ بنُ أبى سُلَيْمانَ

١٠ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبى سليمان؛ كان: فاضلاً، وجيهاً؛ وكان: من مقدَّمى رجال سُحنون.

وكان: يحسُنُ الشِّعرَ ويقوله؛ وكانت عنايتُه به: فى أبتداءِ أمرِه؛ ثم لمَّا صار إلى درجةِ العلمِ، وصُحْبَةِ العلماء —: ترَكَ الشعرَ وصنعتَه.

وهو: الذى كشفَ وجهه، فى الإشارة على إبراهيم بن أحمد: بتَوْلِيةِ أبنِ طالبٍ القضاءَ؛ فى المرَّةِ الثانيةِ.

وذلك: أنَّ إبراهيم كان: على كراهِيةٍ لابن طالبٍ؛ وكان: غيرَ نَقِىِّ الضميرِ له. لأنه كانت لابن طالبٍ فيه، أيادٍ سميَّةٌ: عند أخيه أبى عبد الله، المعروفِ: بأبى الغَرانيقِ.

فلمَّا ولىَ إبراهيم: تمكَّن منه الحَضْرمِىُّ، وفتًى من فتيانه يُسَمَّى: بلاغاً؛ وكانا جميعاً يقومان بابنِ طالبٍ: القيامَ السَّديدَ؛ فكانا يُحثَّانِ من أمر ابن طالبٍ

عند إبراهيمَ ؛ ويوقفانه عن جميع ما يُتَّهَمُ[1] به فيه . حتّى صار إبراهيمُ : إلى مُداراةِ ٱبنِ طالبٍ .

فلمّا شاخَ سُليمانُ بنُ عمرانَ ، واضطرَّ إبراهيمُ إلى قاضٍ غيرِه ـ : جَمَعَ وُجُوهَ القَيْروانِ ، واجتهدَ ؛ وأدخلَهم على نفسِه : مَثْنَى ، وفُرادَى ، وجماعةً ، وأفذاذاً ؛ وكلُّهُم يقولُ له : ٱلأميرُ أعلم : ٱلأميرُ أعلمُ . وغَلَبَتْ شَهوَةُ إبراهيم : فى محمدِ ابنِ عبدون بن أبي ثور ـ : وكان من العراقيّين ـ . فأمرَ : بمَوْكبٍ سَنِيٍّ ؛ وأُخْرِج : ليُحمَلَ عليه ٱبنُ عبدونٍ ؛ فوقف ناحيةً .

فلم يُنفَّذْ ذلك : حتى دخل أحمدُ بنُ أبي سُليمان ؛ فقال له إبراهيم : مَنْ ترَى للقضاء ؟ .

فقال : أصلحَ ٱللهُ الأميرَ ؛ أرى : أن تولِّيَ ٱلعدلَ ٱلرِّضَى ، المستحِقَّ للقضاء .

فقال له : مَنْ هُو ؟ .

فقال : ٱبن طالب . فاستوى إبراهيمُ جالساً ؛ فقال له : من أينَ : حتى بلَغْت فيه هذا المبلغ ، وقَطَعْتَ هذا القطعَ . ؟ .

فقال له : إنَّ ٱلصَّلاَةَ عَمُودُ ٱلدِّينِ ؛ فلمّا استَحقَّ عندَ الأميرِ أن يُقَدَّمَ عليها ـ : كان بما هو أقلُّ منها ، أحقَّ .

فقال إبراهيمُ : يُرَدُّ الفرَسُ . (يعني: الذي كان قد أُبرِزَ لابنِ عَبْدُونٍ) ؛ وأذِنَ لابن أبي سُليمانَ : في الانصرافِ ؛ وأرسلَ : في ٱبن طالبٍ ؛ فوَلاَّهُ القضاءَ .

قال ٱبنُ حارثٍ : ولم يكنْ ٱبنُ أبي سُليمانَ ، معدُوداً : في أهلِ الحِفظِ ؛ ولا : في أهلِ المعرفةِ بما دَقَّ : من العِلْمِ .

(١) بالأصل : « يهم » ؛ والظاهر : أنه مصحف عنه .

سمعتُ مَن يَحكى ــ : ممَّنْ يُحْسِنُ القولَ . ــ قال :

قال له قائلٌ : أخبرنى عن طَلْقَةِ[1] الخُلْعِ : لِمَ كانتْ بائنةً ، ولِمَ لمْ يملِكْ الزوجُ فيها الرَّجْعةَ ؟ .

فقال له ابنُ [أبى] سُليمانَ : يا ابنَ أخى ؛ لأنها طَلْقَةٌ : كبيرةٌ ، عظيمةٌ .

فما زادَ ــ : من الاعْتِلالِ . ــ على هذا شيئاً . إلاَّ : أنه كان مَعدُوداً فى وُجوهِ رجالِ سَحنونٍ .

* * *

عبدُ الرحمنِ بنُ عمران الملقبُ بالورنةِ

١١ وعبدُ الرحمن بنُ عِمرانَ ، المُلَقَّبُ : بالورنةِ ؛ كان حَسَنَ الحِفظِ ، جَيِّدَ القَرِيحَةِ ، واقِفاً على الأصولِ .

ولم يكنْ : صاحبَ دَوَاوِينَ ، ولا إكثارٍ . وإنَّما كان : مُقتصِرًا عَلَى أُمَّهاتِ ابنِ القاسمِ ؛ لا غيرِ .

سمِعتُ مَن يَحكِى : أنه حَضَرَ إبراهيمَ بنَ الخَشَّابِ : وهو يقولُ له : قال لى ابنُ طالبٍ : نَسيتَ العلمَ يا إبراهيمُ . فقال له عبدُ الرحمن بنُ عِمران : وكيفَ يَنسى الإنسانُ ما لمْ يحفظْه مِن قبلُ ؟!.

* * *

حبيبٌ صاحبُ مظالِمِ سَحنون

١٢ وحَبيبٌ صاحِبُ مَظالِمِ سَحنونٍ ؛ كان : مَعدوداً فى أصحابِ سَحنونٍ ؛ وكان : نَبيلاً فى نفسِهِ . قد أدخَلَ له ابنُ سَحنونٍ سؤالاتِه سُحنوناً ، ومطالَعتَه له فى أحكامِه ــ : فى الكتابِ الذى ألَّفه فى أدبِ القضاءِ .

* * *

(١) بالأصل : « طفلة . . لما » ؛ وهو : تصحيف جاهل .

فرَاتُ بنْ محمدٍ العَبدِىُّ

١٣ أبو سَهل فُرَاتُ بنُ محمدٍ العَبْدِىُّ ؛ كان : من رجالِ سُحنونٍ ؛ ثم : من رجالِ أبنهِ مِنْ بعدِه .

رَوَى : عن سُحنونٍ ، وعن غيرِه : من العلماء ؛ وكان : قِبْلَةَ[١] حديثٍ كثيرٍ ؛ وكان : يَغلِبُ عليه الرِّوايةَ ، والجَمْعُ ، ومَعرِفَةُ الأخبارِ .

وسمِعتُ مَن يحكِى : أنَّهُ كان : أَعلَمَ الناس بمعَايبِ الناسِ ، وأوقعَ النَّاس : فى النَّاسِ .

* * *

عِيسى بن مِسْكِينٍ

١٤ أبو موسَى عيسَى بنُ مِسْكِينٍ ؛ سَمِعَ : من سُحنونِ بنِ سعيدٍ ، ومن غيرِه : من علماءِ القَيْرَوانِ : ورَحَلَ ، فلَقِىَ بمصرَ : يونسَ بنَ عبدِ الأعلى ؛ ورَحَلَ إلى الصَّعيدِ : إلى محمدِ بن سِنْجرٍ .

قال لى لُقمانُ بن يوسُفَ : قال لى عيسى بنُ مِسكينٍ :

قلتُ لابنِ سِنْجرٍ : لِمَ نَزَلْتَ الصَّعيدَ ، وتركْتَ الفُسْطاطَ ؟ .

قال: لأنه يَكْفِينى بالصَّعيدِ —: فى جمع[٢] قوتى . — مالا يَكْفِينى بالفُسطاط إلا النِّيلُ ؛ لا غيرُه .

وقال لى لُقمانُ : وكان يَذكُرُ أبنُ مِسكينٍ : أنَّ أبنَ سنجرٍ لَقِىَ نحوَ ألفِ شيخٍ : من أهلِ الحديثِ .

---

(١) كذا بالأصل ؛ أى : مقصد . ولعله مصحف عن : « قبله » بكسر ففتح .

(٢) بالأصل : « جميع » ؛ ولعله محرف عنه . فتأمل .

وكان عيسى بنُ مِسكينٍ : من أهلِ الفضـلِ البارِعِ ، والوَرَعِ الصَّحيحِ ، والصَّمْتِ الطَّويلِ .

كان إبراهيمُ بن أحمدَ : قد امتحَن يَحيَى بنَ عُمَر ، واضطَرَّه إلى وِلايةِ القضاءِ ؛ فقال له : إنْ دَلَلْتُك عَلَى مَن هو أفضـلُ منِّي — : فى الوَجهِ الذى تُحِبُّ . — تُعافِيني ؟ .

قال : نعمْ ؛ نَفعَلُ . فقال له : عيسى بنُ مِسكينٍ .

فأرسَلَ فيـه إبراهيمُ بن أحمدَ : إلى كُورَةِ السَّاحلِ ؛ وأشْخَصَه : إلى نفْسِه ؛ وعَرَضَ عليه[ولايةَ] القضاءِ: فنَفرمنها وأباهَا ؛وقال :إنى رجلٌ:طَويلُ الصَّمتِ، قليلُ الكلامِ ؛ غيرُ نَشيطٍ : فى أمُورى .

فقال له إبراهيمُ : [إنَّ] عنـدِى مَولًى من مَوَالىَّ — : نَبيهاً نَشيطاً ، قد تَدَرَّبَ : فى الأحكامِ ، وشىء : من(١) الأقضيةِ . — فأنا أضُمُّه إليك : يكونُ لك كاتباً ؛ فيَصْدُرُ عنك فى القول ، فى جميعِ مايَرِدُ عليك : من الأمورِ ؛ فما رَضِيتَ —: من قولِه . — أمضَيْتَ ؛ وما سَخِطتَ رَدَدتَ .

فقَبِل منه القضاءَ ؛ وضَمَّ إليه حسنَ بن البَنَّاءِ .

قال لى أبى : فـكثيراً ما كنتُ أدخُلُ على عيسى ، فى مجلسِ قضـائه : وهو صامِتٌ لاينطقُ : وكاتِبُه ابنُ البَنَّاءِ : يَقضِي بيْنَ الناسِ .

وكان إبراهيمُ بن أحمدَ : يُباهِي ويَبْتَهِجُ : بابنِ مِسكينٍ . فقال له يوماً بعضُ الجُباةِ(٢) : لقـد نصحتُك نُصْحاً : ما نَصَحك بِمثله القُضاةُ . فقال له إبراهيمُ : ولا عيسى بنُ مِسكينٍ ؟! .

ولم يَرْتَزِقْ عيسى لإبراهيمَ قطُّ : فَلْساً واحداً . وكان يَتولَّى طَبْخَ خُبزِه بيدِه.

---

(١) بالأصل : « فى » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « الحياه » ؛ وهو تصحيف .

فسمعتُ مَن يَحكِي : أنه دَخَل عليه داخِلٌ — : وله رَغيفٌ عَلَى النَّار . — فدَخَل عيسى : لبعضِ حاجتِه ؛ وتَرَكَ الرَّغيفَ . وخَشِيَ الدَّاخِلُ : أنْ يحترِقَ ؛ فقام : فقَلَبه(١).

فلمَّا خَرَج عيسى ، قال له : قَلَبْتَ الرغيف ؟ . قال : نعمْ . قال : لقد جَنَيْتَ علينا جِنايةً . وأخَذَ الرَّغيفَ : فتَصدَّقَ به ؛ ثم عَجَن رغيفاً آخرَ ، وتولَّى طَبْخَه بيَدِه .

ولمَّا قدِمَ القَيْروانَ قاضياً : أتاهم عَلَى حمارٍ : عليه إِكافٌ : فقام الناسُ إليه : عَلَى أقدامِهم ؛ فقال : مكانَكم رحمكم اللهُ ؛ إنَّما يَقومُ الناسُ : لربِّ العالَمِينَ .

ويُقالُ : إنه كان مُستَجابَ الدَّعْوةِ . وله أخبارٌ كثيرةٌ .

* * *

جَبَلةُ بنُ حَمُّودٍ الصَّدْفِيُّ

١٥ قال محمدُ بن حارثٍ : ومن رجال القَيْرَوانِ : جَبَلةُ بنُ حَمُّودٍ الصَّدْفِيُّ ؛ كان : من رجالِ سُحنون ؛ وكان : من أهلِ الخَيرِ البَيِّنِ ، والعِبادةِ الظَّاهرةِ ، والوَرَعِ الخالصِ .

وكان أبوه : من أهلِ الدُّنيا والأموالِ ؛ وممَّن يَصحَبُ السُّلطانَ . فنابَذَه : في حياتِه ؛ وتبرَّأ من تركتِه : بعدَ وفاتِه . عَلَى أنَّ تَركتَه كانتْ : نحوَ ثمانيةِ آلافِ مِثقالٍ .

وشَهِدَ عليه في حياتِه — : بأنَّه قتلَ رجلا عَمداً . — عندَ بعضِ القُضاةِ ؛ فعَرَّضَ أبوه : بالطَّعْنِ عليه ؛ فقال له القاضي : واللهِ : لئنْ شَهِدَ عليك معه ثانٍ ، لأسفِكنَّ دَمَك .

---

(١) بالاصل : « فأقلبه » ؛ وهو تحريف .

كان الغالبُ عليه : النسُكَ ، والتقشفَ ، والصلاةَ ، والإعراضَ عن الدُّنيا وأخبارِها .

حَكى لى رجلٌ من أهل القَيْروانِ — : كان خادمَه ، وكان خبيراً .— قال :

أتاه رجلٌ جزّارٌ ، فسأله : أن يُعطيَه دنانيرَ : قِراضاً ؛ فدفعَ[1] إليه نحوَ الثَّمانيةِ مثاقيلَ .

(قال) : فأكلَها الجزّارُ ، واستَهلَكهَا .

(قال الرجلُ) : فقُمتُ له عليه : فلم أجِدْ عنده ما آخُذُ منه ؛ فضَرَبْتُهَا عليه نُجوماً : فى كل نَجمٍ رُبعُ مِثقالٍ .

(قال) : ثم : أتَيْتُ جَبَلةَ ، فأخبرْتُه : بفَلَسِه وفَقْرِه .

(قال) : فجَعَل يَتَحنَّنُ عليه ؛ فقلتُ له : إنى قاطَعْتُه : عَلَى أنْ يُؤدِّيها نجوماً فى كلِّ نَجمٍ رُبعُ مِثقالٍ .

فقال : رُبعُ مِثقالٍ : كثيرٌ ؛ ولستُ آمَنُ : أن لا يَقدِرَ عليه .

(قال) : فقلتُ له : وكم ترى أنْ يُؤْخَذَ منه ؟

قال : أربعةَ دراهمَ . وكان صَرْفُ المِثقالِ — ذلك الوقتَ — اثنَىْ عَشَرَ درهما كيلاً ؛ بمثقالٍ .

(قال) : قلتُ له : إنَّ رُبعَ المِثقالِ[2] هو : أقَلُّ من أربعةِ دراهِمَ .

فقال : حَسَنٌ إذاً .

وله عن سُحنونٍ : مسائلُ يَرْوِيها ، وحكاياتٌ يَحْكيها .

* * *

---

(١) بالأصل : « يدفع » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « الربع مثقال » ؛ وهو تحريف .

حَمْدِيسُ القَطَّانُ

١٦ أبو جعفرٍ حَمْدِيسُ بن محمـدٍ القَطَّانُ ؛ كان عَلَماً : فى الفَضـلِ ؛ ومَثَلاً : فى الخيرِ . معَ صَلاَبةٍ شديدةٍ : فى مذاهبِ السُّنةِ ؛ وغُلُوٍّ عظيمٍ : فى[1] التَّجَنِّى عَلَى مَن يَنْحَرِفُ عن طريقةِ أهلِها .

وكان : قد لَهِـجَ الناسُ : بفَضْلِه ؛ وأقَرُّوا : بخيرِه .

وكان : من أصحابِ سحنونٍ ، ومن المعدُودِينَ : فى رجالِه .

وقد ذكرتُ فى كتاب : التَّعرِيفِ — : من أخبـارِه . — مالم أذكُرْه : فى هذا الـكتابِ .

* * *

عَبْدُ الجبَّارِ بنُ خالدٍ السُّرتىُّ

١٧ عبدُ الجبَّارِ بنُ خالدٍ السُّرْتىُّ ؛ كان : من أصحابِ سحنونٍ ؛ ومن المعروفين : بالعبـادة .

وكان : صاحباً لحمديسٍ القَطَّانِ : وبهما يَضْرِبُ أهـلُ القَيْروانِ المثَلَ : فى الفضلِ والدِّينِ . إلاَّ أنَّ عبـدَ الجبَّارِ — فيما أخبرنى لُقمانُ بنُ يوسُفَ — كان : أنْبَهَ وأفْهَمَ .

وكان عبـدُ الجبَّارِ : مُنابِذًا لابن طالبٍ القاضى ، ومُعادِياً : بعـد مُصَادَقةٍ مُتقـدِّمَةٍ .

قال لى عباسُ بنُ عيسى المسى : قال لى ابنُ محبوبٍ :

ذكَرَ ابنُ طالبٍ يوماً ، عبدَ الجبَّارِ ، فأوْقَعَ به : فى سُوءِ الثَّناءِ عليه . (قال ابنُ محبوبٍ) : فلمَّا خـلَوْتُ بابنِ طالبٍ : عذَلْتُه فى ذلك ، وحَضَضْتُه : على

---

(١) بالأصل : « من » ؛ وهو تصحيف .

الإغضاءِ والإعْراضِ عن ذِكْرِه؛ وذكَرْتُ له ما كان بينَه وبينَ عبدِ الجبَّارِ: من قَديمِ الصُّحْبَةِ .

(قال أبنُ محبوبٍ) : فقال لى أبنُ طالبٍ: يا أبا عبدِ ٱللهِ ؛ لو أنَّ عبدَ الجبَّارِ: أخَذَ سِكِّيناً ، وجعَلَ يَنْكُتُ به أعْضائى : عُضْوًا ، عُضوًا — : لَصبَرْتُ عَلَى ذلك ، واحتَمَلْتُه : مالم يَعرِضْ لِمَقاتِلى ؛ فإنْ عَرَضَ(١) لها : أضْطُرِرْتُ إلى أنْ أذُبَّ عن نفْسِى ؛ وقد — واللهِ — تعَرَّضَ مَقاتِلِى ، ولا سَبيلَ للصَّبرِ عليه .

فلمَّا نُكِبَ أبنُ طالبٍ ، وجلَس إبراهيمُ بن أحمدَ فى مقصورةِ جامعِ (رقادةَ) وأحْضَرَ وُجُوهَ ٱلناسِ : من أهلِ كلِّ مَذهبٍ ؛ واسْتَمْطَرَهُم الشَّهادةَ عَلَى أبنِ طالبٍ ، بمَساوِيهِ — : أحجَمَ ٱلناسُ كلهم ، غيرَ عبدِ الجبَّارِ : فأوَّلُ مَن صَبَّها عليه ؛ فشَهِد عليه : أنه لم يزَلْ يَعرِفُه : يَخطُبُ سَريرَ ٱلأميرِ .

فقال إبراهيمُ بن أحمدَ : هو أخْزَى وأذَلُّ من ذلك .

***

أبو ٱلأحْوَصِ ٱلمتَعَبِّدُ

١٨ أبو ٱلأحْوَصِ أحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ ؛ كان : رجلاً من أهلِ الفضلِ ؛ وكانتْ له : صُحبةٌ من سَحْنُونِ بن سَعيدٍ . وكان ٱلخيرُ والعِبادةُ : أغلَبَ عليه من الفقهِ .

أخبرنى أبو محمدٍ الغَنِىُّ ؛ قال : شهِدْتُه يومَ ٱلجُمعةِ فى الجامعِ ، فرأيتُ : الإمامَ يَخْطُبُ ، وأبو الأحْوصِ يَبْكى .

وحَكَى لى عنه أبو محمدٍ الغَنِىُّ ؛ قال : قال أبو الأحوصِ : « غابَ إمامُ الجامعِ يوماً ، عن صلاةِ العصرِ : فعُزِمَ علىَّ فتقَدَّمْتُ ؛ فلقَد صحَّ عندى : أنى ما سلَّمتُ من الصلاةِ : نَعِماً ؛ حتى بدَأ قومٌ : يفتِّشون عن عيوبى »؛ وما سمعتُ

---

(١) بالأصل : « اعرض » ، وهو تحريف .

مَن يذكُرُ ذلك من قبلُ ؛ كأنَّه يقولُ : إن الخمولَ : من أسبابِ السَّتْرِ .

وصدَقَ أبو الأحوصِ : مقدارُ كشفِ الناسِ عن عيوبِ الرجالِ : على مقدارِ ظهورِه فيهم .

ويُشْبِهُ هذا المعنَى : أنِّى حضرتُ بعضَ المجالسِ بالقَيْروانِ ، فذكَرُوا شيخًا : من أهلِ العلمِ ؛ قد كان : ظَهَرَ سُؤْدُدُه ، وقامَ جاهُه ؛ ثم انقلَبتْ به الحالُ ، وانفَرَجَتْ طريقتُه إلى طريقةِ التَفَتُّكِ : لوُلُوعِه بغلامٍ كان يَصْحَبُه .

فقال حُسينُ بنُ أحمدَ بنِ مُعْتِبٍ : عجبًا للناس ! قد أُولِعُوا بفلانٍ : لمَا اقْتَرَفَ : من فعلِ كذا ؛ وفى الناسِ مَن قد تقلَّدَ أمثالَ ذلك : وما أحدٌ يذكُرُه بشىءٍ : من ذلك .

فقال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبى خالدٍ الدَّبَّاغُ — وهو اليومَ : أحدُ عقلاءِ رجالِ القَيْروانِ . — أنا أضرِبُ لكم فى ذلك مثلاً : لو أنَّ رجلاً : ممَّن شأنُه لُبسُ الثِّيابِ الوَسِخَةِ ، والأطمارِ الخَلَقةِ ؛ وقَعَ فى صدرِ ثوبِه وسَخٌ شنيعُ[1] المنظرِ ثم شقَّ السِّماطَ كلَّه — : لمَا أنكَرَ أحدٌ عليه شيئًا . ولو وَقَع مثلُ ذلك ، فى صدرِ ثوبِ رجلٍ : لَبَّاسٍ نقيِّ الثوبِ ؛ فشقَّ به السِّماطَ — : لمالَتْ الأبصارُ إليه من كل جانبٍ ؛ ولاسْتُفْظِعَ[2] رِضاهُ : بلُبْسِ ذلك الثوبِ .

فقلنا له — من كلِّ موضعٍ — : صدَقْتَ .

فكان أبو الأحوصِ هذا المتعبِّدُ : ربَّما حكى حكاياتٍ ؛ أخبرنى أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ اللَّبَّادِ ، عن أبى الأحوصِ ؛ قال :

سُئلَ سُحنونٌ : عمَّا يأتى به أهلُ الشَّامِ : من الرُّخَصِ فى الفتْيا .

---

(١) بالأصل : « شنع » ، وهو محرف عنه . انظر : المختار .
(٢) بالأصل : « ولاستقطع » : وهو تصحيف .

فقال سحنونٌ : يُؤخذُ هذا العلمُ من الموثوقِ بهم : فى دِينهم؛ ٱلمحسُوسِ [1] : بخيرِهم . فإن أخذُوا بالشديدِ : فمَنْ عـــلْمٍ ؛ وإن أخذُوا بالرُّخصةِ : فمَنْ علْمٍ .

وقال أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الرحمن ٱلقصرىُّ : أخبرنى بهذه الحكايةِ عن سحنونِ بن سعيدٍ — : حَمْديسُ القطَّانُ ، وعبدُ الله بن أحمدَ بنِ طالبٍ ، وغيرُهما .

* * *

أبو عيَّاشٍ

١٩ وأبو عيَّاشٍ ؛ كان : من أصحابِ محمدِ بن سحنونٍ ؛ وكان : كثيرَ الحكايةِ والرِّوايةِ : سمِع منه غيرُ ما رجلٍ : من جِلَّةِ رجالِ ٱلقيْروانِ .

* * *

سُليمانُ بن سالمٍ ، المعروفُ : بابن الكحَّالةِ

٢٠ وسُليمانُ بن سالمٍ ؛ المعروفُ : بابن الكحَّالةِ : سمِع من سحنونٍ ، ومن غيرِه : من مشايخ إفْريقيَّةَ ؛ وسمِعَ من زيدِ بن بشرٍ .

حكى لى أبو محمدٍ الغنمىُّ ؛ قال : حدَّثنى سُليمانُ بن سالمٍ ، عن زيدِ بن بشرٍ ؛ قال : دخلتُ ٱلمدينةَ : فلقِيتُ محمدَ بنَ مالكِ بن أنسٍ ؛ فقلتُ له : حدِّثنى عن أبيك بشىءٍ . فقال : ما أحفظُ شيئاً .

قال : فقلتُ له : تذكَّرْ ؛ فقال : سمِعتُ أبى ، يقولُ : أدركتُ مسجدَ ٱلنبىِّ

---

(١) أى : الذين أحس وشعر بخيرهم . وفى الأصل : « الحسن » ؛ وهو تصحيف .

(صلى الله عليه وسلم) : يقومُ فيه طائفةٌ من الناسِ : إلى ثُلثِ اللَّيلِ ؛ ثم تَذهبُ ؛ ثم تأتِى طائفةٌ أخرى : فتقومُ فيه الثُّلثَ الأوسطَ ؛ ثم تذهبُ ؛ ثم تأتِى طائفةٌ ثالثةٌ : فتقومُ فيه إلى صلاةِ الصُّبحِ .

وكان سُليمانُ بن سالمٍ هذا : قد وُلِّيَ قضاءَ صِقِلِّيَّةَ ، فى أيامِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ .
وكان الغالبُ عَلَى سُليمانَ بنِ سالمٍ : الرِّوايةَ والتّقييدَ .

* * *

سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحَدّادِ

٢١ ومن أصحابِ سَحنونِ بن سعيدٍ : سَعيدُ بن محمدِ بن الحدّادِ؛ صحِبَ سَحنونَ ابن سعيدٍ ، وكان : يُطْرِيه جِداً ، وَيذهَبُ فى حسنِ الثَّناءِ عليه كلَّ مذهبٍ .

ولم يَرحَلْ ، ولا حَجَّ : لأنه كان رجلاً فقيراً ؛ وإنما أثْرَى وتَموّلَ : بعدَ الشَّيخِ والزَّمانةِ . ماتَ له وارثٌ بصِقِلِّيَّةَ : بلَغَتْ وِراثتُه منه : نحوَ الخمسِ مائةِ مِثْقالٍ .

وكان أبو عُثمانَ هذا : قليلَ الاشْتِغالِ[1] بجَمْعِ الكُتُبِ وبالرِّواية ؛ وكان يقولُ : إنّمَا هو : النَّظَرُ والخَبَرُ ؛ فلو دخَلْتُ المَشرِقَ : ما كانتْ لى فيه حاجةٌ غيرُ الخبرِ .

وَرَحَلَ إلى أبى الحسنِ الكُوفىِّ ـ : إذ نَزَلَ اطَرابُلسَ . ـ فسمع بعض الحديثِ .

(١) بالأصل : «الأشغال» ؛ وهو تحريف.

وكان : عالماً باللغةِ ، نافذاً[1] في النحوِ : عَرَبِيَّ اللِّسانِ ، جَهِيرَ الصَّوتِ : إذا لَحَن في لفظِه : أستغفرَ اللهَ ، وأعادَ الكلامَ : مُعْرَباً .

وكان : إذا تكلَّف الشِّعرَ أجادَه ؛ ولم يُحفَظْ من شِعرِه غيرُ مَرَاثِيه : في ولدٍ ماتَ له ، وفي ابنِ أخٍ أُسِرَ له ؛ وشيءٍ[2] يعرِضُ له : على معنى التمثُّلِ .

أتاه رجلٌ ، فقال له : أنشِدْني شِعرَكَ : في ابنِك .

فقال : لستُ بشاعرٍ ياهذا ؛ إنَّما حضرَتْني رِقَّةٌ[3] على ولَدِي ؛ فقلتُ فيه ما حَضَرَني .

وكان مذهَبُه : النَّظَرَ والقِياسَ والاجتِهادَ ؛ لا يَتحلَّى بتقليدِ أحدٍ : من العلماء ؛ ويقولُ : إنَّما أدخَل كثيراً ـ : من الناسِ . ـ إلى التَّقليدِ : نَقْصُ العقولِ ، ودَنَاءَةُ[4] الهِمَمِ . وكان يقولُ : القولُ بلا عِلَّةٍ : تَعَبُّدٌ ؛ والتَّعبُّدُ : لايكونُ إلاَّ من المَعبودِ . وكان يقولُ : كيفَ يَسَعُ مِثلي ـ : ممَّن آتاهُ اللهُ فَهْماً . ـ أنْ يُقلِّدَ أحداً : من العلماءِ ؛ بلا حُجَّةٍ ظاهرةٍ . ؟!

قال لي محمدُ بنُ مَسرُورٍ النجَّارُ : جلَستُ إلى سعيدِ بن محمدٍ يوماً ، فألقَيتُ عليه مسألةً ؛ مُعضِلةً[5] مُعقَّدةً ؛ من كتابِ أشهَبَ بنِ عبدِ العزيزِ . (قال): فبدَأَ : بتنزيلِها ، وبالنَّظرِ فيها . فلم يزَلْ : يلَخِّصُها شيئاً شيئاً، حتى بلَغَ فيها إلى ما بلَغَ أشهب بنُ عبدِ العزيزِ .

فقلت له : أصَبْتَ أبا عثمانَ ؛ هكذا قال أشهبُ في كتابِه .

---

(١) كذا بالأصل : وقد يكون مصحفا عن : « ناقدا » .

(٢) بالأصل : « وفي شيء » ؛ ولعل الزيادة : من الناسخ أو الطابع . فتأمل .

(٣) بالأصل : « رفة » بالفاء . وهو تصحيف .

(٤) أي : قصر الهمم وخساستها . وفي الأصل : « ودنا » ؛ وهو تحريف .

(٥) بالأصل « مقفلة » ؛ والظاهر ؛ أنه مصحف عما أثبتنا .

(قال) : فقال لى (أبى[1] : سعيدُ بن محمدٍ) : لعلَّ أشهبَ ما وضَعَها : حتى تَدَبَّرَها أيّاماً ، ونظَرَ فيها حيناً ؛ وقد أتَيْنا نحنُ بجوابِها : بنَظَرِ ساعةٍ واحدةٍ .

وحَكَى عنه رجلٌ من جُلَسائه ــ يُعرَفُ : بابن المكّيّ . ــ قال : قلتُ[2] له يوماً : يا أبا عُثمانَ ؛ ما أُشَبِّهُ نفْسِي ــ إذا كنتُ بيْنَ يديكَ ــ إلاَّ : بالحِمار .

(قال) : فقال لى : لا تَفعَلْ ــ يا أبا محمدٍ ــ : فإنَّك تحِسُّ حِسًّا لطيفاً ؛ وأنت كما قال الشاعرُ :

* وفَوْقَكَ أقْوامٌ : وأنْتَ شَرِيفُ *

وقال له أبنُ الأشَجِّ يوماً ــ بينَ يدَيْ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ــ : هذا بابٌ لا يحْسِنُه[3] .

فقال له سعيدُ بن محمدٍ : أنا أعلمُ بهذا من الرّابِعِ : من مُعَلِّميكَ .

وحَضَر يوماً مجلساً ــ : من المجالسِ . ــ فأُتِيَ بوثيقةٍ : ليَكتُبَ شهادَته ؛ فقال : فيها خطأ .

فقال له صاحبُ الوثيقةِ : إنّ أبنَ عَبدونٍ كتَبَها ! .

قال له سعيدٌ : هو الّذى أخْطَأ فيها . قال سعيدٌ : حَضَر معى ابنُ عبدونٍ يوماً ، مجلسَ المهْرِىّ ، فأنشَدَنا المهرىُّ بيْتَيْنِ . (قال سعيدٌ) : فلَقِنْتهما أنا وابنُ عبدونٍ ؛ فلما خَرجْنا ، قال لى ابنُ عبدونٍ : أنشِدْنيهما ــ يا أبا عثمانَ ــ : فقد أُنسيتهما .

فقلتُ له : إن أقْرَرت على نفسك : أنك حمارٌ ؛ أنشدتكها .

(قال) : فقال لى : أنا حمارٌ ؛ وأنشدْنيهما .

(قال) : فأنشدْتُه ؛ ثم افترَقْنا . فأرسَلَ إلىَّ ــ من بعد ــ يسألنى : أنْ أكْتُبَها له ، وأبعثَ بهما إليه . (قال) : فقلتُ لرسولِه : باللهِ : لا يسمعْها منى ، ولا كَتَبْتُهما له أبداً .

---

(١) بالأصل : « أبا » ؛ وهو تصحيف (٢) بالأصل : « قلت » ؛ وهو تحريف

(٣) بالأصل : « يحسه » ؛ وهو تحريف .

وأبو عثمانَ (سعيدُ بن محمدٍ) : غزيرُ التأليفِ ، كثيرُ الوَضعِ ؛ له كتبٌ مُؤلفةٌ : في فنِّ الكلامِ ، والجدَلِ . وله كتبٌ : في فن الفقهِ والمسائلِ . وله كتبٌ : في النَّظَرِ .

وله رَدٌّ على الشافعي : في كتابٍ لم يَظهرْ على أيدي الناسِ ؛ وأُراهُ : لم يأخُذْ نسْختَه ، وكان مِقدارُ تأليفِه على الشافعي : شُقَّتَيْنِ ؛ كلُّ شُقَّةٍ منهما تُسمَّى : ثُلثَ قِرْطاسٍ ؛ فملأها : ظَهراً وبَطْناً .

وسمعتُ أحمدَ بنَ موسى التَّمَّارَ ، يَذكُرُ الصَّدرَ من كتابِه هذا — : ألذى كتَبه إلى أبي إبراهيمَ إسماعيلَ بن يَحيى المُزَني . — وهو :

« أمَّا بعدُ : فإنَّه لمَّا بَعُدَتْ داري عن أنْدِيَةِ العُلماءِ ، ولم أجِدْ بالمَحَلِّ الذي أنَا به ، مُفيداً : أسْتَمِدُّ منه مَعُونةً ؛ ولا إنْسِيًّا : يُشارِكُني في فِكْرَةٍ[1] ، وأعرِضُ عليه ما يَفْرُقُ[2] لي : من تَدْبيرِ مسألةٍ ؛ وكَثُرَ أشْياعُ الباطلِ ، وقامَتْ دَولةُ الجَهلِ — : حاولْتُ النُّهوضَ لأداءِ ما أُفْتَرضَ اللهُ عليَّ : من حجِّ بيْتِه الحرَامِ ؛ وأنْ أضرِبَ[3] إلى كلِّ أُفُقٍ : فيه عليمٌ بالحقِّ ؛ أُناصِحُه وأسْتَرْشِدُه . فحالَتْ العَوائقُ : دونَ مَرامي ؛ وحَبَستْني : دُونَ سُؤْلي . »

« وإني تَعَقَّبْتُ ديوانَ محمدِ بن إدريسَ الشافعيِّ : فاطَّلَعْتُ على ما ذكَرْتُه . » .

قال أحمد بن موسى : فذَكَرَ لي : أنَّه لمَّا وَرَد الكتابُ على المُزَنيِّ : قرأه وسكتَ ؛ وجعلَ فتًى — : من البغداذيِّينَ . — يُحرِّكه : في جوابِه ؛ والمزنيُّ يُعرِضُ عنه .

فلمَّا أكثرَ عليه : رَمَى إليه الكتابَ ، وقال : أمَّا أنَا : فقد قرأتُ وسكتُّ ؛ فمَن كان عندَه عِلمٌ : فليتكلَّمْ .

---

(١) بالأصل : « فكره » ؛ وهو تصحيف . (٢) أي : يبين ويظهر .
(٣) أي : أسافر وأرحل .

وكان أبو عثمانَ : آنَسَ الفُقهاءِ : مَجلساً ؛ وأغزرَهم : خَبَراً . وهذه صفةُ ولدِه: عبدِ اللهِ ؛ إلى اليوم : ما رأيتُ آنَسَ منه : مَجلساً ؛ إذا قَعَدَ مقعَداً : لم يَطمَعْ أحدٌ : فى القولِ ، ولا فى الحديثِ .

***

أبو داودَ العطَّارُ أحمدُ بنُ موسى بنِ جَريرٍ

٢٢ وأبو داودَ العطَّارُ أحمدُ بنُ موسى بنِ جَريرٍ ، قد ذكرَ أبو العَربِ بنُ تميمٍ : أباه ؛ فى هذا الكتابِ : من قَبلُ . وذكَر : أنَّ بسببهِ سَمع أبو داودَ من جِلَّةِ شُيوخِ القَيْروانِ .

وهو : معدُودٌ فى أصحاب سَحنونٍ ؛ وكان : من ذَوِى الوَجاهةِ والتَّقَدُّم .

***

إبراهيمُ بن عتَّابٍ الخَوْلانىُّ

٢٣ وإبراهيمُ بن عَتَّابٍ الخَوْلانىُّ ؛ كان : من أصحابِ سَحنونٍ ، ومَذكوراً فى جُمْلَتِهم .

كان : قليلَ الفَهمِ ؛ غالياً فى مذهبِ ابنِ سَحنونٍ : فى مسألةِ الإيمان ؛ شديدَ الانتِقاصِ لمحمدِ بن عَبدوسٍ : عَصَبِيَّةً لابن سَحنونٍ .

بلغ ذلك به : إلى أنْ حَضَر جِنازةً ، فتَقَدَّمَ عليها محمدُ بنعَبدوسٍ : فانصرفَ ابنُ عتَّابٍ ولم يُصلِّ خلفَه .

فبَلَغ ذلك إلى ابن طالبٍ — وذلك : فى أوَّلِ انبعاثِه ؛ وأراهُ : كان حاكما عَلَى المظالم .— فقال له: لِمَ انصَرفْتَ عن الصلاةِ من[1] وراءِ الإمامِ الفاضلِ ابنِ عبدوسٍ ؟ .

(١) بالأصل : « ومن » ؛ ولعل الزيادة من الناسخ أو الطابع .

فقال : لأنه شُكوكىٌّ(١) .

فقال له : وما تقول فى شكوكيَّته ؟

فقال له : يقولُ : إنه ليس بمؤمنٍ عندَ اللهِ .

وكان حماسُ بن مَرْوانَ حاضراً ؛ فقال : أنا أشهد على أبنِ عبدوس ، أنه يقول : من قال : ليس هو مُؤْمناً عند ٱللهِ ؛ فهو كافرٌ عند ٱللهِ .

فأمرَ أبن طالبٍ — حينئذٍ — بابن عتَّابٍ : إلى السجنِ .

إبراهيمُ بن لِبْدَةَ

٢٤ وإبراهيم بن لِبْدَةَ : كان : أبنَ أخى سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ ولم يكنْ — : فى الفقهِ . — بُهناكَ . إلاَّ : أنَّه قامَ له جاهٌ بالبلدِ — بعدَ موتِ سحنونٍ — : بتقديمهِ فى شُيوخهِ المُتقدِّمين .

قال لى أحمدُ بن نصرٍ : كانتْ المسائلُ تَرِدُه من كلِّ جانبٍ : فمرَّةً كان يُلْقيها : إلىَّ ؛ ومرَّةً : إلى موسى القطَّانِ ؛ فيتولَّى الجوابَ عنه .

(قال لى) : وكان يقولُ الناسُ : « أبنُ لِبْدةَ : عالِمُ ٱلأميرِ » . لأنهم كانوا يَفْطِنُون : أنه لا علْمَ عندَه ؛ وإنَّما ٱلأميرُ جعَله عالماً .

* * *

أحمدُ ٱلمَعْرُوفُ بالصَّوَّافِ

٢٥ وأحمدُ ٱلمعروفُ : بالصَّواف . قال لى أبو محمدٍ الغنمىُّ : كان أحمدُ الصَّوافُ : من الفُضَلاءِ المتقدِّمين ، والعُبَّادِ المجتهدِين ؛ سمِع من سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ وكان : يَغلِبُ عليه الخيرُ والعِبادةُ .

* * *

(١) أى كثير الشك . يعنى المسألة المشهورة بينه وبين ابن سحنون . ذكرها ابن عرفه فى عمله الكلامى . كذا بالهامش .

سَعيدُ بن إسْحاقَ

٢٦ وسَعيدُ بن إسحاقَ ؛ كان : من رجالِ سَحنونٍ ؛ سمِعَ منه ومن غيرِه .
حدّثنا عنه كلُّ شيخٍ لَقيتُه ؛ وكان : كثيرَ الرِّباطِ ؛ تغلِبُ عليه الرِّوايةُ والجَمْعُ للحديثِ .

* * *

أبنُ علاَقَةَ

٢٧ وأبنُ علاَقةَ ؛ وهو : خالُ حَماسِ بن مَرْوانَ . وهو : الذى كان يأتى بحَماسٍ إلى سَحنون — وهو صَبِيٌّ — : يسمَعُ منه .

* * *

حَماسُ بنُ مَرْوانَ

٢٨ وحَماسُ بنُ مَرْوانَ ؛ يُعدُّ : من مَشايخِ سَحنونٍ ؛ وتَقعُدُ به — فى ذلك — : صُحبتُه له : فى الصِّغَرِ ؛ وأختلافُه إليه : فى الصِّبا .

ولمّا شَبَّ ، وماتَ سَحنونُ بن سعيدٍ — واظَبَ : على محمدِ بن عَبدوسٍ ؛ فانْتَفَع به ؛ وكان من بَعدُ : عالماً أستاذاً ، حاذقاً بأسبابِ مالكٍ وأصحابه ؛ يحكِى فى مَعانيه أبنَ عَبدوسٍ .

لمّا دخَلَ مصرَ : قَصَدَ إلى حَلقةِ أبنِ عبدِ الحكَمِ ، فجلسَ — : وأبنُ عبدِ الحكَمِ لا يعرِفُه . — فتكلَّمَ حَماسٌ : فصرَفَ إليه أبنُ عبدِ الحكَمِ وَجهَه . ثم زادَ فى الكلامِ : فسأله أبنُ عبدِ الحكَمِ : عن مسألتَينِ فى الجِراحِ؛ فأجابَه ؛ ثم سأله : عن الفَرْقِ ؛ فأجابَ وجَوَّدَ .

فقال له أبنُ عبدِ الحكَمِ : يَنبغِى أنْ تكونَ : حَماسَ بن مَرْوانَ .

فقال له : نعمْ . فعَذَلَه فى الجَفوةِ — : إذ لم يَقصِدْ إليه ، ويُعرِّفْه بنفسِه . — وأنزَله : بمنزلةِ المُكرَّمِ المعظَّمِ .

* * *

مُحمدُ بنُ بَسِيلٍ

وممَّنْ أشْبَهَ حَماساً(١) —: فى صحبته سَحنوناً : فى سِنِّ الصِّبا فى حينِ الصِّغَرِ. —:

٢٩ محمدُ بنُ بَسيلٍ . كان : يَختلِفُ إلى سَحنونٍ : طفلا ؛ ومعَه غِلمانٌ له مَماليكُ : يَحمِلون له مُصَلًّى ، ويُمسِكون دابَّتَه .

لَقيتُه أنا ، وأدركتُه : وأنا طِفلٌ ؛ وسمِعتُه يقولُ : رأيتُ سَحنوناً : يَفعلُ كذا ، وسمِعتُه : يقولُ كذا .

وكانتْ لابنِ بَسيلٍ هـذا — بعدَ ذلك — رِحْلةٌ : لَقِىَ فيها ابْنَ رُمْحٍ ، وغيرَه : من شُيوخِ أهلِ المَشرِقِ .

* * *

سَعيدٌ المعروفُ : بمزْغَلةَ

٣٠ وسَعيدٌ المعروفُ : بمزْغَلةَ ؛ وكان : من أصحابِ سحنونٍ ؛ وكان : تَغلِبُ عليه العِبادةُ والتَّنَسُّكُ : وكان : رجلاً صالحاً ، حَسنَ النِّيةِ .

* * *

أبو خالدٍ الْحامِى

٣١ وأبو خالدٍ الحامِى ؛ كان من رجالِ سحنونٍ . وكان : يذكُرُه سعيدُ بن الحدَّادِ ، ويُطْرِيهِ .

وكان يَحكِى عنه سَعيدٌ : أنَّه قال : سألتُ سَحنوناً : أنْ أقرأَ عليه كتابَ [ابنِ القاسمِ] من المُختلِطةِ. فقال لى : علَى أنى لا أقولُ منه إلا بخَمس مسائلَ . (شكَّ سعيدٌ فى ذلك) .

---

(١) بالأصل : « شبه » ؛ وهو محرف عنه أوعن : شابه .

الزَّوَاوِىُّ

٣٢ وسمعتُ مَن يَذكُرُ – من شيوخِ سَحنونٍ – : الزَّوَاوِىَّ . ولم أَقِفْ[١] – من مَعرفته – عَلَى مثالِ ذلك[٢] . ثم قدَّمتُ اسمَه .

* * *

ابن أبى قَيزُون ؛ وسدورٌ . وابنُ أختِ جامعٍ

٣٣و٣٤و٣٥ وذَكَرَلى لُقمانُ بن يوسُفَ : ابنَ قَيزُون، وسدورا، وابنَ أختِ جامعٍ ؛ وأَطْرَاهم. وذَكَرهم: بالعِلمِ الفائق ؛ فى حكايةٍ : قد نَصَصْتُها فى كتابِ (التَّعْرِيفِ) .

* * *

محمدُ بنُ زرْقُون بن أبى مَرْيَمَ

٣٦ ومِن مُقَدَّمِى رجالِ سَحنونٍ : محمدُ بنُ زرْقُونِ بن أبى مَرْيَمَ .

كان : كاتباً لابنِ طالبٍ : إذ كان قاضياً .

وسمعتُ أبا بكرِ بنَ اللَّبَّادِ : يُطْرِيهِ كثيراً ، ويَذكُرُ : أنه لم يكنْ فى شيوخِ سَحنونٍ ، آنَسُ : مجلساً منه .

* * *

٣٧ وكذلك ، رأيتُ ولَدَه : أبا الحسنِ علىَّ بنَ محمدِ بنِ زرْقُونٍ ؛ أنيسَ المَجلِسِ ، كثيرَ الحكاياتِ . وهو – فى ذلك – نَظيرٌ لعبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ الحدَّادِ .

* * *

انتهَى الجزء بحمدِ اللهِ وعَوْنه
يتلوه الطَبَقَةُ الثَّانيةُ الَّتى تَلِى هـذه :
فى السِّنِّ والإدْراكِ

---

(١) بالأصل : « افق » ؛ وهو تصحيف .
(٢) بالأصل : زيادة كلمة بعد ذلك ، هى : « معرفتى » .

الجزء الثاني

من

علماء إفْرِيقِيَّةَ

تأليف

محمدِ بن حارثِ بنِ أسدٍ الخُشَنيِّ

[بتجزئة الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى اللهُ على سيدنا ومولانا محمدٍ وآلهِ وصحبِه . وسلم

ٱلطَّبَقَةُ ٱلثَّانِيةُ ٱلَّتِى تَلِى هذه فى : السِّنِّ والإِدْرَاكِ

* * *

أبو الأسْوَدِ مُوسى بن عبدِ الرحمنِ القَطَّانْ

٣٨ مُوسى بنُ عبدِ الرحمن ، الْمُكَنَّى : بأبى الأسْوِدِ ؛ المعرُوفُ : بالقَطَّانِ . صَحِبَ محمدَ بن سَحنونٍ ، وسمِعَ منه . وكان : يُحسِنُ ٱلمسائلَ والتَّكلُّمَ فى الرَّأْيِ : علَى مَذهبِ مالكٍ وأصحابِه .

ولاَّه إبراهيمُ بن أحمدَ ، قضاءَ اطرابلس : فبَغَى وآذَى؛ وعَزَله وحَبَسَه . فكان مَحبوساً عندَه — فى الكَنيسةِ — دَهْراً ؛ ثم أطلَقَه .

* * *

أبو جَعْفرٍ أحمدُ بن نصرٍ

٣٩ وأبو جَعْفرٍ أحمدُ بنُ نَصْرٍ ؛ سمِعَ من محمدِ بن سَحنونٍ، ومن محمدِ بن عَبْدوس، ومن يوسُفَ بنِ يَحيَى المَغامىِّ . وكان : عالمًا مُتقدِّماً : بأصولِ ٱلعلمِ ؛ حاذِقاً : بالمُناظَرةِ فيه ؛ مَلِيًّا : بالشَّاهدِ والنَّظايرِ فيه .

وكان : صحيحَ ٱلمَذهَبِ ، سَليمَ ٱلقَلبِ ؛ بَعيداً من أخلاقِ الناس ، و يَلتزِمُون : من أسبابِ التَّصنُّعِ ، ووُجُوهِ التَّكلُّفِ : على مَعنى : التَّأدُّبِ والتَّزيُّنِ .

حضَرْته يوماً : ونحنُ عندَه وجماعةٌ — : من النَّاظِرِين فى المسائلِ ، والمُعنِيِّين بالمناظَرةِ . — حتى دخَلَ عليه محمدُ بن عبدِ اللهِ بنِ مَسَرَّةَ القُرطبيُّ ؛ فسَأ

وجَلَس جانباً ـ : وأنا لا أعرِفه ، ولا أحدٌ من المَجلسِ . ـ فرأيْته : يُقلِّبُ بَصَرَه فى وُجوهِ المُتكلِّمين ، ويُديلُ النَّظَرَ فيما بيْنَهم : فِعْلَ مَن قد رسَخَ : فى الصَّنعةِ ؛ وعرَف مانحنُ فيه . فلم أُشكَّ : أنَّه من أهلِ العِلمِ ؛ وما فَطِنَ بذلك منه ، غيرى وغيرُ فتًى ـ : من أصحابى . ـ يُعرَفُ : برَبيعٍ القطَّانِ .

وطالَ المَجلِسُ بنا : على تلك الحالِ ؛ حتَّى أظهرَ الشيخُ : التَّحركَ ؛ وأَوْمَأَ[1] : إلى القيام ؛ وتَدَاعَى أهلُ المجلِس : إلى النُّهوضِ ، فكرِهتُ أنا : أنْ أقومَ ؛ حتى أعرِفَ آخراً : مَنِ الرجلُ الدَّاخِلُ علينا ؟ . فثَبَتُّ .

فلمَّا خَفَّ المجلسُ : تَحَوَّلَ إليه أحمدُ بن نصرٍ ؛ فقال له ياشابُّ : جلَستَ منذُ اليومِ ؛ فهلْ مِن حاجةٍ تَذكُرُها ؟ .

فانْدَفَع محمدُ بن مَسَرَّةَ ـ بكلامٍ : مَصنوعٍ ؛ إلاَّ أنه حَسَنٌ من الكلامِ جَيِّدٌ ـ فقال : أَتيتُك : مُقتَبِساً من نُورِك ،ومُستَمِدًّا بعلمك إلى مايُشبِهُ هذا : من القولِ. وأتَى به : شَبيهاً بخُطبةٍ مُوجَزةٍ . ولا عَهدَ لأحمد بن نصرٍ : بمَن يخاطبُه بهذا الضَّربِ : من الخِطابِ .

فجعَل الشيخُ : يَنظُرُ إليه ، ويَفهَمُ عنه ؛ حتى أَتَى ابنُ مَسَرَّةَ : عَلَى ما أَحبَّ أنْ يَتكلَّمَ به ؛ ثم سكَتَ .

فكان جوابُ أحمدَ بنِ نَصرٍ له ـ فى ذلك كلِّه ـ : أنْ قال له : ياشابُّ ؛ هذه الصِّفةُ هى : فى القُبورِ ؛ رحِم اللهُ مَن كانتْ هذه صفتَه .

فوَضَع ابن مَسَرَّةَ يدَيْه : فى الأرض ؛ ثم قامَ وقُمنا بإثْرِه .

* * *

وكان : لا ينظرُ ، ولا يَتصرَّفُ فى شىءٍ : من العلمِ ؛ غيرِ مذهبِ مالكٍ

---

(١) بالأصل : « وأومى » ؛ والأولى ماأثبتنا : إن لم يكن الصحيح . انظر : المختار .

ومسائلِهِ . فكان : إذا سكتَ عنها : لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الصَّوابِ فى شىء من أمرِه . وإذا تكلَّمَ فيها : كان عالماً فائقاً .

وكان قد تولّى الكتابةَ للقاضى : حَمَاسِ بنِ مَرْوانَ ؛ هو وسالمُ بنُ حَمَاسٍ .

* * *

حَسنُ بن البَنَّاء

٤٠ ومن هذه الطبقةِ : حَسَنُ بنُ البَنَّاء ؛ إلاَّ : أنّه كان أفْخَمَ سُؤْدُدًا ، وأعظَمَ جاهاً .

وكان موتُه : فى صدْرِ دَوْلةِ عُبَيْدِ اللهِ .

كان : نبيلاً فاضِلاً ؛ ولاَّهُ إبراهيمُ بنُ أحمدَ قضاء (قصطاليةَ) ؛ فعَرَضَ له فيها مِثلُ الذى عَرَض لموسى القطَّانِ ، من أهلِ إطرابلس : سَعَوْا به ، وحَطَبوا فى حَبْلِه ؛ ورَفَعُوا عليه البَغْىَ عندَ إبراهيمَ : حتى عَثَرَ به ، وعَزَلَه : بعدَ أنْ كان له معَ جماعةٍ — : من وُجُوهِ البلدِ . — قِصَّةٌ عجيبةٌ .

وذلك : أنه قَدِمَ البريدُ إلى عاملِ (قصطالية) — : بعزْلِهِ وتَخْشيبِه ، ورفْعِهِ إلى حبْسِ رقادةَ . — فألْفَى العاملَ : غائباً ؛ وكاتبَه فى مكانِه : جالساً .

فقال الكاتبُ للبَريدِ : ما الذى جئتَ به فى هذا الكتابِ ؟.

قال : بعزْلِ ابنِ البَنَّاء ، وتَخْشيبِه .

فأرسَلَ : بالبُشْرَى ؛ إلى القومِ : الذين كانوا الأحوَنْ ، وبسببِهم نزلتْ به النّازلةُ .

فأتَوْا سِراعاً إلى دارِ العاملِ : فاخْتَبَرُوا ذلك ؛ فصَحَّ عندَهم ما أتى به البريدُ : من عزْلِهِ ، وتخْشيبِه .

فاسْتَخَفَّهُم السُّرورُ بذلك ، إلى أن قالوا : نَسيرُ إلى مجلس قضائه : فنشتِمه ونَتوَقَّعُه(١) ، ونَشْفى صُدورَنا منه .

---

(١) كذا بالأصل ؛ أى : نغتابه ونوجعه . انظر : المختار .

فأتَوْه فى مجلس حُكْمِه ـ : ولا عِلْمَ له بما أتى فيه من عندِ أميرِه . ـ فصَبُّوا عليه : من قَوارِعِ السَّبِّ ؛ ما أَحَبُّوا .

فلم يَشُكَّ الرجلُ : أنهم لم يَجْسُروا بذلك عليه ، إلاَّ : وقد أيقنوا بعَزْلِه . ونَظَر إلى نفسه ، فى مجلس قضائه : لم يُبَلَّغْ إليه العَزْلُ ؛ فقال : مَن ههنا من الأعوان ؟.

فابْتَدَرُوهُ ؛ فأمَرَ : بإمْساكِهِم ؛ ثم أمَرَ بهم إلى العَمودِ : رَجُلاً رَجُلًا ؛ فضُرِب كلُّ واحدٍ منهما : ضرباً وجيعاً ؛ وُنَكِّلَ بهم جميعاً . وأمرَ : بتَقْيِيدِهم فى الحديد ؛ وأوْدَعهم السِّجنَ . وساعَدَه القَدَرُ فيهم : فلم يَقْدَمْ العاملُ حتى نَفَّذَ فيهم كلَّ ما أحَبَّ .

ثم أتى العاملُ بإثْرِ ذلك : فأرسلَ فيه ، وأوْثَقَهُ ، وأرسلَه إلى رقادةَ .

فلمَّا قدِم رقادةَ : تولَّى مُناظَرَتَه ـ بينَ يَدَىْ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ـ [أ] بنُ عَبدونٍ فأبانَ ابنُ البنَّاء عن نفسِه ، وكَشفَ عن الشُّبَّةِ المَوْقوعَةِ إليه عليه .

فرَفَع إبراهيمُ رأسَه ـ إلى بَلاَغِ الفتى ـ فقال له بالصَّقْلَبيَّةِ : إنى أرى هذا الرجلَ، أسْتَحَقَّ : أنْ تُنزَعَ[1] قَلَنْسُوَةُ القاضى ، وتُجْعَلَ فى رأسه .

ثم بعدَ ذلك : ضَمَّه إبراهيمُ بنُ أحمدَ ، إلى كِتابةِ قاضيه : عيسى بنِ مِسكينٍ ؛ على الْوَجهِ الذى ذكرْتُه ـ قبلَ هذا ـ : عندَ ذِكْرِ عيسى بنِ مِسكينٍ[2] .

* * *

حَمْدُونٌ المعروفُ : بابنِ الطِّينة

ومن هذه الطَّبقةِ ، ثم رجالِ سَحنونٍ ـ :

٤١ حَمْدُونٌ ، المعروف : بابن الطينة ؛ وَلَّوْه قضاء (طينةَ) ؛ وكان بها زماناً .

---

(١) بالأصل : « ينزع » بالياء . والظاهر أنه تصحيف .

(٢) انظر : ص ١٩٤

أبو العبّاسِ بن بطريقةَ

٤٢ وأبو العبّاسِ بنُ بَطْريقةَ ؛ كان أيضاً : من رجالِ سَحنونٍ ، ومَعـدُوداً فى أصحابِه . ولُّو د قضاء إطرابلس .

* * *

دَحْمـانُ بنُ مُعافَى

٤٣ ودَحْمانُ بنُ مُعَافَى ؛ كان : شيخاً نبيلاً . عنـدَه علمٌ وحركةٌ ؛ من أصحاب سَحنونٍ . ماتَ : فى صدْرِ دولةِ عُبيدِ اُللّهِ .

* * *

عبـدُ اللهِ بنُ الحسنِ ؛ اُلمَعْرُوفُ : بابنِ العَبّادِىِّ

٤٤ وممَّن صحِبَ اُبنَ سحنونٍ : عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ ؛ اُلمعروفُ : بابنِ العبّادِىِّ .

كان : يَميلُ إلى النظَرِ ؛ وخرَجَ عن إفْرِيقِيَّةَ ، وَرحَل إلى بَغدادَ : فظَهَر بها سُؤدُدُه ، وعُرِف حقُّه .

وكان : قد أدْناه الوزيرُ من نفسِه ؛ فقَلّتْ دَخْلَةٌ كانتْ له، إلاّ به . وتَوصَّل إليه إضمارُه[1] كُتُباً : من كُتُبِ أهلِ الحوائجِ .

قال لى أحمدُ بن زيادٍ : ودعاه الوزيرُ إلى إدخالِه على الخليفةِ : فاسْتَعْفَى من ذلك ؛ ونَدَبَه إلى الارْتِزاقِ : فلم يَقبَلْ ؛ وقال : أنا مُوَسَّعٌ علىّ ؛ فما أصنَعُ بالرِّزق ؟ .

وحَكَى لى مِن خبرِه ، أحمدُ بن زيادٍ — وذلك : أنه كان بخَبَرِه خبيراً ؛ لِصداقةٍ كانتْ بينَه وبيْنَه . — قال :

كان ببغداذَ رجلٌ يُعرَفُ : بالشّعيرىِّ ؛ وكان كثيراً ما يَتحكَّكُ بابنِ العبّادىِّ

---

(١) أى إخفاؤه . وفى الأصل : « إضماره كتب » إلخ . وهو تحريف .

فى المُناظَرةِ ؛ فيُعرِضُ عنه أبنُ العبادىِّ : مُستقِلاً له . فلم يَزلْ بذلك: حتى أجتَمع معَه فى مجلسِ مَحفلِ جِنازةِ رجلٍ — : من وُجوهِ الناسِ . — فتَعرَّضه الشعيرىُّ وتحـكَّكَ به ؛ فأنبَرَى له أبنُ العبَّادى ، وحَقَّق عليه المناظرةَ : ففَضَحه .

واتَّصلَ بذلك قِصةٌ أُخرى ؛ وذلك : أنه دَخَل أبنُ العبَّادىِّ عَلَى رجلٍ : من وُجوهِ التُّجارِ ؛ يَعودُه فى مرضِه . فقال الرجلُ المريضُ : وُصِفَ لى : أن آخُذَ التَّرَنْجُبِينَ .

فقال أبنُ العبَّادىِّ : أُعيذُكَ باللهِ ؛ إنه [أو] إنما هو الطَّرَنْجُبِينُ .

فحَقَد عليه ذلك الرجلُ ؛ ونَفَذ حِقْدُه إلى [أن] رَفَع عَلَى أبنِ العبَّادىِّ إلى الخليفةِ — وأعانَه عَلَى ذلك الشعيرىُّ — : أنْ قد وَجَد بيِّنةً — : من أهلِ القَيْرَوان . — تَشهَدُ[1] عَلَى عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ : بالتَّعطيلِ ، وأنه إنما خَرَج هارباً : إذْ نَزَل بالفَزَارى ما نَزَل .

فأخْرَج الخليفةُ البِطاقةَ إلى الوزيرِ ؛ فرَفَع[2] وقال: ألرجلُ محسودٌ عَلَى ما أوتِىَ : من العلمِ والنَّباهةِ ؛ والذى يَدُلُّ على ذلك : أنَّ الشعيرىَّ ناظَرَه فى مَحفلٍ : فلم تَقُمْ له قائمةٌ معَه ؛ وهذا الرجلُ (فلانٌ التاجرُ) حَقَد عليه لوجهِ كذا .

قال له الخليفةُ : فما الرأىُ ؟ .

قال : إنَّ الذين ألَّبُوا عليه الأذى ، ببابِك : يَنتظِرون ما تأمُرُ به فيما رُفِع إليك ؛ فلو أخرجْتَ إليهم مَن يَزجُرهم عنه ، ويُواعِدُهم فى ذلك — : كان وَجْهَ الرَّأى .

فخَرَج مِن لَدُن الخليفـةِ هاتِفٌ ، فهتَف عَلَى بابِ القَصرِ : مَن تَكلَّمَ فى عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ القروىِّ — بلَفظةٍ قبيحةٍ — : فجزاؤه خلعُ اللِّسانِ .

---

(١) وردت هذه الـكلمة بالأصل ، بعد كلمة : « بينة » .

(٢) أى أخبر الوزير الخليفة بحقيقة القصة ، وفى الأصل : «ورفع» ؛ وهو تصحيف .

ابن الرحمة

٤٥ وممّن صحِبَ ابنَ سحنونٍ ، رجلٌ يعرفُ : بابن الرحمة . كان له قبله طلبٌ ؛ وكان : يميلُ إلى النظرِ . فكان ابنُ سحنونٍ يستثقله : لذلك ؛ ولأنه كان يختلِفُ إلى غيرِه : من أهلِ المناظرةِ .

ودارتْ عليه مِحْنةٌ في مجلسِ ابنِ سحنونٍ : فانْقبَض عنه .

* * *

أبو القاسم الطّوريّ

٤٦ ومن أصحابِ ابن سحنونٍ : أبو القاسم الطّوريُّ ؛ وُلِّيَ مظالمَ القيْرَوانِ : في آخرِ دَولةِ الأغالِبةِ . فكان : صارِماً مُنفّذاً ، محموداً في أمورِه . أدركْتُه : وقد أزْمَنَ ؛ وقرأْنا عليه كثيراً : من كتُبِ ابنِ سحنونٍ .

وكان ــ في حينِ نظرِه في المظالِمِ ــ : ظَرِيفاً مَليحاً ؛ كان : إذا وَجَب عَلَى الرجل السِّجنُ ــ وهو في الحينِ الذي يَجِبُ عليه ذلك ــ : اُستَصْحَبه ، وسألَه : البُلوغَ معه في حاجةٍ ؛ وضاحَكَه ؛ ويأْخذُ به إلى طريقِ السجنِ . فإذا وَقَف به عَلَى السجنِ ، قال له : اُصعَدْ ؛ وسننظرُ في أمرِك . فكان : إذا نُظِرَ إليه يَقصِدُ السجنَ : فَزِع كلُّ مَن كان يَمشي معَه .

وأُتِيَ يوماً : من الأيامِ ؛ برجلٍ : فيه حَرَكَةٌ وغَلَيانٌ ؛ لانقطاعٍ كان له إلى بعضِ الملوكِ . فقال له : اُصعدْ إلى السجنِ . فقال له : لا تَفعَلْ . فقال : قد فعلتُ .

فلمّا صار المسجونُ في رأسِ السُّلَّمِ ، قال لِصاحبِ المظالِمِ : ستَعرِفُ .

فأَنزَلَه : فضَرَبه ؛ وقال له : تظَلَّمِ الآنَ ، وهَدِّدْني تهديداً كاملاً .

* * *

أبو محمد بنُ حَكْمُون

٤٧ ومن أصحاب ابنِ سَحنونٍ : أبو محمدٍ بنُ حَكْمُونٍ . كان : شيخاً فاضلاً ، دَيِّناً عاقلاً ؛ وكانتْ له رِحْلةٌ : سمع فيها مِن رجالِ المَشرقِ ، وكان الغالبُ عليه : العبادةَ ، وسُكْنَى الرِّباطِ .

دخلْتُ عليه سنةَ سبعٍ وثلاثِ مائةٍ ، فسألْتُه : أنْ يُجيزَ لى كُتُبَه ؛ فأسْعَفَنى بذلك ، وكَتَب لى الإجازةَ : بخَطِّ يدِه . ثم ماتَ (رحمه الله) مِن بعدُ . فلمَّا صرتُ إلى حالِ الضَّبطِ ، سألتُ ولَدَهُ : فأباحَ لى كُتُبَه ؛ فانتَخَبْتُ منها ما كان لى فيه — ذلك الوقتَ — حاجةٌ .

* * *

ابنُ أبى الوَليدِ الخَطيبُ

ومن أصحابِ ابنِ سَحنونٍ : ابنُ أبى الوليدِ الخطيبُ .

٤٨ كان يخطُبُ على مِنبَرِ القيْرَوانِ ، فيقولُ الناسُ : إنه لم يَرْقَ عَلَى أعْوادِه أخْطَبُ منه .

كان علمُه : علماً مُقدَّراً ؛ لم يكنْ بالذى لا يُعَدُّلُه .

كان ابنُ طالبٍ يُحكى عنه : أنه قال : أهَمَّتْنى عِلَّةُ مسألةٍ ؛ فجعلْتُ أسألُ عنها كلَّ مَن يَدْخُلُ إلىَّ — : ممَّن نَظَر فى العلمِ . — فلا أجِد فيها عند أحدٍ ما يُعجِبُنى . (قال) : فدَخَلَ إلىَّ ابنُ أبى الوليدِ ، فسألْتُه[1] عنها : فقال ؛ فأتانى فى ذلك بكلامٍ : كأنه النارُ . (قال) : فعَظُم فى عينى .

(قال) : ثم سألْتُه بعدَ برهةٍ عن ذلك الشىء بعينِه — وقد حفظْتُ كلامَه الأوّلَ — (قال) : فما أتَى بطائلٍ . (قال) : فقلتُ : رَمْيَةٌ من غيرِ رامٍ .

---

(١) بالأصل : « فسأله » ؛ وهو تحريف . وقوله : فقال ؛ معناه : فأجاب .

قال محمدٌ : ولَعَمْرِى ما أنصَفَ أبو العباسِ (رحمه الله) : لأنه ليس مِن سمة ابن آدمَ : أن يحفظَ كلَّ صوابٍ ينطِقُ به ، فلا يَنساهُ مِن بعدُ .

* * *

أبو سعيدٍ محمدُ بن محمدِ بن سَحنونٍ

٤٩ وأبو سعيدٍ محمدُ بن محمدِ بنِ سحنونٍ ؛ سَمِع من أبيه : فيما أظنُّ . وكان : منسوباً إلى العلمِ ؛ ولكنْ : غلَبتْ عليه العبادةُ . وكان : جَليلَ القدرِ بحديثه وقديمه .

* * *

أبو عثمانَ الخَوْلانىُّ

٥٠ وأبو عثمانَ الخَوْلانىَّ ؛ ساكنُ المنستيرِ للرِّباطِ . سَمِع : من ابنِ سَحنونٍ ، ومن أبى عِمرانَ المِقْدادِ ، ومن غيره : من شُيوخِ القَيْرَوانِ .

لَقِيتُه : سنةَ عشرٍ وثلاثِ مِائةٍ ؛ وكتَبْتُ عنه حديثاً كثيراً : فى غيرِ ما فَنٍّ .

وقال لى : رأيتُ سَحنوناً جالساً فى مجلسِ قضائه : فى مسجدِ القَيْرَوانِ . ولكنْ : لم يَسْمع منه شيئاً .

وكان أبو عثمانَ هذا : قد عَمَّرَ ؛ قال لى — سنةَ عشرٍ وثلاثِ مائةٍ — : أنا ابن خمسٍ أو سبعٍ وتسعينَ . وخَرجتُ أنا من إفريقيَّةَ : وهى حىٌّ ؛ ولا أدرى : أىَّ سنةٍ ماتَ رحمه الله ؟ .

وكان : من أهلِ العبادةِ الدَّائمةِ والفَضلِ ؛ وكانتْ فيه غَفلةُ[1] الشيوخِ . أشْخَصَه عُبيدُ اللهِ إلى نفسه وخاطَبَه ، ثم صَرَفه سالماً .

---

(١) بالأصل : « غلفة » ؛ ولعله مصحف عن ذلك ، أو عن : « عقلية » . إلا : إن ثبت أنه يستعمل بمعنى : عدم الوعى . فراجع المختار والمصباح : (غلف) .

* * *

أبو الغُصْنِ الغَرابيلِيُّ

٥١ قال محمدٌ : ومن أصحابِ ابنِ عبدُوسٍ : أبو الغصنِ الغَرابيلِيُّ .

كان : فقيه البدَنِ ، عالماً مُحرِّراً .

قال لى عنه لُقمانُ بن يوسُفَ : إنه قال : أول ماابتدأْتُ بطلَبِ العلمِ : اختلفْتُ إلى محمد بن سحنونٍ ، وكتَبتُ مِن كتُبِه ، وأخذْتُ فى الدَّرسِ .

(قال) : فكنتُ آتيهِ : فأسألُه المسائلَ — : ممَّا ألَّف فى كتُبه . — فكان : رُبما أجابنى من نظَرِه : بغيرِ الذى نَصَبَ فى كتُبه ؛ فأقولُ له : فى كتابِك غيرُ هذا ؛ وكلامُك أحسنُ ممَّا فى كتابِك .

فلمَّا شَعَر بمثلِ هذا : كان لا يُجيبُنى ، ويقولُ لى — إذا سألْتُه — : ارجِعْ إلى كتُبِك ، وانظرْ ما فيها .

(قال) : فلمَّا رأيْتُ ذلك : انحرَفْتُ إلى عبدِ الله بن سهلٍ ؛ فكنتُ معَه أياماً : حتَّى أُخرِجَ قاضياً إلى صِقِلِّيَّةَ ؛ فمِلْتُ إلى محمدِ بن عبدوسٍ : فما مرَّت لى معه إلاَّ أشهرٌ يسيرةٌ : حتى بِنْتُ عن جميع أصحابى : فى الفِقهِ .

وكان أبو الغُصْنِ : فاضِلاً عابداً ، حَليماً مُتواضعاً ؛ حسنَ الأخلاقِ .

حَكى لى عنه غيرُ ما واحدٍ : قال : دخل أبو الغُصْنِ الغَرابيلِيُّ ، عَلَى محمدِ بن بِسْطامٍ — : يَعُودُه مع جملةِ عُوّادٍ ؛ فلم يَرَهُ ابنُ بسطامٍ : لمَّا دخَل . وكانتْ فى ابن بِسطامٍ: زَعارَّةُ[1] أخلاقٍ ؛ فجعَل يقول: أرأيتُم هذا العبدَ (يَعنِى: أبا الغصن):

---

(١) أى : شراسة ؛ كما فى المختار .

كيف لم يَعُدْني في مرضي ؟ فقال له أبو الغصن : ها أنا ذا حاضِرٌ في جِوارِكَ : يا سيدى يا أبا عبدِ اللهِ . فاستحيي ابْنُ بِسطامٍ .

وكان أبو الغُصْنِ : لَقِيَ محمدَ بن عبدِ اللهِ بن عبدِ الحَكَمِ ، ومحمد بن إبراهيمَ المَوّازَ ، وغيرَهما : من حُذّاقِ الفُقهاء .

* * *

محمدُ بنُ بِسْطامٍ

٥٢ ومحمدُ بنُ بِسْطام ؛ كانت له رحلةٌ ؛ وأدخلَ القيْرَوانَ - : من فقه رجالِ مالكٍ . - كتُباً غريبةً ؛ مثل : كتُبِ المغيرةِ ، وكتُبِ ابن كِنانةَ ، وكتُبِ ابن دينارٍ . وكان : يُغرِبُ بمسائلِها علَى أصحابه ؛ ولم يكنْ فقيهاً .

وكان : يَميلُ إلى مذهبِ ابْنِ عَبدُوسٍ : في الوَقفِ في مسألةِ الإيمانِ(١) .

* * *

أبو جَعفرٍ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ زِيادٍ

٥٣ وأبو جَعفرٍ : أحمدُ بن أحمدَ بنِ زِيادٍ ؛ كان مذهبُه : النظرَ ؛ وصَحِبَ محمدَ بن عَبدوسٍ ، وسمِعَ من محمد بن يحيى بن سلام : تفسيرَ القرآنِ ؛ فكان فيه غالياً .

وسمِعَ من ابْنِ تميمٍ القفصيِّ ، كتُبَ أنسِ بن عَياضٍ وكان فيها (أيضاً) غالياً .

وكان : يَكتُبُ لعيسى بنِ مِسكينٍ ، السِّجلّاتِ والأحكامَ . وله في الوثاقِ والشُّروطِ عشْرةُ أجزاءٍ ؛ وله كتب : في أحكام القرآنِ ؛ وله كتابٌ حسنٌ : في مَواقيتِ الصلاةِ .

وكان : بَصيراً باللُّغةِ ؛ وكان : بليغَ القلمِ .

---

(١) انظر ص ٢٩٦ .

وكان : من ذَوِى ٱلجاهِ ، ومن ذَوِى ٱلمروءاتِ الـكاملةِ ، ومن أهلِ النِّعمِ فى مَنْشإه .

ثم : ٱمْتُحِن فى آخرِ عُمرِه : بمَغارِمِ ٱلسُّلطانِ الحادثةِ عَلَى أهـلِ الضِّياعِ ؛ فانـكَشَفَ ، وأكَبَّ عليه الغُرمُ والإقْلالُ ؛ وتَكاملَتْ عليه — معَ ذلك — ٱلمَغـارِمُ .

فلَجأ بنفْسِه إلى محمدِ بن أحمدَ البغداذىِّ : مُتَوسِّلا به إلى عُبيدِ اللهِ ، يسألُه : التَّخْفيفَ بأىِّ وَجْهٍ رآه .

فأعظَمَ البغداذى قصْدَه ، وهَشَّ إلى حاجتِه ؛ وقال : إنَّ هذه المَغارِمَ لم يَفتح السلطانُ قطُّ فيها باباً — : من التَّخفيفِ . — لولدٍ : من أولادِه؛ ولا لقائدٍ : من قُوَّادِه . ولـكنْ نَسألُه لك صِلةً : تَستعينُ بها عَلَى دهرِك . ولـكنْ : كَمْ تُحبُّ أنْ نَسألَه لك : من المالِ ؟ .

فقال له أحمدُ بن زيادٍ : تسألُه عِدَّةَ ما علىَّ : من المَغْرَمِ ؛ تَحسْبِى : أن آخُذَها منه ، ثم أخرُجَ من فَوْرِى بها : فأُرِيَها لصاحبِ الدِّيوانِ ، وأتفرجَ من المَغْرَمِ وتَخلُصَ لى غَـلَّةُ عامِى : من الزَّيْتونِ .

(قال لى أحمدُ بن زيادٍ) : فقال لى البغداذىُّ : وكَمْ عِدَّةُ ذلك ؟ .

فقلت[1] : ستون مثقالاً .

(قال) : فقال لى : دَعْنى أسألْه لك فى ثلاثِ مائةِ مثقالٍ : فتَغْرَمَ منهـا ما عليك ، وتَستعينَ بها على دهرِك .

(قال) : فأبيْتُ عليه ٱلزيادةَ على المَغْرَمِ .

(قال) : فقال : ٱكتُبْ كتابَك ، وسَلْ جعفراً الحاجبَ : رَفْعَه إلى السُّلطانِ بحَضْرَتى .

---

(١) هذا هو الظاهر . وفى الأصل : « فقال » . ولعله مصحف .

(قال) : ففعلتُ .

(قال) : فسأل عُبيدُ اللهِ : عن اُسمِه وحالِه وقَدْرِه : فتولَّى البغداديُّ الكلامَ : فأثنَى ووصَفَ ؛ ثم خَتَمَ له القولَ بأنْ قال : ومثلُه لا يقصدُ مثلَك : وينصرفُ خائباً .

فقال : وما مقدارُ ما يحتاجُ إليه ؟ .

فقال له البغداديُّ : ستُّونَ مثقالاً .

فأمرَ بها : فوُزِنَتْ له ؛ وخرَج بها جعفرٌ الحاجبُ إليه : فقبَضها ؛ وخرج : فوزَنها فى الدِّيوانِ ؛ وانصرفَ فارِغَ اليدَيْنِ من مالِه،واقتصرَ على غَلَّةِ عامِه .

تُوفِّىَ : سنةَ ثمانَ عشْرَةَ وثلاثِ مائةٍ

* * *

أبو عبدِ اللهِ الأبْزارىُّ ، المعروفُ : بالضَّريرِ

٥٤ وأبو عبدِ اللهِ الأبْزارىُّ ، المعروفُ : بالضَّريرِ . كان به طَرَفٌ : من جُذامٍ .

سمعتُ الشُّيوخَ يَصِفُونه : بالحِفظِ ، وحُسنِ القَريحةِ ، وكمالِ العنايةِ .

وكان قديمَ الموتِ ، لم : أُدرِكْه . كان مَعدوداً : فى طبقةِ الحُفّاظِ بالمسائلِ .

* * *

أبو بكرٍ محمدُ بن محمدٍ الطَّمارُ

٥٥ ومن أصحابِ يَحيى بنِ عُمَر : أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدٍ الطَّمارُ . سمع من يحيى ، ومن جميعِ الشيوخِ : الذين كانوا فى عَصرِه .

لم تَكنْ عندَه : رِحلةٌ ولا حجٌّ : عنده حِفظٌ وجَمعٌ كثيرٌ للكُتُبِ . ويَغلِبُ علَى أخلاقِه : الغِلظةُ ، والفَظاظةُ ، وشدّةُ الحرجِ .

وهو ـ اليومَ ـ مُنتَصِبٌ للسَّماعِ : يقرأ عليه أهلُ الطَّلبِ . وكان مُتَوَلِّياً لِكتابة ابنِ الخَشَّاب : إذ كان على مظالمِ القَيْرَوانِ .

* * *

أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ

٥٦ وأبو جَعفرٍ : أحمدُ بنُ محمد بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ ؛ نُسِبَ إلى : « القَصْرِ القَديمِ » وهو : قصرُ ابنِ الأغْلبِ الذى كان دارَ مُلكِهم : بيْنَ يدَىْ حاضِرةِ القَيْرَوانِ ، من جِهةِ قِبلتِها ، علَى مَسيرةِ ميلَيْنِ . سَكنه الناس والعَوامُّ : بعدَ انتِقالِ بنى الأغلبِ عنه .

سمع : من يحيى بنِ عُمَر ، ومن المغامى ، ومن سُليمانَ بن سالمٍ ، ومن عبدِ الله ابنِ أحمد بن طالبٍ ، ومن أحمدَ بنِ يزيد ، ومن كل مَن عندَه عِلْمٌ .

وكان جَمّاعاً ، كثيرَ الكتُبِ ؛ يمَيلُ إلى علمِ الحديثِ . ولم يكنْ عندَه حِفظٌ ، ولا قَرِيحةٌ . وسمِعْنا منه غيرَ ماشيء : من صنوف العلْمِ .

* * *

لُقمانُ بنُ يوسفَ

٥٧ ولُقمانُ بنُ يوسُفَ ؛ لَقِيتُه بتُونُسَ . كان : حافِظاً لمذهبِ[1] مالكٍ ، حَسنَ القَريحةِ فيه .

سمع : من يحيى بن عمر، ومن عيسى بن مِسكين ، ومن غيرهما : من أهلِ القَيْرَوانِ . ورَحَل حاجًّا : فسمِع بمصرَ حديثاً كثيراً ؛ وسكَنَ جزيرة صِقِلِّيَّةَ أعواماً .

وكان : عالماً باللُّغةِ وبَصيراً بالحديث ، وعارفاً بالرِّجالِ . وكانَ : يميلُ إلى معنى ابنِ عبدوسٍ : فى فِقهِه فى مسألةِ الإيمانِ ؛ وفى جميعِ مَعانِيه[2] .

تُوُفِّىَ : سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

---

(١) بالأصل : « بمذهب » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه . (٢) انظر ص ٢٠٦ .

وكان : من آنَس ٱلناسِ : مَجلِساً ؛ وأغْزَرِهم : حديثاً وخَبراً ؛ وأعرَفِهم : بأخبارِ ٱلقَيْرَوانِ ، وأخبارِ شيوخِها .

* * *

أحمدُ بنُ موسَى ٱلتَّمَّارُ

٥٨ وأحمدُ بن موسَى ٱلتَّمَّارُ ؛ سمِع من يَحيى بنِ عُمَر : علماً كثيراً ؛ وواظَبَ عَلَى سَعيد بن الحدَّادِ : فغَلبَتْ عليه مَعانيه .

يَتكلَّمُ : فى ٱلفقهِ والمسائِلِ ، وفى ٱلنظَرِ واختلافِ ٱلناسِ ، ويُعْنَى : بالمُناظَرةِ والجَدَلِ ؛ ويَتكلَّمُ : فى اللُّغةِ .

وهو ـ فى الجُمْلةِ ـ : كثيرُ ٱلتَّصَرُّفِ ، جَميلُ الأدبِ ، كَريمُ ٱلمروءةِ ، كاملُ الأخلاقِ ، كثيرُ الأخبارِ والحِكاياتِ .

* * *

ٱبنُ أبى حَفْصٍ

٥٩ وابن أبى حَفْصٍ ؛ أُراهُ المكَنَّى : بأبى إسحاقَ . سمِعَ : من يَحيى بنِ عُمَر ، ومن غيرِه . وكان : جَيِّدَ العقل ، حَسنَ ٱلحِكاياتِ ؛ يَميلُ : إلى النظَرِ .

حَكَى لى عنه بعضُ إخْوانى ـ ولم أسمَعْه منه ـ : أنه أتاه ٱبنُ الأشَجِّ : فى كتابٍ يَستَعيرُه منه ؛ فقال له ٱبنُ أبى حَفصٍ : علىَّ فيه يَمينٌ : أن لا أُعيرَه .

فقال له : تُكفِّرُ عن يَمينِك .

فقال له : هى من ٱلأيمانِ : التى لا تُكفَّرُ .

قال له : وما ٱليَمينُ ؟ .

قال : المَشىُ إلى مكةَ[1] .

---

(١) راجع فى هذا البحث : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى (ص ٣٠٠) .

قال له ابنُ الأشَجِّ : فإن عائشةَ تذهبُ في المشيِ : إلى كفّارةِ اليمينِ ؛ وقد قال النبيُّ [صلى الله عليه وآله وسلم] : خذُوا ثلثَ دينكم عن عائشةَ .

قال له ابنُ أبي حفصٍ : فقولُها في المشيِ ، من الثلثَيْنِ الذَيْنِ لم تؤمَرْ : بأخذِهما عنها .

وخُتِم له ـ في آخرِ عمرِه ـ : بالشَّهادةِ ؛ وذلك : أنه كان مَليًّا كثيرَ النَّاضِّ ؛ وكان مُفرداً وَحيداً ؛ ولم تكن معه ـ في دارِه ـ غيرَ جاريةٍ له ؛ فنزلَ عليه في اللّيلِ : من ذبَحه ، وذَبح جاريتَه ؛ وأخذَ جميعَ المالِ .

* * *

أحمدُ بن يَزِيدَ

٦٠ وأحمدُ بن يزيدَ سَمِع : من موسَى بن مُعاويةَ الصُّمادِحيّ ، ومن غيرِه : من رجالِ القَيْرَوانِ .

حدثَنا عنه أحمدُ بن عبدِ اللهِ القَصْرِيُّ ، وغيرُه : من الشيوخِ . وكان : تغلِبُ عليه الروايةُ والتَّقييدُ ؛ لم أعلمْ :أنه نُسبَ إليه علمُ فقهٍ .

* * *

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن أبي زاهرٍ

٦١ وأبو عبدِ اللهِ محمدبنأبيزاهرٍ : أدركْتُه: شيخاً كبيراً . سمع : من شيوخِ القَيْرَوانِ ؛ وحجَّ : فلقِي محمدَ بن عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكَمِ : وسَمِع منه .

* * *

أبو العَربِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ تميمٍ

٦٢ وأبو العربِ : محمدُ بن أحمدَ بنِ تميمٍ : مؤلفُ كتابِ طبَقاتِ رجالِ إفْريقيّةَ .

سَمِعَ من جماعةٍ : من شيوخِ سحنونٍ : تغلبُ عليه الرِّوايةُ والجمعُ ؛ ولم أحس[1] عنده : علماً ، ولا فقهاً .

* * *

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن أبي المنظورِ الأندلسيُّ

٦٣ وأبو عبدِ اللهِ : محمدُ بن أبي المنظورِ الأندلسيُّ : هو : ساكنٌ موطنٌ بالقيْروانِ .

عندَه : روايةٌ وإدراكٌ ؛ لقِيَ الدبريَّ بصنْعاءَ ، وسمع منه : كتابَ عبدِ الرزّاقِ : في اختلافِ الناسِ في الفقه ؛ وكَتَب علماً كثيراً .

تخلَّى : بالتَّجْرِ ؛ وأغلق عن نفسِه بابَ : العلمِ والسَّماعِ ؛ واعتذرَ : بأنه[2] لزِمَتْه يمينٌ غليظةٌ : أن لا يُسمِع أحداً : من أهلِ القيْروانِ . فربَّما أتاه الرجلُ الغريبُ : فيُسمِعه .

* * *

أبو عليٍّ المنصوريُّ ، المعروفُ بالسِّيرافيِّ

٦٤ ومن الغرباءِ الطُّرّاءِ : أبو عليٍّ المنصوريُّ المعروفُ : بالسِّيرافيِّ .

كانت عندَه : روايةٌ وكتبٌ سمعها .

وكان : يغلِبُ عليه التَّجْرُ ؛ وماتَ بالقيْروانِ : فدارتْ على كلِّ مَن كان يُعامِلُه في حياتِه ، دائرةٌ : بعدَ موتِه . وذلك : أنه كتَب بخطِّ يدِه ـ على قومٍ ـ : ما لم يكن لهم به ؛ ولم يكتبْ الاقتضاءَ . فغرَّم الشيعيُّ الناسَ : تلك الأموالَ : ثانيةً .

* * *

---

(١) بالأصل : « احسن » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « لأنه » ؛ ولعله تصحيف .

مالكُ بنُ عيسَى ٱلقفصيُّ

٦٥ ومالكُ بن عيسى ٱلقفصيُّ ؛ كانتْ له رحْلةٌ : فى طلَبِ ٱلحديثِ ؛ وكان : به بَصيراً ، وفى علمِه نافذاً . وأخذَ منه جَماعةٌ : من الناس .

وامتحنَه عُبيدُ ٱللهِ الشِّيعيُّ : بصُحْبَتِه ، وبتَعديلِ ٱلأرضِ له : لِتَوظيفِ ٱلخَراجِ ، ٱلذى يُسمِّيه : ٱلمقسَّطَ .

وسمِعتُ مَن يقولُ : إنَّه لو عاشَ قليلاً ، وامتدَّ به العُمرُ — : لَغلَبَ على أهلِ ٱلقَيْروان ، علمُ ٱلحديث .

قال لى لُقمانُ : أتاه أبو ٱلعبَّاسِ بنُ ٱلبيَّانيِّ — وكان أبو العباسِ هذا : من أصحابِ لُقمانَ . — فقال له : حدِّثْنى ؛ ولا تُحدِّثْنى إلاَّ : بما يُوافقُ مَذهبى .

فعطَف مالكُ بن عيسى ، عَلَى الناسِ — فقال لهم : هذا رجلٌ : لا يُحبُّ أنْ يكونَ عالمًا .

وقال سعيدُ بن ٱلخرَّاطِ : أخْرجْتُ مالكاً يوماً من الحديثِ ، إلى غيرِه ؛ فكأنِّى أجُرُّ ثَوْراً .

وكان سَعيدٌ يقولُ : لوعلمتُ أنَّ يَقظَةَ مالكِ بن عيسى ، أنبَهُ من نَوْمى — : لأزْرَيْتُ عَلَى نفْسى .

* * *

أبو سَعيدٍ المعروفُ بالوَكيلِ

٦٦ وأبو سَعيدٍ ٱلمعروفُ : بالوَكيلِ ؛ ابنُ أختِ يزيد بن سِنانٍ . كان : من أهل العِنايةِ بالحديثِ ؛ كان : يَحفظُ أربعةَ آلافِ حديثٍ ظاهراً .

وكان : من ذَوِى الأموالِ الوافِرةِ ؛ ماتَ : فى صَدْرِ دَولةِ عُبيدِ الله ؛ فلمَّا ماتَ : نَزَل أبو معلمٍ السكتاميُّ ، وابنُ أبى خنزيرٍ ، وأبو زيدٍ ٱلباهِرىُّ — :

على دارِه ؛ فأخذوا من دارِه : أربعينَ ألفَ مثقالٍ سوى البَزِّ والجوهرِ ؛ وضرَبوا ابنَه بالسياطِ .

وهو : عبدُ الرحمن بنُ عُبيدِ بنِ أحمد بنِ الحَكمِ بن عيسى بنِ عبَّادٍ البَصْريُّ، وابنُه أبو محمدٍ الحسنُ : كان من أهلِ الأدبِ .

* * *

أبو بكرٍ ، المعروفُ بالوَكيلِ

٦٧ وأبو بكرٍ المعروفُ : بالوَكيلِ ؛ كان سكْناه : في سِماطِ العَطّارينَ بالقَيْروان، جِوارَ دارِ أبي سعيدٍ الوَكيلِ .

سمعتُ مَن نَسَبَ إليه : طلَباً للعلمِ ، وعِنايةً بالحديثِ . ولستُ أعرفُ منه غيرَ ذلك .

* * *

أبو حبيبٍ نَصْرٌ التَّسوريُّ

٦٨ وأبو حبيبٍ نَصْرٌ التَّسوريُّ ؛ سَمِع من غيرِ واحدٍ : من أهلِ العلمِ بالقيروانِ؛ وهو — اليومَ — : يَقرأُ عليه بعضُ الناسِ .

أبو جعفرِ بنُ خَيْرون

٦٩ وأبو جعفرِ بنُ خَيْرونٍ ؛ كان له طلبٌ وعِنايةٌ ورِحْلةٌ ؛ وأدخَلَ بعضَ كتُبِ داودَ القَيْرَوانَ .

بلغَني : أنَّهُ كان ألَّفَ لعُبيدِ اللهِ كتابَ نَسَبِ الشيعةِ وأخبارِهم .

وكان : مرَشَّحاً للقضاء؛ وكان محمدُ بن عمرَ المَرْوذيُّ — فيما قيلَ لي — : يَغَصّ به ؛ وهو الذي سعَى به : حتى قتِل ابنُ خَيْرونٍ .

* * *

الكَبْشُ

٧٠ وكان بالقَيْرَوانِ رجلٌ يُعرَفُ : بالكَبْشِ وكان له طَلَبٌ : وهو كان القارئَ عَلَى يَحيَى بنِ عُمَر : كان يَجلسُ في الجامعِ على كُرْسيّ ، ويَقرأُ للناسِ : عَلَى يَحيَى بن عُمَر .

دخَلَ على إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، فقال له : ممَّنْ أنتَ ؟ قال : من قَيْسٍ .

قال : ممَّن مِن قيسٍ ؟ قال : لا أدرى .

قال : أنتَ أوْلَى أنْ يقالَ فيك : اَلتَّيْسُ ؛ من أن يُقال فيك : الكَبْشُ .

* * *

إبرٰهيمُ بنُ اَلْخَشَّابِ

٧١ وإبراهيمُ بن اَلْخَشّابِ ؛ وَلِيَ المظالمَ لابن طالبٍ ، ثم وَلِيَها لابنِ مِسْكينٍ : ثم ولاّه زِيادَةُ اللّهِ القضاء ، ولم يعزِلْه حتى هرَب .

لم يكنْ عندَه علمٌ ولا حِفظٌ ؛ ولكن كان : ممَّنْ أظهرَه الجدُّ ، وأقامَتْه العِنايةُ .

حَكى لى عنه بعضُ إخوانى ؛ قال : سمِعتُه يقولُ :

« يَخطُبُ ناسٌ القضاء : بتَحْسِينِ أبْوابِهم ، وتَهْيِئةِ سقائفِهم ؛ وأنا بابِى صغيرٌ ، وجِدارِى طوبٌ : وقد عَفِنْتُ في القضاءِ . ! » .

وقال لى بعضُ الفقهاء : عُذِلَ ابنُ طالبٍ في تقديمِ ابن الخَشّابِ : على أنه لاعلمَ عندَه ؛ وترْكِ أهلِ الفَهْمِ : على كثرَتِهم بالقَيْرَوان .

فقال : إنّ أهلَ الفَهم قائمون بأنفسِهم ؛ وأردتُ : أنْ أُنْهِضَ من لا فَهْمَ عندَه ، ولا علمَ :

* * *

ابنُ أبي سَمْحانَ

٧٢ وابنُ أبي سَمْحانَ ؛ كان : قد وُلِّيَ قضاءَ بعض الكُورِ ؛ وكان : نظيرَ ابنِ الخَشّابِ في جميع مَعانيه .

حَكَى لى حاكٍ : أنه قال رجلٌ لِسعيدِ بن الحدّادِ : يا أباعُثمانَ ؛ مَنْ أعلمُ : أبن الخشّابِ ؟ أو ابنُ سَمْحانَ ؟ .

فقال : إنْ سألتَني: أيُّهما أغْرَقُ في الجَهْلِ ؟ أنْبأْتُك؛ وأمّا أعلَمُ(١) : فما علِمتُه.

* * *

عبدُ اللهِ بن مَسْرورٍ ، المعروفُ بابن الحَجّامِ

٧٣ وعبدُ اللهِ بنُ مَسْرورٍ ، المعروفُ : بابنِ الحجّامِ ؛ سَمِع : من عيسَى بنِ مِسكينٍ ، ومن يَحيَى بنِ عُمَرَ — فيما أُرَى — ومن غيرِهما : من شيوخ القَيْرَوانِ .

يَغلِبُ عليه الجَمعُ والتَّقْييدُ ، وإسماعُ ما رَوَى : من الكُتُبِ . وما علِمتُ له حظًّا : في فِقهٍ ؛ ولا يَقطَعُ في كلامٍ : وهو اليومَ : يُقْرَأُ(٢) عليه كُتُبُه .

* * *

أبو محمدٍ الغَنمِيُّ

٧٤ وأبو محمدٍ الغَنمِيُّ ؛ شيخٌ فاضلٌ : من أهلِ الصيامِ والقيامِ والعبادةِ .

كان : يتكلّمُ في المُدَوَّنةِ ، وفي كتابِ أشْهبَ ، وفي كتابِ عبدِ المَلِكِ .

وكان : جَيِّدَ العقل ، كثيرَ الإنْصافِ ، طَويلَ الصَّمْتِ . شهدتُه يوماً — من الأيامِ — عنــدَ أحمدَ بنِ نَصْرٍ : وقد كَثُرَ كلامُنا ، وطالَ مجلسُنا ؛ فرَمَى ابنُ نَصْرٍ بأصــلٍ : من أصولِ العلمِ ؛ فنظَرَ إليَّ أبو محمدٍ الغَنمِيُّ ، فقال لى : لم أسمَعْ في هذا المجلسِ — اليومَ — غيرَ هذا الأصلِ الذى رَمَى به .

---

(١) بالأصل : « علم » : ولعل النقص من الناسخ أو الطابع .

(٢) بالأصل : « يقرئ » ؛ وهو تصحيف . انظر بتأمل : المختار والمصباح .

وكان يَلزَمُ حانوتاً يَبيعُ فيه الفُخارَ — بالقَيْروانِ — : في سُوقِ الأحدِ .
ومات فَجْأةً : في سنةِ ستَّ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

محمدُ بنُ مَسْرُورِ النَّجَّارُ

٧٥ ومحمدُ بنُ مَسْرُورٍ النَّجارُ ؛ لم يكنْ مذهبُه جَمعَ كتُبٍ ، ولا سماعاً[(١)] من شيخٍ ؛ وإنَّما كان مذهبُه : الدَّرسَ ، والحِفظَ ، والمُناظَرَةَ .
وكان : حَسَنَ القَريحةِ ، فَقيهَ البَدنِ . وكان : شـيخاً مُسِنًّا ؛ إلاَّ أنه كان صاحِبَنا وجَليسَنا : في كلِّ مَجلِسٍ ، وفي كلِّ مُجتَمَعٍ .
ماتَ بتُونُسَ : سنةَ ثمانٍ وعشرينَ [وثلاثِ مِائةٍ] .

* * *

قال محمدٌ : قد أتَيْتُ — : من ذِكْرِ المتقدِّمين الذين لم أُدرِكْهم . — ما حَضَرني حِفظُه ؛ ووَصفْتُ الذين صَحِبتُ منهم : بمقدارِ الطَّاقةِ ، ومُنْتَهَى العلمِ .
ولم يَبْقَ — بعدَ ذلك — إلاَّ : الذين أسْنانُهم كسِنِّي ، أو فُوَيْقَ ذلك بيسيرٍ .

* * *

ســالمُ بنُ حَماسٍ

٧٦ (منهم) : سالِمُ بنُ حَماسِ بنِ مَرْوانَ ؛ عُنِيَ : بالمسائل وسمِعَ من أبيه ؛ وكان يكتُبُ له : إذ كان قاضياً ؛ معَ أحمدَ بنِ نَصرٍ .

---

(١) بالأصل : «سماع» ؛ ولعله مصحف ، أو تكون «من» زائدة . فتأمل .

وهو : مغمورٌ مخمولٌ ؛ بمـــا يدورُ عليه : من مغارمِ السلطانِ : فى وظائفِ الباديةِ .

* * *

حَمُّودُ بنُ حماسٍ

٧٧ وأخوه : حَمُّودُ بن حماسٍ ؛ شأنه : النسكُ والتقشّفُ ، لم يُعْنَ بعلمٍ ولا فقهٍ : فيما علمتُ .

* * *

عبدُ اللهِ البَرْقِىّ

٧٨ وعبدُ اللهِ البَرْقِىّ ؛ كان فتًى متحرّكاً : فى الفقهِ والأدبِ ؛ مُواظِبًا : عَلَى صُحبةِ أحمدَ بنِ نصرٍ ، ومَن ذكرتُه : ممَّنْ تقدَّمتْ صُحبتى له .

وغَلَبَ عليه ـ فى آخرةِ عمرِه ـ : الوَرَعُ والفَضلُ ؛ وخَرَج : مُرَابِطًا : فمات بسُوسةَ : من رَعْدةٍ سمعها ؛ وكان قد أُغْفِىَ فى حينِ الرَّعْدةِ : بعدَ دُعاءٍ شديدٍ ، وتَضَرُّعٍ عَظيمٍ ؛ فكان قلبُه : قد أُشْرِبَ الخوفَ : فلمّا فَجَأَه الرَّعدُ القاصِفُ : ذَهبتْ نفسُه .

كان فى حينِ موتِه : من أبناءِ الأربعينَ ؛ تُوُفِّىَ : سنةَ عشرٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

محمدُ بنُ عبّاسٍ النَّحّاسُ

٧٩ ومحمدُ بن عبّاسٍ النّحاسُ ؛ كان مَذهبُه : المسائلَ والفقهَ خاصّةً . وكان كثيرَ الحكايةِ عن سعيدِ بن محمدِ بن الحدّادِ : لأنه كان له جارًا . وكان يُجالسُنا : عند جميعِ الشّيوخِ .

تُوُفِّىَ : سنةَ خمسٍ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

عَبَّاس بن عيسَى ، المَعروف : بالممْسى

٨٠ وعبّاس بن عيسَى ، المعروفُ : بالممسى : سَمِعَ : من موسى القَطّان ، ومن غيرِه.
يتكلّمُ في المسائل : كلاما حَسَناً ؛ ويَفهمُ علمَ الوثائق : علماً جيّداً ؛ ويناظِرُ مُناظرةً : لا بأسَ بها في الجدَل ، وفي مذاهبِ أهلِ النظرِ .

وحجّ : سنةَ ثمانَ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ .

وأظْهَرَ — بعدَ ذلك — : الانْقِباضَ والتَّنَسُّكَ ؛ ويَغْلِبُ عليه : البُكاء والانْتِحاب[1] .

والناسُ فيه فِرْقتان : (فِرْقةٌ) : تَبرَأُ منه وتَشنَعُه[2] ، وتَمْقُتُ أخلاقَه .
و (فِرْقةٌ) : تُحِبُّه وتُوالِيه ، وتَذُبُّ عنه .

* * *

رَبيعُ بن سُليمانَ القطّانُ

٨١ ورَبيعُ بنُ سُليمانَ القطّانُ : كان صاحِبي : في كلّ مجلسٍ [حَضَرْتُ] :
ومُساعدِي : في كلّ علمٍ طَلبْتُ . وديوانٍ دَرسْتُ .

حجّ : سنةَ أربعٍ وعشرين ؛ وانْحَرَفَ عن كلّ ما كان عليه ، وذَهَبَ إلى العلمِ الباطنِ ؛ ووالى أهلَ ذلك الفنّ ، وصار داعيةً إليه .

فقيلَ لي ، وكُتِبَ إليّ : إنه نَفَعَ اللهُ به خلقاً كثيراً .

ويكاتِبُني إلى الأندلسِ كثيراً ، يَدعوني : إلى البَراءِ[3] من الدنيا ، والتَّخلّي منها ؛ والإجابةِ لله في كلّ ما دعا إليه : من الزَّهادةِ في الدنيا .

* * *

---

(١) بالأصل : «والانتحاء» ؛ وهو تصحيف . (٢) أى : تشنع عليه .
(٣) يعنى : الرجوع عنها ، والبعد عن ملذاتها وشهواتها .

أبو بكرٍ الكتّانى

٨٢ وفتًى كان يُعرَفُ بكُنْيتِه : بأبى بكرٍ الكتّانىّ : صحِب موسى القطان ، وسَمِع : منه ومن غيرِه . وكان يتكلمُ فى المسائل : كلامًا صالحًا .

حَجَّ : سنةَ سبعٍ وعشرينَ : ثم ماتَ فى رجوعِهِ : بالحَوْراء : وسِنّه نحوُ الخمسِ وأربعينَ .

***

قال محمدٌ : قد أتيتُ عَلَى ذِكْرِ كلِّ مَن عَرَفْتُه حيًا وميتًا — ممّنْ أدركْتُ ، وممّن لم أدرِكْ — : مِن طَبَقةِ المدنيِّينَ خاصّةً .

ولم يَبْقَ إلاّ : مَن سَقَطَ عن حِفْظى ؛ أو : مَن لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الظُّهورِ : من الأمْواتِ ؛ ولا مَبْلَغَ الرّجاء : من الأحياء ؛ أوْ : مَن قَعَد به السِّنُّ والخمولُ : من الأحداثِ .

وأنا أذكُرُ ـ بعدَ هذا ـ رجالَ العِراقِيّينَ ، وأهلَ النظَرِ : من الشافِعيّينَ وغيرِهم .

بابُ ذِكرِ الرِّجالِ العراقيِّين

سُليمانُ بنُ عِمرانَ ، المُلقَّبُ : خروفة

٨٣ قال محمد : كان سُليمانُ بنُ عِمرانَ ، المُلقَّبُ : « خَرُوفةَ » ، (وإنما لُقِّبَ خَرُوفةَ : لأنه كان لا يَلقَى أسدَ بنَ الفُرَاتِ في موضعٍ ، إلاَّ : ويُلْقَى أسدٌ ماشياً وراءه . فشُبِّهَ اتِّباعُه له : باتِّباعِ الخَرُوفِ لأمِّه ؛ فشُبِّه بذلك) : تَوَلَّى الكِتابةَ لسَحنونٍ : إذ وُلِّيَ القضاءَ ؛ ثم أخرَجَه قاضياً إلى مدينةِ : « باجةَ » .

قال محمدٌ : قال أبو بكرِ بن اللَّبَّادِ : قال لى أحمدُ بن أبي سُليمانَ :

لم يُوَلِّ سَحنونٌ سُليمانَ بن عِمرانَ ، قضاءَ باجةَ : حتى امتَحَنَه في مذهبه ، فأظهَرَ له سُليمانُ : أنَّ مذهبَه مذهبُ المَدَنيِّينَ ، وأنه تاركٌ لمذهبِ العراقيِّينَ .

وأقام سُليمانُ حِيناً من الدَّهْرِ قاضياً بباجةَ : ما يَقْضِي بقَضِيَّةٍ حتَّى يُشاوِرَ سَحنوناً وبَيانُ ذلك : في كتابِ محمدِ بن سَحنونٍ : في أدبِ القاضي .

قال أبو بكرٍ : قال لى أحمدُ : وأخبرَني رجلٌ — : من أهلِ الثِّقةِ عندي.— أنه خاصَمَ إلى سُليمانَ بنِ عِمرانَ بباجةَ — : وهو حاضرٌ . — في ثَورٍ ؛ فشَهِدَ عليه شاهدٌ : فاستَحْلَفَه معَ شاهدِه ، وقَضَى له : بالثَّورِ (١) .

قال محمدٌ : ثم مات سَحنونٌ : فوَلَّى ابنُ الأغلَبِ سُليمانَ بنَ عِمرانَ ، قضاءَ القَيْرَوانِ . وكان : عَلَى مذاهبِ السُّنةِ ؛ وكان له يومٌ في الجُمُعةِ أو يومان ، يُقرَأُ عليه فيه العلمُ : تفسيرُ القرآنِ وغيرُه .

وكان مُستَيْقِظاً : في أمورِه ؛ وكانت له فِراسةٌ ، وكانتْ له - في الأحكام - إدارةٌ .

---

(١) مكتفياً باليمين والشاهد : كما هو مذهب الشافعي والمدنيين ؛ خلافاً للعراقين ، راجع في هذه المسألة : آداب الشافعي لابن أبي حاتم الرازي (ص ١٦٦-١٦٩) .

أخبرنى بعضُ الشيوخ عن سُليمانَ ، أنه قال :

« يَنبَغِى للحَـكَمِ — : إذا شَهِد عندَه الشاهدُ الغَرِيبُ : الذى لا يَجِدُ أحداً يَعرِفه بعدالةٍ ، ولا جُرْحَةٍ . — أن يَتعرّفَ حالَه : بحالِ جُلاسِه ، ومن يَسكُنُ إليه — من طَبقاتِ الناسِ — : فإنه لا يأْلَفُ الشَّكلُ إلا شكلَه . » .

وأخبرنى بعضُ الشيوخ ؛ قال :

تخاصَمَ رجُلانِ إلى سُليمانَ : فأقامَ المدّعِى عَلَى خَصمِه ، شُهداءَ أربعةً : فشَهِدوا عندَ سُليمانَ ؛ فقَبِلَهم ، ثم أعْذَرَ إلى المطلُوبِ .

فلمّا نَظَر المطلوبُ : إلى أنه أزِفَ الحُكمُ ، ولم يَبقَ إلاّ التّنفيذُ : وعَلِمَ أنه بَرِىءٌ : فى الباطِنِ ؛ ممّا شَهِدوا عليه فى الظاهِرِ — : قَصدَ القاضىَ سُليمانَ ، بعد صلاةِ المغربِ ، (فاستَأذَن عليه : فلم يَأذَنْ له : ثم ألحّ فى الاستِئذانِ ، وقال : إن لم يَأذَنْ لى ، بِتُّ عَلَى بابِ دارِه : حتّى أكونَ أولَ من يَلقاه[(١)] صَـــباحاً .

فأذِنَ له سُليمانُ : فدَخَل عليه ، فقال له : عَزَم القاضى عَلَى أنْ يُسجّلَ عَلَيّ : وبَقِىَ فى قلبى شىءٌ : أخبِرُه به ، وأقولُه له.

فقال له : قلْ . فأخرَج الرجلُ مُصحَفاً من كُمّه : فحَلَف له به — ثم أَتْبعَ ذلك بيَمِينِ الطّلاقِ ، والعتاقِ ، والمَشْىِ ، والصّدقةِ — : أنه بَرِىءٌ من ذلك المَطلَبِ . وأنّ الشهودَ الذين شَهِدوا عليه : قَصَدوا بشهادتِهم الزُّورَ صُراحاً .

ثم : خرَج عنه ، ووَقَع بقلبِ سُليمانَ : أنّه صادقٌ .

فلمّا جلَس سُليمانُ فى الغَدِ — فى مَجلِس القضاء ، فى الجامعِ — : أتاه الطالبُ : يَستَنجِزه التّنفيذ .

---

(١) بالأصل : «ألقاه» . وهو مصحف عنه . أو يكون قوله : أكون ؛ مصحف عن «يكون» . فتأمل.

فقال له[١] : اذهبْ ، ائتِني بالشُّهداء ـ الذين شَهِدُوا لك عندى ، فى أصْلِ الحقّ ـ: حتى يَحضُرُوا تنفيذَ الْحُكم لك .

فذهَب الرجلُ : فأتاهم[٢] . فلمّا نظَر القاضى إليهم : أعرَضَ عنهم ، وتَشاغَلَ بغيرِهم طويلا ؛ ثم قال لغلامه : يابِشْرُ ؛ اذهَبْ إلى صاحبِ سُوق ـ: من[٣] سوق الجِمالِ ـ وقلْ له : كىْ يَبْعَثَ إلىّ بأربعةِ أجمالٍ ؛ حتى أُطَوّفَ عليها رجالاً : شَهِدوا عندى بالزُّور .

ثم اشتغَل ؛ فلم يَشُكّ الشُّهودُ الأربعةُ : أنهم أصحابُ المِحْنةِ ؛ فتسلّلوا من مجلسه .

ثم : تقدَّم الطالبُ ، فقال له[٤]: نَفِّذْ لى الحكْمَ . فقال : بحضْرةِ شُهودِك . قال : قدأحضرتُهم . قال : قَرِّبْهم . فقال: هاهنا كانوا . قال : اذهَبْ فيهم . فلمّا سار إليهم: امتنَعوا عليه من المَسيرِ إلى القاضى .

فبقِىَ الطالبُ مُتردداً : بيْنَ توقُّفِ القاضى عن الْحُكمِ إلاّ أنْ يحضُرَ الشُّهودُ؛ وبيْنَ امتناعِ الشهودِ من الحُضورِ . حتّى مَلّ الطالبُ ، وترَكَ طلبَه .

وهذا ـ وإن لم يكنْ وَجْهَ القضاءِ عَلَى مَمَرِّ الحقِّ[٥] ـ فهو : من بابِ اللُّطفِ والسِّياسة .

* * *

(١) بالأصل : «قال ... اتى» ؛ والظاهر أن كلا منهما مصحف .

(٢) أى : أتى بهم ، وأحضرهم أمام القاضى . وعبارة الأصل هكذا : « فاتاهم » ، وأصلهما ما أثبتناه . أو ما فسرنا به . وانظر المختار .

(٣) عبارة الأصل : «فى سوق الجمال وقلن كى» إلخ . وهى مصحفة مضطربة .

(٤) بالأصل : «لى» ؛ وهو تصحيف .

(٥) أى : موضع مرور الحق وصدوره. انظر المختار . وفى الأصل : «مر» وهو تحريف

وكان من شِيَمِه : أنه يَجلِسُ ـ قبل خروجه إلى الناس ـ فى مكان يَسمَعُ منه كلامَهم ، وما يَجرى ـ : من القول . ـ بينَهم .

فهو يوماً جالسٌ : حتى سَمِعَ جَلبةً وضَوضاءَ : فأصاخَ إليها : ليتعرَّفَ : ماهى ؟

فإذا برجلٍ : قد أتى مُتَشَبِّثاً برجلٍ : وهو يقولُ لجماعةِ الناسِ : أتيتُ ببغلى إلى هذا الرجلِ ، وسألته : أن يبيعَه لى ؛ فباعهُ : بستةَ عشرَ مثقالاً : فلما انتقدَها : أتانى بها ، وقال : إن البغلَ لم يكنْ يُســاوِى إلاّ : عشْرةَ مَثاقيلَ : فأعطِنى مثقالاً : فى جُعْلى .

(قال) : فأبَيْتُ عليــه : أنْ أُعطيه مثقالاً ؛ فضَمَّ يده بالمال ، وقال : مالَكَ عندى مالٌ ، ولا بِعتُ لك[1] دابّةً . فتعلقْتُ به ، ولجأتُ إلى القاضى .

فلم يشُكَّ سُليمانُ : أنَّ الأمرَ على ما قال ؛ فخرج من ساعته : فكان صاحب الدّابّةِ أوّلَ داخلٍ عليه ؛ فقصَّ عليه قِصّته :

فخافَ سليمانُ ـ إنْ سألَ المُدَّعَى عليه ـ : أنْ يُنكِرَ : فيَجبُ على المُدَّعِى : البَيِّنةُ ؛ وليس يَشهدُ الناسُ العُدولُ فى مِثلِ هذا الأمرِ .

فترَكَ سُؤالَ المدَّعَى عليه ؛ وعَطَفَ بالصَّولةِ والتوبيخِ : على المدَّعِى ؛ وقال : يأتى أحدُكم إلى الرجلِ الحرِّ . فيستخدمُه فيما لهُ : أنْ يذهبَ فيه دِينُه وأمانتُه ؛ من فَرْطِ الاجتهادِ ؛ ثم لا يُعطِيه فى مثلِ ذلك ، إلاّ رُبعَ دينارٍ . اذهبْ : فقد حكَمتُ عليك بجُعلٍ : مثقالٍ .

ثم قال لصاحبه : أبرِئْ إليه بمالِه . فمدَّ يدَه إلى كُمِّه . وحلَّ الصُّرّةَ وأخرج المالَ ، وبرِئَ به إليه .

فقال له سليمان : هذا مالُه ؟ . قال : نعمْ .

---

(١) هذا هو الظاهر المناسب . وفى الأصل : «له» ؛ ولعله مصحف .

قال : أشهدوا : أني قد فسخت حكمي على الطالب بجعل مثقال ؛ وحكمت عليه : بأجر المثل .

* * *

وكان : كثير النادر ، كثير التحكك بالناس : في التعريض بعيوبهم وألقابهم .
دخل عليه رجل — يلقب : بالقفوسة ؛ فقال له سليمان : كنت أعرف لكم مقثأة ، فما صنع الله بها ؟ .

فقال له الرجل : كانت حسنة ، لولا خروفة دخلتها : فأفسدتها . ! .

ودخل عليه رجل — : من خاصته . — فقال له : لقد أندر فيك اليوم ، علي بن حميد بنادر . فقال : ما هو ؟ .

قال : أمر طباخه ، فأتاه في سفرته ، بصورة رأسك — : بقلنسوتك ، وجميع هيئتك . — فجعل : يأكله هو وأصحابه ! .

فأرسل سليمان إلى علي بن حميد : « الناس ينتقلون من حال : إلى أشرف منها ؛ وأنت ترتكس : كنت عند الناس طباخاً ؛ فرضيت : أن تصبح رواساً . »

وذلك : أنه — : بإحكام دار علي بن حميد للطبخ . — يضرب المثل بالقيروان .

* * *

انتهى الجزء بحمد الله وعونه

يتلوه وأبو العباس بن عبدون القاضي : كان حافظاً لمذهب أبي حنيفة .

الجزء الثالث

من

علماء إفْرِيقِيَّةَ

تأليف

محمدِ بن حارثٍ بنِ أسدٍ الْخُشَنِيِّ

[بتجزئة الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وآلهِ وصحبه ، وسلم

* * *

أبو العباسِ بن عبدونٍ القاضى

٨٤ وأبو العباسِ بنُ عبدونٍ القاضى ؛ كان : حافظاً لمذهبِ أبى حنيفةَ ؛ وكان مُوَثِّقا كاتباً للشُّروطِ والوِثاقِ . ولاَّه إبراهيمُ بن أحمدَ القضاءَ ، ثم عزَلَه .

سمعت طبقةَ المدَنيِّين : يَنسُبون إليه الغفلةَ ، وقِلَّةَ الحَصافةِ ؛ وأهلَ العراقِ : يَصِفُونه بضدِّ ذلك ؛ و به يُثْنون ، و بمكانِه يَفخرُون .

وكان فى قضائه : قد استطالَ على طبقةِ المـدنيِّينَ وامْتَهَنَهم ، وضربَ جماعةً منهم ؛ ضَرَب : أحمد بن مُعتِبٍ ، و إبراهيم المعروفَ : بالدِّمْنِى ؛ وابن عبدونٍ العطارَ ، وابنَ المدائنِى وأبا القاسمِ مولى مهريةَ . وطَلَبَ يَحيى بن عُمرَ : حتى تَوارَى عنه :

وكان إبراهيمُ بن أحمد يقول بعد عزلِه له : لو ساعدتهُ لجعلتُ له مقبَرةً على حِدةٍ .

وكان إبراهيمُ بن أحمـدَ ، بابنِ عبدونٍ ـ قبْلَ أن يولِّيَه القضاء ، وبعد أن ولاَّه ـ : شَديدَ الإعجاب ؛ قال يوماً من الأيامِ : حسدَنى أهلُ القَيْروان فى ابن عبدونٍ . فقال له ابن مُثيبٍ : لو علمت منه ما يعلمُ أهلُ القَيْروانِ منه ـ : كان عندك بالحالةِ التى هو [بها] (١) عندهم .

---

(١) زيادة : مما سيأتى فى ترجمة أحمد هذا .

وكان ابن عبدون : قد امتحن برجل من خدمة إبراهيم — : ممن كان يخدمه بين يديه : داخلاً وخارجاً ؛ يعرف : بابن أبى رزين الرائض . — :

كان : إذا نظر إلى ابن عبدون قد أقبل للدخول على الأمير ، فإن كان الأمير نشيطاً مستبشراً ، قال ابن أبى رزين لابن عبدون : إياك أن تسأله حاجة : فإنه مغموم القلب : وإن رأيته متجملاً لك . وإن كان مكروباً ، قال له : سل كل حاجة لك ؛ فإنه منشرح النفس ، منبسط .

وقال له يوماً من الأيام : ينبغى لك : أن تتأدب [مع] الأمير وأهل بيته .

فقال له : فبماذا ؟ .

فقال له : أن تدخل عليه فى الصيف وفى اليوم الحار ، بمحشية : لئلا يظهر صدرك ، وما شحم : من جسدك . وينبغى لك : أن تترك على جبهتك طرة من شعرك ؛ فيبدو منها بعضها تحت العمامة أو القلنسوة ، وينبغى لك إذا تحدثت — : أن تجعل يدك على فيك ؛ فإن هذه الأخلاق : مما يستحبها الملوك .

فقبل منه — فيما حكى لى — وفعل جميع ما أمره به .

فلما دخل على إبراهيم بتلك الحالة ، ونظر إلى الطرة — : رفع عينيه إلى ابن أبى رزين (كالقائل له : ما هذا ؟) : فأشار إليه ابن أبى رزين بيده ، ورفعها إلى فمه : مغلقة (أى : هو زامر) .

وحكى لى أحمد بن موسى التمار عنه ، خبراً عجيباً — : فيه حكم وعبرة . ومثال للمحتذى ، ومنبهة للمتحفظ . — قال :

كانت بالقيروان طبقة تسمى : الركنية ؛ كانوا : لا شغل لهم : فكان

جُلوسُهم ومُجتمَعُهم : فى رُكنِ الجامعِ ؛ فلَزِمَهم هذا ٱلاسمُ . وكان الناسُ : يُدارُونهم ، ويَتَّقُون ألسِنتَهم .

وكان فيهم رجلٌ منهم ، يُعرَفُ : بأبى ٱلقاسمِ ٱلمساجدىّ ؛ وكان : خاصًّا بأبى العبّاسِ بنِ عَبدونٍ . وكان مُقِلاًّ : فكان ٱبنُ عَبدونٍ يرفقُه ويَصِلُه ، ويُجْدِى عليه ، ويُحسِنُ إليه .

فحَسدَه سائرُ أصحابِه ـ : من الرُّكنيَّةِ . واجتَمع منهم أربعةٌ فى الإدارةِ ، عليه : لِيَنقَطِعَ ما بينَه وبيْن ٱبنِ عَبدونٍ ، قَطيعةً : لا يكونُ بعدَها وَصْلٌ أبداً .

فأتَى أحدُ ٱلأربعةِ إلى ٱبنِ عَبدونٍ : فجَلَسَ إليه وحادَثه ، ثم أَخْطَرَ : من ذِكْرِ ٱلصُّحبةِ والصَّداقةِ ، وقلَّةِ ٱلوفاء ؛ ثم قال له : ما ٱلذى حَدَثَ بيْنك وبيْنَ ٱلمساجِدىّ ؟.

فقال له ٱبنُ عَبدونٍ : ما أعلَمُ أنه كان حَدَثَ فيما بيْنى وبينَه ؛ فما ٱلْخَبَرُ ؟

فَجعلَ : يَحيدُ له عن أن يُخبِرَه بشىء ؛ ثم خرَج عنه .

فلمَّا كان بعدَ ذلك بيومٍ ، أتى الثانى : فجَلَسَ إلى ٱبنِ عبدونٍ ، وأدارَ ٱلحديثَ : حتى خرَج إلى ذِكْرِ ٱلمساجدىّ ؛ فقال له : قد كان ٱلمساجِدىّ لك : صَديقاً ؛ وكنتَ إليه : مُحسِناً ؛ ثم كان مِن أمرِكُما ما كان .

فتَحَرَّكَ ٱبنُ عَبدونٍ ، وجَعلَ : يَستقْصِيه عن حقيقةِ هذا ٱلْخبرِ ؛ وذَكَرَ : أنه لا عِلْمَ له بشىء[1] من ذلك .

فانْزَوَى عنه وانقَبَض ، وحلَفَ له : أن لا يُخبِرَه ؛ إجلالاً له وإعظاماً .

فلمَّا كان ٱليومُ ٱلثالثُ ، أتاه ٱلثالثُ منهم ، والرَّابعُ : فجلَسا وتحدَّثا ؛ ثم قال له أحدُهما : ما يَنبَغِى لأحدٍ أنْ يَثِقَ بأحدٍ ؛ قد كان المساجِدىُّ لك ، وكنتَ له : عَلَى

---

(١) بالأصل : «لشىء» ؛ وهو تصحيف .

أفضَل حالٍ ؛ ثم : قد خرَج فيك إلى ما خرَج ! .

فقال له ابنُ عَبدونٍ : قد تكرَّر علىَّ هذا الخَبرُ : من غيرِ إنسانٍ ، وعلَى غيرِ ما إنسانٍ : وما أجِدُ أحداً : يخبرُنى بالحقيقةِ فى ذلك ؛ فأخبرْنى بذلك : فقد ضَجِرْتُ من اكْتِتامِ الحقيقةِ عنِّى فى ذلك .

فقال الرجلُ : لا واللهِ : لا أفعلُ ، ولا أسْتَهِينُ بك هذه الاسْتهانةَ .

فاسْتَجابَ الرَّابعُ ، فقال : لأنك — واللهِ — لا تحبُّه ، ولا تنصَحُه ؛ إن كنتَ أنتَ لاتُخبِرُه : فأنا أُخبرُه.

قال له ابنُ عَبدونٍ : هاتِ .

فقال : يقولُ : إنك خُنثَى ، و إنَّ لك قُرْعةً كقُرْعةِ النِّساءِ ! .

فتلوَّنَ وجهُ ابنِ عَبدونٍ ، وجعَلَ يحلِفُ : ما لَه قُرعةٌ .

ثم : بَلغَ الخبرُ إلى المساجِدىِّ ؛ فأتى : مُتَنَصِّلاً .

فوَجَد فى قلبِ ابنِ عَبدونٍ — : من التَّصديقِ بما قيلَ له عنه . — ما لا يَعمَلُ فيه الاعتِذارُ ، ولا يَمحُوهُ التَّنصُّلُ . فأبْعَدَه ، وأقْصاهُ عن نفْسِه .

ولَعَمْرِى : إنَّ هذه الإدارةَ لَلطيفةٌ : من الفِكْرِ ؛ وعَجيبةٌ : من الحِيَلِ : ولو قُرِعَ بمِثْلِها أدهَى الناسِ : ما خلَص منها . نَستعيذُ باللهِ : من حِيَلِ الماكِرين، ومن إفْكِ الكاذِبينَ .

* * *

أبو العبّاس بنُ زرْزرٍ

٨٥ وأبو العبَّاسِ بنُ زرْزرٍ ؛ كان : حافظاً بمذهبِ أبى حنيفة : وهو مذكورٌ فيهم ، ومَعروفٌ عندهم .

أخبرنى بعضُ إخوانى ؛ قال : أخبرنى أبو جَعفرِ بنُ شَهرين — : الذى هو اليومَ قاضى بَرْقةَ . — قال :

قلتُ لأبى العبَّاسِ بن زرْزرٍ : أخبرْنى بدَواء الحفظِ ؟.

(قال) : فقال لى : أوَما تعرِفه ؟! .

(قال) : قلتُ : ما أعرِفُه .

قال: الدَّرْسُ باللَّيل ، والمنَاظَرَةُ بالنَّهارِ .

وكان ابن زرْزرٍ : مُعْرِباً فَصيحاً . أخبرنى أحمدُ بن نصرٍ ؛ قال :

سمِعتُه يوماً — : وقد ذَكَر : أنَّ أهلَ كلِّ صَنعةٍ أعلَمُ بصنعتِهم من غيرِهم .— فقال : إنَّ مالكاً وأبا حنيفةَ ، لو سُئلاَ : أنْ يحوكَا ثوباً أو يَخيطَاهُ ؛ ما عرَفاهُ .

وحَكى لى عنه حاكٍ ؛ قال: سمِعتُه يقولُ :

خطَرْتُ بأعْرابىّ : وهو عَلَى بئرٍ ؛ وهو يقولُ :

مَنْ يُهِنِ المالَ ، ولاَ يرَبِّهِ : يَهُنْ عَلَى النَّاسِ : هَوَانَ كَلْبِهِ

(قال) : فقلتُ له : أخطأْتَ :

مَنْ يَصُنِ المالَ ، ولاَ يَعِشْ بِهِ : يَصِرْ لِشَانِيهِ جَمِيعُ كَسْبِهِ

* * *

هِشامُ بنُ العِراقىِّ

٨٦ وهِشامُ بنُ العِراقىِّ ؛ كان : رأيُه رأىَ الكوفيِّينَ ؛ وكان : يتكلَّمُ فى مسائِلهم .

وبَلَغنى : أنَّه كان ممَّن يَحضرُه ابنُ طالبٍ ، مجلِسَه : للمناظرةِ .

وبَلَغنى : أنَّه قال له[١] سَعيدُ بن الحدّادِ يوماً : بتركِ الذى أتى ؟ [إذ قلَّ : أن تُوجَدَ[٢]] لكم مسألةٌ ، إلاَّ : ولكم نقيضها من قولكم .

* * *

أبو المِنْهالِ

٨٧ وأبو المِنْهالِ : كان : من شيوخ العراقيّين ، ومن مُقدِّميهم .

كان علمُه علماً مُقارِباً[٣] لم يكن يحْسِنُ عن مذهبِه الذَّبَّ ، ولا كان يقومُ دونَه بالمناظَرةِ .

حَكَى لى عن سَعيدِ بنِ الحدَّادِ ، أنه قال : قلتُ له يوماً : يا أبا المِنهالِ : ماتقول فى كبْشٍ بالَ فى بئرٍ ؟ . قال : ينْجسُ الماء .

(قال) : قلتُ : فلو بالَ فى ثوبٍ ؟ فقال : لا ينْجسُ .

(قال) : قلتُ له : ما الفرقُ بينهما ؟ لو أن مُعترِضاً اعترضَك : فحكَمَ بالطُّهورِ فيما حكَمْتَ فيه بالنجاسةِ ؛ وحَكَم بالنجاسةِ : فيما حكمتَ [فيه] بالطُّهورِ — : ما كان الفرقُ بينَك وبينَه ؟ .

(قال) : فقال لى : يا أبا عثمان : العِلمُ له سواء : فى وقْتىَّ .

(قال سعيدٌ) : فسكتُّ عندَ هذا الجوابِ البَديعِ !.

* * *

---

(١) أى : تكلم معه . وأشار عليه بترك مذهبه . ولعل قوله : بترك : مصحف عن : « بترك » . فتأمل .

(٢) عبارة الأصل : « أن تجعل لكم » إلخ . وقد اضطررنا إلى تعديلها وإضافة الزيادة إليها . وذلك أولى من إبقائها : قلقة مضطربة .

(٣) أى : متوسطا .

قاسمُ بنُ أبي المِنْهال

٨٨ وقاسمُ بنُ أبي المِنْهالِ : كان مُتَحَرِّكاً : في العِراقِيِّين ؛ وكان له إخوانٌ :

٨٩ لا أحفَظُ أسماءَهم ، وكان أصغرَ الأربعةِ إسحاقُ بن أبي المِنْهالِ : الذي استَقْضاه عُبَيْدِ اللهِ .

* * *

أبنُ عُمَيْر

٩٠ ومِن رجالهم ، رجُلٌ يُعرَفُ : بابنِ عُمَيْر ؛ [غيرُ] مَعروفِ الاسمِ .

لم أقِفْ مِن علمِه ، عَلَى وصفٍ أذكُرُه به .

غيرَ أنه كان : مَلِيًّا بَخيلاً ؛ فقال له ابنُ أخيه يوماً : يا عمِّ ؛ إنك من الأملياء الكِبارِ ؛ وأنتَ لا تَنتَفِعُ بمالِك ؛ فما فَضْلُك عَلَى الفقيرِ ؟ .

فقال له : إذا خافَ الفقيرُ : أمِنْتُ أنا .

* * *

أبو عِقالِ بنُ أبْرَغْناء

٩١ ومِن رجالِهم ، رجلٌ يُعرَف : بأبي عِقالِ بنِ أبْرَغْناء ؛ كان مُتحرِّكاً فيهم : بالفَهْمِ والمُناظَرةِ .

كان يقولُ في إبراهيمَ بنِ أحمدَ : مَن صَحِبَ إبراهيمَ : فأفعالُه في ثُلثِ مالِه . فأدرَكَه في هذا القولِ ، المَثَلُ السائرُ : « البَلاءُ مُوَكَّلٌ بالقَولِ » — :

حَفَر له إبراهيمُ بن أحمدَ حُفَيْراً ؛ ثم أدخَلَه فيه ، وجَعَل ٱلبانِين جَمعاً[١] يَدخُلون إليه ، مُتناًمَنِين : يَحْدِثُون عليه ؛ حتَّى عَمَرَته أوْساخُهم : فمات .

* * *

هَيْثَمٌ

٩٢ ومن رجالهم[٢] هيثمٌ : رجلٌ من ٱلعربِ : من قيْسٍ . وُلِّيَ قضاءَ تونسَ .

قال لي بعضُ التُونسِيِّينَ : حضَرْته يوماً : وهو يُمْلِي وَثيقةً ؛ فأحْسنَ فيها ؛ ثم قال : إنَّما ٱلوَثائقُ : غرَضٌ ؛ فمَن كانتْ فيه مُسْكَةٌ[٣] : رَشَقَها .

٩٣ وكان لهَيْثمٍ ٱبنٌ فَقيهٌ ، ٱسمُه : محمدٌ ؛ ماتَ : في وَباء سنةِ سبعٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

أبو عِقالِ بنُ جرْجرٍ

٩٤ وأبو عِقال بنُ جرْجرٍ ؛ كان : من رجالِ ٱلعراقيِّين .

وكان كاتباً لابنِ عَبدونٍ : إذ كان قاضِياً .

* * *

عبدُ ٱللهِ بنُ هارُونَ ٱلكُوفيُّ ٱلسَّوذَانيُّ

٩٥ وعبدُ اللهِ بنُ هارُونَ الكُوفيُّ السَّوذَانيُّ ؛ كان مَذهبُه : جَميلاً ؛ وكان : عَلَى سُنَّةٍ .

كَتَبَ لِسُليمانَ بنِ عِمرانَ : إذ كان قاضِياً ؛ ثم ٱستَقْضاه ابنُ طالبٍ : على مَدينة تونسَ ؛ ووُلِّيَ ٱبنُ عبدونٍ : فأثبتَه عليها .

(١) بالأصل : « نجيا » ؛ ولعله مصحف عن نحو ما أثبتنا .
(٢) بالأصل : « رجالها » أو « رجالهما » ؛ وكلاهما تصحيف .
(٣) أي : بقية من عقل وخير .

ثم عُزِلَ ابن عبدون : فوَلى إبراهيمُ بن أحمد عبدَ ٱللهِ بنُ هارُونَ ، قضاءَ ٱلقَيْرَوانِ . ثم كَبِرَ ٱلرجلُ : فعزَلَه إبراهيمُ ، ووَلّى عيسَى بنَ مِسْكِينٍ .

* * *

أحمدُ بنُ مُثِيبٍ

٩٦ ومن رجالِهم : أحمدُ بنُ مُثِيبٍ ؛ كان فيهم: ظاهرَ ٱلاسمِ معروفاً ؛ لا أعرِفُ مِن أمْرِه خَبراً ، سِوَى : اسمِه ، وقولِه لإبراهيمَ : لو علمتَ مِن ابنِ عَبدونٍ ما يَعلمُ منه أهلُ ٱلقَيْرَوانِ — : لـكان عندكَ بالحالِ التى هو بها عندَهم .

وسمعتُ مَن يَحكِى : أنَّه كان من الـكرامِ ٱلأجْوادِ ؛ أتاهُ ابنُ أبى الشَّوارِبِ — : يَسْتَعينُه فى دِيَةٍ . — فتَحَمَّلها له بجميعها .

* * *

مَعْمَرٌ

٩٧ ومن رجالِهم : مَعْمَرٌ ؛ قد ذكرَه أبو ٱلعَرَبِ فى كتابِه ، وأثنَى عليـه . وذكرتُ[1] أنا فى ذلك الموضعِ ما أعرِف عن هذا ٱلاسمِ ؛ وقلتُ : إنى لا أدرِى : إنْ كان اسماً واحداً اختَلَفت[2] فيه الأخبار ، أ [و] هما رجُلانِ .

* * *

عبدُ ٱللهِ بنُ محمدِ بنِ الأشَجِّ

٩٨ وعبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ ٱلأشَجِّ : كان مذهبُه : مذهبَ ٱلـكوفِيِّينَ ؛ ورَحَل ؛ وكان من أهلِ ٱلجَدَلِ والـكلامِ : علَى مذهبِه .

* * *

(١) بالأصل : « وذكرته . . . . فى » ؛ ولعل كلا منهما مصحف عما ذكرنا .

(٢) بالأصل : « اختلف » ؛ وهو تصحيف . والزيادة الآتية متعينة

أحمدُ بنُ وَهْبٍ

٩٩ ومن رجـالِهم : أحمدُ بنُ وَهْبٍ : ولاَّهُ إبراهيمُ قضاءَ اطْرابلس : في حين قضاء ابنِ عَبدون عَلَى القَيْرَوانِ .

وكان — فيما أرى — : قليلَ العلمِ ؛ وذلك : أنَّه كتب إلى إبراهيم بن أحمد : « حفظكَ اللهُ » — فلم يرفعْ الظاء — فقال إبراهيمُ : خفضني : خفضه اللهُ . ثم عزَلَه .

وقيل لي : إنه كان يُكَنَّى : بأبي الزِّيرِ ؛ والزِّيرُ — بالقَيْروانِ — هو : الذي يُسَمَّى بالأندلُسِ : الخابيةَ . والخابيةُ بالقَيْرَوانِ لها صَنعة أخرى : لم أرها بالأندلس

وكُنِّيَ هذا الرجلُ بأبي الزِّيرِ — فيما قيلَ لي — : لأنه عمل نبيذاً في زِيرٍ ، وأرادَ : أنْ يذوقَه ؛ ولم يَجِدْ آنيةً يُدْخِلُها في الزِّيرِ : فأدخَلَ رأسَه في الزِّيرِ : ثم لم يَستَطِعْ أنْ يُخرِجَه : حتى كَسرَ الزِّيرَ . فلُقِّبَ : بأبي الزِّيرِ .

* * *

١٠٠ وابنُه : جعفرٌ شرِّقَ . وولاَّه إسحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ . مظالمَ القيْروان : إذ أخرَجَ ابنَ بحرٍ قاضياً إلى اطْرابلس .

* * *

محمدُ بنُ أسْوَدَ

١٠١ ومن رجالِهم : محمدُ بن أسْوَدَ ، المعروفُ : بالصَّدِّينيِّ . ولاَّه إبراهيمُ بن أحمد القضاءَ : عندَ خروجِه إلى صِقِلِّيَةَ .

وكان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ ؛ وكان صلباً ، صارماً .

قيل لى : إنه أتاهُ قومٌ ، فقالوا : إن فلاناً (وسمّوا رجلاً خسيساً) يُسَهِّلُ شَتْمَ[1] مَن يقولُ بخلقِ القرآنِ .

فقال : إنْ تعرَّضتُهُ : أثبتُّ اسمَه ، وجعلتُ له فى الناسِ قَدْراً ؛ ولكنْ : دعُوه على ما هو عليه . فلم يَعرِضْ له .

* * *

ابن الكُبْرِ

١٠٢ ومن رجالهم رجلٌ يُعرَفُ : بابنِ الكُبْرِ[2] . كان : من كِبارِهم ، معروفاً فيهم ، ومشهوراً منهم . وكان : يُقرأُ عليه المغازى وغيرُها : من أمَّهاتِ [كتُبِ] العِراقيِّين .

* * *

أبو عمرٍو ميْمُونٌ

١٠٣ ومن رجالهم : أبو عمرٍو ميْمونٌ ، المعروفُ : بابن المَعْلُوفِ . وُلِّىَ مظالمَ القَيْروانِ : فى أيامِ بنى الأغْلَبِ.

وأدركْتُه : مُقْعَداً شيخاً كبيراً ؛ وكان له دِينٌ ومكانٌ على سِنِّه . عهْدِى به : سنة ثلاثٍ وثلاثِمائةٍ ؛ وأنا أقرأُ عليه مُوطّأَ مالكٍ ؛ فقرأتُ عليه فيه كلاماً لعُمر ابن الخطَّابِ ، فجعَل يَبكِى : خَشْيةً وتواضُعاً ؛ فإنى لَفِى ذلك المجلسِ — بيْنَ يدَيْهِ — حتَّى دَخَل عليه داخِلٌ ، فقال له : فُتِحَتْ صِقليةُ . فجعَل : يتأسَّفُ .

وتُوُفِّىَ : سنةَ أربعٍ وثلاثِ مِائةٍ .

---

(١) بالأصل : « يشتم » ؛ ، والظاهر أنه محرف عما ذكرنا .

(٢) يحسن أن تراجع المختار : (كبر) .

١٠٤ وابنُه : أبو يَحيَى ؛ كان : حافظاً نبيلاً ، ظاهراً فى مذهَبِ ٱلعراقِيِّين .
وكان : يَلزمُ سُوقَ الصَّوَّافِيِّين ؛ حَجَّ : سنةَ عشرٍ ؛ ومات فى حَجَّه .

* * *

أبو حَبِيبٍ

١٠٥ وأبو حَبِيبٍ ٱلمَعروفُ : بابنِ حَبِيبٍ ٱلنَّدْرِىِّ . كان : شيخاً نظيفاً مُتَدَيناً ، كثيرَ الـكُتُبِ . كانتْ له صَلاةٌ : يَخرجُ فيها عن صلاةِ ٱلجماعةِ ؛ لإفراطِ تَطْوِيله فى الرُّكوعِ والسُّجودِ .
دخَلْتُ عليه يوماً : فدارَتْ بيْنى و بينَه مُناظَرَةٌ ؛ فرأيْتُ رجلاً : مُقتَصِراً[1] لاحْتِجَاجِه علَى ما وَجَد خاصَّةً فى كتُبِهم ؛ لا مادّةَ عندَه ، ولا قَرِيحةَ له .
وكان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ ؛ ورُبَّما ٱنْتَحَل ٱلوقْفَ على القولين جميعاً .

* * *

أبو علىٍّ بنُ ٱبنِ أبى المِنْهالِ

١٠٦ [و] أبو علىٍّ بنُ ٱبنِ أبى المنهال ؛ ابن أخى القاضى إسْحاقَ . كان سِنُّه : قريباً من سِنِّ إسْحَاقَ .
كان عندَه : علْمٌ بمذهبِه ، وحَرَكةٌ فيه ؛ ويُناظِرُ مُناظَرةً : لا بأْسَ بها .

* * *

---

(١) عبارة بالأصل : « مقتصرا على ما وجد لاحتجابه خاصة فى كتبهم » ؛ وفيها اضطراب وتصحيف . ولعل أصلها ما أثبتنا .

ابنُ جـبالٍ

١٠٧ وابنُ جبالٍ ؛ كان مذهبه : مذهبَ الكوفيِّين .

ولاَّه زيادةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ، قضاءَ القيروانِ : بعنايةِ ابنِ الصَّائغِ ؛ وكان: قليلَ العلمِ ، كثيرَ الغفلةِ ؛ ثم عزَله ، وولّى ابنُ الخشَّابِ .

وسمعتُ مَن يحكى : أنه تخاصمَ إليه رجُلانِ ، فثبَتَ الحقُّ على المطلوب منهما : فأعذرَ إليه ، فقال له : إن كانتْ عندكَ منفعةٌ ؛ و إلاَّ حكَمْتُ عليك .

فقال له : إنْ شئتَ فاحكمْ ؛ و إن شئتَ ، فلا تحكمْ ؛ مِن عندِ ابنِ عبدونٍ أتيتُ ، وقد عرَفتَ ما قال لى .

فيسكتُ ، و يخافُ : أن يكون فى الحكمِ عليه خطأً ، فكان كلَّما قال له : يُحكمَ عليك ؛ أعادَ عليه هذا اللَّفظ . فوقَفه عن نفسِه : بهذا الإيهامِ .

ولم تكنْ معه نَهضةٌ فى فهمٍ . ذُكِرَ : أنه تقدَّم معَ خَصمٍ له ، إلى إسحاقَ ابن أبى المنهال ؛ فقال له : احكم بينى و بيْنَ خَصْمِى : بالحقِّ ؛ولا تُحابنى ولا تحابه.
فقال له اسحاقُ : و اذ كنتَ أنت قاضياً : كنتَ تُحابِى معَ الخصُوم ؟ ! .

* * *

ابنُ القطونةِ

١٠٨ وكان لهم رجلٌ يُعرَفُ : بابن القطونةِ ؛ ولِّىَ مَظالمَ القيروانِ : فى أيامِ بنى الأغلبِ . لا أعرفُ مِن صفتِه ، أكثرَ : من اشتهارِ اسمِه .

* * *

أبو العبَّاسِ ابنُ القيَّارِ

١٠٩ ومِن رجالهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بأبى العبَّاسِ بنِ القيَّارِ . كان : قِبله علمٌ وجَدَلٌ

وكان : يَصْحَبُ أبا العَبَّاسِ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ .

* * *

محمدُ بن أحمدَ الفارِسِيُّ

١١٠ ومحمدُ بن أحمدَ الفارِسيُّ . المعروفُ : بابنِ السُّفَيْفِيِّ .

كان : صاحبَ وَثائقَ ؛ وكان كاتباً لإسحاقَ بنِ المِنْهال : في وِلايَتِهِ الأُولى عَلَى القضاء .

وكان : خَفيفَ العلمِ ، لا بأْس به . ناظَرْته يوماً في شيء — : من الفقهِ . — فما وَجَدتُ فيه : نَهْضَةً محمودةً .

* * *

يَحيى بنُ محمدٍ

١١١ ويحيى بنُ محمدِ بنِ قادِمٍ ؛ كان : في نِصاب علمٍ ؛ ولم يكن عنده فِقهٌ .

أدركْتُه : شيخاً زَمِناً ، تقرأُ عليه المَغازِي : في مَسجِده المعروفِ : بمسجدِ ابن قادِم .

وكان لي : جاراً مُلاصِقاً .

* * *

باب تسمية من انتحل النظر وتحلّى بالجدل: من أهل السنة، وغيرهم: من طبقة العلماء بالقيروان

* * *

محمد بن نصر

١١٢ قال محمد: كان محمدُ بن نصرِ بنِ حضرمٍ: ذا جدلٍ وحُجّةٍ.

ويقالُ: إنه كان معلّمَ محمدِ بنِ سحنونٍ: في النظرِ.

لمّا ماتَ بصقلّيّةَ، قال محمدُ بن سحنونٍ: رحم اللهُ أبا الحسنِ؛ لقد كان: مُعلِّمَنا.

قيل له: فلِمَ لمْ تقلْ هذا في حياته؟.

قال: فنظلِمه: حيًّا وميّتًا؟!.

* * *

محمد بن سحنون

١١٣ ومحمدُ بن سحنونٍ؛ كانت له أوضاعٌ في المناظرةِ: في فقهِ الفقهاء، [و] في كلامِ المتكلمينَ.

قال له سليمانُ الفرّاء — المعروف: بابن أبي عُصْنور: يا أبا عبد الله؛ الله سمّى نفسَه؟. (أراد بذلك: أن يقول له: نعم؛ فيثبتُ عليه الإقرارُ: بحدوثِ الأسماء والصّفاتِ).

فقال له ابنُ سحنونٍ: اللهُ سمّى نفسَه لنا، ولم يزلْ؛ وله الأسماءُ الحُسنَى.

* * *

أبو ٱلعبَّاسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ

١١٤ وأبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ ؛ كان له : نَظَرٌ ومُناظَرَةٌ ؛ وله كُتُبٌ : يَرُدُّ فيها عَلَى الشَّافعيِّ ؛ لا بأْسَ بها .

وكان يَجمَعُ بيْنَ أهلِ المُناظَرَةِ : فى مَجلِسِه ؛ ورُبَّما أباتَهمْ عندَ نفْسِه.

* * *

أبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ ٱلحدَّادِ

١١٥ وأبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدَّادِ ؛ كان الكلامُ والجدَلُ والمُناظَرَةُ : بابَه[1] .

قال له سُليمانُ ٱلفرَّاء : يا أبا عُثمانَ ؛ أيْنَ كان ربُّنا : إذْ لا مكانَ . ؟ .

فقال له : السُّؤآل محالٌ : لأن قولَكَ : « أيْنَ كان؟ » يَقتَضِى المكانَ ؛ وقولَكَ : « إذْ لا مَكانَ » يَنْفِى المكانَ ؛ فهذا : نَعَمْ ، لا.

قال : فكيفَ كان ربُّنا : إذ لا مَكانَ ؟ .

قال له : السُّؤآلُ صحيحٌ . ثم أجابَه بجوابٍ : لم أحفَظْه عن حاكيه .

(قال سَعيدٌ) : فلمَّا أبَنْتُ[2] عليه ، جعَل يقولُ لى : يا أبا عُثمانَ ؛ إن المسألةَ : عَظيمةٌ كبيرةٌ ؛ فتَدبَّرْها . فعَلِمتُ : أنَّه رجلٌ يريدُ السَّتْرَ عَلَى نفْسِه .

* * *

---

(١) أى : سبيله الذى سلكه ، وطريقه الذى التزمه . وفى الأصل: « بأنه » ؛ وهو تصحيف

(٢) أى : قطعت عليه سبيل السؤآل والمناظرة ، وحلت بينه وبين المجادلة والمهاترة .

قال محمدٌ : وكانتْ لأبي عُثمانَ مقاماتٌ كريمةٌ ، ومَواقِفُ محمُودةٌ — : في الدَّفْعِ عن الإسلامِ ، والذَّبِ عن السُّنَّةِ . — ناظَر فيها أبا العبَّاسِ المَخْدُومَ (أخا أبي عبدِ اللهِ الشِّيعِيِّ الصَّنْعانيِّ) — بِمِلْءِ فمِه ، ومُنى نفْسِه — : مُناظَرةَ القِرْنِ المُساوِي ، بلْ : مُناظَرةَ المُتعزِّزِ المُتعالي ؛ لم يَتلعْثمْ : لِفظاعةِ المَقامِ ؛ ولا أحْجَم لِهَيْبَةِ السُّلْطانِ ؛ ولا خافَ ما خِيفَ عليه : من سَطْوةِ الحَدَثانِ .

ولقد قال له ابنُه محمدٌ يوماً : اتَّقِ اللهَ : في نفسِك ؛ ولا تُبالغْ : في مُناظَرةِ الرجُلِ .

فقال : حَسْبي : مَن له غَضِبْتُ ، وعن دِينِه ذَبَبْتُ .

* * *

« المجلس الأول »

قال أبو عُثمانَ سَعيدُ بن محمدٍ : أتاني رسولُه (يَعني : أبا العبَّاسِ) ؛ فدَخلْتُ عليه ، في قَصرِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ الأغلَبِ — : وحوْلَه وُجوهُ أصحابِه ، ومعِي موسى القَطَّانُ . — فسلَّمتُ وجلَستُ ؛ وقد كان أتاه قبلَ ذلك جميعُ أهلِ بَلدِنا (أعني : من أهلِ العلمِ) ؛ بغيرِ إرسالٍ .

فقلتُ له : قد كان مَن كان قبْلَكَ في هـذا القصر ؛ وقد عَلِمَ اللهُ وعلِمَ مَن حَضَر — : من أصحابِنا . — :أني لم أكُنْ بجيَّاءٍ للملوكِ ، ولا آتِي أحداً منهم : بغيرِ رسولٍ .

فتَكلَّمَ ؛ ثم قال لي : مِن أينَ قلتَ بالقِياسِ ؟ .

(قال) [قلتُ] : قلتُه بكتابِ اللهِ .

قال : وأينَ هو في كتابِ اللهِ ؟ .

قلتُ : قال اللهُ : (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنوا لاَ تَقتُلُوا الصَّيْدَ : وأَنْتمْ حُرُمٌ ؛ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً : فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ : ٥-٩٥ .)

فالصَّيدُ : مَنْصُوصٌ ؛ والذى أُمِرْنا : أن نُمَثِّلَه بالمَنصوص ؛ ليس : بمَنصوصٍ .

فعلِمْنا بذلك : أنَّ مِن دِينِ اللهِ ، تَمْثيلَ مالم يُنصّ : بما نُصَّ .

(قال أبو عُثمانَ) : [ثم قال] : ومَن ذَوا عَدلٍ ؟ . (وأَوْمَأَ : إلى أنهم قومٌ دونَ قومٍ) .

فقلتُ : همالذين قال اللهُ فيهم ـ فىالمُراجعةِ من الطَّلاقِ ـ : (وأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنكمْ : ٦٥ـ ٢) .

(قال أبو عُثمانَ) : وأجابَه موسى القطَّانُ ـ من فَوْرِى ـ بحديثِ علىٍّ فى الخمرِ : إذ قال فى السَّكرانِ : « إذا سَكِرَ : هَذَى ؛ وإذا هَذَى : افترى » ؛ [فـ] وَجب عليه ضرْبُ ثمانينَ ، أدْنى أنْ يُضرَبَ ثمانينَ .

فقال له : ألم يَقلْ النبيُّ صلى الله عليه [وسلم] : علىٌّ أفضلكم » ؟ ! .

(قال أبو عُثمانَ) : فقلتُ لِموسى ـ وهو إلى جَنْبِى ـ : وفى الحديثِ : « ومُعاذ أعلمكم : بالحلالِ والحرامِ ؛ وعُمرُ أقْواكم : فى دينِ اللهِ » .

فكلّمه بذلك : فغَضِبَ ، وقال : يكون أقْواهم فى دينِ اللهِ ، مَن فَرَّ بالرَّايةِ يوم خَيْبَرَ ؟ ! .

فقال لهموسى : ماسمِعْنابهذا .

(قال أبو عثمان) : فقلتُ : قال اللهُ : (إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقتَالٍ ، أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ : ٨ـ١٦) . فعُمَرُ : ممَّن تحرّف لقتالٍ أو تحيّز إلى فِئةٍ .

فقـــال : وأىُّ فِئةٍ أكثرُ من النبىِّ ؟! : وقد كان حاضراً ، ولم يَتحيَّزْ إليه .

فقلتُ : جاء عنه صلى الله عليه [وسلم] ، أنَّه قال : «عُمرُ : فِئةٌ» ؛ فمَن تحيَّزَ إلى عُمرَ : فقد تحيَّزَ إلى فِئةٍ .

فسكَتَ ؛ فحرَّكه بعضُ أصحابه ، وقال : ألا تَسمَعُ ما يقولُ هذا الشيخُ ؟!.

فقال . صدَق . أو نحوَ هذا : من القولِ ، سمِعتُها أنا منه ، ومَن كان يَليهِ .

(قال أبو عُثمانَ) : ثم عَطَفَ ، فقال : أنتم تُبغِضـون عليًّا ؛ يا أهـــلَ المدينةِ .

(قال أبو عُثمانَ) : [فقلتُ] : عَلَى مُبغِض علىٍّ : لعنـةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ؛ وكيفَ أُبغضُ عليًّا : وقد سمِعت سَحنونَ بن سَعيدٍ - : وهو إمامُ أهلِ المدينةِ بالمَغرِبِ . — يقولُ : « علىُّ بن أبى طالبٍ إمامى فى دِينى : أهتَدِى بهَدْيه ، وأستَنُّ بسُنَّته ؛ رحمةُ اللهِ عليه » ؛ ؟ ! .

فقال لى : بَلْ صلوَاتُ اللهِ عليه .

(قال) : فرفَعتُ صَوتى ، وقلتُ : إنَّ الصلاةَ — فى كلامِ العربِ — : الدُّعاء . وقلتُ : قال الأعْشَى :

تقول بِنْتِى - وقَدْ قرَّبْتُ مُرْتَحِلاً - : يَارَبِّ ؛ جَنِّبْ أبِى الأوْصَابَ والوَجَعَا
عَلَيْكِ مِثلُ الذِى صَلَّيْتِ ؛ فاغْتَمِضِى نَوْماً : فَإنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَا

(قال أبو عثمانَ) : ثم قلتُ : نعمْ ؛ فصَلَّى اللهُ عَلَى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، والحسَنِ والحُسيْنِ ، وأهلِ طاعةِ اللهِ أجمعـينَ مِن أهلِ السَّموات والأَرَضِينَ

(قال أبو عُثمان) : ثُم قال لى : أَلَيْس علىٌّ مَولاكَ ؟ ! يقولُ ٱلنبيُّ : « ٱللّهمّ : والِ مَن والاَهُ ، وعادِ مَن عادَاهُ .

(قال) : قلتُ : هو مَولاىَ : بالمعنى ٱلذى أنَا به مَولاهُ ؛ ولا وَلايةَ ، لا ولا عَتاقةَ ؛ لأنّ المَوْلَى ـ فى كلام العربِ ـ مُتصَرِّفٌ : يَكونُ المَوْلَى[1] ؛ ويكونُ : ٱبنَ العمِّ ؛ ويكونُ : ٱلمُعتَقَ ؛ ويكونُ : المُنعَمَ عليه .

ثم قلتُ : قال ٱللهُ ـ حكايةً عن زكريَّاءَ ـ : (وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَالِىَ مِنْ وَرَآئِى : ١٩ ـ ٥) ؛ يُريدُ : ٱلعَصَبةَ .

وقال : (ذَٰلِكَ : بِأَنَّ ٱللهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا ؛ وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ : ٤٧ ـ ١١) ؛ يُريدُ : أنّ ٱللهَ وَلِىُّ ٱلمؤمنينَ ؛ وأنّ ٱلكافرينَ لا وَلىَّ لهم .

وقال فى المؤمنينَ : (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ : ٩ ـ ٧١) ؛ فعلىٌّ مَولَى المؤمنين : لأنه وليُّهم ؛ وهم مَواليه : بأنهم أولياؤه . فعلىٌّ مَولاىَ : بالمَعنى ٱلذى أنَا به مَولاهُ .

(قال أبو عُثمان) : ثم قال لى : فالحديثُ ٱلآخرُ : « أنتَ مِنِّى : بمَنزِلةِ هارُونَ مِن مُوسى » ، ؟ .

(قال) : قلتُ : هارُونُ كان حُجّةً[2] : فى حياةِ مُوسى ؛ وعلىٌّ لم يكنْ حُجةً : فى زمانِ محمدٍ صلى الله عليه [وسلم] ؛ ولم يكنْ بأخيه . وإنما كان له : وَزيراً ؛ والمؤمنون : وُزَراءُ رسولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلَّم .

(قال) : ثُم قال لى : أَلَيْس علىٌّ بأفْضلِهم ؟ ! .

(قال) : فقلتُ له : ٱلحقُّ مُتّفَقٌ عليه ، غيرُ مُختَلَفٍ فيه .

قال لى : نعمْ .

---

(١) أى : السيد المعتق ؛ وراجع : المصباح لمزيد الفائدة .

(٢) أى : نبيا معصوما ينزل الوحى عليه ، ويجب اتباعه .

(قال) : فقلتُ له : قد مَلَكْتَ مَدائنَ كثيرةً ، قبلَ مَدينتِنا هذِهِ ـ : وهى أعظَمُ مَدينةٍ . ـ واستَفاض الخَبَرُ عنك : أنَّك لم تُكْرِهْ أحداً ـ : خالَفَكَ فى مذهبِك . ـ : عَلَى ٱلدُّخولِ فيه . فاسْلُكْ بنا ، مَسْلَكَ غيرِنا .

(قال) : فألَحَّ عليه بعضُ أصحابِه ـ : فى قَصْدِنا[1] . ـ فقال بقولٍ ـ كما قال سعيدٌ[2] ـ : « وَإنْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ آمَنُوا بالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ـ : فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ [بَيْنَنَا] : وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ » . ثُم : خَرَجْنا .

* * *

« المجلس الثانى »

قال أبو عُثمان : ثُم دَخلْتُ عليه فى مَجلسٍ ثانٍ ، فأقْبَلَ : يَسألُ مَن حَضَر ـ : من ٱلْمَدَنيِّينَ ، والعِراقيِّينَ . ـ : ٱلسُّنَّةُ ما هىَ ؟ .

فقال بعضُهم : ٱلسُّنةُ ، ٱلسُّنةُ ! ! . وما دَرَى أحدٌ منهم : ما يُجيبُ .

(قال) : ثُم حَوَّل وجْهَه إلىَّ ، وقال : بَلَغَنى : أنَّك تقولُ بالـكِتابِ والسُّنةِ ؛ ولـكنَّ ٱلسُّنةَ : ما هىَ ؟ .

فقلتُ له : ٱلسُّنةُ مَحصُورَةٌ فى ثلاثةِ أوْجُهٍ .

فقال : وَجِّهْها .

---

(١) أى : مماثل لما حكاه سعيد . وفى الأصل : «سعيت» وهو تصحيف .

(٢) أى : فى العدل معنا . وقوله : فقال ؛ أى : ذلك البعض ؛ مقتبسا آية الأعراف (٨٧/٧) : ببعض تصرف ، والزيادة الآتية : من الطابع الأول .

فقلتُ : ٱلائتِمارُ بِما أمَر به رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، والانتهاء بنَهْيِه ، والإيتِسَاء به : فى فِعلِه صلى الله عليه [وسلم] .

(قال) : فقال لى : فإذا ٱختُلِفَ عليك ، فيما نُقِل إليك عنه : من ٱلحديثِ .؟

(قال) : قلتُ : أطلُبُ ٱلدَّليلَ عَلَى مَوضِعِ ٱلحقِّ فى أحدِ الأحاديثِ ؛ ويكونُ سَبيلِى فى ذلك : سَبيلَ مَن شَهِد عندَه شهودٌ ، فاختَلَفُوا فى شهادتِهم : فقال بعضهم : أعلَمُ ؛ وقال بعضُهم : لا أعلَمُ . فلابُدَّ مِن طلَبِ ٱلدَّليلِ عَلَى مَوضع ٱلحقِّ : فى إحدَى الشَّهادات .

فقال أبو العبَّاسِ : أُناظِرُكم عَلَى أنِّى إنْ وجَدتُ الحقَّ فى مَذهبِكم : رَجَعتُ إليه ؛ وإنْ وَجَدتُم الحقَّ فى مَذهَبِى : رَجَعتُم إليه . أليْس هذا الإنصافَ : كما قال اللهُ : (قُلْ : فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِندِ اللهِ ـ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ـ : أَتَّبِعْهُ ؛ إنْ كُنتُمْ صادِقين : ٢٨ ـ ٤٩) ؛ ؟! .

(قال أبو عُثمان) : فقلتُ له : أَبَى اللهُ ما ذكَرْتَ ؛ ولَمْ تَدْرِ ما أرادَ ٱللهُ . إنَّما أرادَ : ٱلنَّفْىَ لِأنْ يَأْتُوا بكتابٍ هو : أهْدَى مِنهما ؛ لا : عَلَى أنَّه يُمكنُ أنْ يَأْتُوا بكتابٍ أو بسُورةٍ : مِن مِثْلِه ؛ وهو القائلُ : (قُلْ : لَئِنْ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإنسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلقُرْآنِ ـ : لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ؛ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً : ١٧ ـ ٨٨) . فنَفَى عنهم : الإتْيانَ بكتابٍ هو : أهْدَى منهما كما قال عز وجل : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وادْعُوا[1] شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ؛ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا : ٢ ـ ٢٣ و ٢٤) . فعُلِمَ بذلك : أنَّه إنما دعاهم عَجْزُهم عن الإتْيانِ بسُورةٍ : مِن مِثْلِه .

---

(١) بالأصل : « وادعوا من استطعتم » وهو تصرف من ناسخ أو طابع : ناشىء من الاشتباه بآية يونس : (١٠/٣٨) .

(قال) : فبَدَرَ إلىَّ ابنُ عَبـدونٍ ، وقال لى : يا أبا عُثمان ؛ الحَقْ بِنـا[1] . فنَهَضْنا ؛ فقال لى : ـ بعدَ الخرُوجِ ـ خِفْنـا[2] : أنْ يَطَّرِدَ الـكلامُ ؛ فبَادَرْناكَ بالقيامِ .

* * *

« المجلس الثالث »

قال أبو عُثمان : دَخَلْتُ عليه ، فأجْلَسَنى معَه فى مكانه : وهو يقولُ لرجلٍ — من أهلِ العِراقِ — : المُعَلِّمُ يكونُ أعلَمَ مِن المُتعلِّمِ أبداً ؛ والعِراقِىُّ يقولُ : نعمْ ؛ وأهلُ المجلسِ لا ينطِقُون .

(قال) : فقلتُ : بقِىَ شىءٌ ؟ أو أتـكلَّمُ ؟ .

فتمَادَى ، وقال : ألَيْسَ المُتعلِّمُ يكونُ أبداً : مُحتاجاً إلى المُعلِّمِ ؟ ! والعِراقِىُّ يقولُ : نعمْ .

(قال أبو عُثمان) : وفَهِمتُ مُرادَه وقَصْدَه ، و[أنَّه] إنَّما أرادَ : توْكيدَ الطَّعنِ عَلَى أبى بَكرٍ الصِّدِّيقِ : إذْ سألَ عليًّا عن فَرْضِ الجَدَّةِ ؛ وذكَرَ لى مَعْنى ذلك ؛ فبَدَرْتُ وقلتُ : أسمَعُ كلاماً يَجبُ للهِ علىَّ فيه : أن لا أسكُتَ .

فقال لى : وما ذلك ؟ .

---

(٢) هذا هو الظاهر الصحيح . وفى الأصل : «ينالنا» ؛ وهو تحريف .

(٣) بالأصل : «حقنا» ؛ وهو عبث وتصحيف .

فقلتُ المتعلِّمُ يكونُ : أعلَمَ من المعلمِ وأفقَهَ ؛ ويكونُ أفضَلَ منه أيضاً .
فقال لى : وما دَليلكَ عَلَى ذلك ؟ .

(قال) : قلتُ : رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ حيثُ يقول : « رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أفْقَهُ منه ؛ ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غيرِ فَقيهٍ » .

(قال) : قلتُ : وأخْرَى[1] : ما هو مَعروفٌ بيْنَ الخَليقةِ : أنَّ المُعلِّمَ يُعلِّمُ الصِّبْيانَ ، فلا يَزال يُعلِّمُ : حتَّى يَكْبَرَ الصَّبِيُّ ؛ فيُعطِى اللهُ الصبيَّ ـ : من الفَهم بخاصِّ القرآنِ وعامِّه ؛ وغيرِ ذلك : من أسْبابِ العِلمِ ووُجُوهِه ـ ما لا يَقدِرُ عليه مُعلمُه .

قال لى : اُذكُرْ : من خاصِّ القرآنِ وعامِّه شيئاً .
فقلتُ : نعمْ ؛ قال اللهُ : (وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ : ٢ — ٢٢١) ؛ فكان ظاهِرُها : لِعُمومَ .

فلمَّا قال في مَوضعٍ آخَرَ : (يَسْأَلونَكَ : مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ؟ قُل : أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ؛ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : حِلٌّ لَكُمْ ؛ وَطَعَامُكُمْ : حِلٌّ لَهُمْ ؛ وَالْمُحْصَنَاتُ : مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ؛ وَالْمُحْصَنَاتُ : مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ : ٥ـ٤و٥) ؛ دَلَّ على الآيةِ الأُولى : أنَّه إنَّما أرادَ بها : الخصوصَ والمشْرِكاتِ غَيرَ الكِتابِيَّاتِ .

(قال أبو عثمانَ) : ثم قال لى : فمَن المُحْصَنَاتُ ؟ .

(قال) : قلتُ : العَفائفُ .

فقال : المُحصَناتُ المتزوِّجاتُ .

---

(١) أى : وحجة أخرى على ذلك .

(قال) : فقلت له : الإحْصانُ[1] فى كلامِ العرَبِ ـ التى نَزل بلسانِها القرآنُ : الإحْرازُ ؛ فمن أحرزَ شيئاً : فقد أحْصَنَه . فالإيمانُ : إحْرازٌ لِدمِ صاحبِه ومالِه.

والعِتْقُ يُحْصِنُ المَمْلوكَ : لأنه يُحرِزُه مِن أنْ يَجرِىَ عليه ما يَجرِى عَلى المملوكِ.

والتَّزْويجُ يُحصِنُ الفرْجَ : مِن أنْ يكونَ له مُباحاً ما كان له قبْلَ التَّزويجِ .

والعَفافُ إحْصانٌ : لأنها أحْرزَتْ فرجَها: بالعَفافِ.

(قال أبو عثمانَ) : فقال لى : ما الإحْصانُ عندى إلاَّ النكاحُ .

(قال) : فقلت له : مُنزِل الفُرقانِ يأْبَى ما ذكرْتَ ـ :

قال اللهُ جلّ وعزّ : (وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ التِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا : ٦٦ـ١٢) ؛ يُريدُ: أعفّتْه ؟

قال : أعفّتْه .

(قال) [قلتُ] : نعمْ أعفّتْه

وقال: (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ٤ ـ ٢٥) ؛ يقولُ : عفائفَ غيرَ زوانٍ .

قال : فقد قال فى ٱلإِماءِ : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فإن أَتيْنَ بِفَاحِشَةٍ : فَعَلَيْهِنَّ نصفُ مَا على ٱلمُحْصَنَاتِ : مِنَ ٱلعَذابِ : ٤ ـــ ٢٥) ؛ فكيفَ يقول : ٱلعَذابُ على ٱلمحصَناتِ ؛ وهُنَّ عندك : قد يَكُنَّ عفائفَ . ؟ !

(قال) : قلتُ سمَّاهُنَّ : بمتَقدِّمِ أسمائِهنَّ ، قبْلَ زِنَائِهِنَّ . قال اللهُ تباركَ وتعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزواجُكُم : ٤ ـــ ١٢) ـ : وقد ٱنفَصَمَتْ

---

(١) للشافعى (رضى الله عنه) : كلام جامع عن معانى الإحصان ، ومفيد فى هذا المقام فراجعه : فى الرسالة ١٣٣ ـــ ١٣٧ ، وأحكام القرآن ١/٣٠٧ ـــ ٣١٢ و ٢/١٨٤ ـــ ١٨٥ وانظر : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى ٢٩٦ .

العِصْمةُ : بالمَوتِ . — يريدُ : اللاَّتِي كُنَّ أزْواجَكم . وهذا كثيرٌ .

(قال أبو عثمانَ) : وذكَرْتُ أشياءَ : من ذلك فعارَضَني بعضُ أحداثِ العِراقيِّين ؛ فقلت له : أمْسِكْ يا حَدَثُ . (قال) : فلم يَنْطِقْ .

فقال : لى أبو العبَّاسِ : فعَذابُ المُحْصَناتِ : الرَّجْمُ ؛ فكيفَ يُعقَلُ نِصْفُ الرَّجم : وقد يُقْتَلُ[1] بواحدةٍ ، ورُبَّما لم يُقتَلْ بأكثرَ من ذلك ؟ ! .

(قال) : فقلتُ : هذا ممَّا كُنَّا فيه ؛ أرادَ : خاصًّا دونَ عامٍّ ؛ أرادَ : نصفَ ما عليهن : من عَذابِ الجَلْدِ ؛ دونَ الرَّجْمِ .

فقال لى : ومَن يقولُ بالجَلْدِ معَ الرَّجْمِ ؟ .

(قال) : قلتُ : علىُّ بن أبى طالبٍ[2] (رضى الله عنه) : جَلَد شُراحَة مائةً ورَجَمَه ؛ وقال : « جَلَدتُك : بكتابِ اللهِ ؛ ورَجَمتُك بسُنَّةِ رَسولِ اللهِ . » .

(قال) : فقال لى : ياشيخُ ؛ أنت تَلُوذُ .

(قال) : فقلتُ : ليسَ أنا الذى ألوذُ — : لأنِّى أنا المُجيبُ . — وأنتَ الذى تَلوذُ : لأنِّى إذا وَقَفْتُك — من المسألةِ — على حدٍّ : لُذْتَ أنتَ إلى مسألةٍ أخرَى : غيرِ ما سألتَنى عنه .

(قال) : ثم صِحْتُ : ألا أحدٌ يكتُبُ ما أقولُ ويقولُ ؟ . فوَقَى اللهُ شرَّه[3] .

قال : فكأنَّك تقولُ : إنَّك أعلمُ الخَلقِ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : أمَّا بدِينِى : فنَعم ؛ لأن دِينِى هو الحقُّ : الذى ليس الحقُّ فى سِواهُ .

---

(١) أى ؛ من يراد رجمه . وانظر فى هذا البحث : أحكام القرآن وهامشه ١/٣٠٨ .

(٢) خلافا لبعض الصحابة : كابن عباس ؛ وبعض الأئمة : كالشافعى ؛ فى أن الجلد قد نسخ : بحديث عمر ، وحديث أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى . انظر : أحكام القرآن وهامشه ٢/٣٠٥ — ٣٠٧ .

(٣) يعنى : فلم يغضب أبو العباس ، ولم يأمر بالتنكيل به .

قال : أَفَمَا تحتاجُ فيه إلى زيادةٍ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : لا .

قال لى : فأنتَ ـ إذاً ـ أعلمُ من موسَى : حين قال للخَضِرِ : (هلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً : ١٨ ـ ٦٦) ؟ ! .

(قال) قلتُ : قائلُ هذا القولِ ، غامِطٌ[1] على موسى فى نُبُوَّتِهِ : إذْ يَزْعُمُ : أنَّ الله اصْطفاهُ برسالتِه ، وبكلامه ونُبوَّتِه ؛ وهو يحتاجُ إلى أن يَعلَمَ ـ بعدَ ذلك ـ شيئاً : مِن دينه . مَعاذَ اللهِ .

إنَّما كان العلمُ ـ الذى كان عندَ الخَضِرِ ـ : علْمَ سَفينةٍ كان غَرَّقها : لِعلْمِه بالمَلِكِ الذى يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً ؛ وغلاماً[2] قتَله : لِعلْمِه بكُفرِه وإيمانِ أبوَيْهِ ؛ وجِداراً أقامَه : عِلْماً بالكَنْزِ الذى كان تحتَه . وذلك: لا يَزِيدُ فى دِينِ موسى شيئاً .

(قال أبو عثمانَ) : ثم قال لى : فأنا أسألُك .

(قال) : قلتُ أوْرِدْ أبداً ؛ وعَلَيَّ الإصْدارُ بالحقِّ : بلا ثَنْوَى[3] .

(قال) : قال لى : ما تفسير « اللهِ » ؟ .

(قال) : قلتُ ذُو الإلاهَةِ .

قال : وما الإلاهَةُ ؟ . قلتُ : الرُّبُوبِيَّةُ .

---

(١) أى : من زعم أن موسى (عليه السلام) كان محتاجا إلى معرفة شيء من دينه ؛ عن طريق الخضر ـ : فقد غمط حقه ، وازدراه واحتقره . وفى الأصل : « غامض » ؛ وهو تصحيف .

(٢) يعنى : وعلم غلام . . . وعلم جدار . ولعل أصلهما : « وغلام . . . وجدار » .

(٣) أى : بلا استثناء ؛ انظر المختار : (ثنى) . وعبارة الأصل : « مثنوية » ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا .

قال : وما الرُّبُوبِيَّةُ ؟ . (قال) : قلتُ : المِلْكُ للأشياء .

(قال) : فقال لى : فقُرَيْشٌ كانت فى جاهليَّتِها تَعرِفُ اللهَ ؟ .

قلتُ : لا . قال : لا ؟ .

قلتُ : لا ؛ لأنَّها كانتْ تقولُ : اللهُ ذُو الشُّرَكاءِ ، والآلِهَةِ ؛ فلم تَعرِفْه : إذ قالتْ : ذو الشُّركاءِ ؛ وإنما يَعرِفُ اللهَ مَن قال : إنَّ اللهَ وحْدَه ، لاشريكَ له .

قال : فمَنْ « الذين آمنوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : نحنُ ومَن تَرَى ؛ وأَوْمَأْتُ[1] إلى أصحابِنا : وهمْ بيْنَ يدَيْه .

فقال[2] : مَن « الذين هادُوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هذا : مِن ذالكَ الذى تَقدَّم ذِكْرُه[3] ؛ سَمَّاهم بمتقدِّمِ كلمةٍ — : كانتْ منهم يَأْتُونَها ، وكانوا بها مُسلِمين . — يقولون : هُدْنَا إليْكَ .

قال : فمَن « النَّصارَى » ؟ .

(قال) : قلتُ : المُتكلِّمون فى المَسيحِ صلَّى اللهُ عَلَى نبِّينا محمدٍ وعليه .

قال : فمَن « الصَّابِئُونَ » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عَبدُوا الملائكةَ ، وزَعَموا : أنَّهم بناتُ اللهِ . —
(قال أبو عثمان) : وهذا قولُ أهلِ العلمِ ؛ فبدَأْتُ بجوابِهم : قبْلَ أنْ أُجيبَه بكلامِ المتكلمينَ . —

(قال أبو عثمانَ) : فقال لى : هم الذين عَبَدوا الملائكةَ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ وزَعم هشامٌ[4] : أنَّهم أصْلُ المنَانِيَّةِ[5] .

---

(١) بالأصل : «واوميت» ؛ وهو خطأ كما نص عليه فى المختار : (و م أ) .

(٢) بالأصل : « وقال » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) عند الكلام على آية النساء (٣/٢٥) : ص ٢٦٦

(٤) المراد به : هشام بن الحكم ؛ أحد كبار الرافضة ، وزعيم الفرقة الحكمية .

(٥) كذا بالأصل . ويقال لهم : المانوية ؛ أتباع مانى الفارسى . راجع : اعتقادات الفرق للفخر الرازى (ص ٨٨) .

قال : فمَن « الذين أشرَكُوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عَبدُوا الأصْنامَ ؛ ٱلذين أَرْسَلَ إليهم رسولُ ٱللّه (صلى الله عليه وسلم)، علىَّ بن أبى طالبٍ — بآيةٍ من سُورةِ [بَراءَةَ] (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرسولِهِ ، إِلَى الذِينَ عَاهَدتُّمْ : مِنَ ٱلْمُشْرِكينَ ؛ فَسِيحُوا فى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : ٩ — ١ و ٢) .

(قال) : فقال لى : وما كانتْ تَعبُدُ قُرَيْشٌ ؟ . قلتُ : ٱلأصْنامَ .

قال لى : وما ٱلأصْنامُ ؟ . قلتُ : ٱلحِجارةُ .

قال لى : والحِجارةُ كانتْ [تُعْبَدُ] ؟ ! . (عَلَى التَّنكيرِ : لِأَنْ تكونَ ٱلحجارةُ هى ٱلأصْنامَ) .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ والعُزَّى كانتْ تُعْبدُ : وهى شَجرةٌ ؛ والشِّعْرَى كانتْ تُعْبَدُ : وهى نَجْمٌ ؛ .

[قال] : اللهُ يقولُ : (أَمَّن لاَّ يَهِدِّى إلاَّ أنْ يُهْدَى: ١٠—٣٥)؛ فكيفَ تقولُ : إنها ٱلحِجارةُ ؛ والحجارةُ لا تَهدِى إذا هُدِيَتْ : لأنها ليستْ مِن ذَواتِ العَقلِ . ؟ ! .

فعارَضَنى بعضُ أهلِ ٱلمجلسِ —: كالمُعِينِ له.— فقال : كيفَ تعقل[1] ٱلحِجارةُ : وليستْ من ذَواتِ النُّطقِ . ؟ .

(قال) . فقلتُ للمُعارِضِ : أَمْسِكْ ؛ مالَكَ ولذا ؟ ! .

ثم قلتُ : قد أخبرَنا الله : أنَّ ٱلجُلودَ تَنطِقُ فى الآخِرةِ ؛ وليْستْ من ذَواتِ النُّطقِ .

(قال) فقال : نُسِبَ إليها النُّطقُ عَلَى المجازِ ؛ والنُّطقُ للأفواهِ .

(١) بالأصل : « تفعل » ؛ وهو تصحيف .

(قال) : فقلتُ : مُنزِل الفُرقانِ يَأْبَى ما ذكرْتَ ؛ قال الله : (الْيَوْمَ: نَخْتِمُ عَلَى أفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1] ٣٦ — ٦٥) — (قال : أبو عثمانَ) : وأشرْتُ بإصْبَعِي السَّبَّابةِ إلى فَمِي ، فقلتُ : خَتَمَ اللهُ على أفواهِهِم . — ثم نَفَى بقولِه : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدتُّمْ : عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ : ٤١ — ٢٤).

وما الفَرقُ بيْنَ جِسمِك وأجْسامِنا والحجارةِ ، إلاَّ : أنَّه عَقَّلْنا اللهُ : فعَقَلْنا ؛ ولولمْ يُعقِّلْنا : ما عَقَلْنا . ؟ ! .

وكذلك الحِجارةُ : إذا شاء [اللهُ] أنْ يُعقِّلَها : عَقَلتْ .

هذا الجَبلُ لَمَّا عَقَّلَه الله عقْلَ جَلالِ تَجلِّيهِ : انْدكَّ ؛ قال اللهُ تبارك وتعالى : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ : جَعَلَهُ دَكّاً : ٧ — ١٤٣) .

* * *

« المجلس الرابع »

قال أبو عثمانَ : هذا مَجلِسٌ دارَ بيْني وبيْنه : ما رأيتُه أقربَ إلى الإنْصاف منه فيه ؛ وكأنّه — : في مُناظرتِه لي . — إنما يُناظِرُني عن مَذهبِ غيرِه .

وذلك : أنَّ المسألةَ جرَتْ بيْنَنا وبينه ، في بابِ : « الفاضِلِ والمَفضُولِ » ؛ لأنَّ مِن أصْلِ مَذهبِه ، القول : بأنَّه لا يَجوزُ تقديمُ المفضُولِ على الفاضلِ ، بعد الاتّفاقِ — من الخَصْمَيْنِ — : على الفاضِلِ .

---

(١) بالأصل : «يعملون» ؛ وهو تصحيف بالمعنى

فقال لى : ألَيس قولُكَ : إجازةَ تقديمِ المَفْضُولِ على الفاضِلِ . ؟ ! .

فقلتُ : أعزَّكَ [اللهُ] بتوفيقِه ؛ أنا مُتَّبِعٌ — فى ذلك — لِكتابِ اللهِ ، وسُنةِ نبيِّه عليه السلامُ . وذلك لا يَخفَى عن ذِى لُبٍّ : نَظَر فى كتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولا يَعْدُوهما إلى غيرِها .

قال لى : وأيْنَ تَجِدُ ذلك : فى كتابِ اللهِ . ؟ .

(قال) : قلتُ له : قال اللهُ :) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ؛ قَالُوا : أنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا : وَنَحْنُ أحقُّ منه [بالْمُلْكِ] ؛ [وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ] ؟ ! قَالَ : إنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عليكم ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ : ٢ — ٢٤٧) .

فقال عندَ [ذ] لك — كالمُغضبِ — : ليس القِصَّةُ كما تَوَهَّمتَ .

فقلتُ له : والأمر الذى لم أتوهَّمْه — : وفيه الحقُّ عندَكَ . — هلْ إلى ذِكْرِه من سبيلٍ ؟ .

فقال : نعمْ ؛ ذكَرْتَ خبرَ طَالُوتَ ، واحْتَجَجْتَ فيه : بقولِ نَبِيِّهم وقولِ أهلِ الجَيشِ .

فقلتُ له : قال اللهُ : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إنَّ اللهَ قد بعثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً) ؛ فاقصِدْ إلى موضوعِ حُجَّتِك ها هنا .

ثم قلت : أعزَّ اللهُ الأميرَ ؛ لَمَّا كان خُروجُ طالوتَ من فوقِ إذْنِ نَبِيِّهم ، ثَبَتَ : أن اللهَ قدَّم المَفْضُولَ على الفاضِلِ ؛ إذْ كنَّا لا نشُكُّ — نحن ومن خالفَنا — : أنَّ نَبِيَّهم أفضلُ من طالوتَ وطالوت هو المفضولُ .

فقال لى : وهكذا اعتقادُك ؟ .

فقلتُ : نعمْ ؛ أيُّها الأميرُ .

فقال لجميعِ من حَضَره — ممَّن حولَه : من أهلِ المجلسِ — : افهَمُوا عنَّا ؛

(ثُمَّ أَوْمأَ إلىَّ ، وقال لى) : إنَّما كان خروجُ طالُوتَ : مِن تحتِ يدِ نبيِّهم ؛ لا كما تَوَهَّمْتَ : أنه مِن فَوقِ إذْنِهِ . لأنَّ نبيَّهم هو الذى أخبرَهم : أنَّ طالُوتَ مُقدَّمٌ عَلَى الجيشِ ؛ فلمَّا كان هذا هكذا : كان الفاضِلُ بعدُ هو المَفْضُولَ . فقد تَبيَّنَ فسادُ قولِك وتَناقُضُه .

فقلتُ له : إنِّى — : بإذْنِك . — أسْتَوْفِى حُجَّتِى ؛ فإنْ أذِنتَ لى فى الكلامِ : أتيتُ عَلَى ما أُريدُ .

فقال لى : قلْ ، ولا تُبْقِ : من حُجَّتِك ؛ شيئاً .

فقلتُ له : نفْسُ الآيةِ لى شاهدٌ ؛ ولا تكونُ الحجةُ من غيرِها .

وذلك : أنَّ اللهَ أخبرَ عن نبيِّهم : أنه قال لهم : (إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً) ؛ ولم يقُلْ : إنِّى بَعثْتُه لكم . فلمَّا جاء الخَبَرُ من نبيِّهم ، وأضافَه إلى اللهِ ، لا إلى نفسِه — : وَجَب بهذا : أنَّ أمْرَ طالُوتَ مِن فَوقِ إذْنِ نبيِّهم ، وكذلك قالتْ الآيةُ .

ثم قلتُ له : وهذه سُنةُ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ فانظرْ منها : إلى تَقديمِ المَفضُولِ على الفاضلِ ؛ وهو مالا يُنكِرُه أحدٌ .

مِن ذلك : أنَّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أمَّرَ على جيشٍ : عَمْرَو بنَ العاصِ ؛ فكان : يَقْسِمُ الفَىْءَ ، ويأمُرُ ويَنهَى : فيُطاعُ ؛ ويُصلِّى لهم الصَّلَوَاتِ ؛ ويُشَاوِرونَه ويَستأذِنُونَه : فى جميعِ شأنِهم . وتحتَ يدَيْه فى الجيشِ : أبو بكرٍ وعُمَرُ ؛ وهما جميعاً أفضلُ منه : لا يَشُكُّ فى ذلك أحدٌ .

وأيضاً : أنَّ النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) أمَّرَ على جَيشٍ : زَيدَ بنَ حارِثةَ ؛ فكان : يَفعَلُ فى ذلك ، وفيمَن تحتَ يدِه : من المسلمينَ — : كفِعْلِ عَمرِو ابنِ العاص ، فيمَن تحتَ يدِه من المسلمينَ — : وتحتَ يدَيْهِ فى الجيشِ : ذو الجناحَيْنِ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ ؛ وهو أفضلُ من زيدِ بنِ حارِثةَ .

فلمَّا ثبَتَ ذلك عندَنا ، وقام مَقامَ ٱلعِيَانِ ـ : جاز للأمَّة : تقـديمُ المَفضُولِ عَلَى ٱلفاضِلِ .

فقال لى : نحنُ لا نقولُ كقولِك : إنَّ للأُمَّةِ : أنْ تجتمعَ ، فتقدِّمَ عَلَى نفسِها إماماً . وإنَّما يكونُ ٱلإمامُ : مَن اصطَفاهُ اللهُ ورسولُه . وأمَّا مَن لم يُقدِّمْه اللهُ عَلَى خلقِه ، ولم يُقدِّمْه رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسـلم) ـ : فكيفَ له ٱلتَّقديمُ ؟! :

فقلتُ : أعزَّ اللهُ السَّيدَ ؛ إنَّ الذى اصْطَفاهُ اللهُ ورسولُه ، لا يَعدُو إحدَى مَنزِلَتَيْنِ : إمَّا أنْ يَنطِقَ به كِتابٌ ناطِقٌ ، أو سُنةٌ ثابتةٌ عن رسولِ اللهِ .

ولمَّا لم نَجِدْ فى كتابِ اللهِ : أنَّ اللهَ نَصَبَ إماماً ، أو فَرَض طاعتَه ـ : ورسولُه[1] لم يُقِمْ إنساناً بعيْنِه ، فيقولَ : « أيُّها الناسُ : هذا وَصيِّى وخَليفَتِى مِن بَعدِى » ؛ وكان يقولُ صباحاً ومَساء : « خلَّفتُ فيكم ما إنْ تمسَّكتُمْ به : لم تَضِلُّوا ؛ كتابَ ربِّى ، وحَوارِىَّ أصْحابِى » ؛ وعَلَّمنا[2] : الحَلالَ والحَرامَ ، وما نأْتِى وما نَذَرُ . ـ : كان مَن اجْتمعَ عليه المسلمونَ : ثابتَ الأمرِ صَحيحَ الأحكامِ ؛ يَعمَلُ : بكتابِ اللهِ ، وسُنةِ رسولِه . وما لم نَجِدْه[3] فى كتابِ اللهِ ، ولا فى سُنةِ رسولِ اللهِ ـ فهو مأخوذٌ : مِن الاجْتهادِ ، ومن أتْباعِ السَّلَفِ المتقدِّمينَ .

هذا : قولُنا ؛ والأمرُ : على ذلك ؛ إلى هذا الوَقتِ .

فقال لى : قد ثبَتَ فسادُ هذا عليك ، فى صَدْرِ مُناظَرتِنا : ممَّا أوْرَدْتُه عليك فى تَقديمِ المَفضُولِ عَلَى الفاضِلِ[4] .

---

(١) بالأصل : « ولا رسـوله » ؛ والظاهر : ما أثبتنا ؛ وأن الزيادة من الناسخ أو الطابع . وإلا : كان الـكلام غير مستقيم المعنى ، ومحتاجا إلى تعديل آخر . فتأمل .

(٢) بالأصل : «علمنا» ؛ وزيادة الواو متعينة ، » وجواب(لما) قوله : «كان» الآتى .

(٣) بالأصل : « تجده » بالتاء ، ولعله مصحف عما أثبتنا . (٤) انظر صفحة : ٢٧٢

فامَّا سمعتُ كلامَ رجلٍ يُباهِتُ العِيانَ ، ويَزُولُ عن الحقِّ — : رأيتُ الصَّوابَ : فى الإعْراضِ عن مُعارضته .

وذلك: أنِّى لم أحْتجَّ عليه بحُجَّةٍ : عَقلٍ ، ولا وَزْنٍ : من قِياسٍ . وإنَّما قابلته : بكتابِ اللهِ ، وأفْعالِ نبيّه (صلى الله عليه وسلم) وإجماعِ المسلمينَ . وجَمَل : يُدْخِلُ عَلَىَّ كثْرةَ الاستِفهامِ ، وكثْرةَ التّكْرارِ — : بلا حُجّةٍ حاسِمَةٍ ، ولا بُرْهانٍ مُبينٍ . نعُوذُ باللهِ : من الحَيْرةِ فى الدِّين ؛ وإيَّاه أسألُ المَعُونةَ والتَّوْفيقَ .

* * *

قال أبو بَكرٍ محمدُ بن محمدٍ اللبّادُ : حدثّنى أبو عُثمانَ ؛ قال :

بلغَنى عن رَباحِ بنِ يَزيدَ : أنه كان قَسَمَ خِدْمَةَ دارِه — عليه ، وعلى زَوجتِه ، وعَلَى خادِمٍ له سَوداءَ — : يَخدُمُ يوماً ، وتَخدُمُ زَوجتُه يوماً ، وتَخدُم خادِمُه يوماً .

فأقبلَتْ خادِمُه فى يومِها — الذى كانتْ تَخدُم فيه — : بحُزْمةِ حَطبٍ ؛ فقلَبَتْها عنها فى بعضِ الطَّريقِ : فوضعَتْ الحُزْمةَ بالأرضِ ، ووَضعتْ رأسَها عَلَى الحزْمةِ ثُم رَقدتْ .

فأقبلَ رباحٌ : فرأى ما فعلَتْ الخادِمُ ؛ فرَفَع رأسها برِفقٍ — : وقد استثقلَتْ نوماً . — حتّى نَحّي الحُزْمةَ من تحتِ رأسِها ، ووَضع كِساءَه تحتَ رأسِها ؛ وانطَلَق بحُزْمةِ الحطَبِ : حتّى أدخلها داره .

ثُم عاد : فكان قريباً من السّوداء ، ينتظِرُ : أنْ تَهُبَّ من منامِها ، ويأخذ كِساءَه ، وكَرِهَ : أنْ يُوقِظَها ؛ فيتنغَّص عليها نومُها .

فانتبهَتْ السَّوداءُ — : ولم تَرَ الحزْمةَ ، ورأتْ رَباحاً . — فارْتاعَتْ : خوفاً عَلَى نفسِها منه .

فجعل يقولُ لها : أنتِ حُرةٌ ، أنتِ حُرةٌ ؛ لِتأمَنَ عَلَى نفسِها : حينَ أعتقَها.

* * *

قال أبو بكرٍ : وحدثنى أبو عُثمانَ ؛ قال : حدثنى داودُ بن يحيى ؛ قال : حدثنى أبو خالدٍ القبابُ ؛ قال :

بينَا أنَا ذاتَ يومٍ فى دارِى : إذْ سمِعتُ قَرْعَ البابِ ؛ فقلتُ : مَن هـذا ؟ . قال : أبو يَزيدَ .

فقلتُ : مَن أبو يَزيدَ ؟ . قال لى : رَباحُ بن يزيدَ .

فنَهَضتُ إليه ، وجَعلْتُ أقولُ : لا حَولَ ولا قُوةَ إلاَّ باللهِ ؛ لا تَدخُلُ : حتَّى تَستأذِنَ ؟ ! هل عندى أحدٌ : يَحتجِبُ منك ؟ ! .

فدَخَل ـ : وفى كُمِّه دَراهِمُ ، وعَلَى مَنْكِبِه الأيْمَنِ كِساءٌ ، وعلى مَنكبه الأيْسَرِ كِساءٌ . ـ فقال لى : لى إليك حاجةٌ .

فقلتُ له : وهذا مِثْلُ الأولِ ؛ لا تَأخـذُ[1] حاجتَك : حتى تَسألَنى فيها ؟ ! (أو نحوَ هذا : من القولِ) .

قال لى : خُذْ أحدَ هٰذَيْنِ الكِساءَيْنِ .

فمَددتُ يدِى إلى أدْناهما، فقال: ليس هذا يَصلُحُ لك؛ أنا : بَدَوِىٌّ ؛ وأنتَ: حَضَرِىٌّ ؛ والحضَرِىُّ أوْلَى بالْجَيِّدِ . فعُدْتُ إلى الْجَيِّدِ : فأخذْتُه .

ثم صَبَّ الدَّراهِمَ من كُمِّه ، فجَعَل : يَعزِلُ دِرهماً هاهُنا ، ودِرهماً هاهُنا ؛ حتى لمَّا فَرَغ منها ، قال لى : خُذْ إحداهما .

فمَدَدتُ يدِى إلى إحدَى الصُّرَّتَيْنِ : فأخذْتها .

ثم قال لى : هلْ لك فى أنْ تَدعُوَ ونُؤَمِّنَ ؛ أو ندعُوَ وتُؤَمِّنَ ؟

فقلتُ له : بلْ تَدْعُو وأُؤَمِّنُ .

---

(١) بالأصل : « نأخذ » بالنون . وهو تصحيف .

فأخذَ : يدعُو وأنا أؤمِّنُ ؛ حتى رَقَّ : فبكَى ؛ ورَقَقْتُ لِبُكائه : فبكَيْتُ ، ورَقَّتْ أهلى لِبُكائنا : فبكَتْ ؛ وسمِعتُ بُكاءَنا جارةٌ ـ من جيرانِنا ـ : فبكَت لِبُكائنا ؛ ثم سمِعت البُكاءَ امرأةٌ أخرى : فبكَتْ : واتّصل البكاء فى نِساء جيرانِنا : حتى صِرْنا فى مأْتمٍ .

وجعلَ يقولُ فى دعائه : اللّهم ؛ افتحْ لنا فى الحجِّ مِن عامِنا .

ثم خرَجَ عنِّى : فأقامَ ما شاء اللهُ أنْ يُقيمَ ؛ ثم أقبلَ قادِماً من منزِلِه ـ : ومعَه خمسونَ دِيناراً . ـ فقال لى : أوْصَى رجلٌ صالحٌ ـ من جيرانِنا ـ : أن يُحَجَّ عنه بهذه الخمسين ؛ وأنا خارجٌ إلى الحجِّ .

فاغْتَمَمْتُ ، وقلتُ فى نفْسى : رجلٌ صالحٌ دعا لنفسِه ولى ؛ فاسْتُجيبَ له : فى نفْسِه ؛ وبَقِيتُ أنا .

فأقمتُ : حتَّى لم يبقَ ـ : من رِفَاقِ الحجِّ . ـ إلا رُفقةٌ : تخرُجُ فى غدِ اليوم الذى كنتُ فيه ؛ فلم أشعُرْ إلاّ برسولِ ابن غانمٍ القاضى : قد وَقَف بى ، برسالةٍ : فى مجيئى إليه .

فنَهَضتُ إليه ؛ فلمّا رآنى قال : أنتَ ـ أبا خالدٍ[1] ـ : من إخوانِ اللّيلِ ؛ ما تُرَى إلاّ فى الغِبِّ .

ثم قال لى : هذه أربعونَ دِيناراً أوصَى بها رجلٌ صالحٌ : أنْ تُدفَعَ إلى من يَحُجُّ بها عنه ؛ ونحن نرَى : أن لا تُدفَعَ إلاّ إلى مَن تُرجى بركته ؛ فخذْها .

فقلتُ له: ما بَقِيَتْ إلاّ الرُّفقةُ التى تخرُجُ غداً . . ؟ .

فأقبَلَ على صاحبٍ له ، فقال له : اذهَبْ معه ؛ فلا يُنادَى بالعصرِ : وبقِيتْ له حاجةٌ .

---

(١) بالأصل : « أبو خالد » : والظاهر أنه تصحيف .

(قال) : فما نودِىَ بالعَصرِ : حتى قضيتُ جميعُ حَوائجى ؛ ثم غَدَوْتُ معَ مَن غَدَا إلى الحجِّ : فما أبصَرتُ رَبَّاحاً إلاَّ بعَرَفاتٍ .

* * *

محمدُ بنُ مَحبُوبٍ

١١٦ ومحمدُ بن مَحبُوبٍ ؛ كان : جَليساً لابنِ طالبٍ ؛ وكان ، حَسنَ المُناظَرةِ ، جَيِّدِ القَريحةِ .

قال لى عباسُ بن عيسى : قال لى الرقّادىُّ : لم يكن ابنُ مَحبُوبٍ يتَعادقُ فى علمِ الكلاَم ؛ وإنَّما كان كلامُه : فى المُناظَرةِ الدَّائرةِ بيْنَ الفُقَهاءِ فى الفِقْهِ .

(قال) : فَشَهِدتُهُ يوماً : وقد جالَسَهُ بعضُ القَدَريَّةِ ؛ فتَخاوَضَا الكلامَ : فى القَدَرِ .

(قال) : فأخذ ابنمحبوب كَتِفاً بَيْنَ يدَيْه . وجَعَل يُوَقِّعُ فيها تَناقُضَ مَقالَةِ القَدَريَّةِ : حتَّى مَلأها ؛ ثم قرأتُها : فما رأيتُ كلاماً أوعَبَ لِعُيونِ المعانى ؛ من كلامه .

قال محمدٌ : وقد ذكرتُ بعضَ كلامِ ابنِ مَحبوبٍ معَ ابنِ طالبٍ فى كتابِ : (الاقتِبَاسِ)[1] فاستَغنَيتُ عن ذكره فى هذا المكان .

* * *

أبو عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ : محمدُ بنُ علىٍّ

١١٧ وأبو عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ : محمدُ بن علىٍّ ؛ كان يَغلِبُ عليه : مَذهبُ الشَّافعىِّ : ومُعارضاتُ المُزَنِىِّ ، ومعانى النُّظَّارِ فى الفقهِ .

---

(١) بالأصل : « الا ق . . » ؛ ولعل أصله ما أثبتنا .

وكان يَذهَبُ مَذهبَ المُزَنيّ : في أنَّ الاسمَ غيرُ المُسمَّى ؛ ويقول : لو كان الاسمُ هو المُسمَّى ، لكنتَ إذا قلتَ : ناراً ؛ وجدتَها تَلْفَحُ ؛ وإذا قلتَ كلباً : وَجَدْتَهُ يَنْبَحُ .

وكانتْ له أوضاعٌ في الفقهِ ـ حَسَنةٌ : على معاني النَّظرِ ـ : ككتابِ الحُجَّة في الشَّاهدِ واليمين[1] ؛ أربعةُ أجزاء ؛ وكتابه : في الرَّدِّ على الشكوكيَّة .

وكان : جليلَ المِقْدار ، رئيساً ومن رُؤساء العلماء ؛ صَحِبَ المُزَنيّ ، ومحمدَ ابن عبد اللهِ بنِ عبد الحَكَمِ ؛ وعَرَضَ عليه أبو العبَّاسِ بنُ إبراهيمَ [ولايةَ][2] القضاء ؛ فأبى : أنْ يَقْبَلَها .

* * *

أبو إبراهيمَ إسحاقُ بنُ نُعمانَ

١١٨ ومن رجالِهم ، رجلٌ اسمُه : إسحاقُ ؛ يُكَنَّى : بأبي إبراهيمَ بن نُعمان .

كان مَذهبُه : مذهَبَ الشافعيِّ ، والنَّظرَ ، والحديثَ .

ولم يكنْ من أهلِ المُناظَرةِ ؛ إلاَّ أنَّه لَقِيَ الرجالَ الكِبارَ : بالمَشْرِق ؛ وسَمِعَ منهم ؛ وسمع بالقَيْرَوانِ : من يَحيى بن عُمر ، وغيرِه .

كان يُحكَى : أنَّهُ جَمَعَه الطريقُ بالحِجاز : برجلٍ بَغداديّ ـ : وكان إذْ ذاكَ : يَرَى رأيَ مالك . — فقال[3] البغدادي : رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال له ابنُ نُعمانَ ـ فيما ذُكِرَ ـ : مالكٌ لا يَرَى ذلك .

---

(١) بالأصل : «ويمين» ؛ ولعله محرف عنه . (٢) زيادة حسنة .

(٣) يعني : فتناظرا في مسئلة فيها خلاف بين مالك والعراقيين ؛ فشرع البغدادي : يحتج عليه ـ من السنة ـ بما يثبت مذهبه ؛ فلم يكد ينطق بها : حتى قاطعه ابن نعمان : بأن مالكا لا يرى ذلك . فلا تتوهم : أن الحديث المحتج به قد سقط من الأصل .

فقال البغدادى : شاهَتْ وُجوهُـكم يا أهلَ المغربِ ؛ تُعارِضُون قولَ النبىّ بقولِ مالكٍ ؟ ! .

* * *

أبو بكر بن القمودىّ

١١٩ وأبو بكرِ بنُ القموديِّ ؛ كان : حادَّ القَنا؛ بَصيراً : بوُجوهِ الكلامِ ؛ عارفاً : بأبْوابِ المُناقضةِ ؛ مُتدرِّباً : فى صنعةِ المُعارَضةِ .

صَحِبَ : سعيدَ بنَ الحدَّادِ ، وغيرَه : من وُجوهِ العُلَماء .

وناظرَ أبا العبَّاسِ الشِّيعىَّ مناظرةً : أفْحَمه فيها ؛ فجعَل أبوعبدالله الشِّيعىُّ : يحرِّكُ له إصْبَعَه ، ويقولُ له : وإنك لَتُظْهِرُ لأهلِ البيتِ ، ما أرَى منك : البَغْضاءِ ؛ وتَنْصِبُ فى تَوْهِـينِ أمْرِكَ[١] ، ما أسمَعُ : من حِجاجِكَ :

فاضْطرَّ الرجلُ إلى الاعْتِذارِ ؛ وخافَ سـفْكَ الدَّمِ . ولم يَدْخُلْ فى قلوبِ القومِ له — من الإجْلالِ والمَهابَةِ . — مادَخَلَ لِسعيدِ بنِ الحدَّادِ .

* * *

ابنُ الصَّبَّاغ

١٢٠ ورجلٌ يُعرَفُ بابنِ الصَّبَّاغِ ؛ كان : كلامِيًّا[٢] حادًّا جَسوراً .

وكان : لا يُقِرُّ بحُجَّـةِ الإجْماعِ — : التى نَصَبَها النُّظَّارُ[٣] فى كُتُبِهم . — ويقولُ : لم يكونوا فى بيتٍ واحـدٍ ، ولا مِصرٍ واحدٍ — : فيُسْألُوا ، فيُعرَفَ

(١) أى : تقيم فى إضعاف شأنك عندنا . ولا يبعد أن يكون مصحفا عن : «أمرهم» ؛ أى : أهل البيت . فتأمل . (٢) أى : منطيقا ؛ كما فى المختار .

(٣) بالأصل : « ابن النظار » ؛ وهو تصحيف .

اجْتماعهم ؛ مَن ادَّعى الإجماعَ : فقد ادَّعى المُحالَ الذى لا يَصحُّ أبداً[١] .

وكان يقولُ : ما أُبالِى إذا قامتْ لقولٍ حُجَّةٌ ـ من كتابِ الله أو من سُنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ـ لو أُوتِىَ بها على قَرْنِ جبلٍ .

قيل لِبعضِ المتكلِّمينَ ببَلدِنا : مَنْ أحدُّ : ابن الصَّبَّاغِ ؟ أوْ ابنُ التَّمَّارِ ؟ .
فقال : ابن الصَّبَّاغ أحدُّ وأجرأ[٢] على الله .

* * *

إبراهيمُ بنُ محمدٍ الضَّبِّيُّ

١٢٠ وإبراهيمُ بن محمدٍ الضَّبِّيُّ، المعروف : بابن البِرْذَوْنِ : كان : تَرْبِيةً لِسعيدِ بن محمد بن الحدّاد ، وتلميذاً له . وكان : ذا بأسٍ[٣] شديد : وأُبَّهةٍ نبيلةٍ : وكان لى جاراً .

فأخبرَنى علىُّ بن مَنصورٍ الصَّفَّارُ — : وهو ابن خالته . — قال : سمعتُه يقولُ: إنِّى أتكلمُ فى سبعةَ عَشَرَ فنًّا : من العلمِ .

وكان : شديدَ التحكُّكِ بالعِراقيِّينَ : دارَتْ عليه دائرةٌ — : من أسْبابِ مُلاحَاةِ الرجال . — فضُربَ فيها : بالسِّياط ، ثم خُلِّصَ من تِلْكَ .

ثم دارَتْ عليه ـ من [بعدِ] ذلك . ـ دائرةٌ أخرَى : فضُمَّ إلى السِّجنِ هو ورجلٌ كان يُعْرَفُ : بابنِ هُذَيلٍ ؛ وعُيِّنَ[٤] عليهما المَرْوَذِىُّ القاضى ، وابنُ ظَفَرٍ ، والكلاعِىُّ .

(١) لا تتأثر بهذا الكلام الواهى ؛ وارجع إلى الكتب الأصولية ، وانظر : آداب الشافعى وهامشه (ص ٢٣٢ و ٣٣٤) .

(٢) بالأصل : « وأجرى » ؛ ولعله من باب التسهيل .

(٣) بالأصل : « بأو » ، ولعله مصحف عما ذكرنا .

(٤) أى : ألزم بحفظهما وحراستهما . أو بالنظر فى قضيتهما . وفى الأصل : «وعنى» ؛ أى : اهتم بأمرهما . والظاهر أنه مصحف عما أثبتنا .

فخرج فيهما التوقيعُ إلى حسنِ ابنِ أبي خنزيرٍ العاملِ ، من عندِ أبي عبدِ الله الشيعي ـ أو من عندِ أخيه أبي العبَّاسِ ، بعدَ خروجِ أبي عبدِ الله ـ : أنْ يَضربَ ابن هُذَيلٍ خمسمائةِ سَوطٍ ، وأن يَخْبِطَ رَقبةَ إبراهيمَ بنِ البِرْذَوْنِ .

فغَلِطَ ابنُ أبي خنزيرٍ : فأخْرَج إبراهيمَ ابن البِرْذونِ ـ ليْلاً ـ : فضربَه العِدَّةَ المذكورةَ ؛ ثم أعادَه إلى السجنِ . ثم أخرج ابن هُذيلٍ : فضربَ رَقَبتَه . ثم انْتَبَه للغَلَط : فأخْرَجَ إبراهيمَ فضرَبَ أيضاً رَقبتَه .

فقيل لى : لمَّا جُرِد إبراهيم للسَّيفِ ، قال له : حسنُ ابن أبي خنزيرٍ : تَرجِعُ عن مذهبك ؟ . فقال له : عن الإسلام تَنْهَيَنِّي ؟ ! : فخَبطَ رَقبتَه رحمه الله .

ثم لمَّا أصْبَحا مَقْتولَيْنِ : رُبِطَت أرجلُهما بالحبالِ ؛ ثم جرَّهما النَّقَّالُ ـ مَكشوفَيْنِ ، غيرَ مستورينِ . ـ من دارِ الإمارة ـ : وهي بقُرْب الجامع : والجامع : أول السماط . ـ إلى باب أبي الربيعِ ؛ ثم صلبا نحو الثلاثةِ أيامٍ ؛ ثم أُنزِلا ودفنا

* * *

أبو جعفر أحمد بن زيادٍ

١٢٢ وأبو[1] جعفر: أحمدُ بنُ زياد ؛ كان مذهبه : النظر ؛ وكان لا يرى التَّقْليد . وكان : يتكلم في ذلك كلاماً حسناً .

وكان — في تأليفه ، وما يَنظِمُه بعلمِه[2] — : من المُتقدمينَ الجيدينَ .

وكان — في المُناظَرةِ باللِّسانِ ، والمُناهَضةِ في الحجاجِ — غيرَ بالغٍ ، ولا مُنْتَهٍ حيثُ يَنتهي غيرُه في ذلك .

---

(١) عبارة الأصل: «وكان أبو جعفر.. مذهبه» ؛ والظاهر أن (كان) قدمت عن موضعها .

(٢) أي : وما يجمعه بفهمه ، ويرتبه بعقله . وفي الأصل : «فعلمه» ؛ وهو تصحيف .

أبو جعفر أحمد بن موسى التمّار

١٢٣ وأبو جعفر : أحمد بن موسى التمّار ؛ يتكلّمُ في الجدل على معاني المتكلّمين ؛ وفي النّظر على مذاهب الفقهاء — : كلاماً جيّداً .

وهو : ممّن صحب ابن الحدّاد . واحتذى على معانيه .

* * *

أبو العبّاس بن السّنديّ

١٢٤ ومن رجالهم ، رجل يُعرف : بأبي العبّاس بن السّنديّ ؛ كان مذهبه : مذهبَ الشّافعيّ ، والنّظرَ . إلاّ أنّه لم يكنْ — فيما علمتُ — : من أهل المُناظرَة .

وكان : ممّن ضرَبه الشّيعيُّ وعذّبه ، وأخذ نعمتَه . مات : قبلَ سنة عشرين .

* * *

عليُّ بن منصور الصّفّار

١٢٥ ومن أصحاب سعيد بن الحدّاد : عليُّ بن منصور الصّفّارُ ؛ يتكلّمُ في الجدَل وفي معاني الفقه ؛ كلاماً : لا بأسَ به . وله قريحة صالحة .

غيرَ أنّه اضطرّه الفقرُ والإقلالُ ، ومحبّةُ التّودُّد — : إلى أنْ تشرّق .

ورامَ : أنْ يُستَرَ له ذلك عن العامّة والجماعة ؛ فأبَى اللهُ أنْ يستَرَ ذلك عليه .

ولم يَزَلْ لائذاً بأبي جعفر البغداديّ : حتّى ولاّهُ قضاء « ميلةَ » ؛ فهو بها إلى اليوم : نكَح بها ، ووُلِدَ له .

* * *

محمدُ الرّقاديُّ

وكان قد نَشأ بالقَيْرَوانِ — : فى آخرِ أيّامِ سَعيدِ بنِ الحدّادِ — فتًى يُعرَفُ :

١٢٦ بمحمدٍ الرّقادِيّ. فتقلَّدَ مذهبَ السُّنةِ ، وأخَذ فى الذَّبِّ عنها عَلَى مَعانِى سَعيدِ ابنُ الحدّادِ .

وكان : حادًّا حاذِقًا ، بَصيراً بحدودِ المُناظَرةِ ؛ حاضِرَ الجوابِ ، مَليحَ المُناظَرةِ ؛ وألّف كتُباً كثيرةً فى ذلك .

وكان ظُهورُه واشْتِهارُه : بعدَ سَعيدِ بن الحدّادِ ؛ ولم يكنْ له منْه صُحبةٌ .

رَكِبَ بحرَ القَيْرَوانِ إلى مصرَ [فى مَركَبِ لمُؤْمنٍ البلوقىِّ : مُوَكِّلاً[1] له عَلَى مالِه]] فغَرِق سنةَ ستَّ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

عبدُ المَلِكِ بنُ محمدٍ الضَّبِّيُّ

١٢٧ وعبدُ الملِكِ بنُ محمدٍ الضبيُّ المعروفُ : بابنِ البِرْذَوْنِ . كان مَذهبُه : مذهبَ الشافعيِّ ؛ وكان به مَعْنِيًّا . وكان : مُواظباً عَلَى صُحبةِ البَجَلِيِّ محمدِ بن عليٍّ . وكان يُناظِرُ فى الفِقهِ والجدَلِ مُناظَرةً : لا بأسَ بها .

غلَّبَ عليه حُبَّ الدّراهِمِ ، أنْدادُهُ : من كُتّابِ الوَثائقِ . فتَشرّقَ ، وافْتَخَر بذلك ؛ ولم يَسْتَتِرْ[2] به : كاسْتِتارِ ابنِ خالتِه : عليِّ بنَ مَنصورٍ . فهو — اليومَ — ممّن أثْرَى وأفادَ واكتَسَب ، بما الْتزَمَه : من أخْذِ الدّراهِمِ فى كُتْبِ الوَثائقِ .

* * *

---

(١) بالأصل : « متوكلا » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٢) يعنى : ولم يرم الاستتار ، كما رامه ابن منصور المتقدم : (ص ٢٨٣) .

عَبَّاسُ بْنُ عِيسَى ٱلْمُمْسِي

١٢٨ وعبَّاسُ بنُ عيسَى الممسى : يتكلمُ في الجدَلِ على معانى كلام المتكلمينَ ؛ وفى النَّظَرِ علَى رَسم كلام المتفقهين[1] : كلاماً : لا بأسَ به .

وهو — : في المُناظرةِ : في الفقهِ . — أبرَزُ[2] منه : في الجدَلِ : علَى مذهبِ المتكلمينَ .

وهو : من أهلِ الفِقهِ ، والوَثائقِ ، والحُجَجِ[3] .

* * *

أبو إبراهيمَ بنُ أبي مُسْلِمٍ

١٢٩ ورجلٌ يُعرَفُ : بأبي إبراهيمَ بن أبي مُسْلِمٍ ؛ يتكلمُ : في الأسْماء والصِّفاتِ ، ومَذاهبِ الجدَلِ ؛ ويُشِيرُ إلى الكلام في الفِقهِ : علَى مَعانى النَّظرِ .

ويقولُ في اللهِ عز وجل : « إنَّه جِسْمٌ لا كالأجْسامِ » ؛ ويقولُ في ذلك — مُعارضاً لِمَن خالفَه — : كما تقولُ أنتَ : « [إنَّه][4] شيءٌ لا كالأشياء » .

* * *

محمدٌ ٱلْمَعروفُ : بابنِ أحدِ ٱلشُّرَكاء

١٣٠ ورجلٌ يُسَمَّى : محمداً ؛ يُعرَفُ : بابنِ أحدِ الشُّرَكاء . يَتكلَّمُ في الجدَلِ : عَلَى مَعانِي سَعيدِ بنِ الحدَّادِ .

---

(١) بالأصل : «الفقه» ؛ والظاهر أنه محرف عنه أو عن : « الفقهاء » ؛ فالخشنى ليس ضيق العبارة إلى هذا الحد

(٢) بالأصل : « أبزل » : ولعل أصله ما ذكرنا ، أو « ابرز » .

(٣) بالأصل : « والحج » ؛ وهو تحريف ،

(٤) زيادة حسنة .

يلزمُ سُوقَ الصَّرفِ ؛ وله خاصَّةً : مِن أبى محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سَعيدِ بنِ الحدَّاد ؛ فأفادَهُ — : مِن كلامِ أبيه . — ما لم يُفِدْ غيره .

* * *

هذه تَسْمِيَةُ مَنْ عِلمْتُه : يَنْهَضُ فى المناظَرةِ والنَّظرِ ؛ من أهلِ السُّنةِ بالقَيْرَوانِ : مِمَّن عِلمْتُه بالخَبَرِ ، أو امْتَحَنْتُه بالمُشَاهَدةِ : مِمَّن قد ماتَ ، أو كان حيًّا .

* * *

وهذه تَسمِيةُ أهلِ المُناظَرةِ والجدَلِ : من طَبَقةِ العِراقِيِّينَ .

* * *

سُليمانُ بنُ أبى عُصْفُورٍ

١٣١ سُليمانُ بنُ أبى عُصفور ، المَعروفُ : بالفرَّاء . كان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ[1] ؛ وكان من أهلِ الجدَلِ والمُناظَرةِ : فى ذلك

رَحَل ، ودَخَل بغداذَ . وله كلامٌ : فى مُشْكِلِ القرآنِ ؛ وكتابٌ ألَّفه فيه . وسمِعتُ مَن يَذكُرُ : أنه سَلَخَه من كتابِ (مُشكِلِ القرآنِ) ؛ لقُطْرُبٍ النَّحويِّ . وله كتابٌ : فى أعْلامِ النُّبُوَّةِ ؛ وله كُتبٌ فى مذهبِه : فى خَلقِ القرآنِ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ الأشَجِّ

١٣٢ وعبدُ اللهِ بنُ الأشَجِّ ؛ كانتْ له (أيضاً) رِحْلةٌ ، ودَخَل العراق ؛ وكان : من أهلِ المناظَرةِ والجدَلِ .

---

(١) انظر فى ذلك : آداب الشافعى وهامشه (ص ٨ — ٩ و ١٩٣ — ١٩٥) .

سمعتُ مَن يذكرُ عنه : أنَّه لمَّا قدِمَ من العراقِ : دَخَل عليه أحْداثُ القَيْرَوانِ ، فقال لهم : ما الذى يتكلَّمُ فيه أهلُ القيروانِ اليوم ؟ .

فقيل له : فى الأسماء والصفاتِ .

فقال : إنما تركتُ الناسَ بالعراق ، يتوافقون فى مسألتين : مسألةِ القدَر ؛ ومسألةِ الوَعْدِ والوَعيدِ .

* * *

الفَزَارِىُّ

١٤٤ والفَزَارِىّ ؛ المقتولُ على ما شُهِد به عليه . من التَّعْطِيلِ .

كان : من أهلِ المناظَرةِ والجدَلِ ؛ سمعتُ مَن يحكى :

أنّه دَخَل على أبى يَحيَى بنِ قادِمٍ : فقال له أبى يحيى : ما الذى تنظرُ فيه اليومَ يافَزَارِىُّ ؟ .

فقال له : كِتابُ ابنِ عُلَيَّةَ .

فقال له : ذاكَ الذى يُفتِى باجازةِ صَلاةِ اليهودِ .

فقال له الفَزارِىُّ : وكَيْفَ ذلك ؟ ! .

قال ابنُ قادِم : لأنَّه يقولُ : إن الصَّلاةَ بغيرِ قراءةٍ جائِزةٌ ؛ وصلاةُ اليهود هى صلاةٌ بغيرِ قراءةٍ .

فقال له الفَزارِىُّ : فماتقولُ أنت : إن قرأَ فى ركعتَيْن ، وتَرَكَ القِراءة فى ركعتين؟ .

قال له ابن قادِمٍ : الصلاة جائزة .

قال له الفزارى : فما أراك إلا وقد تقلدت بعض ما أنكرت : أجَزْت نصف صلاة اليهود ، وأبطلت النصف .

فقال له ابن قادم : ما أراكَ : تموتُ موتك [(١)] يا فزارىُّ .

* * *

(١) كذا ، بالأصل . أى : موتا طبيعيا .

أبو إسْحاقَ ، المعروفُ : بالعَمْشاء

١٣٤ ومِن أعلامِ رجالِهم : فى الكلام ؛ رجلٌ يُعرَفُ : بالعَمْشاء ؛ ويُكَنَّى : بأبى إسحاقَ . وإنَّما عُرِفَ بالعَمشاء : لأنَّهُ أعمَشُ العينَيْن .

يَذهبُ : إلى خلْقِ القرآنِ ، ويُناظِرُ فيه : المُناظَرةَ الشَّديدةَ . وله فى ذلك داعِيَةٌ ، وله لُمَةٌ[1] وأصْحابٌ وأحْزابٌ فى ذلك : يُجالِسُونَه ، ويَختَلِفُون إليه .

وقيل لى : إنَّه يُحسِنُ الفَرائضَ ؛ وإنَّه حَسَنُ الأدبِ ؛ صَحِبَ ابنَ عَبدُونٍ ، وغيرَه : من رجالِ العِراقيِّين . وهو — اليومَ — : علَى هذه الحالِ .

* * *

أبو الفضْلِ ، المعروفُ : بابنِ ظَفَرٍ

١٣٥ ومِن رجالِهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بابن ظَفَرٍ ؛ يُكَنَّى : بأبى الفضلِ . كان يَقولُ : بخلْقِ القرآنِ ؛ ويُناظِرُ فيه . كان : كثيرَ التَّصرُّفِ ؛ كان مُجادِلاً فيما ذكرتُ : من ذلك .

وكان : من أهلِ الرُّسُوخِ فى علْمِ الطِّبِّ ؛ معَ أَنَفتِه من أنْ يُنْسَبَ إليه[2] .

وكان : شاعرًا مُرَسِّلًا ؛ وكان : أديباً .

أُبتُلِىَ — فى آخرِ أيَّامِه — : بمرضِ الجُذامِ ؛ فاحْتَجَبَ أعواماً : فى بيْتِه ؛ ثم ماتَ .

* * *

(١) اى : اشكال ونظراء؛ انظر المختار : (ل م ى) .

(٢) انظر . آداب الشافعى (ص ٣٢١ — ٣٢٢) ؛ فستعجب من هذه الأنفة المضحكة .

مُحمدُ بنُ ٱلكلاَعِيّ

١٣٦ ومِن رجالِهم، رجلٌ يُعرَفُ : بمحمدِ بنِ ٱلكلاَعِيّ ؛ من أهلِ ٱلمناظَرة والجدَلِ ، والمُباينَةِ : بخلقِ ٱلقرآنِ .

وكان : قد ألَّفَ عَلَى سَعيدِ بنِ ٱلحدَّادِ ، كتاباً : يُناقِضُه فيه ما ألَّفَ عَلَى مَن يقولُ : بخلْقِ القرآن .

فتَولَّى إبراهيمُ بن محمدٍ ٱلضَّبِّيُّ ٱلمقتُولُ ، مُناقَضةَ ٱلكلاَعيّ في كتابه ؛ فشَفَى غيْظَه عليه في صدْرِه ، وفي بسْطِ أوَّلِه ـ قبْلَ أنْ يَصيرَ إلى فُصولِ ٱلحجَاجِ ـ : بما نَبَّه عليه : من ٱلتَّقصيرِ الشَّديدِ ، والخطإِ الشَّنيعِ .

فكان ذلك : سَبباً لِعنايتِه عليه ـ مع ٱبن ظَفَرٍ ـ : في سَفْكِ دَمِه[1] .

* * *

محمدٌ ٱلمَعروفُ : بالمسحيّ

١٣٧ ورجلٌ كان يُسَمَّى : محمداً ؛ ويُعرَفُ : بالمسحي ؛ وكان : فرَّاءً .

كان من مقدَّميهم في ٱلمُناظَرةِ : في خلْقِ القرآنِ ؛ كانوا : يَقصِدونه ، ويَلُوذُون به . خرَجَ إلى الحجِّ : فماتَ في الطَّريقِ .

* * *

ٱلقمـــوديُّ

١٣٨ ورجلٌ من سِمَاطِ ٱلعطَّارِينَ ، يُعرَفُ : بالقموديّ . مَذهبُه : الاعْتزالُ ، والمُناظَرةُ فيه وعليه .

* * *

---

(١) انظر : ص ٢٨١

ابنُ أبى رَوْحٍ ، المُلَقَّبُ : بالبَغْلةِ

١٣٩ ورجلٌ يُعرَفُ : بابنِ أبى رَوْحٍ يُلقَّبُ : بالبَغلةِ . يُعنَى بالجدَلِ : فى خلقِ القرآنِ ، وفى الأسماءِ والصِّفاتِ . هوَ - اليومَ - حَىٌّ : فيما بَلغَنى .

* * *

أحمدُ بن محمدٍ

١٤٠ وأحمدُ بنِ محمدٍ المَعروفُ : بابنِ شهرين ؛ قاضِى « بَرْقةَ » يُعنَى بالجدَلِ : فى خلقِ القرآنِ ، وفى غيرِ ذلك : من مَذاهبِ العِراقيِّينَ . ولكنْ : على غيرِ المُبالَغةِ ؛ كالذين تقدَّمَ ذِكرُهُم .

بابُ ذِكْرِ مَن تَشَرَّقَ : ممَّن كان يُنْسَبُ إلى علمٍ ؛ من أهلِ ٱلقَيْرَوانِ

* * *

محمدُ بن حَيَّان

١٤١ كان بُسوسَةَ شيخٌ مُسِنٌّ ، يُسمَّى : محمدَ بن حَيَّان . فكان: صاحِبَ صَلاتِها. وكان : مَدِنيًّا ؛ صَحِبَ ابنَ سَحنونٍ ؛ فتَشَرَّقَ . فكان بذلك : مُسْتَتِراً .

* * *

أبو بَكرٍ ٱلقموديُّ

١٤٢ وأبو بَكرٍ ٱلقمودى [تَشَرَّقَ] : للسَّببِ الذى قدَّمنا ذِكْرَه مِن قبلُ[1] .

* * *

علىُّ بنَ منصورٍ الصَّفَّارُ

١٤٣ وعلىُّ بن منصورٍ الصَّفَّارُ ؛ [تَشَرَّقَ] : للوَجْهِ الذى وصفتُه قبلَ هذا[2] .

* * *

عبدُ الملكِ بنُ محمدٍ الضَّبِّيُّ

١٤٤ وعبدُ الملكِ بنُ محمدٍ الضبيُّ ، المعروفُ : بابنِ البِرْذَوْنِ ؛ أخو إبراهيمَ المقتولِ. [تَشَرَّقَ] : للوَجْهِ الذى قدَّمْتُ ذِكْرَه[3] .

* * *

---

(١) فى ترجمته رقم (١٣٧) : من أنه كان معتزلياً كثير الجدل فى مذهبه .

(٢) انظر : ص ٢٨٠ (٣) انظر : ص ٢٨٤

ابن الصبّاغ

١٤٥ وبلغني : أنّ ابنَ الصبّاغ — : المذكورَ في طبقةِ نظارِ أهلِ السُّنة[١] — كان : قد تَشرّقَ لِوجهٍ لا أعلمُه ؛ والذي لا أشكُّ فيه : أنه كان له عذرٌ .

* * *

رَبيعُ بن سُليمانَ بنِ سالمٍ المعروفُ : بابنِ الكحّالة

١٤٦ ورجلٌ كان : عليه سترٌ ؛ وكان : يتحلّى بانقباضٍ وعدالةٍ وخيرٍ ؛ كان أبوه : من رجالِ سحنونٍ ؛ وهو : رَبيعُ بن سُليمانَ بنِ سالمٍ ؛ المعروفُ : بابنِ الكحّالة قد تقدّم ذكرُ أبيه : في طبقةِ رجالِ سحنونٍ[٢] .

وكان سببُه[٣] الكَلفَ بغلامٍ ألِفَه ، وابتُلِيَ به ؛ معَ الخذلانِ السّابقِ .

* * *

قاسمُ بنُ خلّادٍ الواسطيُّ

١٤٧ ومن رجالِ العراقيّينَ : قاسمُ بنُ خلّادٍ الواسطيّ ؛ دعوهُ إلى التّشريقِ ، ووعدُوه : بقضاءِ « باجةَ » فلمّا تشرّقَ ، قيلَ له : قد استغنَينا عن قاضٍ لباجةَ .

* * *

أبو رَبْدَةَ بنُ خلّادٍ

١٤٨ وأبو رَبْدَةَ بنُ خلّادٍ (ابنُ عمِّ قاسمِ بنِ خلّادٍ) ؛ تشرّقَ — في أوّلِ دخولِ القومِ — : طائعاً[٤] فيما يأتي . فلمّا احتُضِرَ : أوصَى بجميعِ مالِه للسّلطانِ ؛ وأخرَجَ ولدَه .

* * *

(١) انظر : ص ٢٨٠ (٢) انظر ص ٢٠٠ (٣) أي : سبب تشرقه ؛ انظر : ص ٢٠
(٤) كذا بالأصل . أي : مختاراً ؛ بدون ترغيب ولا ترهيب .

جَعفَرُ بنُ أحمدَ بنِ وَهْبٍ

١٤٩ وجَعفَرُ بن أحمدَ بنَ وَهْبٍ ؛ تَشرَّقَ ، ووَلاَّه إسْحاقُ بنُ أبى المِنْهالِ : مَظالِمَ ٱلقَيْرَوانِ .

* * *

أحمـــــدُ بنُ بَحْرٍ

١٥٠ وأحمدُ بنُ بَحْرٍ ؛ كان : جنَح إلى مذهبِ العِراقيِّين ؛ فتَشرَّقَ[1] ؛ ثم ولاَّه إسْحاقُ : مَظالمَ القَـيْرَوانِ . ثم وُلِّىَ : قضاء اطْرابُلُس . ثم ماتَ إسْحاقُ : فنُقِلَ إلى قضاءِ القَـيْرَوانِ .

* * *

إسْحاقُ بنُ أبى المِنْهالِ

١٥١ وإسْحاقُ بن أبى ٱلمِنْهالِ ؛ تَشرَّقَ ، ووُلِّىَ : قضاءَ « صِـقِلِّيَةَ »؛ ثُم [نُقِلَ من بعدُ : إلى قضاء القَيْرَوانِ .

* * *

أبو علىٍّ بنُ المِنْهالِ

١٥٢ وأبو علىٍّ بنُ المِنْهالِ ؛ تَشرَّقَ : فى أوَّلِ الأمْرِ .

* * *

---

(٢) بالأصل : « تشرق » ، ولعله محرف عنه .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ شهرين

١٥٣ وأحمدُ بن محمدِ بنِ شهرين ؛ قاضي « بَرْقَةَ » تَشرّقَ ؛ إلاَّ : أنَّه ـ في قضائه ببَرْقةَ ـ يحكمُ : بإجازةِ الطَّلاق ثلاثاً ، ويُجيزُه : علَى مَن طلَّق به . وليس هو : مَذهبَ الشّيعةِ .

* * *

أبو عبدِ اللهِ الـكِنْدِيُّ

١٥٤ وأبو عبدِ اللهِ الـكِنْدِيُّ المَعروفُ : بابنِ اللَّقَّاطَةِ . تَشرّقَ : شـيخاً كبيراً ؛ وكان : عراقيًّا من قبلُ ، قليل العلْمِ .

* * *

أبو بَكرِ بنُ سليمانَ

١٥٥ وابنُ سليمانَ الـمُكَنَّى : بأبي بكرٍ ؛ كان رأيُه : رأْيَ أبي حنيفةَ .

وكان : قد اختلَفَ إلى ابن عَبدُونٍ ؛ فتَشرّق . للتَّمكُّن بالوَثائقِ .

وذلك : أنَّه كان في إمْلاقٍ شَديدٍ ؛ ولا يَنتَصِبُ لـكِتابِ الوَثائقِ بالقَيْرَوانِ ، إلاَّ : مَن تَشَرّقَ ؛ سِيَّما : إنْ كان ممَّن يَأخُذُ عليها جُعْلاً .

فلمَّا تَشرّقَ : أستَحْكَمَ له كِتابُها ؛ فقد كَسَبَ منها مالاً جَسيماً .

* * *

أبو محمدِ بنُ شِهرام

١٥٦ ورجلٌ : من أهلِ « سُوسَةَ » ؛ يُكَنَّى : بأبي محمدٍ ؛ يُعرَفُ : بابنِ شهرام . تَشرّقَ : في أوّلِ دُخولِ القَوم ؛ وتولّى كِتابةَ محمد بن عمرالمَرْوذيِّ .

* * *

زُرَارَةُ بنُ أحمدَ

١٥٧ وزرارة بن أحمد ؛ كان يَصحَبُ المَدنيِّينَ والعراقيينَ ، ويَتَحلَّى بالعلْمِ والنظر : في اُختِلاَفِ الناسِ .

تشرَّقَ ، ووَلاَّه عُبيدُ اللهِ : قضاءَ مَدينتِهِ التى سمَّاها : « اُلمَهْدِيَّةَ » . وهو — في مذهبِ الشيعةِ — : من الغالِينَ .

* * *

بابُ ذِكْرِ مَنْ دَارَتْ عليه مِحْنَةٌ من اُلسُّلطانِ : من عُلماءِ اُلقَيْرَوانِ

* * *

اُلبَهْلُولُ بنُ راشِدٍ

١٥٨ قال محمدٌ : دارَتْ عَلَى اُلْبَهْلُولِ بنِ راشِدٍ [مِحْنَةٌ] من اُلعَكِّيِّ[١] عاملِ اُلقَيْرَوانِ : فضَرَبه بالسِّيَاطِ

* * *

اُبنُ أبى اُلجَوَادِ

١٥٩ ودارَتْ عَلَى اُلقاضى : اُبنِ أبى اُلجَوَادِ ؛ مِحْنَةٌ — بعدَ عزْلِه — من سَحنونٍ : ضَرَبه بالسِّياطِ ؛ لأموالٍ : كان اُحْتجَنَها[٢]، وتَلَدَّدَ فى قضائها .

---

(١) بالأصل : « العكاى . . فرضبه » وكلاهما مصحف . والزيادة متعينة .

(٢) كذا بالأصل . يعنى : اجتذبها لنفسه . ولعله مصحف عن : « احتجزها » .

سَحْنُونُ بنُ سَعِيدٍ

١٦٠ ودارَتْ عَلَى سُحْنُونِ بنِ سَعيد ، مِحْنَةٌ لم يكنْ منها : غيرُ أنْ توَارى من أبى جَعفرِ بنِ ٱلأغْلَبِ ؛ على ٱلقَولِ بخلْقِ ٱلقرآنِ ؛ ثم : ظَهر وقَصَده بنفسِه ، وقال له لمَّا دَخَل عليه : كنتُ خائفاً حتّى دخلتُ عليك ؛ فقد أمِنتُ . فأمَّنَه .

* * *

محمدُ بنُ سُحْنُونٍ

١٦١ ودارتْ على محمدِ بن سُحْنُونٍ (أيضاً) مِحْنَةٌ من سُليمانَ بنِ عِمْرانَ : فتوَارَى عنه ؛ فى قِصَّةٍ : قد ذَكَرْتُهَا فيما تَقدَّمَ(١) .

وكان (أيضاً) : قد توَارَى مع أبيه سَحنُونٍ : فى محنةِ أبى جعفرٍ ؛ فلمَّا أتَى بابَ ٱلقصرِ : بدَرَ ٱلشُّرَطُ إلى ٱنتِهارِه ، فأُخِذَ لِجامُ دابَّتِه .

فلمَّا دَخَلَ على أبى جعفرٍ : سكَتَ ؛ فقال له تكلَّمْ .

فقال : إنَّمَا يَتكلَّمُ من معه عقْلُه ؛ وأمَّا أنا : فقد ذَهَبَ عقْلِى .

قال له : وما ٱلذى أذْهَبَه ؟

فأعلمَه أنَّه أُخِذَ لِجَامُ دابَّتِهِ على بابِ قصرِه ، قبْلَ ٱلوُصولِ إليه .

فأمَرَ : بصَرْفِ ٱللِّجامِ ؛ وأمَّنَه .

* * *

فُرَاتُ بنُ محمدٍ ٱلْعَبْدِيُّ

١٦٢ ودارَتْ على فُراتِ بنِ محمدٍ ٱلعَبْدِىِّ ، محنةٌ من سُلَيمانَ بنِ عِمْرانَ : فضرَبه بالسِّياطِ ؛ بفَضْلِ غَضبه على محمدِ بن سَحنُونٍ .

---

(١) انظر : ص ١٧٩ .

عَبْدُ ٱللهِ أحمدَ بنِ طالبٍ

١٦٣ ودَارَتْ عَلَى عبد ٱللهِ بن أحمدَ بن طالبٍ ، دائرةٌ من إبراهيمَ بنِ أحمدَ : فعزَله عن ٱلقضاءِ ، وحَبَسَه ؛ وأحالَ عليه ٱلسُّودان : فرَكَضُوا بطْنَه حتَّى ماتَ .

وكان السَّببُ فى ذلك : أنَّ إبراهيمَ بن أحمدَ طلَبَ من أهـــالِ « لساتة » — : قريةٌ تُجاوِرُ تونُسَ : — أن يَبيعُوها منه ؛ فأبوْا عليه : فقهَرهم عليهـا ، وأدْخَلَ فيهـا السُّودانَ ؛ فتَطَاوَلَ بعضُ السُّوادنِ ، علَى بعضِ بَنَاتِ أهلِها : فافْتَضَّها ؛ فأتَتْ أمُّها بثَوبِها بما[1] فيـه : من أثَرِ دمِها . ــ فرَمَتْه : فى حِجْرِ ٱلقاضى ٱبنِ طالبٍ ؛ وأخبَرتْه ٱلخَبَرَ : فتَفَجَّع ؛ ثم قال لِمَن حَضَره : ما أظُنُّ هذا ٱلرجلَ : يؤْمِنُ باللهِ ، ولا بيوم ٱلحسابِ .

فبلغ ذلك إبراهيمَ : فكان مِن أمرِه ، ما كان .

* * *

يحيَى بنُ عُمَــر

١٦٤ ودارَتْ علَى يحيَي بنِ عُمَرَ ، دائرةٌ يَسيرةٌ من ابن عَبْدُونٍ : توَارىمنه واسْتَتَرْ، فسلَّمه ٱللهُ منه .

ودارَتْ من ٱبنِ عَبدونٍ، دائرةٌ على رجالٍ : من المَدَنِيِّينَ ، فضَرَبَهم ونَـكَّلَ بهم ، وطَوَّفَ بعضَهم . منهم : أحمدُ بن مُعتِبٍ ، وإبراهيمُ ٱلدِّمنيُّ ، وأحمدُ بن عَبدونٍ الاسَدِيُّ العطَّارُ ، وابنُ المَدَائنيِّ . وأبو القاسِمِ مَولَى مهريَّةَ .

* * *

(١) بالأصل : « محا » والظاهر تصحيفه .

حَسنُ بن البَنَّاءِ

١٦٥ ودارَتْ على حَسنِ بنِ البَنَّاءِ ، دائرةٌ من إبراهيمَ بنِ أحمدَ عَزَلَه عن قضاء « قَصْطَلية » ثم حبَسَه .

* * *

مُوسَى بنُ القَطَّانِ

١٦٦ ودارَتْ علَى مُوسى بنِ القَطَّانِ ، دائرةٌ من إبراهيمَ : عَزَلَه عن قضاء « اطرابُلس » ثم حَبَسَه .

* * *

إبراهيمُ بن عَتَّابٍ

١٦٧ ودارَتْ علَى إبراهيمَ بنِ عَتَّابٍ ، دائرةٌ من ابنِ طالبٍ : حَبَسه لانْصِرَافِه عن الصَّلاةِ : خلْف ابنِ عَبْدُوسٍ (١) .

* * *

أبو القاسِمِ الطُّوريُّ

١٦٨ ودارَتْ علَى أبي القاسِم الطُّوريِّ : (صاحبِ المَظالمِ مرةً بالقَيرَوانِ) ؛ دائرةٌ من القاضى المرْوَذِيِّ : ضَرَبَه فى الجامعِ : على رُؤوسِ الناسِ ؛ وحَبَسَه .

وفعَلَ ذلكَ المرْوَذِيُّ بجماعةٍ من رجالِ المَدنيِّين : ممَّن لم يكنْ لهم اسمٌ فى العلماءِ ؛ ولكنْ : دَخَلوا فى جُملتِهم : بالمحبَّةِ والصُّحْبةِ . مثلُ ابنِ سَلمونٍ القطَّانِ ، والخلاميِّ المُحْتَسِبِ ؛ وقَومٍ مُرابِطِينَ : من أهلِ تُونُسَ .

فكان قتْلُ المَرْوَذِيِّ بعدَ ذلك : بِسَبَبِهم ؛ بوَجْهٍ : سأصِفُه عندَ ذكْرِه : فى بابِ القُضاةِ إن شاء اللهُ (٢) .

---

(١) انظر : ص ٢٠٥ (٢) انظر أواخر باب قضاة القيروان.

* * *

إبراهيمُ بن ٱلْبِرْذَوْنِ ، وٱبْنُ هُذَيْلٍ

١٦٩ ودارتْ على إبراهيمَ بن ٱلْبِرْذَوْنِ ، وعلى ابنِ هُـذَيْلٍ ــ دائرةٌ : فقتلا فتهما رحمهُ ٱللهِ . وقد فسّرتُ خبرَهما في ذلك : من قبلُ[1] .

أبو القاسِم مَوْلَى مهريّةَ ، وٱلسَّدْرِيُّ

١٧٠ ودارت على أبي ٱلقاسم مَولَى مهريّةَ ، والسَّدْرِيَّ (رجلٌ يُعرَفُ : بالخير والعِبادةِ) ؛ دائرةٌ ــ : سنة ثمانٍ وثلاثِ مِائةٍ . ــ بالمَهْدِيّة : ضُرِبا ، ثم قُتِلا ، ثم صُلِبا ؛ لكلامٍ ــ حُفِظَ عليهما ــ : في السُّلطانِ .

أحمدُ بنُ زيادٍ

١٧١ ودارَتْ على أحمـد بن زياد ، دائرة من السلطان : عُبَيْدِ الله ؛ على يدَيْ أبي زيدٍ الشّاهِديّ : فضرِبه بالعِصِيّ بَطْحاً .

ثم دارَتْ عليه دائرة أخرى ــ بعد ذلك ــ من إسحاق بن أبي المِنْهالِ .

وذلك : أنه كتب في كتاب صَدَاقٍ شروطاً : وقد تقدم[1] إلى الناس كافّةً : أن لا يكتب في نكاح شرطٌ بيمين طلاق .

فأرسل فيه إسحاقُ : فحبسه ثلاثة أيّام ؛ ثم أطلقَه .

* * *

أحمدُ بنُ نَصْرٍ

١٧٢ ودارَتْ عَلَى أحمدَ بنِ نَصْرٍ ، دائرة من إسْحاقَ بنِ أبي ٱلمِنْهالِ : سنةَ ثمانٍ وثلاثِ مِائةٍ .

وذلك : أنّه كان أحمدُ بن نصرٍ : يَجلِسُ في مَسجدِ رَحَبةِ ٱلقُرَشِيِّينَ ، ويَجلِسُ إليه مَن أتاهُ .

---

(١) انظر : ص ٢٨١

فخَطَر به صاحبُ[1] الحَرَسِ يوماً : ومعَه بعضُ الغالِينَ — : من المَشارِقةِ . — فاسْتفْظَعُوا[2] : جُلوسَه ، واجْتِماعَ الناسِ حَولَه ؛ فوَكَّل صاحبُ الحرسِ عليه الشُّرَطَ وعَلَى كلٍّ مَن كان معه .

ثم سـار إلى عليِّ بن إسحاقَ الطَّبيبِ ، فأعلمَه بخَبَرِه — : وكان متخلِّفَ أبى سَعيدٍ الضيفِ حينئذٍ عَلَى القيْرَوانِ ؛ وكان أبو سَعيدٍ غائباً . — فأبَى ابنُ الطَّيبِ أنْ يَنظُرَ فى شيءٍ : من أمْرِه .

فسار إلى إسحاقَ بنِ أبى المِنْهالِ ، فأرسَلَ إليه جماعةً : من العُدولِ ؛ فعايَنُوا الحالةَ التى هو عليها . ثُم أمَرَ به إلى السِّجنِ — : من غـيرِ أنْ يُدْخِلَه إلى نفسِه . — وأمَرَ : بتَقْييدِه . ووَاصَلَ مَن كان معَه إلى نفسِه ، واسْتَـكْنَهم : رجُلاً رجُلاً ؛ ثم كَتَب : بخَبَرِ أحمدَ بنِ نَصرٍ ، و بأسمـاءِ مَن كان معَه إلى عُبيدِ اللهِ .

فأعرَضَ عُبيدُ اللهِ عن خَبَرِه ، وأظهرَ التَّهاوُنَ بأمْرِه .

وأقامَ فى السِّجنِ تسعةَ أشهرٍ ؛ ثُم عُنِيَ أبو سَعيدٍ الضَّيفُ ، بأمْرِه : عندَ عُبيدِ اللهِ ؛ فأمَرَ : بإطْلاقِه .

فلَزِم بيتَه : حتَّى ماتَ ؛ وفى داخِلِ بيتِه ، كان : يَجتَمِعُ إليه إخوانُه ، ومَن أرادَ الوُصولَ إليه .

* * *

ابنُ اللَّبَّادِ

١٧٣ ودارَتْ عَلَى ابنِ اللَّبَّادِ ، دائرةٌ : فى حِينِ تَغريمِ الناسِ ؛ فحُبِسَ وضُرِبَ : عَلَى يدَىْ أبى زيدٍ الشَّاهِدىِّ .

(١) بالأصل : « تقوم » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه ، فتأمل .

(٢) أى : رئيس أعوان السلطان . وبالأصل ـ هنا وفيما سيأتى ـ « صاحب المحرس » ؛ وهو مصحف على مايظهر . وانظر الصباح . (٣) بالأصل: «فاستقطعوا» ؛ وهو تصحيف.

* * *

أحمدُ بنُ موسَى ٱلتَّمارُ ، وأخوه محمدٌ

١٧٤ ودارَتْ عَلَى أحمدَ بنِ مُوسَى ٱلتَّمَّارِ ، وعَلَى أخيـــهِ — دائرةٌ :[١] من مَغْرِمٍ فادِحٍ .

ثم — من بعدِ ذلك — دارَتْ عليه : فى أخيه محمدٍ . دائرة عظيمةٌ .

وذلك : أن أخاه محمدَ بن موسى ، دَخَل فى جماعةِ رجالِ ٱلقيْرَوانِ ، عَلَى عُبَيدِ ٱللهِ : فى سَلامِ عِيدٍ ؛ فانْدَفَع : يَصِفُ سُوءَ حالةِ ٱلرَّعيَّةِ ، وما نَزَل بهم : من ظُلْمِ ٱلعُمَّالِ .

فوَقَع ذلك — من عُبيدِ ٱللهِ — موقِعَ الـكَرَاهِيةِ .

واتَّصَلَ ذلك بمَن أسْماهُ — : من أهلِ ٱلقيْروانِ . — فعَقَدُوا عليه شهادةً : عندَ صاحب ٱلخَبرِ ؛ ورَفَعها — : على يَدِ محمدِ بن أحمدَ ٱلبَغداذِيِّ . — إلى عُبَيدِ ٱللهِ .

فأمَرَ : بضَرْبِه مِائتَيْ سَوطٍ ؛ فضُرِبَ ضرْباً مَعْنِيّاً[٢] : فمات رحمه ٱللهُ .

* * *

١٧٥ ودارَتْ عَلَى ناسٍ كثيرٍ ، دَوائرُ : من قَتلٍ ، وضَربٍ . إلاَّ أنَّهم ليْسوا من العلماء .

١٧٦ كدائرةِ عروسٍ : فى خَلْعِ لسانِه ؛ وابْنِ مُعْتِبٍ : فى ضرْب ظهرِه .

وأشياءُ كثيرةٌ من هذا البابِ : من جهةِ تَرْكِ : « حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » : فى الأذان ؛ وتَرْكِ قِراءةِ « بسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمنِ الرَّحيمِ » : فى صلاةِ الفَرِيضةِ .

* * *

---

(١) بالأصل : « دائرة وعلى أخيه » إلخ . والظاهر : ما صنعنا .

(٢) كذا بالأصل . يعنى : مقصوداً قاسيا ، على ما يظهر .

أبو العبَّاسِ بنُ التُّسْتُرِيِّ

١٧٧ وأبو العبَّاسِ بنُ التُّسْتُرِيِّ ؛ كان شافعياً : في مذهبه ؛ دارَتْ عليه دائرةٌ : ضُربَ ، وعُذِّبَ ، وأُخذَ مالُه .

* * *

أبو جَعفرِ بنُ خَيْرُونِ

١٧٨ ودارَتْ علَى أبي جَعفرِ بنِ خَيْرُونٍ ، دائرةٌ سَعى فيها لمَرْوَذِيُّ : حتَّى قُتِلَ .

* * *

ابنُ عليٍّ بنِ أبي المِنْهَالِ

١٧٩ ودارَتْ عَلَى ابنِ عليٍّ بنِ أبي المِنْهالِ ، دائرةٌ : سَعَى عليه فيها زُرَارَةُ ، وأقامَ عليه ثمانينَ شاهداً : أنَّ عندَه حِملَ مالٍ : من مالِ ابنُ الصَّائغِ ، أو من مالِ رقادةَ .

فضُرِبَ وعُذِّبَ أصنافَ العَذابِ ؛

وكان يُدْخَلُ رأسُه في جِرابِ جِيرٍ ؛ فلم يُطِعْ[1] : بغُرمِ دِرهمٍ واحدٍ .

ثُم : عَفَا عنه عُبيدُ اللهِ ، ووَهَبَه لعمِّه : إسحاقَ ؛ وولَّى إسحاقَ بنَ أبي المِنْهَالِ — حينَئذٍ — القضاءَ : ثانيةً ؛ بعدَ موتِ ابنِ عِمْرانَ النَّفطيِّ : الَّذي كانَ استَقْضاهُ : بعدَ عزلِه إسحاقَ بنَ أبي المِنْهَالِ .

* * *

---

(١) كذا بالأصل . ولعل المراد : فلم يعترف بشيء أصلا .

بابُ أَسْماءِ قضاةِ ٱلقيْرَوانِ

* * *

عبدُ ٱلرَّحمن بنُ رافِعٍ ٱلتَّنُوخِيُّ

١٨٠ قال محمـدٌ : فمِن قُدماء قُضَاتِهم — فيما ذَكَرَ أبو ٱلعَرَبِ بنُ تميمٍ — : عبدُ ٱلرَّحمنِ بنُ رَافِعٍ ٱلتَّنُوخِيُّ ؛ لم يَزِدْه : عَلَى أنْ ذَكَر : أنَّه كان قاضياً بإفرِيقِيَّةَ .

* * *

عبدُ ٱللهِ بنُ ٱلمُغِيرَةِ

١٨١ وعبدُ ٱللهِ بنُ ٱلمُغِيرَةِ بنِ أبي بُرْدَةَ ٱلقُرَشِيُّ ؛ ذَكَر أبو ٱلعَرَبِ : أنَّه وُلِّيَ قضاء إفرِيقِيَّةَ ؛ لم يَزِدْ عَلَى ذلك .

* * *

يَزيدُ بنُ الطُّفَيْلِ

١٨٢ قال أبو العرَبِ : وقد كان يَزيدُ بنُ الطُّفَيْلِ التُّجِيبيُّ ، وُلِّيَ قضاءَ إفرِيقيَّةَ : قبْلَ عبدِ الرَّحمن بن زيادٍ ؛ وأظُنُّ الذى ولاَّهُ : يَزيدَ بنَ حاتِمٍ .

* * *

عبدُ الرَّحمن بنُ زيادٍ

١٨٣ وعبدُ الرَّحمن بنُ زيادِ بن أنْعَمَ ؛ ذكَرَ أبو العرَبِ : أنَّه وُلِّيَ قضاءَ إفرِيقِيَّةَ. وذكَرَ فيمَنْ ولاَّهُ القضاءَ ، اختـلافاً : من الرِّوايةِ ؛ فذَكَرَ ابنُ وَضَّاحٍ : أنَّه قال: ولاَّه أبوجعفرٍ. وذكَرَ روايةً أخرَى : أنه إنَّما ولاَّهُ:مَرْوانُ بن محمدٍ .

* * *

مائعُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمنِ .

١٨٤ قال : وعزَل يَزيدُ بن حاتمٍ : عبدَ الرحمنِ بن زيادٍ ؛ ووَلّى بعده : مائعَ بن عبدَ ٱلرَّحمنِ ٱلرُّعَيْنِيَّ . وكان مائعُ — فيما ذُكِرَ — : رجُلَ سَوْءٍ .

أبو كُرَيْبٍ

١٨٥ قال أبو العربِ : ووَلّى يزيدُ بنُ حاتِمٍ (أيضاً) : أبا كُريبٍ عبد الرَّحمنِ بنَ كُرَيْبٍ البَصْرِيَّ ؛ [ٱلقضاء] . وكان : رجلاً صالحاً . ذَكَرَ أبو العربِ أخْبارَه : في كِتابِه .

* * *

عبدُ ٱللهِ بنُ فَرُّوخ

١٨٦ وعبدُ ٱللهِ بنُ فَرُّوخٍ ؛ ولاّه رَوْحُ بنُ حاتمٍ القضاء : مُكْرَهاً ؛ فجَعَل : يَبْكِي ، ويَسْتَعْفِي الخصومَ ، ويَسْتَرْحِمُ . فأعفاه من القضاء .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ عُمَرُ

١٨٧ وعبدُ اللهِ بنُ عُمرَ بنِ غانمٍ الرُّعَيْنِيُّ ؛ وُلِّيَ القضاءَ : بعدَ مائعِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ؛ ولاّه رَوْحُ بنُ حاتمٍ : سنةَ إحدَى وسبعينَ ومِائةٍ ؛ وهو — يومَئذٍ — ابنُ اثْنَتَيْنِ وأربعينَ سنةً . وماتَ : سنةَ تسعينَ ومِائةٍ .

* * *

أَسَدُ بنُ ٱلفُرَاتِ ، وأبو مُحْرِزٍ

١٨٨ و ١٨٩ ثم وُلِّيَ أَسَدُ بنُ ٱلفُرَاتِ ، وأبو مُحْرِزٍ : جَميعاً .

قال أبو العَرَبِ : ولم يَكنْ ببَلَدِنا قاضيانِ[1] : فى وقتٍ واحدٍ ؛ غيرُهما .

* * *

أحمدُ بن أبى مُحْرِزٍ

١٩٠ ثم وُلِّيَ أحمدُ بنُ أبى مُحْرِزٍ ، ٱلقضاء : بعدَ أبيه ؛ فكان : عَفيفاً صالحاً .

وكلُّ هؤلاء — ٱلذين سَمَّيتُ من: ٱلقُضاةِ . — هم : ٱلذين ذَكَرهم أبو ٱلعَرَبِ : فى كتابِه . ولم أجِدْ فى كتابِه ، زِيادةً عَلَى هؤلاءِ .

* * *

أبنُ أبى ٱلجَوَادِ

١٩١ قال محمدٌ : ووُلِّيَ أبنُ أبى ٱلجَوَادِ ؛ وكان مَذهبُه : مَذهبَ ٱلكُوفيِّينَ ؛ فيما بَلغَنى . وعَزَلَه محمدُ بن الأغلَبِ .

* * *

سُحنونُ بنُ سَعيدٍ

١٩٢ ووُلِّيَ سُحنونُ بنُ سَعيدٍ ٱلقضاءَ ، وأحالَه عَلَى ابنِ أبى ٱلجَوَادِ : فاستَقْضَى عليه ، وظَهَرَتْ له عليه أموالٌ : تَلَدَّدَ فى قضائها ؛ فضَرَبه عَلَى ذلك : بالسَّوطِ .

وكان محمدُ بن ٱلأغلَبِ : قد أدارَ سَحنونَ بن سَعيدٍ : عَلَى ٱلقضاءِ ؛ حَولاً

---

(١) بالأصل: «قاضيين» وهو خطأ وتصحيف

كاملاً ؛ ثم قيل[1] : قَبِلَ منه بعدَ ذلك : عَلَى أن لا يَرْتَزِقَ له شيئاً ؛ وعَلَى أنْ يُنفِذَ الْحُقوقَ عَلَى وَجْهِها : فى الأميرِ ، وفى أهلِ بيْتِه . وماتَ سَحنونٌ سَنةَ أربعينَ : وهو قاضٍ لم يُعزَلْ .

* * *

سُلَيْمانُ بنُ عِمْرانَ

١٩٣ ثم وُلِّيَ القضاءَ — بعدَ سَحنونٍ — : سُليمانُ بن عِمرانَ ، المُلقَّبُ : خَرُوفةَ . ثم عُزِلَ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ طالِبٍ

١٩٤ فوُلِّيَ عبدُ اللهِ بنُ طالِبٍ ؛ وأمَرَه الأميرُ محمدُ بن أحمدَ — المعروفُ : بأبى الغَرانيقِ . — : بالنَّظرِ عَلَى سُليمانِ بنِ عِمرانَ .

ثم لمَّا وُلِّيَ إبراهيمُ بن أحمدَ : عَزلَ ابنَ طالبٍ واسْتَقْضَى سُليمانَ بنِ عِمرانَ ؛ وأمَرَه : بالنَّظرِ عَلَى ابنِ طالبٍ . فنَظرَ عليه : فى ثُلثُ الجِدَّةِ ؛ ودارَ فى ذلك — : عندَ إبراهيمَ . — مَجلسُ مُناظَرةٍ : بحَضرةِ شُيوخِ القَيْرَوانِ ؛ قد ذَكَرْتُه : فى كتابِ : (التَّعْرِيفِ) .

وسمِعتُ مَن يَحكِى : أنَّ إبراهيمَ ، لمَّا وُلِّيَ المرَّةَ الثَّانيةَ ، أرْسَل : فى ابنِ طالِبٍ .

فلمَّا حَضَرَ[2] : أجْلَسَه خارجاً طويلاً — قَبْلَ أنْ يَصِلَ إليه . — ثم : أدْخَلَه ، فأجْلَسَه بيْنَ يَدَيْه : مَجلِسَ الخُصومِ .

---

(١) بالأصل : « قبل » ؛ وهو مصحف ، أو زائد ؛ فتأمل .

(٢) بالأصل : « حضره » ؛ ولعله محرف .

فلمّا وُلّيَ ٱبنُ طالبٍ ٱلمرّةَ ٱلثانيةَ : أحضر سُليمانَ بنَ عِمرانَ .

فلمّا حضر : أدخلَه عَلَى نفسِه عاجلاً ؛ ثم : أجلَسه إلى جَنبِه ، وكلّمَه فيما وَجَب عندَه : أنْ يُكلِّمَه فيه .

* * *

أبو العبّاسِ محمدُ بنُ عَبدُونٍ

١٩٥ ثُم : وُلّيَ — بعدَ ٱبنِ طالبٍ — : أبو العباسِ محمدُ بن عَبدونٍ بن أبي ثَوْر ؛ وأقام قاضياً : نحوَ ٱلثلاثينَ شهراً .

ثُم : عَزَله إبراهيمُ ، ولم يُخلِ أحداً بعدَه : عَلَى النَّظرِ عليه ؛ وكان : قد وَعَد عيسى بنَ مِسكينٍ : بأنْ يُبيحَ له النَّظرَ عليه ؛ ثُم لم يَفعلْ ذلك .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ هارُونَ السُّوذانيُّ

١٩٦ ثُم : وُلّيَ — بعدَ ٱبنِ عَبدونٍ — : عبدُ ٱللهِ بن هارُونَ السُّوذانيُّ الكُوفيُّ ؛ وكان قبْلَ ذلك : [كاتبا][1] لسُليمانَ بنِ عِمرانَ .

ثُم : ولاّه ٱبنُ طالبٍ قضاءَ تُونُسَ ، وأثبتَه عليها ٱبن عَبدونٍ : إذ وُلّيَ ٱلقضاءَ .

ثم : ولاّه إبراهيمُ قضاءَ ٱلقيْرَوانِ ؛ فكان قاضياً : نحوَ ٱلسَّنتَيْنِ ؛ ثم:عزَله ،

---

(١) لعل هذه الزيادة متعينة .

ووَقَفَه[1] فى جامعِ رقادةَ : فى بيتٍ من حُصرٍ .

وأَمَرَ عيسى بنَ مِسْكينٍ : بالنَّظرِ عليه ؛ فلم يَجِدْ قِبلَه شيئاً مَكْرُوها ، ولا أحداً مَطْلُوباً . فدَخَل عيسى : عَلَى إبراهيمَ ، فقال له : هذا الشيخُ عَقَلْتَه فى المسجدِ : وقد كَبِرَتْ سِنُّه ، ولا غِنًى [له] عن قيام النِّساء .

فقال : نَظَرْتَ عليه ؟ .

فقال : قد فُعِلَ ؛ فلم أجِدْ إليه سبيلاً .

فقال إبراهيمُ : الحمدُ للهِ الذى صدقَ ظَنِّى به : فما ظَنَنْتُ إلاَّ خيراً .

* * *

عِيسَى بنُ مِسْكِينٍ

١٩٧ ثم : وَلِّىَ القضاءَ عيسَى بنُ مِسكينٍ ؛ فكان : زاهِداً محمُوداً ؛ أقامَ قاضياً ، نحوَ الثَّمانيةِ أعوامٍ . ثم عَزَله : عندَ خُروجِه إلى صِقِلِّيَّةَ .

* * *

الصَّدَفىُّ محمدُ بنُ أسْوَدَ

١٩٨ ووَلَّى الصَّدَفىَّ : محمدَ بنَ أسْودَ ؛ القضاءَ : لأنَّه عَلِمَ : أنَّ ابنَه عبدَاللهِ [يقولُ] : بخلْقِ القرآنِ ؛ وأنه لايَدَعُ بعده عيسى على القضاء .

فكان الصَّدَفىُّ : قاضياً لأبى العبَّاسِ ؛ حتَّى قتل أبو العبَّاسِ ، ووُلِّىَ زِيادةُ اللهِ ابنُه : فعزَل الصَّدَفىَّ .

* * *

(١) أى : حبسه .

حَماسُ بنُ مَرْوَانَ

١٩٩ ووَلَّى حَماسَ بن مَرْوانَ ؛ فكان قاضياً : نحوْ ٱلسَّنَتَيْنِ ؛ ثم عَزَلَه .

* * *

أبنُ جيالٍ

٢٠٠ ووَلَّى أبنَ جيالٍ : بِعِنايةِ أبنِ ٱلصَّائغ ؛ فكان قاضياً: مُدةً يسيرةً ؛ ثُم عَزَلَه .

* * *

إبراهيمُ بنُ ٱلخشَّابِ

٢٠١ ووَلَّى ٱلقضاء : إبراهيمَ بن ٱلخَشَّابِ ؛ فدَخَل ٱلشِّيعِيُّ إفْرِيقيَّة .

* * *

محمدُ بن عُمَر ٱلمَرْوذِيُّ

٢٠٢ فوَلَّى أبو عبدِ ٱللهِ ٱلصَّنْعانِيُّ : محمد بنعُمَر ٱلمَرْوَذِيَّ ؛ وهو : منأهلِ ٱلقيْرَوانِ .

كان : مُتَشَيِّعاً[1] من قبلُ ؛ وكانتْ ٱلقُضاةُ : تُكلِّمُه ؛ فتطَاوَلَ على رجالٍ صالحينَ: فضَربَهم وحَبَسَهم ؛ وأتَى عُبيدُ ٱللهِ من «سجلماسةَ» : فأقرَّ ٱلمَرْوَذِيَّ: على القضاء .

ووَضَع ٱلقَوْمَ ـ : ٱلمحبُوسونَ فى حَبْسِ ٱلمَرْوَذِيِّ . ـ أيديَهم فى ٱلرَّفْعِ على ٱلمَرْوَذِيِّ : بالارْتِشَاءِ وأقْتِناءِ ٱلأمْوالِ ؛ وأكْثَرُوا مِنْ ذلك .

فوصَّى إليهم محمدُ بن أحمدَ ٱلبغداذيُّ : هذا الفنُّ من الرَّفْعِ دَعْوهُ ؛ إن كان عندَكم سَببٌ ـ : من قَدْحِه فى ٱلدَّولةِ . ـ فهو : يَنْفَعُكم .

فعطَفَ ٱلقَوْمُ عَلَى ٱلرَّفْعِ عليه : من هذا الباب ؛ فعزَله ، وعَذَّبَه ؛ ثم قتَله .

* * *

---

(١) بالأصل : « مشيعا » ؛ وهو محرف عنه . أو عن « شيعياً » .

محمدَ بن ٱلمَحْفوظِ

٢٠٣ ووُلّي ٱلقضاءَ ـ بعدَ ذلك ـ : محمدُ بن ٱلمَحْفُوظِ ؛ من أهلِ « لموزَةَ » وكان شِيعياً من قبلُ .

فكان قاضياً : حتّى ماتَ : سَنة ستٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

إسحاقُ بنُ أبي ٱلمِنْهالِ

٢٠٤ ثم : وَلّى[1] أبو سَعيدٍ ٱلضَّيْف ـ : إذ كان عاملاً على القَيْرَوانِ . ـ إسحاقَ بن أبي المِنْهَالِ : على القضاءِ ؛ بأمْرِ عُبيده ٱللهِ .

فكان أمْرُه : ضَعيفاً واهِنا ؛ وكان زُرارةُ[2] يَتَسوَّر عليه : في النَّظَرِ بالْقَيْرَوانِ ؛ فلا يَمْتَعِضُ ، ولا يَنْتَصِرُ ؛ حتّى عُزِلَ .

* * *

محمدُ بن عِمْرَان ٱلنفطيُّ

٢٠٥ ثم : وَلّى عُبيدُ الله : محمد بنَ عِمران النّفطِيَّ ؛ وكان من قبلُ : قاضياً باطْرَابُلس ـ : و « نفطة » التي نُسِب إليها : مَدينةٌ بقَصطلية . ـ فأقامَ : نحوَ السَّنةِ ؛ ثم ماتَ .

* * *

إسْحاقُ بنُ أبي المنْهَالِ

٢٠٦ فوَلّى عُبَيْدُ ٱللهِ : إسحاقَ : بن [أبي] المِنهال[3] ؛ فكان قاضياً : حتى مات

---

(١) بالأصل : « ولاه » ؛ وهو محرف عنه .

(٢) بالأصل : « درارة » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) أي : مرة ثانية .

عُبَيْـــد اُللهِ ؛ فوَلَّى ولدُه أبو القاسِم : فثَبَّتَه عليها ؛ حتى مات إسحاقُ بنُ أبى المِنْهالِ .

* * *

أحمدُ بن بَحْرٍ

٢٠٧ فولّى أبو القاسم : أحمـدَ بنَ بَحرٍ ؛ قضاء القيرَوان . وكان من قبْلُ : قاضياً باطْرابُلس ؛ فهو قاضيها اليوم .

* * *

وكانت قُضاة الجماعةِ فيما سَلَف ـ فى دَولةِ بَنى الأغلبِ ـ إنَّما يجلس القاضى : ـ إذا كان من غيرِ أهلِ القَيْرَوَانِ . ـ بمَدِينة السُّلطانِ برقادةَ .

فلّما دَخَل الشِّيعِىُّ : اُستَقْضَى على « رقادةَ » شيخاً (أعنَى : كتامِيًّا) يُعرَفُ : بأفْلَحَ ابنِ هارُونَ ؛ ثم ماتَ .

٢٠٨ وانتَقَل إلى المَدِينة ـ : التى سَمَّاها : المهدِيةَ . ـ فولّى زُرَارةَ بن أحمـدَ : على القضاء ، بها فهو قاضيها اليوم .

انتهى الجزء بحمد الله

* * *

[و بانتهائه تم كتاب علماء إفريقية]

لمحمد بن حارث الخشنى

فهارس الكتاب

فهـــــــرس الموضوعات

لكتاب قضاة قرطبة

الصفحة	الموضـــــــوع

الصفحة	الموضوع
	الأمير عبد الله بن محمد . قول أحد الأشخاص : ظلمتنى ياقاضى . قول النضر : فإن أعطوا منها رضوا .. ابن رحمون ونوادره .
١٣٧ — ١٣٨	تولية موسى بن محمد بن زياد الجزامى للقضاء ، مثال من حلم القاضى ابن زياد .
١٣٩	تولية محمد بن سلمة الكلابى أخى النضر بن سلمة . حكاية الكساء الذى اشتراه القاضى بواسطة عبد الله بن قاسم ، وإعادته له . تعديل ابن شراحيل عند القاضى محمد بن سلمة وقوله فى ذلك . قصة رجل سكران .
١٤٥	تولية النضر بن سلمة للمرة الثانية ، وإبقاء محمد بن سلمة على الصلاة . استوزار الأمير للنضر بن سلمة .
١٤٥ — ١٤٦	تولية محمد بن سلمة القضاء للمرة الثانية . عقده لكتاب وصية بثلث ماله . قوله لابن لبابة حينما رآه يجيل بنظره فى أساس المنزل : إن موجودات منزله هى ملك لابنته عافية . رفضه طلب ولده منه الكتابة إلى الأمير لاستخلافه على الصلاة ، وتوصيته للأمير باستخلاف محمد ابن عمر بن لبابة .
١٤٨ — ١٤٣	تولية أحمد بن زياد اللخمى المعروف بالحبيب القضاء . عناية القاضى سليمان بن أسود بالحبيب بن زيادد وحثه على التجارة . بيان أنه أول من جمع الأحكام ، وقيد السجلات ، وألف فى الأقضية ، ودوّن كلام أصحاب الرأى ممن استشارهم . قصة إبراهيم بن حسين بن مع المصلبين . جلوس رجل من أهل السوق على مائدة الحبيب وطرده له لسماجته .
١٥٥ — ١٦٠	تولية أسلم بن عبدالعزيز القضاء . مباسطة محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الحكم لأسلم أثناء وجوده بمصر . قصة الرجل النصرانى الذى أحضر أمامه فى القضاء .

فهرس الأعلام والطوائف
لقضاة قرطبة

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	بنو الأغلب	٢٥
	آل السلطان	٨٩
	آل الفرج بن كنانة	٦٤
	امرأة صالحة	١٣٩
	بنو أمية	٢٥ ، ٢٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦
	أهل التفقه	٨٦
	أهل الحرم	١٧٤
	أهل حمص	٣١
	أهل الخدمة	١٧٤
	أهل المدينة	٦٥
	أهل الذمة	١٧٤
	أهل الشام	٣١، ٣٢
	أهل قرطبة	٨٠
	أهل العلم: العلماء	٨٩،٩٣،٩٦،١٢٢،١٣٦،١٣٧،١٥٧
	أيدون الفتى	١٣٣
	أيوب بن سليمان : أبو صالح	١١٨،١٥٠ ، ١٣٥ ، ١٥٧
	ابن أبي أيوب القرشي	١١٠

(ب)

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	بدر بن أحمد : أبو الغصن الحاجب	١٥٦ ، ١٦٠
	البربر	٦٥
	بشر بن سلمة	١٦٤
	بشر بن قطن	٦٨
	بشر بن محمد بن موسى القرشي : أبو الحارث	٣٦
	ابن بطوطة = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي	
	بعض أهل العلم	٧٥،١٠٣،١٠٤،١٢٩،١٤٦،١٤٩،١٥٣
		١٧٠
	بعض خواص الأمير	٧٦
	بعض رواة الأخبار	٨٧،٩٨،١٠٢،١٢٧،١٣٦،١٤٧ ، ١٦٨

(غ)

فهرس البلدان والأماكن

لكتاب قضاة قرطبة

فهرس الموضوعات

لعلماء إفريقية

الموضوع	الصفحة
نسك جبلة بن حمود الصدفى وتقشفه ، قصته مع الجزار الذى استدان منه مبلغا من المال .	١٩٥ ١٩٦
صحبة عبد ابن الجبار بن خالد السرتى لحديس القطان . عداوته لابن طالب وشهادته ضده	١٩٧
تقشف أبو الأحوص أحمد بن عبد الله وتعبده . كلامه فى التفتيش عن عيوب الناس ، تعليق المؤلف على كلامه .	١٩٨ ١٩٩
تولية ابراهيم بن أحمد لسليمان بن سالم قضاء صقلية . رواية سليمان لحديث محمد بن مالك بن أنس .	٢٠٠ — ٢٠١
سعيد بن محمد الحداد وصحبته لسحنون ، رحلته إلى أبى الحسن الكوفى ، قوله لابن عبدون : إن أقررت على نفسك أنك حمار أنشدتكهما .	٢٠١ - ٢٠٣
تعصب إبراهيم بن عتاب الخولانى لابن سحنون فى مسألة الإيمان ، قول الناس عن إبراهيم بن لبدة أنه عالم الأمير .	٢٠٥ — ٢٠٦
حماس بن مروان وابن عبد الحكم .	٢٠٧
قول الحامى : سألت سحنونا أن أقرأ عليه كتاب ابن القاسم	٢٠٨
انتهاء الجزء الأول : [بتجزئة الأصل]	٢٠٩
الجزء الثانى : [بتجزئة الأصل]	٢١٠
اجتماع محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبى بأحمد بن نصر ووصفه له بصفات أجابه عنها بقوله : هذه الصفة هى فى القبور .	٢١١ — ٢١٢
تولية إبراهيم بن أحمد لحسن بن البناء قضاء قسطلية . انتقامه ممن سعى فى عزله . تولية حمدون قضاء الطينة .	٢١٢ ٢١٤
تولية ابن بطريقة قضاء اطرابلس ، خروج عبد الله بن الحسن ، المعروف : بابن العبادى من إفريقية إلى بغداد .	٢١٥ ٢١٦
طريقة الطوارى بأخذ الناس إلى السجن .	٢١٧
إجازة ابن حكمون للخشنى مؤلف هذا الكتاب فى قراءة كتبه . قول الناس : لم يرق على أعواد منبر القيروان أخطب من أبى الوليد الخطيب . قول المؤلف : ليس من صفة ابن آدم أن يحفظ كل صواب ينطق به . رؤية الخولانى لسحنون فى مجلس قضائه .	٢١٨ ٢١٩

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الأعلام الكتاب

علماء إفريقية

(ب)

(ج)

(ح)

فهرس الأماكن والبلدان

لكتاب علماء إفريقية

بعض تصويبات واستدراكات

الصفحة	السطر		
٦	٨	الصواب	: تسكين الكاف من كلمة : « أكسفرد » .
٦	١٥	»	: « الديباج المذهب » .
٨	١٣	»	: « قرطبة » (بفتح التاء) .
٩	١٥	»	: « من ذى الحجة » .
١٠	١٥	»	: « طرائق » (بكسر القاف) .
١١	١٠	»	: « الخلفاء » (بكسر الآخر) .
١١	٢٢	»	: « المثل » .
١٣	١٣	»	: « مغيث (بضم الميم) .. لماذا عرضتما » .
١٤	١	»	: « عبيد » (بفتح الباء) .
١٩	١٥	»	: « أما إذا أبيت » .
٢٠	١٤و١٥و١٧	»	: تنوين آخر كلمة : سكن » .
٢٤	٢٠	»	: «القاضى(بفتح الياء)..ويمثله(بضم اللام)» .
٢٦	٢٠	»	: « إذا لحظت الناس » .
٢٧	٢	»	: « شبكة » (بكسر التاء) .
٢٨	١٩	»	: كسر آخر كلمة : « قطن » وتنوينه .
٢٨	٢٠	»	: » » » : « بلح » .
٢٩	١٤	»	: » » » : « بن » .
٣٢	١٢	»	: » » » : «جبير» بدون تنوين .
٣٥	١١	»	: ضم » » : « خلة » .
٣٥	١٥	»	: فتح » » : « غير » .
٣٨	١٧	»	: « ووكل » إلخ .
٣٨	١٩	»	: ضم آخر كلمة : «توسعت » .
٣٨	٢١	»	: « معزولا » .
٣٩	٤	»	: حذف أول الآية المزيد بين مربعين .
٣٩	٩	»	: فتح آخر كلمة « عمر » .
٤٦	٧	»	: تنوين آخر كلمة: «شفى» إن كانت بكسر الفاء
٤٦	١٣	»	: « كاتبه » (بفتح الباء) .

الصفحة	السطر	الصواب :	
٤٦	١٥	»	: « لمجالسة » .
٤٧	٨	»	: « حداثته »
٤٩	٤	»	: « أرجاء » .
٥٢	٧	»	: « الزى » (بكسر الزاى) .
٥٣	١٢	»	: « والمروءة » .
٥٤	٢١	»	: رفع آخر كلة : « تنفذ » .
٥٦	٢٠	»	: « لباس » .
٥٧	١٢ و ١٥	»	: « دمثا . . أراه » .
٦٠	١٧	»	: « اخرج » (بدون همزة) .
٦١	١٤	»	: « إن ربيعا » .
٦٧	٥	»	: « وتمنون » (بضم النون الأولى) .
٧٢	٨	»	: فتح آخر كلة : « أصبغ » .
٧٣	١٦	»	: « الواو من كلة : « مشاروا » .
٧٨	١٧	»	: ضم أول كلمة : « ينهوا »
٨٠	١٣	الأحسن	: كسر آخر كلمة : « غير » .
٨٣	٧	الصواب	: تنوين « « : « يخامر » .
٨٦	٥	»	: ضم « « : « ويحقق » .
٨٦	١٠	»	: (يا أولى) .
٨٦	٢١-٢٢	»	: (١) .. (٢) .. (٣) .. (٤)
٨٨	١٦	»	: تنوين كلمة : « سحنون » .
٩٢	٩	»	: فتح اللام من كلمة : بالسلم » .
٩٢	١٠	»	: « . ولا تجعلوا . . » .
٩٢	١٦	»	: ضم آخر كلمة : « العراق » .
٩٣	٤	»	: فتح « « : « دمشق » .
٩٤	٢٢	»	: ضم « « : « رفع » .
٩٥	١	»	: « « « : « وثلاثة » .
٩٧	٧	»	: « « « : « بن » .
١٠٥	١٩	»	: « إذ أتاه » .
١٠٨	٢١	»	: « ولعله أنت مراعاة . . » .
١٠٩	٢	»	: « وأما » ؛ رفع الرقم المذكور .

الصفحة	السطر	الصواب
١٠٩	١٣	« : « أن بعده » .
١٠٩	٢٠	« : فتح الذال من كلمة : « الذهاب ».
١١٢	١	« : « .. تركته (بدون الواو) » على ما يظهر.
١١٢	١٠	« : « الناس مثل » .
١١٥	١٢	« : « أرسلت » (بضم الثاء).
١١٧	٣	« : « يضر » (بضم فكسر).
١١٨	١٥	« : « الرعيني » (بضم الراء) .
١٢١	١١	« : « عمرا ».
١٢٣	٥	البيت ورد كذلك بالأصل ؛ وشطرناه مذكورتان في بيتين : بتاريخ قضاة الأندلس (ص ٥٨).
١٢٣	١٢	الصواب : « ثمات ذلك العدل ».
١٢٤	٦	« : « مبرأ » (بفتح الباء).
١٢٤	١٦	« : « أشد » (بضم الدال).
١٢٥	١٠ و ١٣	« : « إذ .. بقى بالكسر ».
١٢٦	٤	« : « رافعها » (بضم العين) .
١٢٨	١١	« : « جلوس الصحة »
١٣١	٢	كلمة : « فقال » زائدة من الطابع . وهى المشار إليها بالهامش .
١٣٤	٥	قوله : « حسنة مهذبة مشتملة » ؛ بضم آخر الجميع .
١٣٤	١٤	الصواب : فتح القاف من كلمة : « بيقظته ».
١٣٥	١٥	« : ضم آخر كلمة : « أهدم »
١٣٨	١	« : « المروءة » .
١٤١	٢	« : فتح اللام من كلمة : « قبولها ».
١٤٢	٢١	« : « فارسى » .
١٤٣	٢	« : فتح آخر كلمة : طريق » .
١٤٦	٩	« : « لا يبقى » (بدون همزة) .
١٥٢	٧	« : « وصيتك » (بفتح الباء والتاء) .
١٥٣	١	كلمة : « إن » ؛ زائدة من الطابع.
١٥٤	٨	الصواب : « ومروءة » (بضم الميم) .
١٥٤	١٥	« : « فهمناها » (تشديد الهاء).
١٥٦	٢ و ٣	« : ضم آخر كلمة : « الناس » ؛ وآخر كلمة : « طريق » .

الصفحة	السطر	الصواب
١٥٦	٨	« : ضم آخر كلمة : أمير »
١٥٨	١٠	« : فتح « « : «ليلة» بدون تنوين
١٦٠	٦	« : «تمنيه» (بكسر النون)
١٦١	٢٣	« : «وهي محرفة على ما يظهر؛ وإن كانت صحيحة لمعنى. أي: واسبق»
١٦٣	١٧	« : فتح آخر كلمة : «حيان»
١٦٩	٩	« : فتح «الراء من كلمة : «أباعمر»؛ وتنوين «فلان»—
١٦٩	١٩	لعل قوله « فما شك »؛ أصله : «فيه شك»، وعليه : فلا داعى للزيادة المذكورة بعده ، فتأمل .
١٧٢	١٨	الصواب : «ما» بدون الواو
١٧٥	٦	« : «فتوفى» (بكسر الفاء الثانية) .
١٨٢	١١	« : « وإسحاق »
١٨٥	٢١	كلمة : « هو »؛ زائدة من الطابع.
١٨٦	٨	الصواب : ضم آخر كلمة : « يجمع ».
١٨٩	٤	« : « ولذلك الصديق صديق».
١٩٣	٥	« : ضم آخر كلمة : « الرواية ».
١٩٣	١٥	قوله : « إلا النيل » إلخ ؛ ورد كذلك بالأصل ، ولعل أصله : « إذ ليس به إلا النيل » الخ.
١٩٧	١	الصواب : تنوين آخر كلمة: « حمديس ».
١٩٨	٧	« : « رقادة » (بالقاف) .
٢٠٥	٦	قوله : في هذا الكتاب من قبل»؛ ورد كذلك بالأصل . ولعل بأوله نقصاً
٢٠٦	٢	لعل الصواب : « وما يقول » إلخ .
٢١٤	٩ و١٠	الصواب : « رقادة (بالقاف)
٢١٦	٨	« : فتح القاف» من كلمة: «فحقد».
٢١٨	٢	« : تنوين آخر كلمة : «حكمون» .
٢٢١	١٣	« كسر العين من : « عياض » .
٢٣٢	١٥	« : « أو تسكون».
٢٣٤	١٨	« : «وهو تصحيف؛ إلا أن يكون المراد منه: «الا زواء».
٢٣٦	١٩	« « باليمين» .
٢٣٨	٧	« : فتح اللام الأولى من كلمة : فتسللوا » .
٢٤٤	١٤	« : « قد كان الساجدى » (بالضم) .

الصفحة	السطر	الصواب
٢٤٧	٤	« : فتح الدال من كلمة : « مقدميهم » .
٢٤٨	٤	« : ضم آخر كلمة : « عبيد »
٢٦٢	١٦و١٧	قد حدث ـ من الطابع ـ تأخير التعليقة الأولى ، وغلط في رقمها.
٢٦٥	١١	الصواب : « العموم »
٢٦٦	١٤	« : « أحصن » (بالصاد) .
٢٦٩	٤	« : تنوين آخر : « كلمة »
٢٧٠	١٢	قوله تعالى : (أمن لا يهدي) بكسر الهاء وتشديد الدال.
٢٧١	١	الصواب : فتح الزاي من كلمة : « منزل » .
٢٧١	٣ـ٥	« : (لم شهدتم)
٢٧٢	٧و٩	« :(أحق بالملك منه) . . (العلم) بكسر العين .
٢٧٨	٢	« : « بتنوين آخر كلمة « بعرفات » أو فتحه.
٢٧٨	٥و٦	« : « جيد (بالفتح) . . . يتعارف » .
٢٧٩	٦	« : « ورئيساً من » الخ .
٢٨٠	٩	« :«من البغضاء»
٢٨١	٢٢	قولنا : والظاهر أنه مصحف الخ . لكن ذكر بعد ذلك ـ في ترجمة الكلاعي ص٢٨٩ ـ ما يفيد صحته ، وأن المراد منه: الإعانة على قتلهما
٢٨٢	٣	الصواب : « فتح أول كلمة : « يخبط »
٢٨٤	٣و١٤	« : كسر آخر كلمة : « ابن »
٢٨٧	٢	المطلوب : ضم همزة «أراك» ، وضم آخر « يا فزاري »
٢٩١	١٢	الصواب : (١٣٨). وانظر بتأمل : ص ٢٨٠
٢٩٤	١٣	« : « استحكم » بهمزة وصل ، وبدون فتح
٢٩٥	١٣	قولنا : «وكلاهما مصحف» إلا إن ثبت أنه من قبيلة : «عكل».
٢٩٩	٢٢	رقم (١) صوابه : (٢) والكلام عنه بأول ذيل الصفحة التالية.
٣٠٠	٥	الصواب : « فأبي ابن الطبيب».
٣٠٠	٢٠ـ٢٣	« : = (٢) . . (١) . . (٢)
٣٠١	١٦	« : « حي » (بكسر الآخر)
٣٠٦	٩و١٠	« : « سليمان » (بالفتح). «واستقصى».
٣٠٨	١	« : ضم الصاد من كلمة: «حصر».
٣١١	١	« : الواو من كلمة : « فولي »
٣٣٥	١٠	الصواب : ١ و ٢٠ .